

۳۲
 ۳۵
 ۳۶

١٧١

الجلال

في تفسير القرآن الكريم

الرسول على عجائب بين لا تروا وغريب لا ياباها

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ ططاوي جوهري
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بجزائه آمين

الجزء التاسع

طبع بطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

(حقوق الطبع محفوظة)

شوال سنة ١٣٤٦ هـ

مكتبة

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة بنى اسرائيل مكية لإقوله - وإن كادوا ليفتنونك - الى آخرثمان آيات)
(وهى مائة وعشر آيات)

هذه السورة (قسمان • القسم الأول) من أول السورة الى قوله تعالى - وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا -

(القسم الثانى) من قوله تعالى - قل كونوا حجارة أو حديدًا - الى آخر السورة
القسم الأول فيه (١) الاسراء (٢) وتاريخ بنى اسرائيل ارتقاء وانحطاطا (٣) وحكم تنبؤ ذلك وعظمت
للأمة الاسلامية لثلاث نذهب دولها كما ذهب دولة اليهود (٤) ثم تبيان أن كل مافى السموات والأرض مسبح
لله رجوعا الى مبدأ السورة مع نفاذ أخرى

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَنْقَضِ الَّذِي بَارَكْنَا
حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ • وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى
لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا • ذُرِّيَّةً مِنْ سَعْيِكَ مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَاكِرًا • وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ
عُلُوًّا كَبِيرًا • فَاِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ يَفْسُدُوا

خِلَالِ الدَّيَّارِ وَكَانَ وَعْدًا مَقْمُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
 وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَا تَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
 وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْوُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا
 * عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا * إِنَّ هَذَا
 الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَفْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا
 * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ
 بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَسْعَوْا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانُهُ
 تَفْصِيلًا * وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ
 مَنْشُورًا * أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنْ أَهْتَدَى فَلِإِنَّمَا يَهْتَدِيَ
 لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَلِإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى
 نَبْتَلَّ رُسُلًا * وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمَرْنَا ثَمَرَهُمْ فَأَفْسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
 فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
 خَبِيرًا بَصِيرًا * مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَالَةَ تَحْلِلْهَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ يُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ
 يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
 كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ
 غَطُورًا * أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ
 تَفْضِيلًا * لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
 إِلَاهَهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْتَغَِنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا
 تَنْهَرْنَاهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
 كَمَا رَيَّانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَظْلَمُ عِمَّا فِي نَفْسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ
 لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالسَّكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا * إِنْ
 الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِنَّمَا تَرْضَوْنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ

رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَبْسُورًا • وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا • إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا • وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِي تَحْنَنٌ تَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا كُمُ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا • وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا • وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا • وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا • وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا • وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا • وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا • كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا • ذَلِكَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنْ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا • أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُم لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا • وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا • قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَشْفَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا • سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا • تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا • وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا • وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَذَانِهِمْ نُفُورًا • نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا • أَفَنظَرَ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا • وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا •

(التفسير النفلي)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أَسْبَحَ (سبحان) الله أى تزيهه فسبحان اسم بمعنى التزيه أى أنزه الله أن يهجز عما سيذكر بعده

(الذي أسرى بعده) محمد ﷺ وسرى وأسرى لقنان (ليلا) في مدة قليلة منه دلّ عليها تفكير ليل (من المسجد الحرام) هو المسجد بينه لا الحرم كله * لقوله عليه الصلاة والسلام بينا أنا نائم في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق وقد عرج بي إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا عن غيرهم وعدد جاهلها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة . والخلاف مشهور أكان باليقظة أم في المنام فعائنه رضى الله عنها تقول بروحه والجمهور يقولون بحسده وسيأتي تحقيقه وقوله (إلى المسجد الأقصى) أى بيت المقدس إذ لم يكن حيثئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يركات الدين والدنيا لأنه مهيأ للوحى ومتعب الأنبياء من أيام موسى عليه السلام وحوله الأشجار الثمرة والأنهار الجارية (لذرية) أى محمدا ﷺ (من آياتنا) من عجائب قدرتنا كذهابها في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم ورؤيته عجائب السموات وغرائب الخلوقات فيها (إنه هو السميع) لأقوال محمد ﷺ (البصير) بأفعاله فيكرمه ويقرّبه على حسب ما استدلّه بذلك . ولما كان بيت المقدس مقرّ الأنبياء مقرّ أول موسى عليه السلام ولهم دول تابعت وأمم تناسقت في تلك الأقطار أطلع الله نبيه محمدا ﷺ على أحوالهم ليطعننا عليها وأوصى إليه ماحلّ بقوم موسى من عزّة وذلة وشرف وحطة وقد أنزل عليهم كتاب التوراة المنزل على موسى ليدلنا على ماسيكون لنا في مستقبل الزمان وأنا سلاقي مالاقت الأمم فلنحتسب مما وقفوا فيه ولذلك أعقبها بالآداب ونصائح وفصائل لم تكن في سورة قبلها متتابعة على هذا المنوال وشدّد في ذلك حتى أعطى (٢٥) نصيحة في نسق واحد . فأما التوراة فإن مدار نصائحها على الكلمات العشر المعروفة فقال سبحانه موضعاً ذلك (وآتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلناه) أى الكتاب (هدى لبني إسرائيل لي أن لاتتخذوا من دوني وكيلا) يعنى قلنا لهم لاتتخذوا من دوني ربا تكونون إليه أموركم يا (ذرية من حلنا مع نوح) في السفينة (إنه كان عبدا شكورا) يحمده الله على جميع حالاته ويقوم بحق النعمة ويصرف كل ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله فلذلك أنجيتكم من الفرق فاذا سرتم على طريقه أنجيتكم من الهلاك فاشكروني بمعرفة حق النعمة أتم لكم النعم كما أدمتها عليه . ثم أخذ يفصل ما حصل لبني إسرائيل وهل هم قاموا بالشكر كنوح أيهم أم هم ضلوا السبيل ففضب عليهم وكل ذلك ليس بقصد منه إلا نحن أصحاب هذا القرآن ثم قال (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) أى وقضينا على بني إسرائيل في كتابنا الذي كتبناه على الخلق وقدرناه عليهم قبل خلقهم وأن لكل دولة أيام رفعة وأيام ذلّ وأقمنا (لنفسدن في الأرض) أى أرض الشام وبيت المقدس (مرتين) كما هو شأن كل أمة نالت حظا من الحضارة والترف وسكرت بالنعيم (ولتعلن علوا كبيرا) أى ولتستكبرن ولتظلمن ظلما كبيرا (فاذا جاء وعد أولاهما) أولى المرتين بأن خالفتم أحكام التوراة وركبتم الحرام فقتلتم شيعة في الشجرة مثلا (بعنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) أشدّاء في القتال لأنكم لم تسبوا على سنن أيكم نوح في شكر نعمائى وهؤلاء العباد يختصروا وجوده وقتلوا علماءكم وأحرقوا التوراة وحرقوا المسجد وسبوا سبعين ألفا (جاسوا خلال البير) تردّدوا للغارة فيها * والجوس طلب الشيء بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعدا لابد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أى السولة والقلبة على الذين بشوا عليكم حين تبتم وتهذبتم (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكرثر نفيرا) مما كنتم والنفير جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) أى إن الاحسان والاساءة مختصان بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم * وعن على رضى الله عنه (ما أحسن إلى أحد ولا أسأت إليه) (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد العقوبة المرة الآخرة بشنائهم (ليسوقوا وجوهكم) أى

ليجعلوا آثار للسوء بادية فيها (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه أول مرة) وليتبروا
 ماعلوا تغييراً) أى وليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه وهؤلاء هم الروم حاصروهم وافتتحوا بيت المقدس
 وأخشوا في القتل والأسر والتحريق وخربوا البيت وأجلوهم الى رومة وماوراءها وهو الخراب الثاني للمسجد
 ويسمى الجلوة الكبرى (سرى ربكم) بعد المرة الأخرى (أن يرجكم وان عدمتم) نوبة أخرى (عدنا)
 مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ بعد الثالثة كما عادوا بعد الأولى بتكذيب عيسى فسلط
 الله عليهم الروم إذ ذاك فهكذا هنا سلط عليهم محمد ﷺ فقتل قريظة وأجل بنى النضير وقرى الخزيرة على
 الباقين . هذا لم في الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) عساً لا يخرجون منه أو بساطاً كما يبدط
 الحصير . هذا ما كان من أمر التوراة ونتائجها في الأمة التي اتبعته وهذا القرآن أنزلناه لأمر ستأتي وأنزلنا
 فيه حكماً أرقى عما في التوراة لأن العالم سائر الى الأمم (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) للطريقة التي
 هي أقوم الطرق (وييسر للمؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة
 أعدنا لهم عذاباً أليماً هذه هي القاعدة العامة في القرآن وفي كل دين . ثم أخذ يفصل ذلك والتفصيل
 (قسمان) قسم على وقسم على . فأما القسم العلمي فهو

(١) أن يتثبت الانسان ويتبصر في أموره

(٢) ويعينه على ذلك اطلاعه على حساب الليل والنهار ومجاهاهما فان الدقة في حركات الأفلاك وحسابها
 تعلم الانسان الثبات والصبر والسبر على التهج الأكل في الحياة

(٣) ومتى علم ذلك فليقرأ علوم النفس البشرية ونظامها فانها ذات حساب بل حساب أعمالها قائم فيها
 ثابت وهو مخبوء في الدنيا لا تطلع عليه إلا بعد الموت كما لا يطلع الناس على حساب الأفلاك إلا بدراستها والخلوص
 من الجهالة بالعلوم الرياضية ويوم القيامة يقرأ كل انسان كتابه بنفسه لأنه حاضر فيها

(٤) وهكذا الدول والأمم فان لكل دولة نظاماً في كيانها ولواطلعت عليه لأدركت سبب سقوطها فهي
 متى غسست في الترف والنعيم هلكت وساء مصيرها وذلك أت من نفسها وطباع أهلها فكانها مكتوب في
 جبلتها يقرأ في صحائف نفوسها كما يقرأ الناس صحائف أعمالهم يوم القيامة

(٥) وهذا قانون الأمم كلها متى طفت هلكت فلا فرق بين الأمم التي بعد نوح وهم كثيرون وبين
 الأمم الاثنين من دول الاسلام والشرق والغرب

(٦) هذا قانون عام فن قصر نظره على الامور الوقتية نالها وحرم غيرها ومن اتسعت بصيرته فأدرك
 الحقائق وعمل للمستقبل فاز به . هذا هو القسم العلمي وما تفرع منه

وأما القسم العملي فهو ٢٥ نصيحة سيأتي ذكرها . فهذه هي الطرق التي سنها الله في القرآن ليحترس
 علماء الاسلام مما وقع فيه اليهود من ضياع ملكهم وخراب عمالهم وهذا من معنى قوله تعالى - إن هذا
 القرآن يهدي للتي هي أقوم -

(القسم العلمي)

الفصل الأول منه قوله تعالى (ويدع الانسان بالشتر دعاه بالخير) فيدعو الله عند غضبه بالشتر على
 نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لم بالخير (وكان الانسان مجحولاً) يتسرع الى طلب ما يقع في قلبه ولا يتأني
 ومن هذا ما حصل من التضربن الحارث قال (اللهم ان كان هذا هو الحق الخ) فاذا كانت هذه حال
 الانسان فليس ينبغي أن تركه وشأنه بل ترسل له الأنبياء وتعلمه ولا تدعه يسرع الى أهوائه فاذا كره البنات
 مثلاً جبرناه على تربيتهن والا فسد ملكنا وأمرناه بطريق الدين وبالشفقة المحرقة للأفئدة أن يحافظ عليهن
 فهذا من التسرع بلا فكر ولا روية . واذا تنم وشتره وظلم سلطاناً عليه من يهلكه ثلاثاً يفسد في الأرض كما

(الفصل الثاني)

حصل لني اسرائيل

فأظلمكم على نظامنا وحسابنا فعمل الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وما فوق ذلك من علم الفلك نلهمكم بقرائتها أبواب الخيرات والحكمة كما يقوله الحكماء (وجعلنا الليل والنهار آيتين) تدلان على قدرتنا وعلمنا وعلى نسقنا الجيب (فجونا آية الليل) أي الآية التي هي الليل أي جعلناه محو الضوء مطموسا مظلاما لا يستبان فيه شيء (وجعلنا آية النهار مبصرة) مضبوطة تبصر فيها الأشياء رؤية ينة (لتبتغوا فضلا من ربكم) طلبوا في بياض النهار أسباب معاشكم (وتعلموا) باختلافهما وبحركاتهما (عدد السنين والحساب) أي وجلس الحساب . فكما كان الليل لنومكم والنهار لمعاشكم كان تعاقبهما لتعليمكم السنين والحساب . فالأول بالضوء والظلمة والثاني بالحساب المبنى على الحركات فالضوء نعمة والظلمة نعمة والحركات الفلسكية نعمة فنعمة الضوء للأمور المحسوسات ونعمة الحركة تم العقليات والحسيات فنحن مافرطنا فيما ينفعكم (وكل شيء) تفكرون اليه في دينكم ودنياكم (فصلناه تفسيرا) فيما أبدعناه من النظام وما خلقناه من الأجرام العظام وحركاتها وابداعها ومن ذلك التفصيل التام مافصلنا في النفس الانسانية فانما هي صورة لما فصّلناه في السموات والأرض بل هي على طبقها

(الفصل الثالث)

قال تعالى (وكل انسان أئزمنه طائره) عمله (في عتقه) أي ان عمله لازم له لزوم القلاة أو العمل للعنق كما تقول جعلت هذا في عتقك أي قلدتك هذا العمل وأئزمتك الاحتفاظ به وانما عبر بالطائر على عادة العرب انهم كانوا ينشأون ويؤمنون بروح الطائر وسنوحه فاستعبر لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى فكل امرئ قد ثبت في نفسه كأنه مكتوب فيها ما عمل من خير أو شر فأصبح كأنه مطبوع فيها لا يفرقها ثم يكشف الغطاء عن الانسان فيقرأ ما عمله ويحده حاضرا في نفسه فيدره أو يسوؤه . ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا . لأنهم هكذا شأنهم وطبائعهم واستعدادهم فأصبحوا على مقتضاه خزنوا أو فرحوا ثم قال (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) أي حال كونه غير مطوى عنه كما كان في الدنيا ونقول له (اقرأ كتابك) أي كتاب أعمالك فيقرؤه (كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا) الباء زائدة أي كفي بنفسك وحسيبا تمييز وعليك متعلق به أي حاسبنا عليك من قولك حسب عليه كذا . وإذا كان المرء يرى أعماله مسطورة مكشوفة بطالعها وهي أعماله فالأمر إذن واضح (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تزر وزرته وآخرى) ولا تحمل نفس حاملة وزرها وزر نفس أخرى بل انما تحمل وزرها لأنه هو المسطور فيها والذي تظالعه والذنوب على مقدار العلم والمعرفة والقدرة فمن قصر فيها علم فندم كما هي الحال في الدنيا . ان المرء ملازم بعمل ما يطبق وما يعلم فلا يجب على الباعة والتجار تعليم العلم ولا نظام البولة بل كل ملازم بما علم واستعد له والأمر في الجاهلية لا شيء عليهم إلا لاعلم لهم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يبين الحجج ويمهد للشرائع . ولا جرم أن النفس الانسانية التي سطر فيها أعمالها كما كتبت في سجل الأفلاك حسابها ونهجت منهجها فيه على قاعدة - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - حكم الواحد منها حكم جميعها . فما الأمم إلا أفراد مجتمعة ولها طبائع وأحوال وقد كتبت في سجلها ما كتبت في سجل الأفراد من ذنوب وطاعات . وكما يعذب الأشخاص يوم القيامة وفي الدنيا . هكذا تعذب الأمم متى طغت في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة بجهمهم وطفيان الأمم باتباع الشهوات والظلم والجور الذي ينجم عن التفتن والتمتع وهذا قوله في

(الفصل الرابع والخامس)

(واذا أردنا أن نهلك قرية) أي وإذا تعلقت لرادتنا بأهلاك قوم لافناذ قضائنا السابق عليهم (أمرنا مترفها) أي أكثرنا المنعمين فيها * يقال أمرت الشيء وأمرته فأمرت كفرح إذا أكثرته وذلك بأن نصب

عليهم التمس فبطورهم ونفضى بهم الى الفسق كما حصل لبني اسرائيل فيما تقدم فلتحذر أمة الاسلام ذلك وهذا قوله تعالى (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن طاعة أوامرنا (خلق عليها القول) أى فوجب عليها الوعيد كما جرى لبني اسرائيل إذ سلطت عليهم بختنصر أولا ودولة الروم ثانيا فأخذوا الى أصهبان وماوالاها من البلدان أولا وشنتوا في بلاد الروم وأخرجوا من ديارهم ثانيا (فدمرناها تدميراً) فأهلكناها اهلاكا وليس ذلك خاصا ببني اسرائيل للذكورين بل هذا قانون عام يعم الأمم السابقة واللاحقة وهذا قوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) كماد ونمود وغيرها وهذا الاهلاك بالسبب المتقدم وهو التمس والترفع فيكون الجبن من جهة والظلم من جهة أخرى ليستوا جمعهم (وكنى ربك بذنوب عباده خيرا بصيرا) وإن أخفوها في صدورهم فإذا نسوها فلم نفسها نحن - أحصاه الله ونسوه - فلذلك تعاقب في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة بجهنم وذلك كله بحسب الانسان العاجلة وقصر نظره . فهذا هو الدرس الذي ألقاه الله لنا ليبن الهجة التي تحمل الانسان على مطالع وقبة فيما تقدم إذ يدعو الانسان بالشر كما يدعو بالخير ومثل ذلك طلبه العاجلة بالتمس فهو كما يطلب الشر بالدعاء فكلما تسرع وطلب للشي قبل وقته وليس التمس محط الآمال في الدنيا بل الدنيا محط التعليم والتهذيب . فلذا تهمل الناس واغترأوا بما لديهم أهلهم وأضاع دولهم وهذا هو (الفصل السادس) الآتي وقبل أن نبدأ فيه نختم هذا الفصل بما شاع من العثورة على حضارة قديمة جدا يوم ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٢٦ وهو ما يأتي

❦ اكتشاف حضارة غابرة في أمريكا الوسطى ❦

عاد الى إنجلترا حديثا من غابات أمريكا الوسطى ومفاوزها كل من المستر (ممثل هدجس) و (اللايدى رتشمند براون) المستكشفان بعد أن قضيا عاما هناك في البحث عن بقايا حضارة غابرة وقد لاقيا كثيرا من الصعاب وكشفا النقاب عن كثير من الأسرار . ولقد بدأت البعثة عملها بأن تلاشت في الفضاء الواسع المجهول بقية العثورة على خرائب مدينة (مايا) القديمة في لوبانتان من هندراس البريطانية ولقد مرت على البعثة المستكشفة أوقات أيقنوا فيها بقدان الأمل ولكن عزم المستر (هدجس) وزميلته (اللايدى براون) كان باعنا على الاستمرار وعدم اليأس . ولقد كانت تحفوس بهم خيولهم المستنقعات حتى راقها خلال الغابات والادغال

واجتاز للمستر (هدجس) وجاعته التهر يصحبهم المرشدون من الهنود وأخذوا طريقهم خلال الادغال طويلا حتى ظهر لهم فجأة هرم عظيم يبلغ ارتفاعه ثلثائة قدم . وهنا تأكدوا انهم عثروا على شيء في غاية القدم كما انه في منتهى الجبته للعالم وكان ذلك هو اهرام (مايا) الكبير . ولقد كانت (مايا) هذه تمثل أسى نوع من أنواع الحضارات في القارة الأمريكية . وفي اليوم التالي ظهر من الاكتشاف والبحث انه كان هناك مالا يقل عن ستة اهرامات على ساحة كبرى حجرية مساحتها ربع ميل مربع . وفي اليوم الثالث اكتشف اهراما يبلغ ارتفاعه مائة وثمانيا وثلاثين قدما وعرضه ست وثلاثون قدما . ولما جردت الادغال وجعلت سلام حجرية هائلة متدرجة يبلغ وزن السراج الأسفل منها ما يقرب من طنين . ويقول للمستر هدجس انه على ثقة من أنه في وسط وشمال وجنوب أمريكا يوجد مفتاح لأسرار غامضة لأنها تفتحت للعالم جلجا لسبب حيرة عاتية في الأفكار العلمية لتفريعات الشؤ والارتقاء . انتهى

ولنتسرع في (الفصل السادس) وهو اتمام لتبيان ماتقدم من أن الانسان عجول فقال تعالى (من كان يريد العاجلة) مقصورا هم عليها (عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) بدل من له بإعادة الجار بدل البعض من الشكل فالذين قصرت همهم على العاجلة نطلى بعضهم بعض ما يطلبون وآخرون تحرمهم مما يطلبون جميعه (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) أى

عمل لها محلها وحققها من السي وكفاهها من الأعمال الصالحة (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله . فالقسم الأول أعمال لا يضاع - وكان الانسان عجولا - والقسم الثاني من هذه الآيات في مقابلة وهم المؤمنون (كلا نمت هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) أى كل واحد من الفريقين وهؤلاء بدل من كل والعطاء الرزق ومن متعلق بمتة فلا نبخل على مطيع ولا عاص بل نزيدهم جميعا من عطائنا ونجمل اللاحق منه مددا للسابق (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده ان عصوا . ولاضيق في ذلك فالانسان العاصي أو الكافر لم يخرج عن حظيرة النعمة الحيوانية فليكن حيوانا كذلك التى ترتفع في البوادي وإذا متعا الحيوان وأكثرت به في الأرض وانغم فريق من الانسان اليه وصار في عداده فهل نبخل عليه . كلا . وهل عطائنا محظور (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الرزق والعمل كيف منسوب بفضلنا على الحال فتشاهد انهم درجات شتى (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أى ان التفاوت في الآخرة أكبر مما تراه في الأخلاق والأرزاق والأعمال . انتهى القسم العلمي

(القسم الثاني العمل)

لما فرغ من الكلام على القسم العلمي من نظري السموات والحساب والسنين وأن كل شئ مفصل تفصيلا وأن كل انسان قد سطر في صحيفة عقله أعماله فهو يقرؤها متى قامت قيامته بموته وبالقيامة الكبرى وأنحل بدنه . وهذا الأم كالأفراد يطبع على أفرادها طبائع الكسل والشرة والظلم والترف فهل كلها تقصر نظرهم واتباعهم أمر العاجلة والحياة الغاية فألقى نظرك لمن حولك من الناس تجدهم درجات كثيرة والآخرة أوسع نطاقا وأكثر مراتب . فلما فرغ من هذا شرع بين القسم العلمي وهو ٢٥ نوعا وقليل فيه على كالتنوع الأول وهذه الأنواع هي

(١) عدم الشرك اعتقادا (٢) عبادة الله (٣) النهي عن عبادة غيره (٤) الاحسان للوالدين وجوبا (٥) وهذا الاحسان يوجب أن لا يقول لها أف (٦) ولا ينهرها (٧) وأن يقول لها قولا كريما (٨) وأن يخض لها جناح الذل تواضعا (٩) وأن يدعو لها بالرحمة (١٠) وأن يؤتى ذا القربى حقه (١١) والمسكين (١٢) وابن السبيل (١٣) وأن لا يذتر (١٤) وأن يقول لمن لم يجد مالا يعطيه قولا مبسورا (١٥) وأن لا يجعل اليد مغالاة الى العنق فيقبضها وأن لا يسطعها كل البسط . وقد جعل هذا دخلا في الخامس عشر والأولى أن يجعل قبامستقلا ويكون هو الخامس عشر ويكون الثاني والثالث واحدا وهو أن لا تعبدا إلا إياه فقد جعل ذلك اثنين (١٦) ولا تقتلوا أولادكم خشية اطلاق (١٧) ولا تقتلوا النفس (١٨) ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا (١٩) فلا يسرف في القتل (٢٠) وأوفوا بالعهد (٢١) وأوفوا الكيل (٢٢) وزنوا بالقسطاس المستقيم (٢٣) ولا تقف ما ليس لك به علم (٢٤) ولا تمس في الأرض مرمحا (٢٥) لا تجعل مع الله إلها آخر . ولترجع الى بقية التفسير اللفظي فنقول

قال تعالى (لا تجعل مع الله إلها آخر) أيها الانسان (فتتعد) فتصير مذموما محذورا يذمك الملائكة والمؤمنون ويخذلك الله تعالى (وقضى ربك) أمر أمرا مقطوعا به بأن لا تعبدا (إلا إياه) وبأن تحسنا (بالوالدين إحسانا) أى برا بهما وعظما عليهما ولفظ الاحسان قد يوصل بحرف الباء تارة وبحرف الى تارة أخرى وكذا الاسماء قول أحسنت به واليه وأسأت به واليه قال تعالى - وقد أحسن بي - وقال الشاعر

اسئني بنا أو أحسنى لاملومة • لدينا ولا مقلية ان تقلت

وقال تعالى (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) أى أن يبلغن وما زائدة للتأكيد (فلا تقل لها أف) أى فلا تنسجرح عما يستقدر منهما ولا تستثقل من مؤتمتهما وأف اسم فصل الشجر وهو مثلك الآخر منوا وغير منون على اختلاف القراءات فيه ست قراآت (ولا تنهرهما) تزجرهما عما يتعاطيانها مما

لا يهيك ونهره وانتهره بمعنى (وقل لهما قولاً كريماً) حسناً جيلاً كما يقتضيه حسن الأدب معهما (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع وقد جعل للذل جناحاً وأراد جناحه هو أى اخفض جناحك كقوله تعالى - واخفض جناحك للمؤمنين - وأضيف إلى الذل للبالغة كما أضيف حاتم إلى الجود أى واخفض لهما جناحك للذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك وشفقتك (وقل رب ارحمهما) وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية فإن رحمتك الغاية لاستغفيمهما (كلوا مما يبارئكم) أى رجمة مثل رحمتي لى وتربيتهم وأولادهم حين كنت صغيراً * روى أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ إن أبوى بلغا من الكبر وإنى ألى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) من برّ الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوبتهما (إن تكونوا صالحين) مطيعين قاصدين البر بعد تنصير كان منكم أو بعد ما فرط منكم فى حال غضب فاستغفرت من ذلك فإن الله يغفر لكم (فانه كان للأزواجين) التوأمين (غفورا) * قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فانه لا يؤخذ بها (وأت ذا القربى حقاً) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر بهم (والمسكين وابن السبيل ولا تبذروا ثيابكم) ولا تسرف اسرافاً وذلك بصرف المال فيما لا يبنى * وأصل التبذير التفرق (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أمثالهم فى الشر وذلك غاية للذمة أو يدل أنهم من حيث أنهم يطيعونهم فيما يأمرهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفوراً) شديد الكفر فكيف يطيعونه (ولما تعرض عنهم) أى وإن أعرضت عن ذوى القربى والمسكين وابن السبيل وأنت تستحى أن ترد عليهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لا تتظار ذرغ من الله ترجوه أن يأتبك (فقل لهم قولاً ميسوراً) أى قل لهم قولاً لينا جيلاً أى عذماً وعداً طيباً طيب به قلوبهم (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) هذا أمر بالتوسط الذى هو الكرم فلا يكون الإنسان شحيحاً ولا مسرفاً وخيراً الأمور الوسط (فتقدم ملوماً) على الشح يجعل يدك مغلولة إلى عنقك (محسوراً) منقطعاً بك لئلا شئ عندك من حسره السفر إذا بلغ منه فالأول للبخل والثانى للتبذير * ذكر المفسرون عن جابر رضى الله عنه قال بينا رسول الله ﷺ جالس أتاه صبي فقال أى تستكسك درعاً فقال ﷺ من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فنذهب إلى أمه فقالت قل له إن أى تستكسك الفرع الذى عليك فدخل ﷺ داره ونزع قميصه وأعطاه للصبي وقعد بلا لباس وأذن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فأنزله الله ذلك ثم تلاه بقوله (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يقرر ويضيق لمصلحة العباد فليس الارهاق بالاضافة لئلا سوى مصلح العباد (إنه كان عباده خيراً) بمخالطهم (بصيراً) بحوائجهم فيقتضيه (ولا تقتلوا أولادكم) أى لا تلحدوا بناتكم (خشية إيمانكم) خشية فقر (نحن نرزقهم وإياكم) نهى عن القتل وضمن الرزق (إن قتلهم كان خطأ كبيراً) أى إثمًا عظيماً * الخطأ والغلط كالخمر والخمر (ولا تقر بوا الزنا) بالعزم والاتباع بالقتل فضلاً عن فعله (إنه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح (وساء سبيلاً) وبئس طريقاً طريقه فيه قطع الأنساب وتهيج الفتنة (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) وذلك فى (ثلاث) كفر بعد إيمان • وزنا بعد احسان • وقتل مؤمن معصوم عمداً (ومن قتل مظلوماً) أى لم يستوجب القتل (فقد جعلنا لولييه) للذى يلى أمره بعد وفاته وهو الوارث (سلطاناً) سلطاناً فإن شاء أخذ البية وإن شاء استعاد منه وإذا اختار القود (فلا يسرف فى القتل) بأن يقتل غير المقاتل من أشراف قومه أو يقتل جماعة منهم أو يمثل بالمقاتل كما كان ذلك فى الجاهلية (إنه كان منصوراً) والضمير للولى فإن الله نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاء بمجوعته (ولا تقر بوا مال اليتيم) وإذا كان قربه منها عنه فكيف يكون التصرف فيه (إلا بالئى هى أحسن) أى إلا بالطريقة التى هى أحسن وهى حفظه والقيام عليه وتتميمه (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً) مطلوباً فعلى المعاهد ألا

يضيقه ويقي به (وأوفوا الكيل إذا كتم) ولا تبخسوه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أى بالميزان السوى والقسطاس القبان وهو عرى من القسط (ذلك خبر وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة . من آل اذا رجع وهو ما يؤول إليه أمره (ولا تقف ما ليس لك به علم) أى ولا تتبع ذلك فلا تقتل رأيت ولم تلم ولا سمعت ولم تسمع ولا علمت ولم تعلم ولا تقتل فى أحد ما ليس لك به علم ولا تتبع ولا تتكلم فيه بالجلس والظن (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) أى كان كل واحد منها مسؤولا عن نفسه فيقال له ما فعل بك صاحبك كما فى آية - وإذا الموءودة سلت * بأي ذنب قتلت - فتشهد على القاتل وهذه الأعضاء تشهد على صاحبها - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - (ولا تمس في الأرض مرجحا) أى ذا مرجح أى ذا بطر وكبر وخيلاء (إنك لن تحرق الأرض) أى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أى لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك فمن أنت أيها التكبر المحتال البطر

أحرق كرا * إن العلم فى القرى عن على رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صلب . ومعنى التكفؤ التبايل فى المشى الى قدالم ومعنى ينحط من صلب أى ينحدر من موضع عال وهو قريب من التكفؤ * وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال (ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وأنه لغبر كثير) والاكثرات الأمر الذى يشق على الإنسان (كل ذلك كان سبب عند ربك مكروها) أى الإشارة الى الخصال الحسن والعشرين المتقدمة وسببها ما نهى عنه فيها . أما للأمورات فلم يست بسبب (ذلك) الإشارة للأحكام المتقدمة (عما أوحى اليك ربك من الحكمة) وهى معرفة الحق والخير فالأول لذاته والثانى للعمل به أى الحكمة العملية والحكمة العملية وأكثرها من النوع الثانى ثم قال تعالى (ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) لأنما تفكك مبعدا من رحمة الله وقد بدأ بالتوحيد وختم به بالبالغة فى الحفظ عليه إذ لا تتم تلك الصفات إلا به * ثم خاطب من قالوا الملائكة بنات الله فقال (أفأصفا كم ربكم بالبنين وأخذ من للملائكة إناثا) بنات أنفس (إنكم لتقولون قولا عظيما) إذ تضيفون الأولاد إليه . إن النقص الساقطة عظيمة الوقع بديعة النظم تر بوعلى ما فى التوراة من الوصايا العشر * وعن ابن عباس رضى الله عنهم أن هذه الآيات وهى الوصايا الخمسة والعشرون مكتوبة فى ألواح موسى عليه السلام وهذا حق . ولكن هذه تلو عليها لأن أهم ما فى الألواح الوصايا العشر وهى (لا تسرق لا تزنى الخ) وهذه أفضل منها وقد جاء قبلها بآيات - إن هذا القرآن يهدى للذى أقوم ويشر المؤمنين - فلما أتم القسم العلمى والقسم العملى قال هنا (وقد صرنا فى هذا القرآن ليدركوا) عسى ألا يكونوا كبنى اسرائيل إذ جاء لهم موسى بالتوراة فأتيت دولتهم فالتكرار هنا لهذه الفائدة ليشدد على الناس أن يلتزموا قال تعالى ومع ذلك يزدادون نفورا (وما يزيدهم إلا نفورا) عن الحق (قل لو كان معه آلهة كما يقولون) أو يقولون أيها المشركون (إذن لا يتفوا الى ذى العرش سبيلا) أى طلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمعاقبة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض واذن تدل على أن ما بعدها جواب للو قبلها (سبحانه) ينزه تنزيها (وتعالى عما يقولون علوا) تعاليا (كبرا) تباعدا غاية البعد وهذا رجوع لأول السورة فهناك تنزيه له عن أن يكون كالخواتم كما سأوضحه وهنا يقول - سبحانه وتعالى عما يقولون - فانه فى أعلى المراتب وكيف يكون له شركاء وقد نزهه عن ذلك السموات والأرض ومن فيهن . فكل هذه ناطقات بلسان الحال أنه لا إله إلا هو (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أنزل العوالم منزلة العقلاء أو تفليها وعلى الأول يكون ذلك لأن دلالتها مفهومة كما يفهم عن العقلاء . يقول أتم أيها الكفار لا تفقهون تسبيح هذه المخلوقات أى لتصر عقولكم واختلال آرائكم

ولكنه لا يجهل عليكم بالعقوبة (إنه كان حليماً) إذ لم يعاجلكم بالعقوبة على الفعلة التي أوجبت إشراككم (غفورا) لمن تاب منكم . فهو له عجب عظيم عن فهم ما في السموات والأرض وتبيينهما كما عجب عقولهم عن فهم القرآن حين تلاه عليهم (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً من فهم ما تحفوه (مستورا) بحجاب آخر فهم لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون (وجعلنا على قلوبهم أكنة) كراهة (أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) فلا يمنع من الاستماع وأذن هم لا يسمعون اللفظ كما لم يفهموا المعنى . ثم بين ماهو السبب في ذلك فقال (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أي حال كونه واحداً غير مشنوع به ألهتهم (ولولا على أديارهم نفورا) حال كونهم نافرين جمع نافر كقعود جمع قاعد أو هرباً من الاستماع (نحن أعلم بما يستمعون به) أي بسببه ولأجله من الهرب بك وبالقرآن (إذ يستمعون اليك) ظرف لأعلم (وإذ هم يحسبون) ظرف آخر له أي ذنوب يحسبون فبعضهم يقول مجنون وبعضهم يقول كاهن وبعضهم يقول ساحر . إذ ذكر (إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) سحر جفن (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) مثلك بالشاعر والساحر والمجنون (فصلوا فلا يستطيعون سبيلاً) فصلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب طريقاً يسلكه في التيه فلا يقدر عليه فهو متعبر (وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا) أجزاء مفترقة (أتأنا لمجرون خلقاً جديداً) وكيف تقرب حال الحى النضر من حال الرميم اليابس . انتهى التفسير اللفظي لقسم الأول من السورة . وفي هذا المقام لطائف

- (اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - سبحانه الذي أسرى الخ - ومناسبة هذه السورة لما قبلها
 (اللطيفة الثانية) وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل - وفيها بيان دعوة موسى لقومه في التوراة ونتائجها ودعوة سيدنا محمد ﷺ للذكورة في آخر النحل وكيف يجب أن نكون
 (اللطيفة الثالثة) - وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب - الخ
 (اللطيفة الرابعة) - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم -
 (اللطيفة الخامسة) - ويدعو الإنسان بالشئ - الخ
 (اللطيفة السادسة) - وجعلنا الليل والنهار آيتين - إلى قوله - وكل شئ فصلنا تفصيلاً -
 (اللطيفة السابعة) - وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه - إلى قوله - حسيباً -
 (اللطيفة الثامنة) - ولا تزر وزرته وزر أخرى - وكيف جاء بعدها - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً - إلى قوله - بصيراً - وما قصد بهذا التعقيب
 (اللطيفة التاسعة) - من كان يريد العاجلة - إلى قوله - تفصيلاً -
 (اللطيفة العاشرة) - إما يلفن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما - الخ
 (اللطيفة الحادية عشرة) - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً -
 (اللطيفة الثانية عشرة) - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - الخ
 (اللطيفة الأولى في قوله تعالى - سبحانه الذي أسرى - الخ)

اعلم أن هذه السورة متصلة بما قبلها جارية على نسقها منتظمة معها في سلك فانه أغلظ في سورة الحجر وفي سورة النحل في شرح النظام العام في هذا العالم فانتظمه أولاً من مبدأ الخلق سائر إلى نهايتها ومن أبسط المخلوقات إلى أرق الموجودات وذلك في سورة الحجر ثم كر راجعاً إلى نفس السلسلة فابتدأها من أعلاها إلى أدناها وأخذ ثالثاً يذكرها بطريق وسط بحيث كان الإنسان الذي جاء في أولها نارة وفي آخرها أخرى قد جاء وسطاً في نظامها كما قدما ليكون حاكماً على هذه العجائب عالماً متوسطاً مطلعاً على طرفيها ووسطها . ولما فرغ من ذلك شرع يلقي الحكم والنصائح والعدل الذي شرحناه ونظام الأمم الذي بينه وبين القانون وأعلم

الجاهل أن العدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وغيرها هي الموجبات للحياة والسعادة . ثم آتم السورة السابقة بذكر إبراهيم وماله من الخلال الشريفة والخصال الحيدة . وقد قلنا إنه انصف بأربعين صفة قتمناها في سورة البقرة قلنا عن المفسرين فهو لفلان ناظر والطبيعة دارس والفضل غارس والعلم حارس والله عابد ولتناس هاد ومرشد وهو علي صراط مستقيم وهو أمة واحدة . ثم أتبعه بذكر نبينا محمدا ﷺ وأنه على قدمه فيكون أيضا جامعا للصفات الحيدة . وختم السورة بهيئة الدعوة التي يقوم بها حتى يكون على قدم إبراهيم عليه السلام ويكون ذخرا للأخريين فأمره أن يسلك سبيل الحكمة مع الخواص والموعظة مع العوام والمجادلة مع المعادين وكل ذلك نجلى في سورة النحل وانتهت السورة بقوله - أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - وإذا لم يكن الأنبياء محسنين فمن هم المحسنون . فاذن هو ﷺ أول المحسنين فيومع الله والله معه فوجب أن تكون السورة بصددها مبتدئة بما يفيد معنى للعبة وهل هي جسمية أم هي معنوية فلذلك قال - سبحانه الذي أسرى بعبده -

يقول الله تعالى أن إبراهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام قد عرجا إلى سماء الجبل ومقام الكمال وبلغا مبلغا لم يبلغه أعظم الرجال فليس ذلك مفيدا أنهما هما وسائر الأنبياء مع الله معية حقيقة فإن الله منزّه عن الخلق متعال عن المحدثين فإن الله تعالى وإن أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فليس معناه اللعبة المعهودة بينكم . فترتب الأنبياء وقرب الأولياء قرب الهداية والارشاد والارتقاء العلى - لترتبه من آياتنا - ويطلع على عجائبنا ويقف على ما حواه العالم العلوي والسفلي مما يرفع العناوة عن أعين أمته ويخرجها من ظلماتها وينير بصيرتها . فانظر رواية البخارى في ذلك . وهى أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر كلاما في ذلك ثم أتوه ليلة أخرى فيها يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه . وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولاتنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل . وهنا ذكر كيف شق ما بين نحره إلى بته حتى فرغ من صدره وجوفه فخلسه من ماء زمزم بيده حتى أتقى جوفه . وذكر أن الطست من ذهب فيه إناء من ذهب محشور إيمانا وحكمة غشا به صدره ولغاد يده يمين عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا وهنا ذكر سؤال أهل السماء عنه وقول جبريل متى عهد فيقولون وقد بحث إليه فيقول نعم فيقولون مرحبا وأهلا به وذكر مقابله في السماء الدنيا لآدم وأن هناك نهرين وأن جبريل قال هما النيل والفرات عنصرهما ثم رأى نهما آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فاذا هو مسك فلما سأل جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك وهكذا وأن هناك في السماء الدنيا عن يمين آدم أسودة وعن شمله أسودة فلذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شمله بكى وقال له جبريل إن الاسودة عن اليمين وعن الشمال نسيم بينه فأهل اليمين أهل الجنة وأهل الشمال أهل النار . ووجد في السماء الثانية يحيى وعيسى وهما ابنا الحائلة فلم عليهما وردا عليه ورجا به . ووجد في السماء الثالثة يوسف . وفي السماء الرابعة إدريس . وفي الخامسة هارون . وفي السماء السادسة موسى وقد بكى فسأله ﷺ فقال أبكى لأن غلاما بثت بصدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمته . وفي السماء السابعة وجد إبراهيم ثم رفع إلى سكرة المنتهى فلذا نبقها مثل قلال هجر واذا أوراقيها مثل آذان الفيلة . قال جبريل هذه سكرة المنتهى فلذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران وأخبره جبريل أن الظاهرين النيل والفرات وأن الباطنين نهران في الجنة ثم رفع إلى البيت المعمور وأتى له بناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأنتك . وهنا ذكر مسألة الصلاة وفرضها وانها كانت خسين صلاة ثم راجع ربه بإشارة موسى عليه السلام حتى صارت خسا في اليوم واللييلة . وقد جاء في رواية مسلم في وصف البيت المعمور أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك

لا يعودون اليه . وفي وصف سدره المنتهى أنها لما غشيتها من أمر الله ما غشيتها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينضمها من حسنها . وسميت سدره المنتهى بهذا الاسم لأن علم الملائكة ينتهى إليها وقد جاء في روايات أخرى أنه عليه السلام قال مثل لى النبيون عليهم الصلاة والسلام فصلت بهم ثم خرج إلى المسجد الحرام وأخبر به قريشا فتعجبوا منه وارتد ناس عن آمن به وسى رجل إلى أبي بكر فقال إن كان قال لقد صدق فقالوا أصدقه على ذلك قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق وكان في القوم من أتى المسجد الأقصى قالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد فنعتهم وكان ينظر إليه كأنه وضع دون دار عقيل قال القوم أما لنت فوالله لقد أصاب فيه ثم سألوهم عن غيرهم فقال مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيرا وهم في طلبه وفي رحالهم قدح ماء فطعنت فأخذته فشربه ثم وضعت كما كان فسلوا هل وجئوا الماء في القدح حين رجعوا . ثم قال ومررت بعير بنى فلان وفلان راكبان قعودا لمابنى مر ففر بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلواهما فسألوهم عن غيرهم فوصفها وصفا تاما ووصف أحوالها وقال يقدمها جل أورق عليه غرلرطان تطلع عليكم عند طلوع الشمس ثم خرجوا عند الثانية حتى أتوا كداء فرأوا العير عند طلوع الشمس يقدمها بعير أورق فقالوا هذا سحر . ولما ذكر الأنبياء في الصلاة ذكر أن موسى كأنه من رجال شنوءه وأن عيسى كمروة بن مسعود الثقفى وإبراهيم يشبه النبی عليه السلام ثم قال إنه رأى مالكا خازن النار وكانت صلاة النبي عليه السلام مع الأنبياء في بيت المقدس . وقد جاء أيضا أن البراق دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض وهو يمنع خطوه عند أقصى طرفه وهو الذى أطلق به إلى السماء . وهل كان ذلك كله قبل الهجرة بسنة . وهل كان في المنام أو كان في اليقظة . بروحه أو بجسده . والأكثر على أنه أسرى به بجسده إلى بيت المقدس ثم خرج به إلى السموات حتى انتهى إلى سدره المنتهى . ولم يرد في هذه السورة عروجه إلى السماء وإنما ذكر الاسراء فقط إلى المسجد الأقصى . أما العروج فلم يذكر إلا في الحديث . وأقرب الأمرين إلى الناس الاسراء إلى المسجد الأقصى ولذلك امتحنوه بعلامات تدل على الصدق فذلك صريح بها في القرآن وجعلت قبل عروجه إلى السماء ليكون المحسوس دليلا على ما لا يحس وإذا صدق في الأولى فليصدق في الآخرة . هأنذا أبها الذى قد خلصت لك ماجاء في الروايات المختلفة وآراء العلماء المتناقضة حتى تكون أمامك واضحة جلية بأخصر عبارة

(إضاح المقام)

إن هذه الامور الغائبة عنا لا تحل بالفكر الانسانى وحده فان عقولنا قاصرة على ما حولنا فأنى لنا أن نفكر تلك الجوانب النبوية ولكن ورد قوله تعالى في التنزيل - سغيرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وهانحن أولاء الآن نرى علماء الأرواح يقولون ما يأتى

إن هذه الأجسام البشرية في الدنيا تنظمها أرواحها وكل جسم يرى فيه جسم آخر على مثله نورانى أثيرى أى من مادة أثيرية وهذا الجسم الأثيرى البرزخى منطق تمام الانطباق على هذا الجسم المادى وأن الانسان إذا تجرد من هذا الجسم سواء كان التجرد بالموث أم بالباطنة أم بأعمال أخرى صناعية عندهم يرى لله في جسمه كأنه هو وكأنه لم يكن هناك فرق بين الجسمين . وقد ألفوا كتب كثيرة في هذا حتى قالوا إن بعض الناس بعد الموت يظن أنه هو الذى كان حيا ولا يعرف أنه مات لأحوال خاصة ثم ينبه بعد ذلك إلى خطئه . وهذه حكاية (أوليغروودج) وابنه الذى مات في الحرب الألمانية وهو المسمى (ريموند) إذ قال لأبيه يا أبت إن أجسامنا هنا كالأجسام عندهم والأعضاء كلها تاتى ولكنها أجسام من عالم لطيف وزلاها بحسب مشاهدتنا كالأجسام عندهم . إذا عرفت هذا فسواء أكان الاسراء بالجسم المادى أو بذلك الجسم الأثيرى اللطيف فليس أمرا بعيدا وكلامها في القدرة . فأما الجسم المادى فان حركات الأفلاك أظهرت عجبا في سرعتيها

تعرفها في سابق التفسير والمطلع على سير الضوء يرى عجبا عجبا . هكذا اذا قلنا أن العراج والاسراء بالجسد البرزخي فلا بدع في ذلك فيسير في أقل من لمح البصر كلع البرق الى أقصى العالم ويرجع وقد وحى مالا ينال من الحوادث وهذا عالم البرزخ المسمى عند علمائنا (عالم المثال) وهكذا عند أفلاطون فهذا العالم هو الذي تمتلئ فيه الأنبياء فعلا وصلوا معه ثم وآهم على مراتبهم في السماء . وإذا كان الانسان قد يرى في المنام الذي لا قيمة له أعمالا تستغرق سنين في ثانية واحدة فما بالك بعالم البرزخ الذي تتجلى فيه صور الحقائق بارزة لمن هم في حال برزخية . وهناك تجلى له آدم وعيسى وأدريس وهارون وموسى وإبراهيم وكان أقرب الناس شيئا به . أولست ترى أن في ذكر إبراهيم وشبهه به مناسبة فانه قد ذكر في آخو سورة النحل أن محمدا ﷺ أمر أن يتبع ملة إبراهيم فلذلك رآه في السماء السابعة وقال إنه يشبهه . ومتى قلنا ان الاسراء والعراج بهذه الحالة البرزخية كانت جميع الأقوال المتناقضة متحدة . فإذا قالت السيدة عائشة إنه كان بروحه قلنا صدقت لأن هذه الحالة ليست جسمية بحتة . وإذا قال غيرهما انه بجسمه قلنا نعم إذ لا فرق عند علماء الأرواح بين الجسم البرزخي والجسم المادى . فالجسم البرزخي ويسمى الأثيرى وسط بين عالم الأرواح والعرف وبين عالم المادة فمن قال بالروح فقد اقترب من الحقيقة ومن قال بالجسم فقد اقترب منها لأنها حال متوسطة وسرعيناشبه بسرعة المنام وصورتها أشبه بصورة الجسد فهو جسد كالمادة يطير أسرع من البرق بل سرعته كسرعة الخاطر وترى أهدنا يجلس في حجرته ويكون في الشرق بفكره ثم يكون في الغرب في أسرع من لمح البصر فهذه في فكرنا كالحال المعتادة هناك عملا . ويقول علماء الأرواح ان الروح وراء ذلك الجسم البرزخي بل قد جعلوا درجات الأجسام سبعة والروح وراء ذلك في عالم يحل عن الوصف . وان الى ربك المنتهى . وانما ذكرت هذا لأفتح باب البحث لدى النفوس الشريفة من بعدنا ليفكروا وليصلوا بأنفسهم

(ما التصدم من ذكر الاسراء لنا)

وليعلموا أن الله لم ينزل الاسراء في القرآن وهو يتلى علينا لأن لمجد التلاوة ولعروة حال الرسول ﷺ بحسب . كلا . انه يريد منا أن نتبع الدين والشريعة ونخلص ونندعو الناس كما دعا نبينا محمد ﷺ الذي قال الله له . عسى أن يمشكرك بك مقاما محمودا . وقد قال هذا في وسط السورة وأمره أن يتعبد للليل نافذة لأجل ذلك . ففي أول السورة ذكر أنه أسرى به وفي أواخرها أفاد انه يبعث مقاما محمودا بالتهجد وذكر أن الروح من أمر ربنا وأنتا ما أوتينا من العلم إلا قليلا . وعليه يكون ذكر ذلك في هذه السورة ليدلنا على أن الاسراء أمر وراء معارفنا وإذا عرفنا على شيء مثل ما بينته لك عن الفرجة فان هذا ليس كل شيء لأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا . ولكن جاء في سورة طه . وقل رب زدني علما . فازداد العلم مطلوب . ولكن لا تحف عند حد واحد ثلا نكون مقلدين بل نضل عتدين في البحث والطلب لأنه قال . وما أوتيتكم من العلم إلا قليلا . وعليه فلنجد في تهذيب النفوس وهداية الناس والنوافل في ظلمات الليالي حتى تصفو النفوس . وإذا أسرى به ﷺ فليس القصد أن يسرى بنا بل القصد أن تصفو نفوسنا ليرينا الله من آياته . وكم لله من آيات . فالقصد من أمثال هذا الموضوع في القرآن أن يفتح لنا باب التفكير في عالم الأرواح فنفهم كيف تخلص أرواحنا بالتهذيب وكيف نلحق بالأفق الأعلى وما حقيقة الأرواح وإذا لم تقف على حقاقتها فلننتس من العلوم ما يهيم منه رائحتها وهذا لعمر هو علم الأرواح الذي انتشر في الأقطار الأوروبية . وهذا العلم لا يفرق عن العلوم التي وراثتها عن قمتنا في مثل هذا الموضوع . ان الناس كلهم أرواحهم من عالم أعلى وبالصفية وبطرق صناعية يرون هذا العالم وهناك تعرف بعض حقايقه . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . . وما يلحق بهذا الموضوع ما رواه البخارى في باب تعبير الرؤيا وهو وان لم يكن ليلة الاسراء فانه فيه معارف وعلوم لا يعرف قيمتها إلا المطلعون على علوم الحكماء فانه عليه الصلاة والسلام أطلع في علم

البرخ المذكور على صور للحقائق تعب في مثلها الفلاسفة قديما وأضاعوا فيها أعمالهم كلوحة (قابس)
 الفيلسوف اليوناني الذي ذكرنا مقالته في سورة البقرة . فأما النبي ﷺ فإنه لم يكتب ولم يقرأ وأطلع على
 صور محبة تمثل الرذيلة والقضية وهذه من دلائل النبوة ومن بحرقه تعالى - تزيه من آياتنا إنه هو السبع
 البصير . - فلذا رأى إليه المراج آدم ضحك ثلثة ويكي أخرى فإنه من ذلك العالم فهكذا في الحديث الآتي
 إذ روى البخاري بسنده عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول
 لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا قال فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة إنه أتاني الليلة
 آتيان وانهما ابتعثاني وانهما قالوا لي انطلق واني انطلقت معهما وانا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم
 عليه بمسخرة وإذا هو يهوى بالصخرة رأسه فتبلغ رأسه فيتهدهد الحجر ههنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه
 حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى قال قلت لها سبحان الله ما هذان قال
 قالوا لي انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق فلقاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو
 يأتي أحد شقي وجهه فيشرش شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه . وفي رواية فيشقي ثم يتحول إلى الجانب الآخر
 فيفعل به مثل ما فعل الجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه
 فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى . قال قلت سبحان الله ما هذان قال انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مثل التنوير
 قال فأحسب أنه كان يقول فإذا فيه لفظ وأصوات قال فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأثمهم
 لخب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب وضوا قال قلت لها ماهؤلاء قال قالوا لي انطلق فانطلقنا
 فأتينا على نهر حبيب أنه كان يقول أحر مثل الدم وإذا في النهر رجل ساج يسبح وإذا على شط النهر رجل قد
 جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك الساج يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيغير فاه
 فينقعه حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغير فاه فألقه حجرا قال قلت لها ما هذان قال قالوا لي
 انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كربه المرأة كأكره ما أنت راء رجلا امرأة وإذا عنده نار يحسها ويسى
 حولها قال قلت لها ما هذا قال قالوا لي انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة (معتة) فيها من كل نور الريح
 وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان
 رأيهم قط قال قلت لها ما هذا ماهؤلاء قال قالوا لي انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة عظيمة لم أروضة قط أعظم
 منها ولا أحسن قال قالوا لي أرق فيها قال فارتقينا فيها فأتينا إلى مدينة مبنية ببلن ذهب ولبن فضة فأتينا باب
 للدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فلقانا فيها رجال شطرنج خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطرنج كأفصح ما أنت
 راء قال قالوا لهم اذهبوا ففعلوا في ذلك الثمر وإذا نهر ممترض يجري كأن مائه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا
 فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قال قالوا لي هذه جنة عدن وهذا
 منزلك قال فما يصري معدا فإذا قصر مثل الربابة البيضاء قال قالوا لي هذا منزلك قال قلت لها بارك الله
 فيكما فراقى فأدخله قال أما الآن فلا وأنت داخله قال قلت لها فاني قد رأيت منذ الليلة عجبا . فما هذا الذي
 رأيت قال قالوا لي أما أنا سنخبرك . أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يطلع رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن
 فيرضه وينام عن الصلاة المكتوبة . وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرش شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه
 وعينه إلى قفاه فانه الرجل يفسد من يته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق . وأما الرجل والنساء العراة اللذين في
 مثل بناء التنوير فانهم الزناة والزواني . وأما الرجل الذي أتيت عليه الذي يسبح في النهر ويلتم الحجر فانه آكل
 الربا . وأما الرجل الكربه المرأة الذي عند النار يحسها ويسى حولها فانه مالك خازن جهنم . وأما الرجل
 الطويل الذي في الروضة فانه إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأما الرجلان اللذين حول فكل مولود مات على
 الفطرة قال فقال بعض المسلمين يارسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ وأولاد المشركين . وأما

القوم الذين كانوا شطر منهم حسنا وشطر منهم قبيحا فانهم قوم خطوا عملا صالحا وآثروا سيئا تجاوزا الله عنهم اه
 (الطيف الثانية في قوله تعالى - وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل - وفيها بيان
 أن الاسراء يشير الى الارتقاء في عالم الانسانية والى أن الأمة الاسلامية الحقيقية تسبق الأمم في
 علومها وأنها تؤمها كلها بعد أن تستوعب فضائلها)

اعلم أن ذكر موسى في هذا المقام وذكر ابراهيم قبله في آخر سورة النحل له صلة بمحدث الاسراء
 فالتقرب بينه وبين ابراهيم في الستة وفي القدوة وفي دين الفطرة هي التي جعلت درجة في السماء السابعة والنبي
 ﷺ قد ارتقى فوق ذلك للإشارة الى أن اللاحق يتقدم على السابق وأينا هذه الأحاديث تشير الى ارتقاء
 العالم الانساني وأن الأمة الاسلامية المستقلة ستمتد على هذه الأمم أمة أمة ثم تليها الى المعالي ولا تقف عند حد
 ولا تقلد بل تفكر واذن تليها الى سماء المجد كما أن نبينا ﷺ مر على آدم فبصى وبقي فيوسف فادريس
 فهارون فموسى فأبراهيم فارتقى الى سدة المنتهى فآلقت العمور * وفي رواية أنه سمع صريف الأقدام .
 فأنشأ يشاربه اليها من هذا (أمران) ارتقاء المسلمين في عقولهم حتى يصلوا الى الحقائق وارتقاؤهم في
 مدينتهم ونظامهم حتى يسبقوا أمة عيسى وموسى وإبراهيم وإدريس . هذا هو المقصد وهذا يشبه النشوء
 والارتقاء . وإذا كان نبينا محمد ﷺ صلى إماما للأنبيا فعنه اننا خير أمة أخرجت للناس وأتت أمة الأمم
 كلها . فياجب للمسلمين يكون هذا دينهم وهذا نبيهم ثم يلمون وتوسمهم الأمم . يمر نبينا على أنبياء الأمم
 أمة أمة ثم ينادر عيسى في السماء الثانية ويوسف في الثالثة وإدريس في الرابعة وهكذا ثم ينال المسلمون من
 هذا كله . يمر على الأنبياء حتى يتركم ويصل الى مستوى فوق السبع الطباق والمسلمون يسمعون هذا
 الكلام كأنهم لا يسمعون . ولكن بعد ظهور هذا الكتاب سيظهر في هذه الأمة رجال يفتقون ويعلمون
 فيعرفون ما الحكمة في هذا الارتقاء ولم نخبرنا الله به . نحن لسنا نفرح كالعادة أن نبينا ارتقى بل نحن يجب
 أن نعمل . يقول لنا نبينا ﷺ أيها المسلمون هاأنا ذاهب الى المعالي وقد سموت وعلوت وتركت موسى
 في السماء السادسة وإبراهيم في السماء السابعة وهاهوذا ابراهيم مذكور في آخر سورة النحل وقد أمرت أن
 أكون تابعا له ولكني سأرقى عليه وهذا الرقي معناه أن الأمم في ارتقاء كما هي القاعدة التي تفتخر بها أوروبا
 عليكم . فأما موسى فهاهوذا يقول لي راجع ربك يخفف عن أمك فلانا أن أتى كبنى اسرائيل يصيبها ما
 أصابهم . ولكن لما وصلت الى خمس صلوات لم أراجع ربي . ولكن موسى طلب مني أن تنقص الصلوات
 عن خمس . لماذا . لأن أمة ضمنت في العمل ولكني أنا لا أقول ذلك . وعليه هذه الأمة ستكون أرقى
 من أمة موسى

إن الحديث يشير الى الآية لأن فيها أن موسى آتينا الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ثم قص قصصهم
 فكانوا مثلا سوا وأنبه بقوله - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - فهو اذن أحسن من التوراة وأمة
 محمد ﷺ أحسن من أمة موسى عليه السلام فليدرس أمة الاسلام علوم الأمم فإذا مر على عيسى فليدرس
 المسلمون علوم النصارى . وإذا مر على يوسف وإدريس فليدرس المسلمون علوم قدماء المصريين لأنهما
 نبيان مصريان . وإذا مر على هرون وموسى فليدرس المسلمون علوم اليهود . وإذا مر على ابراهيم
 فليدرس للمسلمون علوم سائر الملل لأن ابراهيم لهم وإذا جاوز النبي ﷺ السموات السبع فليدرس للمسلمون
 الحقائق التي لا تطبيقها للأمم . فاذن هذه النبوة سيظهر أثرها في أم آتية لهذه الأمة الحالية
 (بهجة الاسراء في حديث (فرض الله على أمتي خمسين صلاة فراجعت ربي وسألته التخفيف

حتى جعلها خسا في العدد وخمسين في الأجر) اه)

اعلم أن هذا المقام غرير الفائدة جم الفائدة كثير المزايا جامع الحكم سار مجموع الأمة الاسلامية يظهر

سرّه في هذا الزمان . ذلك أن كلام النبوة لم يكن رمية من غير رام ولم يكن ذكر التحسين ثم الرجوع إلى التحسين مجرد خبر لا نتيجة له بل ذلك إشارة إلى أن الله عز وجل هو الأول وهو أصل الوجود وجميع الناس على الأرض لا فائدة من وجودهم ولا معنى لحياتهم إلا إذا اتصلوا بأصل وجودهم ومنشأ حياتهم . وليس معنى هذا الاتصال تلاصق الأجسام إذ لا جسم له تعالى وإنما هو توجّه أرواحهم إلى روح الأرواح وهو الله عز وجل إن الناس في الدنيا أرواح حالة في أجسام فالأجسام متصلة دائماً بالطين والهواء والماء والحرارة والضوء فكان يجب أن تلحق الأرواح دائماً إلى مبدئها ومبدعها وتفكر فيه وتذكره . ولكن الحياة الدنيا لشدة اتصالها بعالم المادة لا تسمح لكل امرئ أن يكون على السوم ذاكر أربه . فهنا ﴿ أمران ١ الأول ﴾ أن الروح يجب ذكرها لله على السوم ﴿ الثاني ﴾ أن تعلقها بالمادة يمنعها من ذلك السوم لشدة ارتباطها بها وللاول الإشارة بفرض التحسين صلاة لأن الانسان ينال ثمان ساعات أوسع ساعات ومدة اليقظة ما بين ١٦ و ١٧ ساعة والصلاة للمشروعة ربما تستغرق (٢٠) دقيقة مع مقدماتها ونوافلها وهذه بضرها في (٥٠) تستغرق مدة اليقظة . إذن معنى التحسين صلاة دولم استحضار الله والاتصال به ذكرًا ليقاوم اتصال الجسم بالمادة فملا فكان للالزام الواجب بحسب الأصل دولم الذكر تقاوم الروح اللطيفة الجسم البكثيف الثقيل فترتفع إلى عالم الملائكة

ولما تقرر ما ذكر على نوع الانسان استبدل التحسين وجعل التحسين أجراها كأجر التحسين . ولعل أن أجراها لا يكون كأجر التحسين إلا إذا كان المصلح عاملاً بصلاته فاعلموا لحكمها جاريًا على مقتضاها حتى يصدق عليه قوله تعالى - الذين هم على صلاتهم دائمون - وقوله تعالى - وأقم الصلاة لذكري - فالصلاة تكون دائمة وتستوجب ذكر الله . إذن رجعت الصلوات التحسين إلى التحسين لأن المقصود من التحسين أن يكون مصلياً دائماً فاستفيض عنه بخمس صلوات بحيث يكون للملئ دائماً على صلاته ذاكر أربه . وهنا يجب إصباح المقام فتقول

اعلم أن الصلاة أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير مختمة بالتسليم . الله أكبر . جلّ العلم وجلّ تعريف الفقهاء للصلاة . ذلك أن الصلاة كلها ترجع ﴿ لأمرين اثنين ﴾ لثالث لهما ﴿ أولهما ﴾ ذكر الله وتطعيمه كالشئ الأول من الفاتحة من الثناء عليه ووصفه بالرحمة الخ وكألفاظ التشهد الأولى من أن التحيات خاصة بالله تعالى الخ . ومثل وصف الله بأنه فطر السموات والأرض خفيف الخ . ومثل وصفه بأن الجنة ملء السموات وملء الأرض الخ . ومثل وصفه بأنه خلق الوجه وصوره وهكذا ﴿ وثانيهما ﴾ الالتجاء إليه أن يجعلنا في سلام وأمان وهداية إلى الصراط المستقيم مثل الدعاء بالهداية في الفاتحة ومثل السلام على النبي وعلى عباد الله الصالحين في التشهد . أفلا ترى أن الشئ الأول أشير له كله بتكبيره الاحرام والثاني أشير له بالتسليم في ختام الصلاة . إذن التكبير في أول الصلاة يشرحه توجه المصلئ لإذ يوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض خفيفاً وذلك كالتخليل الذي قال الله فيه - ملة أياكم إبراهيم هوساً كم المسلمين - الخ

فيا ليت شعري لماذا جعلنا على ملة أينا إبراهيم ولم خصه بذكر . أقول إنما خصه بالذكر وجعل ملتناً منسوبة له لأنه لم يوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض خفيفاً توجيحاً جسيماً خصب بل وجهه توجيحاً عقلياً . ألا ترى أنه لم يوجه ذلك التوجه إلا بعد أن أراء الله ما يكون السموات والأرض وكان من المؤمنين وقد فصله بعد ذلك بأنه نظر الكوكب والقمر والنس من توجه إلى الله . هذه هي ملة إبراهيم التي جعله الله أباً المسلمين الابوة العلمية العاقبة التي هي أشرف من الابوة النسبية الخاصة ببعض العرب كقريش ونحوهم فهذا توجه الخليل وهو بالمعنى ويجب أن يكون كذلك توجه خواص هذه الأمة أي أنهم يدرسون هذه العوالم العلوية والسفلية التي درسها الخليل حتى يكونوا كاملين في العلم بهذه العوالم المذكورة وربها ويكونوا على

آل إبراهيم . كل ذلك راجع لحفظ الجليل وذكر المحسنين والنعاء لهم والبر بهم وذكر احسانهم وورعهم بالقديم بالحديث وذكر فضائل السلف الصالح والسير على منوالهم والجرى على منهجهم
(الصلاة رمز لتعظيم التعليم وتعظيم السلام في الأرض)

هل يعلم الناس أن الصلاة في الاسلام توحى بالسلام بين الأمم وتأمر بالعلوم كافة بدليل أن الذي يسلم هو كل مسلم فكان كل مسلم تأمره صلاته أن يكبر لله بجمرة سائر العلوم على قدر طاقتها فإن كان من العاقبة فليعرف الظواهر التي في متناوله وإن كان من الخواص فليزد في العلم ما يشاء . يظهر لي أن هذا الدين لو علمه أهل الأرض لاعتبدوا . يظهر لي أن أكثر المسلمين الذين اعتنقوا هذا الدين لم يدرسوا علوم الصلاة . يظهر لي أن ما أكتبه الآن سيقوم به قوم وينشرونه بين أمم الاسلام . يظهر لي أن هذا الدين لم يأخذ حظه من البحث . يظهر لي أن القتال في هذا الدين إنما جاء على سبيل الاضطراب كما يضطر الفلاح لتقنية الشوك والأصناب من الأرض لاصلاح الأرض . يظهر لي أن نشر الاسلام في المستقبل سيكون أكثره بالجهاد العلمي لأن العلم الآن هو السلاح لكل مطلوب

(المراج والعلوم)

جاء في بعض الروايات أنه شقّ عن صدره **العلم** وغسل بماء زمزم حتى نقي وإنه أتى له بطست من ذهب فيه نور محشوا إيماناً وحكمة . ولما عرج به إلى السماء الأولى وما بصعها رأى آدم ويعيى وعيسى الخ أظفيس هذا يذكرنا بتهديب النفوس والسلام العالم **(وبعبارة أخرى)** أن غسل قلبه وحشوه وإيماناً وحكمة يفيض على الأمة علماً جاء بأن قلده في طهارة نفسه فهو قد طهره الله لأنه اجتنبه ونحن لابد لنا من العلاج وذلك بالعلوم العملية المتقدمة . ثم إن آدم ومن بعده لكل منهم مزية علمية . أفلا ترى أدريس في السماء الزاوية كيف كان هو نبي المصريين المسمى (أخنوخ) و (سوزستريس) ألم تقرأ ملامحاً في سورة يونس من أنهم وضعوا على صنوق أحد كبرائهم (صورة البروج) وقد قتم إضاحها ورسها هناك . أليس ذلك دليلاً على أن القوم كانوا مفرعين بهذه العلوم الجلية فهكذا فليكن للمسلمون بعدنا مفرعين بها لأن الله يقول - فبهداهم اقتد - وأيضاً الفلك علم أينا إبراهيم الذي رآه في السماء السابعة وراه في السماء الأولى رأى آدم وفي الثانية عيسى ويعيى وهما ظاهران إشارة إلى أن متبعيه يجب أن يقتبسوا من أنوارهما ويوسف صاحب النظام الاجتماعي في الثالثة لتقتدى به كما قتم في سورة يوسف ثم هارون وموسى وهكذا إبراهيم فليكن من هؤلاء مزية تستحقها هذه الأمة . إذن المراج مفتاح العلوم وعروج إلى الله بها فهي إما طهارة النفس في يعيى وعيسى وإما نظام المدينة في يوسف وإما العلوم الفلسفية في أدريس وإما الجهاد والخروج من الظلم في هارون وموسى . إذن المراج أيضاً رجع إلى العلم والعمل أو التكبير والسلام فهو كالصلاة . إذن هذا الدين أوله وآخره علوم جهلها المسلمون اليوم . اللهم إنك أنت المنتقم ممن يستون المسلمين عن العلوم

ثم هناك تكون العلوم والمعارف التي تكون فوق متناول الناس فيفتح على الإنسان بما لم يتعلمه وانك الإشارة بسيرة المنتهى التي أودعها كآذان القيلة ونورها كقتال هجر وقد غشينا من أمراته ما غشي فغبرت فما من أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها . ولأجزم أن ذلك راجع للعلوم . ثم إن المخلوقات على **(قسمين)** مخلوقات لم تحس بالحواس الخمس ومخلوقات تعرف بالحواس . ثم إن التعبير بالآذان القيلة وبأن الممر كقتال هجر الخ يرجع إلى مافي العالم من عظام وجلات وقدمتلات الكرة الأرضية بالعلوم الكواكب الكبيرة العظيمة وأن شمسنا بالنسبة لها ليست شيئاً مذكوراً . إن المسلمين أولى بهذه العلوم . هاهونا نبينا **عليه السلام** يقول لنا أيها الناس . إن هناك حوام أرقى من عوالمكم وقد رأيتموها . قال هذا وقد رجع إلى ربه . أظفيس يحجب المسلمون من هذه الجهلة . يقول **عليه السلام** فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من

حسنها . فإذا يريد المسلمون بعد ذلك . ماذا كان يقول لنا نبينا ﷺ . هاهوذا يقول لكم ان هناك عوالم لا يمكن نفعها من حسنها . أيها المسلمون . هاهوذا علم الفلك الحديث الذي ذكرت لكم منه نبذا كثيرة في هذا التفسير . ألم تروا الى الكواكب العظيمة كالسماك الرابع إذ يكون ضوءه أعظم من ضوء الشمس ثمانية آلاف مرة وهناك كواكب أعظم وأعظم . ولست أقول ان هذا مقصود الحديث . كلا . وإنما أقول فيه الجلال الذي لا يمكن أحدا أن ينفه . وهناك جبال أرق وأرق وهو جبال النظام كما تنقسم في سورة الزهد من نبات يفتري حيوانا ومن مستلمات منتظمات تلجج مهندسات هندسة إلهية فارجع اليها هناك ترها مهسومة جبلة . وفي سورة الحجر ترى هناك عند قوله تعالى - وأنبأنا فيها من كل شئ موزون - وكيف كان للورقات نظام بديع له قوانين فراجعها هناك مهسومة مشروحة . كل ذلك من أنواع الجبال الذي يشبه قوله ﷺ (فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينفعنا من حسننا) . نعم هذا قد استطعنا نفعه وفيه حسن ولكن الحسن الذي لا ينفع الناس في النظام يفوق الوصف وذلك الذي يفوق الوصف رآه نبينا ﷺ فلنجده في معرفة ما أماننا حتى نستعد لما فوقه ونلحق بالنيبين والصدقيين الخ والحمد لله رب العالمين . انتهى

(الاسراء والمعراج والحسن والجمال في الخلق)

ههنا ذكرت الاسراء والمعراج والحسن والجمال . نبي أرسله الله لأمته فقال لهم أنبت بالبراق ووصفه بأنه دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبه وأتى الى بيت المقدس ثم اخترق السموات العلى ووصل الى سدرة المنتهى فوصف أوراقها وأنها غشيا من أمر الله ما غشيا وأنها تغيرت ولا يستطيع أحد من خلق الله أن ينفعنا من حسننا وهناك أوحى الله له فرض الصلوات الخمس الأنبياء أرسلوا لأرصاد الناس . هذه القصة قلت لنا نحن . إن هذه القصة لب العلوم وخلاصة الحكمة فبالت شعري كيف أعرض الناس عنها . فرض الله الصلوات ولكن ذلك الفرض كان بعد الاسراء والمعراج ونظر الجبال . إن هذه القصة تدعو حشينا المسلمين أن يخترقوا حجب هذه العوالم بالتعليم ويرتقوا . هل كان نبينا محمد ﷺ يقول ذلك مجرد حكاية أو لاثبات نبوة . كلا . بل كان أيضا قولا للاقتداء به في علو الهمة واختراق الآفاق سياحة وعلماء . من ذا كان يظن أن أمة يخترق الجوى نبيها ويصل الى السماء لاتكون أسبق أمة الى اختراق طبقات الجوى القريبة بكل طائرة وبكل منطاد . من ذا الذي كان يظن أن أمة هذه أحوال نبيهم ﷺ لا يكونون أسبق الأمم الى دراسة علوم الكواكب والنجوم وسبرها وعددها وأبعادها وكل سديم ومجرة في السماء . اخترق الأفلاك النبي ﷺ ليعلمنا . فلماذا لا تقرأ تلك الأفلاك ثم هوفوق ذلك وصل الى سدرة المنتهى ورأى هناك الحسن الفتان والجمال الذي لا يقدر أحد من الناس أن ينفه . هذا هو نبينا ﷺ فهل هكذا يكون أتباعه . ان أتباع نبي هذه صفته يكونون أسبق الناس الى دروس الجبال ولجبال يظهرنا إلا بالعلم والحكمة . ولقد ملأ الله الأرض اليوم بالجمال . ذلك الجبال لا يراه إلا الحكماء . وأضرب قلبك مثلا

لو أن نجارا وقف ألم شباك مصنوع بصناعة بدية وهيئة غريبة وهومن العلماء بهذا الفن المتقنين فانه يقف مبهورا أمام ذلك المنظر وهو ذاهل عمن حوله والناس لا يدركون من ذلك شأ حوله . ومثل النجار علماء العربية الذين لم يوق في الانشاء . فهؤلاء اذا وقع لهم موضوع جليل مكتوب كتابة محكمة فرحوا به وأعجبوا وأخذوا يدركون دقائق الحسن والناس حولهم لا يسمعون ما يقولون وهكذا في كل صناعة فانظر الى الصنعة العاتقة وهي هذا الوجود . فهذا الوجود كله خلق الله له أنسا في الأرض واسطفاهم لذلك يدرسون علوم الأمم وهم ليسوا بأنبياء ومن هؤلاء من هم أتباع الأنبياء فهؤلاء يزدادون سعادة بزيادة الدراسة ويرون

من الحسن والجمال ما لا يقفه سواهم . فهو لا هم الذين يفهمون قول نبينا ﷺ ﴿ فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينظر إليها ﴾

ترك المسلمون العلوم . تركوها غفلة وجهالة . الله أكبر الله أكبر . اشتغل المسلم بالصلاة ولم يمر أكثر المسلمين أن الصلاة يراد بها الحسن والجمال . ألا ترى إلى أنه ﷺ في الحديث لم تفرض عليه الصلاة إلا بعد مشاهدة الجمال التي يدعش العقول كأنه قيل لنا هذه الصلاة لا تتركى وذكرى بقوته كل علوم هذه الدنيا وعلوم هذه الدنيا تفتح لكم طرق البحث . وإدراك الجمال إما بهبة ربانية للأنبيا ولما بالبحث العلمي لأفراد الأمم والصلاة فيها الحمد والتكبير وفيها التشويق إلى جميع العلوم كما تقدم . فاستبان من هذا أن فرض الصلاة بعد إدراك الجمال والحسن في سيرة المنتهى يقصد به أن نتيجة الصلاة العلم والعلم يعرف هذا الحسن كله كأن الله يقول يا محمد ها أنت ذا قد شاهدت الجمال في سيرة المنتهى فافتح باب هذا الجمال والحسن لا تمتك وقل لهم يصلون الصلوات الخمس التي يقصد بها ﴿ أمران ﴾ معرفة العوالم التي يعيشون فيها وإفشاء السلام بينهم فيها يدركون من الجمال ما يناسبهم كما أنك أدركت ما يلائمك . هذا هو الذي فهمت في مسألة الاسراء أن الصلاة لهذا أنزلت . هذا وإنى أذكرك أيها السك بما قلته فيما تقدمت في سورة هود من كتابين من مؤلفات القرطبي عند قوله تعالى على لسان هود - ما من دابة إلا هو آخذ بما يصيها وإن ربى على صراط مستقيم . - للكتاب الأول هو للمسي ﴿ ملكة الظلام ﴾ مؤلفه (مترلك) . والثاني ﴿ موسوعات العلوم ﴾ لمؤلفه (روبرت برلون) قد جاء في الأول أننا نحتاج إلى دراسة علم الحشرات حتى نفهم سليقة أعضاء أجسامنا التي تخفى فيها أسرار الحياة ولولت وأن أعضاءنا كلها متعددة مندرجة وتلك الحشرات متفرقة ظاهرا متحركات حقيقة برابط خفي . وجاء في الثاني أن في أجسامنا من الوظائف والأمور والأعمال وأنواع الاحساس عجائب وغرائب مذهشات ولكن لما كنا معادين عليها أصبحت لا يلتفت إليها النظر ولا تدعش العقل فإن المؤلف يظن أنه معروف لا عبادة واللأب عليه وإنما الذي يلتفتنا لفراية هذه الأعمال في أجسامنا والاحساس في إدراكنا إنما هي للولعب العلمية الخاصة فهي التي تدفع ما أسدته يد العادة على عجائب أعمالنا واحساننا من الأسرار وتوحى إلينا جبال أنفسنا وغرائب أجسامنا وبدائع تركيبها بطرق للاختلاط والتفكير فيها حولنا وما يحيط بنا من العوالم . ثم قال إن دراسة العوالم التي تحيط بنا أسهل تناولنا من دراسة أنفسنا . إن دراسة أنفسنا جسما وعقلا قد عجزت عن إيقافنا على بعض من عوالم المسائل المادية والعقلية . أما دراسة العوالم المحيطة بنا فهي تبرز لنا دراسة أنفسنا الخ

هذا ما قلته هناك في سورة هود . قلته هناك وما كنت لأعلم أولي جش في خاطري أن ذلك قسنة مجزة لنبينا ﷺ . كيف لا وهام أولاء حكماء أوروبا وفلاسفتها ينطقون بحديث المهرج . المهرج جاء فيه ذكر الحسن والجمال وإن من الجمال ما لا يقدر على فنه أحد من خلق الله وجاء بعد ذلك فرض الصلوات ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ بحث على العلوم إذ الصلاة في الاسلام هذا مقصدها والعلوم هي الحالة على الجمال إذ لا جمال إلا يعلم بما هو جميل

أيها المسلمون هل تعلمون . هل تعلمون أن حديث الاسراء جاء ما يطابقه عند فلاسفة أوروبا . هل تعلمون أيها المسلمون . ها أنتم أولاء تصلون وأكثركم لا يعلمون لم تصلون . يصلى المسلم خوفا من النار أو طمعا في الجنة . هذا حسن . يصلى المسلم وهو يحافظ على أركان الصلاة وشروطها وآدابها . هذا حسن وحسن ولكن أحسن منه وأحسن أن يعرف المسلم لماذا فرضت الصلاة ولماذا لم تفرض إلا عند ظهور الجمال ومنتهى الجمال لنبينا ﷺ . وأن ذلك الفرض إنما كان لتوجيه النفوس إلى ما تضمنته الصلاة من معرفة العوالم العلوية والسفلية . إذن الصلاة درس علم . الصلاة مقن تشرحه العلوم . ومن يجب أن نسمع هذا

القول (الصلاة معراج) فهذا تبين انها معراج وانى أبشر الأمم الاسلامية أن هذه الأمة سيظهر فيها مصلون حقيقة بعد نشر هذا التفسير سيصلون صلاة تشرح صلواتهم لحوز العلم . اللهم إن الدنيا مقفلة على عقولنا مسددة حجبها على أفهامنا وأنت الذى أزلت نبينا ﷺ الى الصلاة ولم يعرف أكثرنا ما يراد من ذلك إلا أنهم يخافون من نارك أو يطعمون في جنتك . فأرنا اللهم سبل الهداية وافتح قلوبنا للعلم واجعل الصلاة مفتاحا للدروس بحيث يصل السليم مستحضرا المعنى واستحضاره المعنى يحفز الى الفرس والتفكير وبهذا يصلون إليك مقتدين بنبينا ﷺ الذى رأى الحسن والجمال

اللهم إنك تعلم أن المسلمين وقفوا عند الفاظ الصلاة ولم يدرك أكثرهم أن علوم الكائنات مطلوبة منهم بل وقفوا على علم الفقه وعلى قشور من علم التوحيد فافتتح لهم باب العلوم والمعارف حتى يسعدوا في الدارين اللهم إنك قلت - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - وذلك حق فانها ترجع الى (أمرين) كما أوضحناه درس العلوم وانشاء السلام والعلم يدفع الجهل والمعاصي . وتجميع السلام بين الناس لا يكون معه خشاء ولا منكر . هذا بعض سرّ حديث المعراج وبعض سرّ الصلاة والحمد لله رب العالمين . انتهى

(الاسراء والمعراج والسياحات والقوى العاقلة)

نامت الأمم الانسانية قبيل النبوة فالرومان كانوا في أيام انحطاطهم بما نالوا من عزّ وسعة وبسطة في الرزق والملك فاحطت عزائمهم وهكذا الفرس . وهاتان المملكتان كانت لهما السيادة في الأرض . ودين البراهمة والبوذية في الهند تراكت عليهما الحرافات فهوت باتباعهما وهكذا أهل الصين ودياناتهم . إن الله خلق الناس وأودع فيهم قوى عاقلة وأهمها الخيطة والمفكرة والذاكرة . فبالذاكرة يكون علم التاريخ بجميع أقسامه وبالخيطة تكون الأسفار والاختراع والفنون الجلية . وبالمفكرة تكون العلوم المختلفة من الرياضيات والطبيعات ومعرفة الله تعالى ونظام الجسم الانساني والنفس ونظام الطبيعة ويتفرع عن علم النفس المنطق والأخلاق وعلوم الجبال ونظام الأمم وسياساتها . هذه هي القوى الانسانية التي كنت وسكنت قبيل البعثة المحمدية فأرسل الله نبينا محمدا ﷺ فأمرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وما قاله مانعه (مثل لى النبيون كلمهم فضليت بهم) ثم خرج الى المسجد الحرام . ولما رفع الى السماء قابل النبيين ومنهم موسى ولما تجاوزه بكى موسى فقيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما يموت بعدى يدخل الجنة من أمتي أكثر مما يدخلها من أمتي وأيضا لما رفع الى البيت المعمور أتى ببناء من خروانه فيه لبن وانه من غسل فأخذ اللبن وقال هي النطرة أنت عليها وأنتك ثم فرضت الصلوات . وأيضا لما رأى آدم وجد أسودة عن يمينه وأسودة عن شماله فأولون أهل الجنة من بنيه والآخرون أهل النار منهم فكان يضحك اذا رأى الأولين ويبكي اذا رأى الآخرين . ولما وصل الى سدرة المنتهى رأى ما لا يصفه الواصفون

هذا بعض ملجاء في الاسراء . فبالتشعري كيف تمرّ هذه على المسلمين وهم نائمون . ليعلم المسلمون في أقطار الأرض أن الاسراء نموذج لنا وستة سنت لنا . وبيانه أن العقول الخائصة والنفوس النائمة عليها الألفار علما من العلوم إلا درسته

(١) ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام ساج في الأرض واخترق السماء وهمل العلوم جميعا فخرج عن الأرض والسماء

(٢) ليقرأ الناس علوم الأرض وعلوم السماء

(٣) صلى النبي ﷺ بالنبيين ثم خرج الى السماء هكذا الصلاة معراج وبفهم الصلاة والعمل بمقتضاها يخرج الناس الى ربهم . يخرجون يعلم وحمل . أما العلم فقد شرحناه قريبا . وأما العمل فكنكك فالسلام العام في الأمم بتهديب النفوس وحفظ الأسرار وحفظ الأمم هو العمل وقراءة علوم الرياضيات والطبيعات

والفلكيات هي عروج النفوس الى ربها وفهما نظام عمله في هذا الوجود . هذا هو مقتضى الصلاة فالصلاة كتاب علم أوحى به الله الى نبيه وقال صلوا ثم اعرجوا الى ربكم بالعلم الذى تضمنته الصلاة . فاذا كان ﷺ عرج بعد الصلاة فهكذا أتم بعملكم بما تضمنته الصلاة من العلوم العلمية والعلوم الصليبية تعرجون الى (٤) ان نبينا قد أتم الأنبياء في الصلاة وهذا اشارة الى أن جميع الأمم التى تتبع الأنبياء قد أخذت لها قسطا من الآراء الاسلامية فقد حورت العقول في أوروبا وفي أمريكا وبلاد الشرق . كل هذا بسبب الاسلام فارجع الى هذا المقام في سورة التوبة فقد قلت لك هناك عن (سديو) الفرنسى وغيره أن تحرير العقول في أوروبا إنما جاء من دين الاسلام . هكذا بكى موسى من أن غلاما بحث بعدهم دخل الجنة من أمته أكثر مما دخل من أمته موسى وهذا حق لأن أتباع دين عيسى هم اليهود وهم شذمة قليلة لا تبلغ (١٥) مليوناً والمسلمون نحو (٣٦٠) مليوناً ومسألة آدم وبكائه وضحه ظاهرة واضحة ومسألة اللين واختياره لأنه الفطرة ترجع الى هذه العلوم التى حظيت بها الأمم فان علوم الطبيعة وعلوم الفلك الخ هي الفطرة التى فطر الله هذا العالم عليها فاذا درسناها فقد رجعنا الى الفطرة . ومعلوم أن اللين يفسر بالعلم كما في حديث آخر (٥) هذه الوقائع التى حصلت له ﷺ في معارجه قد تمت وظهر مصداقها ولكن أتباعه ﷺ فهموا دينه أيام الصحابة والتابعين وغفلت عنه أمة كثيرة بعدهم ولم يعلموا أنه قد سن لنا السياحات العقلية

(السياحات على قسمين)

اعلم أن السياحات على (قسمين) سياحات جسمية وسياحات عقلية والسياحات الجسمية مقامة على السياحات العقلية وذلك واضح في قوله تعالى - قل سيروا في الأرض فانظروا - والسير بلا نظر لا يفيد . فهذه هوذا رسول الله ﷺ ساح في الأرض بالاسراء وعرج في السماء ولم تكن سياحته ولا عروجه خاليين من الروح العلمية بل تراه بين السياحين صلى ليعلن أن الصلاة قد تضمنت العلوم التى بها للمعراج فلما عرج الى السماء لم يترك واقعة بلا فائدة . فهذه هوذا يرى آدم وهو يبكى ويضحك وموسى وهو يبكى على قلة من يدخلون الجنة من أمته وهكذا ابراهيم وقد قال له (يا محمد بشر أمتك بأن الجنة طيبة التربة عذبة المأوى غراسها سبحان الله والجد لله ولاله لا اله الا الله والله أكبر) ولا جرم أن هذه هي ملخص الصلاة إذ الصلاة جد يرجع الى كل العلوم وتنزيه الله بالتسبيح في الركوع والسجود الخ

ولأن اسراء ساح في الأرض ورفع الى السماء وساح في أقطارها بلا عقل ولا فكر لكان ذلك أشبه بأضغاث الأحلام ولا فائدة له . إذن الاسراء والمعراج قد جا آلا يقاط نفوس للمسلمين لحياء عقولهم بخيالهم وتعقلهم وذاكرتهم لأن المقصود من السياحات تعقلها وفهمها والتبصر فيها . ذلك هو مقصود السياحات في هذه الدنيا . الصلاة يراد بها الحث على العلوم والعلوم بها تعرف السموات والأرض . عرج ﷺ بعد أن صلى . ولما تم معارجه ورأى عجائب لا توصف فرضت الصلاة على أمته . لماذا هذا . لأنه عرج الى السماء بعد الصلاة فهو يريد أن تعرج أمته كما عرج عليه ولكن عروج أمته بالعلم والتعليم فمروجه بالوحى والنبوة وعروج أمته بالعلم والتعليم ومبدأ التعليم ماتحت عليه الصلاة والصلاة كما قمتنا وأوضحناه تحت على العلوم العلمية والعلوم العلمية

(٦) ومما مثل المعراج بعد الصلاة إلا كمثل ابتداء سورة النجم بعد أوخر سورة الطور في آخر سورة الطور - ومن الليل ففسحه وإدبار النجوم - وفي أول سورة النجم ذكر قربه ﷺ من ربه إذ قيل - ثم دنى فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى - فآخر الطور التسبيح والصلاة في آخر الليل وفي أول النجم القرب من الله . هكذا هنا صلى ﷺ بالأنبياء فهو كآخر الطور وعرج الى السماء فهو كأول النجم وهذا هو قوله تعالى - واسجد واقترب - فهنا سجد وهنا اقترب وقد عرفت سره فالأنبياء يلهمون ويوهبون

والأنبياء يجتنبون ويتعلمون فالصلاة كتاب يقرؤه المسلم صباحا ومساء وهذا الكتاب مختصر العلوم كلها علوية وسفلية . ناهيك ما تراه في هذا التفسير عند تفسير سورة الفاتحة وقد زدت عليه في أول هذا المقال مسألة السلام والهداية في التشهد والفاتحة فانهما يشملان علوم الأخلاق ونظام الأمم

فاذا سمعت قوله تعالى - وذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد - الخ فاعلم أن ذلك من علم الاخلاق الباطل في قول السلم ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ ومثل هذا - يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك - وقوله - ولا تصمر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا - وقوله - واتق في مشيك واغضض من صوتك - الخ وهكذا مما تراه في (٧٥٠) آية في القرآن وإذا سمعت قول المصلي - الحمد لله رب العالمين - أوقوله ﴿ التحيات لله الخ ﴾ فاعلم أن ذلك ظاهر في قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا - وقوله - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وقوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - الخ

(٧) إن الاسراء والمعرّاج درسان ألقيا للمسلمين ليعرجوا الى ربهم بالعلم وليفتحوا عقولهم وخيالهم وقواهم الفكرية وذاكرتهم النفسية ذلك ليسيحوا في الأرض بعقولهم لايحجروا أجسامهم . فأما اذا صلوا ولم يعرجوا أى لم يدرسوا ولم يفكروا فيما تضمنته الصلاة فانهم يكونون محكوما عليهم بالهلاك . ذلك لأن المسلم اذا صلى ووقف عند ألفاظ الصلاة أوفهم معناها واستحضرها ولكنه لم يعمل بمقتضاها كما فعل رسول الله ﷺ من الاسراء والتعلق في أثناء الاسراء فانه يكون مغرورا اغترى بمجرّد الصلاة وأنام قواه العقلية ولم فتح بصيرته لما حوله من عجائب هذه الدنيا وهذا هو قوله تعالى - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤون ويمنون بالمعنى -

المسلمون يصلون ولكن أكثرهم لا يعلمون بما نحثّ عليه الصلاة فاتحطت مداركهم فتخطفتهم الأم . هم ساهون عن الصلاة لاهون عنها . إن الصلاة ﴿ لأمرين ﴾ ذكر الله على سبيل العبادة وارتقاء النفس بذلك الذكر . فهما ﴿ أمران ﴾ أمر عملي وأمر علمي فأكثر المسلمين اقتصروا على الأمر العملي ونسوا العلمي ونسوا أنه ﷺ عرج الى السماء بعد أن صلى كأنه يقول عروجكم العقلي إنما يكون بعد الصلاة أى بالعمل بما تضمنته من العلوم . إذن الاسراء والمعرّاج درسان علميان والصلاة هي كتاب ذينك الفرسين

(٨) غفل الناس عن الاسراء وعن عقولهم . من عادة الناس أن لا يعقلوا ماشاء عندهم وما يحيط بهم . هذا الانسان في هذه الأرض لا يعقل ما هو حاضر عنده مبصر أو مسموع أو مذكور . لكل امرئ غفلة وعاقلة وذاكرة كما تقدم فقد يعيش المرء ويموت ولا يخطر بباله ما نال القوى وما يجانبها وهكذا يرى أن له سمعا وبصرا وثما وذوقا وأعضاء داخلية وأخرى خارجة وكلها طائفة بالجانب ملوثة بالغرائب ولكنه لا يخطر بباله أن يفكر فيها أو يرى فيها عجائب وهكذا أكثر هذا النوع الانساني يعيشون كالحيوان ويموتون ولا هم يذكرون لذلك أرسل الأنبياء وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ فأمرى به وعرج والاسراء والمعرّاج لفتح هذه القوى العقلية فينا وفلا تلام ذلك في عصر الصحابة والتابعين فان أحوالهم كلها اعترافا انقلاب وتغيرت وتحولت الى الأحسن أما الأمم المتأخرة فانها تسمع الاسراء والمعرّاج كما تعرف بديها وعقلها وجسمها . فالاسراء والمعرّاج أصبحا متداولين بين المسلمين فلم يبق توجب منهما ولا يذكرهما كما نسي الناس نفوسهم وعقولهم وعجائلاتهم وأعضاءهم فسيان عندهم عقولهم وأعضاؤهم واسراء نبيهم ﷺ

واعلم أن هذا التفسير سيكون من المبشرات بنهضة مقبلة قرية رسيخرج جبل جديد سائح سياحات علمية وعلاج الى رب البرية

﴿ كيف يسرى المؤمنون ويرجون ليعادوا الى اليقين بالعلم ﴾

اعلم أن الأمم جميعها قد جاء في تاريخها أن أناسا حكموا أنفسهم بالرياضات فوصلوا الى ماقتصدوا وهؤلاء كثير في أمم الهند والأم الإسلامية ولكن النسي ظهر أن هؤلاء غالبا لم يحدنوا في الأمم اقلاما كثيرا إلا قليلا منهم وأكثر انقلاب الأمم إنما يكون برجال مفكرين نالوا حظا من العلم بابتهاهم لرياضاتهم . فلا ذكر لك هنا مسألة واحدة وهي تفسير قوله تعالى في سورة تبارك - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور - أى شقوق وقبل الشروع في هذا المعنى أذكر مقتمة فأقول

اعلم أنه قد سبق في هذا التفسير أن العوالم التي نعيش فيها مركبة من ذرات وتلك الذرات مركبات من جواهر فردية وتلك الجواهر البديقة جاريات حول نواتها جريا حثيثا فترى كل ذرة بعضها أشبه الشمس وبعضها أشبه السيارات وهذه التي تشبه السيارات تدور حولها وكل ما في هذا الوجود مركب من تلك الذرات وتلك الذرات ما هي إلا كالجموعة الشمسية . فلذا رأيت الحديد والنحاس والأحجار وظننت انها ساكنة فأنت لم تقرأ علما بل العلم أثبت أنها متحركة كما شرحت لك بل قال المحققون مثل (جوستان لويون) كلما كانت حركات الذرات أسرع كان الجسم المركب منها أصلب وكلما كانت أبطأ كان الجسم المركب منها أبعد عن الصلابة وأقرب الى التفرق أو السيلان الخ

وهناك مسألة أخرى ستأتى في سورة تبارك وهي أن طيف الضوء المركب من الألوان السبعة للعرف يتخلله خطوط سود وذلك بواسطة آلة للنظر مذكورة هناك مصورة من ثلاثة مناظر معظمة وتلك الخطوط السوداء همدية على ذلك الطيف وهذه الخطوط السوداء واضحة في شكل ستره هناك وكل خط له هيئة خاصة وقد شاهدوا مثل هذه الخطوط في لب المعادن فحكموا من ضوء الشمس على المعادن التي تربت منها هي فكلمارأوا خطا في الطيف الشمسي بحيث توافق نظيرها في لب معدن من المعادن فقطعوا بأن ذلك المعدن من عناصر الشمس وهكذا الكواكب الأخرى . هاتان النظريتان هما أسى مأسا ذكره من الاسراء العقلي والمراج الفكري الذي يسير عليه المسلمون . فهنا نقول في تفسير الآية

(١) فإذا أبقينه على ما هو معلوم من التفسير المعروف قلنا - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - لأن البصر لا يرى في السماء المشاهدة فطورا . ولا جرم أن السماء من فعل الله فتلكن أفعالها على هذا النظام (٢) وإذا لاحظنا أن في المادة فراغا معلوما بين جميع الذرات كما هو مقرر في الطبيعة حتى انهم أثبتوا أن الخلاء بين كل ذرة وأخرى بالنسبة لحجمها لا يقل عن الفراغ الحاصل بين الأرض والسماء بنسبتهما وهذا وإن كان بعيد التصديق مسلم في علم الطبيعة . وهكذا نلاحظ أن في طيف الضوء تلك الخطوط المتقمة اذا اعتبرنا ذلك كله قلنا - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - مع ما فيه من الخلاء بين الذرات والخطوط السوداء وسط الألوان وذلك لشدة احكامه وتماثل اتقانه فذلك الاتقان جعله لخطوط فيه ولا فراغ والبصر لا يدرك شيئا من ذلك - فارجع البصر هل ترى من فطور - فيه بين الألوان وبين الذرات مع أن ذلك كله موجود فعلا فالنظور مع وجودها أصبحت لا ترى لشدة إحكام للمادة وانتظام النور كما أن العالم كله يتحرك ولكنه لشدة الاحكام يرى ساكنا كما قال تعالى - وله ما سكن في الليل والنهار الخ -

(٣) ولوجه الثالث أننا نلاحظ ما في الوجه الثاني أيضا ولكننا نقول - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وهذه الرؤية عقلية لا بصرية فالعقل أدرك أن الذرات تشبه السيارات وصغير العالم ككبيره فأشبه جزؤه كله وكبيره صغيره من ﴿ وجهين ﴾ الأول ﴿ ان الذرات تشبه السيارات من حيث الفراغ الحاصل بينهما ومن حيث دوران جزيئاتها حول نواتها دورانا منتظما ﴾ والثاني ﴿ أن تركيب الشمس مثلا تركيب الأرض ولم يعلم ذلك إلا بتلك الخطوط السوداء في الطيف التي أبانت باختلافها اختلاف العناصر في الشمس وحيث يتبدل يقال

هل ترى بصرك من فطورك حتى تحكم بها على تشابه المادّة بحيث تشابه الثورات السيرات وشابه المدن بالخطوط
المعتزلة في لُبه نظيره في الكون فيحكم بوجوده فيه وبهذا يحكم بنبأه العوالم . كلا . أنت لا ترى ذلك
ببصرك مطلقا بل البصري المادّة لاخلاء فيها ويرى آثار الضوء في قوس قزح لا أثر لخطوط السود فيه مع
ان الحقيقة أن المادّة واللّون الطيف فيها فراغ . ففي الأوّل بين الثورات . وفي الثاني خطوط سود بين تلك
الألوان وإنما لم تبصر ذلك لأن البصر لا يقوى على ذلك وإنما يقوى الانسان عليه بالآلات التي اخترعها العقل
البشري وبلاستنتاج بالعقل والفكر . انتهى

هذه الآية بمرسها من علم الطبيعة في الأرض فتحت لنا باب العروج الى السموات فأدركنا تركيب
أجسامها وعرفنا عناصرها . فهذا مثال واحد من الأمثلة التي لا تحصى بها أدركنا نظام العالم العلوي بمضاهاة
نوره بأنوار معادن العالم السفلي . فهذه سياحة عقلية بها يرتقي العقل الانساني ويشاهد حكما وعلوها متبعا
في ذلك نبينا محمد ﷺ إذ رأى جلالا لا يصفه الوصفون . هكذا فلنجد في العلم والفرق في الأسباب
إن الاسراء والمعراج جعلنا درساً لنجد ونسرى في العلوم الأرضية ونخرج الى العلوم العقلية والجد لله
ربّ العالمين . انتهت الطبقة الثانية

(الطبقة الثالثة - وقضينا الى بني اسرائيل - الخ)

اعلم أن بني اسرائيل من بعد موسى لم يكونوا ملزمين بالجهاد كالأمة الاسلامية بل كانوا يحافظون على
شرائعهم ويدافعون عن بلادهم فيقوم بعد موسى وبوشع عليهما السلام نحو أربع مائة سنة على هذه الحالة
لا يغيثهم شيء سواها وكان القائم بأمرهم يسي (الكوهن) كأنه خليفة موسى عليه الصلاة والسلام يقيم
لهم أمر دينهم ولا بد أن يكون من ذرية هرون لأن موسى لم يعقب ويكون مع الكوهن سبعون شيخا
يقومون بأحكامهم العامة تحت إشراف الكوهن وفي أثناء ذلك غلبوا الكنعانيين على بيت المقدس وما جاوره
وحاربوا أهل فلسطين والأردن وحمّان ومأرب ولكن لم تكن لهم صولة الملك فطلبوا من شمويل نبيهم
أن يجعل الله لهم ملكا يجمع شملهم قتلوا طالوت وقتل داود من عسكره جالوت عدوه فتولى داود الملك
بعد طالوت فسلطان ابنه عليهما السلام واستفحل الملك وامتد الى اعجاز ثم اطراف الجبل ثم اطراف بلاد الروم
ثم افترق الأسباط من بعد سليمان الى دولتين . احدهما كانت بلجيزة والموصل للأسباط العشرة والأخرى
بالقدس والشام لبني يهوذا وبنيامين ثم غلبهم بختنصر ملك بابل فاستولى على الأسباط العشرة أوّلا ثم ثانيا على
بني يهوذا وبيت المقدس بعد اتصال ملكهم نحو ألف سنة وخرب مسجدهم وأحرق توراتهم وأمات دينهم
ونقلهم الى أصبهان وبلاد العراق الى أن ردهم بعض ملوك الكيانية من الفرس الى بيت المقدس من بعد
سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم على الرسم الأوّل

(قلب اليونان على الفرس قاله يهود)

ولما غلب الاسكندر واليونانيون قومه على الفرس أصبح اليهود في قبضتهم فلما فشل أمر اليونان اغتز
اليهود بصبيتهم وأخرجوهم من ديارهم وأقاموا دينهم على الطريقة الأولى وكتبهم من بني حشمتي فلما غلب
الروم اليونان على أمرهم رجعوا الى بيت المقدس وفيه بنو هيردوس أصهار بني حشمتي وبقي دولتهم فاستحوذوا
عليهم وبقوا في قبضتهم فتحوها عنوة حتى أرسل عيسى في أيلهم ودالت دولتهم بعد رفعه الى السماء بنحو
(٧٠) سنة فأجلاهم عن بلادهم الى رومية وماوراءها وهو الخراب الثاني للسجد ويسميه اليهود الجلالة الكبرى
فلم يبق لهم بعدها ملك بقندان الصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة الروم ومن بعدهم بقي لهم أمر دينهم
الرئيس عليهم المسمى بالكوهن . ثم ان عيسى عليه السلام أرسل في مدة (هيردوس) ملك اليهود الثاني
انزع الملك من بني حشمتي أصهاره في أيلم لك (أوغسطس) لحشد اليهود فكتب (هيردوس) ملكهم

ملك القيصرية (أوغسطس) فأذن لهم في قتله وكان ما كان بما قصه الله في القرآن ثم اختلف الحواريون فدخلوا بلاد الروم داعين الى النصرانية وبعد ذلك أجلاهم الروم كما قتم . هذا هو التاريخ الذي يشير له القرآن . فالمرّة الأولى هي غزوة الفرس لهم والمرّة الثانية غزوة الروم لهم لما عصوا بعد عيسى عليه السلام . انتهت الطبقة الثالثة

(الطبقة الرابعة - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم -)

لما ذكر أمر اليهود وقرر دولهم ونسلط الأمم عليهم وانهم أجلاهم عن بلادهم . فالفرس الى أصبهان وما والاها من البلدان والروم الى رومية وما والاها من أوروبا وكانت ممتهم الى زمن عيسى عليه السلام نحو (١٤٠٠) سنة أر بجماعة الى حكم سليمان وسجانه الى جلاوتهم في بلاد الفرس وأر بجماعة الى جلاوتهم الكبرى . ولقد كانوا في مصر قبل ذلك نحو أر بجماعة سنة فقتهم من أيام يوسف الى زمن المسيح (١٨٠٠) سنة وقد اعتراهم الدّل بعد رسالة موسى بألف سنة فأخرجوا من ديارهم ثم بعد أر بجماعة أخرى أنزلهم الروم . ولقد اتفق لأئمة الاسلام أن غلب بعضها على أمره ولكن لم يحصل إجلاله عن البلاد إلا في الأندلس بعد النبوة بما يقرب من ألف سنة فأخرج الأسبانيون العرب من أمتنا من ديارهم بأوروبا . ولم يعم الإخراج المسلمين جميعا لأنهم أئمة عظيمة وليس فيهم جشع اليهود الذي بغض الأمم فيهم فأذلهم

يقول الله - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - ولقد بينا في اللطائف السابقة الاشارات الدالة على أن للإسلام أمة ستفوق غيرها . إن اليهود اليوم هم أصحاب العلم في العالم الانساني . إن اليهود هم الذين أشاعوا القول البلشفية وهم هم الذين بغلستهم قد حركوا ألمانيا الى الحرب الكبرى وفلسوفهم (نيتشه) أشاع فيهم هذه الفكرة (الرحمة ضعف وخور فليمت الضعيف وليعش القوي)

اليهود اليوم هم الذين يديرون العالم كما يشاؤون . يقوم الفيلسوف منهم فيحرك العالم تحريكا بعقله . جامي (التلود) وهو ملخص دين اليهود وقد قتم في التفسير . إن الله فرقنا في الأمم لأنه يعلم أننا شعبه وأبناءؤه وأن العالم الانساني كله خادم لنا وهذا الانسان كله وسط بيننا وبين البهايم نستعملهم للتفاهم بيننا وبين الحيوانات فوجب علينا أن نجعلهم متساكين متقاتلين متعادين وندخل في سياستهم ونجعلهم في حرب لنستفيد منهم ونزوّج بناتنا لعظمائهم وندخل في كل دين لنفسه على أهله وتكون لنا السيادة على هذا الانسان الذي سخره الله لنا انتهى

ولقد فعلوا ذلك أوفريا منه . وهامهم أولاء قد أسسوا دولة البلشفية في بلاد الروس ومنهم (لينين) وأعوانه التي توفي قريبا وهامى دولتهم تناظر دول أوروبا وقد اتحدت اليوم ولا تفرى ما يفضل الله بالانسان غدا . هذا ما كان من أمر اليهود الذين مضى على دينهم نحو (٣٤٠٠) سنة فهل يقوم الاسلام بأمر العالم ويعالج في فلسفته وحكمته على الأمم ومنهم اليهود ويجعل أهل الأرض في حال اخوة وسلام لاتنابذ ولاشقاق وإذا كان هذا هو الذي وصل اليه اليهود الذين على يديهم أرسل عيسى منهم وهم هم الذين نشروا دينه في الشرق والغرب ثم اخترعوا البلشفية فهم إذن سادة العالم الأدنى فهل للمسلمون الذين جاء دينهم بعد الدينين اليهوديين يقومون بدور يناسب ديننا وهل قوله تعالى - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - يشير الى أن أمة ستكون بعد الآن في الاسلام تحمل أهل الأرض قاطبة على الرقي . إن (ماركس) الألماني الذي هو أصل البلشفية يهودي ألماني وهو الذي أخرج العالم من حال الى حال بعد موت موسى بثلاثة آلاف وأربعمائة سنة فهل يقوم في المسلمين بعد اليوم وقد مضى للإسلام ١٤ قرنا قائم برقي المسلمين ويرقي العالم كله ويكون ذلك سعادة للناس لاشقاء كما فعل اليهود في أوروبا والشرق وهل زمن عيسى الذي جاء في شرعنا وفي شرعية الصلوي أنه سينزل حيا . هل هذا الزمن سيحصله . إنه ليس بعيد أي إن المسلمين إذا قاموا بدورهم

الانسانى وارقوا الأم وساد السلام على يديهم فهناك يم السلام فى الأرض وتكون جيوش المسلمين مؤدبة للأثم لاطلقة كما تفعل أوروبا الآن . هذا هو الذى يرتب من أمة الاسلام وهذا هو الذى فهمت من قوله تعالى - إن هذا القرآن يهدى للذى هي أقوم - وأن أمة الاسلام ستلعب دورها يوما ما وتبنى مجد العالم كله ويكون الناس جميعا أبناءنا . إن هذه الأمة التى مضت فى الاسلام كللتها التى مضت على بنى اسرائيل حين أجلهم الروم الجلوة الكبرى فقد كانت نحو (١٤٠٠) سنة فذل اليهود إذ ذاك وذل المسلمون الآن ولكن فرق بين الذين فالمسلمون لهم دول مستقلة وإن كانت قليلة . فلذا قسنا هذه الحال بترك قلنا ان ماقلته ربما يتم لأنه اذا مضى بعد ذلك مئات السنين يكون هناك دول تتعارف من الاسلام ويكونون رجة للعالمين وهم ينعون الظالمين عن المظلومين . فهذا هو الذى تفهمه من ذكر قصة موسى بعد الاسراء ومن العلاقة بين نبينا محمد ﷺ وموسى عليه السلام ومن ارتقاء نبينا عليه فهو فى السماء السادسة ونبينا فوق السابعة ولا معنى لهذا بالنسبة للأثم إلا ما ذكرناه . انتهت الطليقة الرابعة

(الطليقة الخامسة - ويدع الانسان بالشر دعاء بالخير وكان الانسان مجحولا -)

لما ذكر الله أمة بنى اسرائيل ومآل بهم وأنبغ ذلك بأن هذا القرآن يهدى للذى هي أقوم وسيدكر بعد ذلك سنن الكون ونواميسه وحسابه أبان فى هذه الآية المذكورة ما بين القرآن الذى هو أقوم وما بين النواميس والحساب الساموى فقال إن هذا الانسان خلق مجحولا بطبعه ميالا الى ما لاحمد عقابه . فطره فطرانه عليها فهو يتأدى فى الشهوات ويتغالى فيما يظنه خيرات فهو يحصر على المال والولد والصيت والشهرة وانتاح البلدان وازالة للمالك وهو يظن ذلك خيرات بشهوته وعجالة الطليعة ثم يتأدى فى ذلك الذى ظنه خيرا الى أن يصل الى ماظنه شرا فيندعو على نفسه وعلى ولده وعلى أهله وعلى لوت . كل ذلك لهجته . واذا كان هكذا أمره فانه لا يبنى أن يترك وشأنه . ولتهذب طباعه بالكتب الدينية والهاجبات الكونية والحساب الساموى والعلم الطبيعى والنظام الالهى

هذا شأن الانسان بيناه . وهذا أمره كشفناه . فليقم بالدين وليقرأ العلوم حتى يقف على الحقائق ويعلم أن أكثر ما يظنه خيرا إنما هو شر من وجه فاذا فتح البلدان لقهر الأمم عاد ذلك عليه بالوراء كما حصل لبنى اسرائيل . فليحترس المسلمون أن يظلموا الأمم لقهرها لا لتعليمها والا حل بهم ما حل باليهود وقد كان ذلك مضى . وحل بالأمم الاسلامية ما يقابل أفعالها الظلمة فى بعض القرون واضمحلت الشوكة . لماذا . لأن الانسان جهول . فليقرأ العلوم . وانما قال الله - إن هذا القرآن يهدى للذى هي أقوم - لأنه أرشد الى علم الكائنات . فالقرآن لا يقف عند تلاوة الألفاظ غسب . وقلبك ترى هذه الآية جاءت بعدها فقال ان الانسان مجحول فلهذب به العلوم ثم أتبعها بذلك النظام

إن القرآن يهدى للذى هي أقوم . انه يدعو الى قراءة كتاب الله المفتوح . كتاب السموات والأرض كتاب الطبيعة . كتاب النبات . كتاب الحيوان . كتاب الانسان . كتاب علم النفس . كتاب علم التشريح . كتاب علم السياسة . كتاب علم الأجنة . كتاب علم آثار الأمم . كتاب كتاب الخ فهذه هي الهداية للطريق الأقوم . وهذا هو دين الاسلام . وهذه هي طريقه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . انتهت الطليقة الخامسة

(الطليقة السادسة - وجعلنا الليل والنهار آيتين - الى قوله - وكل شئ فصلناه تفصيلا -)

لقد قمت فى هذا التفسير حساب الأفلاك مرارا وتبين لك فيه كيف فصل الله العالم تفصيلا . ولكن لأذكر لك درة بريمة وجوهرة مضيئة وآية شريفة وزجاجة خضراء وياقوتة جواهر وألماسة يضاء وحكمة بديعة وشمسا مضيئة فأقول

انظر (مسألتي اثنتين • الأولى) مسألة السنين القمرية وأن كل سنة منها ٣٥٤ يوما وسدس يوم وخمسة وهذا السدس وهذا الخمس لهما معهما سنة بعد سنة يكونان أليما وذلك الأيام الثلاثة تكون السنة التي تمت فيها كيسة والتي لم يمت لها يوم يقال لها بسيطة • وقد وجد ذلك في كل ثلاثين سنة ١١ كيسة و ١٩ بسيطة وتكون النسبة منتظمة بحجة لاخطأ فيها ولاخطل وكل (٧) أدولر يقال لها دور كبير وهو (٢١٠) سنة فكل دور من الأدوار الصغيرة يكون مماثلا لنظيره في الأدوار الكبيرة التالية أليما وشهورا ويمكن أن يجعل نسبة منتظمة فيقال هكذا نسبة ١١ الى ١٩ كنسبة ٢٢ الى ٣٨ كنسبة ٤٤ الى ٧٦ كنسبة ٨٨ الى ١٥٢ وهكذا الى تمام السور فالأدوار تتابع والحساب لا يتغير والنسبة منتظمة ولها جدول لاخطأ فيها والسنة (٣٥٤) يوما ٣٥٥ يوما على مقتضى البسيطة والكيسة وهكذا

فقل لي بربك • أأنت ترى أن الله هكذا فصل وهكذا بين • أأنت ترى إنك بهذا الحساب التقن بحسب السنين العربية من أول التاريخ العربي وتسقط أدولرها ثلاثين و ٢١٠ و ٢١٠٠ وهكذا وقد أوضحناه في هذا التفسير سابقا فارجع اليه في مظاهره تعرف أوائل السنين العربية في آخر (آل عمران) ولست اليوم أقول هذا لحرفة أوائل السنين وإنما أقوله لما هو أعلى • أقوله للتفسير • الله يقول - وكل شيء فصلناه تفصيلا - فهكذا يكون التفصيل وهكذا يكون البيان ولهذا أزل القرآن • أزل القرآن ليلفتنا الى كتاب الله الذي خلق قبل ازال القرآن بالوحى • كتاب الله الذي في الطبيعة وهو الكتاب المفصل وهو الكتاب المبين • هو الكتاب الذي كتبه الله بيده وأودعه في الطبيعة وقال يا محمد أشرا لي تفصيل يدل أمثك على باني وقل لم هذا خلق الله وهذا جلال الله وهذا بيان الله فيه فاقتدوا وبعلموه فانتفعوا • القرآن يقرؤه الجاهل والعالم والطبيعة لا يفسرها إلا العلماء فلذلك كفر بها كثير من جهة الاسلام - وما يعقلها إلا العالون - بكسر اللام • انتهت للمسألة الأولى

(المسألة الثانية النظر في جسم الانسان وحسابه)

إذا خرج الانسان من الرحم تلم البنية سالما من سوء الأخلاق يكون فيه أشياء مائة وأشياء تزيد بالثلث وبالربع وأشياء بالمثل والثلث وما أشبه ذلك • فإني هي متساوية إذا قسمت بشيرة قسه هي (١) من رأس ركبته الى أسفل قسمه يساوي الذي من ركبته الى حقويه يساوي الذي من حقويه الى رأس فؤاده يساوي الذي من رأس فؤاده الى مفرق رأسه فكل مقدار من هذه شبران بشيرة (٢) إذا فتح يديه كالطائر كان هكذا ما بين رأس أصابع يده الى مرفقه يساوي مقدار ما بين مرفقه الى رقبته يساوي مقدار ما بين رقبته الى اليسرى يساوي ما بين مرفق اليسرى وأطراف أصابعها كل منها شبران

(٣) ان الانسان اذا صنع دائرة مركزها سرته ومرت محيطها بأصابع رجله ومد يديه الى أعلى فان المحيط يمر بأطراف أصابعها فتزيد عن قائمه ربعها ويكون النصف حصة أشبر من أهل النصف ومن أسفل النصف (٤) طول وجهه من رأس ذقنه الى منبت الشعر فوق جبينه شبر وثمان طول جبينه ثلث شبر (٥) طول عينه كل واحدة منهما ثمن شبر وطول أنفه ربع شبره يساوي شق فوه شفتيه (٦) طول كفيه من رأس الكرسوع الى رأس الأصبع الوسطى شبر (٧) الأبهام والخمصر متساويان وما بين يدي شبر يساوي ما بين عاتقه وسرته يساوي ما بين رأس فؤاده ورقبته • وقد تقدم في هذا التفسير أكثر من هذا وأعدناه هنا للنسبة

هذا بعض ما ذكره في جسم الانسان وقالوا إن كل حيوان بل كل نبات منظم تمام لا تنظم على هذا النوال وقد ظهر في هذه الأمثلة المائة والثلث والرابع والثلث • ومن هاتين القاعدتين في النسب الهندسية بنوا علم

الموسيقى وعلم الجبال ولقد أوضعه في كتاب (الفلسفة العربية) - فانظر كيف فصل الله هذا العالم تفصيلا وانظر كيف جعل الحساب مفصلا واضحا لا يخطئ به آلاف الآلاف من السنين وكيف فصل أعضائنا وقطر الجبال اذا تم حسابها والقبح اذا حصل اختلاف يسير - إن هذا هو التفصيل وهذا هو البيان - ولقد ظهر ذلك الجبال في علم الشعر والنسبة الهندسية فيه وفي ظلال الأشجار وفي الفيتتين على وجه الماء ونسبتهما ونسبة الماء الذي أزيله من ماء البحر وهكذا الثمن والتمن وإن بينهما ثمان نسب أربعة طردية وأربعة عكسية - كل ذلك في (كتاب الفلسفة) كتب تذكرة للمؤمنين وعظة للمؤمنين

إن الحساب يعلم الصبر والصدق وذلك ضد محجة الانسان الذي يسعى في فتوح البلدان يظهرها خيرا مطلقا وما يدري أن السم في السم وهكذا للمال والولد والمصير فكل ذلك سعادة وتحت آلام - فليكن الصبر هو المخلص - ولتكن العلوم هي السعادة - وليكن الجبال هو المنظر - جبال هذا العالم البديع الممتلئ بهجة وحسنا وكالا ونظاما وبهاء - لقد بينت يا الله بعض معاني القرآن واتى قدام اليك من هذا العالم وبرئت من الكتمان وأنت المستعان

(الطليقة السابعة - وكل انسان أزمناه طأثره في عهده - الخ)

اعلم أن هذا الجسم الانساني قصر النفس ومسكنها ولوحها المقروء وكتابها الذي تدرس تشرحه وتفصيله وهذا الكتاب يوما ما ستفهمه الروح وتتركه ولكنها تجد كل ما علمت مسطرا فيها مكتوبا مفصلا تفصيلا كما ضلت أعضاؤه التي رأيتها وكما فصل حساب السموات التي عرفتها - لهذا ذكر علم النفس بعد علم العلوم المادية لتعرف أن هذه الظواهر السابوية والأرضية المتصلة الموضحة البديعة الجلية وراءها أرواح مفصلة موضحة أكثر من هذه ولأقرب لك الأمر بما هو مشاهد معروف - انظر الى القول الاوربية والى دولتنا المصرية وتوجه الى عاصمة مصر وانظر هناك كيف جعلوا علامات الاهام لكل انسان دالة عليه ووجدوا أنه لا ايهام يشابه الأخرى أى ان ايهام زيد اذا طبعه على الورق يكون أصدق من ختمه الصناعي لأن هذا الختم لا يقلد فان الخطوط التي في ايهامه يد تخاف الخطوط التي في ايهام عمرو فلا يشابهان كل المشابهة - فهذا أيضا من معنى قوله - وكل شئ فصلناه تفصيلا -

وانظر أيضا الى لون كل امرئ والى صورته وإذا كان الجنس الأبيض من الناس والجنس الأحمر والجنس الأصفر كل طائفة منهم قد اشتركوا في اللون فانك لا تجد واحدا يشبه لونه لون الآخر سوادا وياضا وحمرة وصفرة هكذا هيته والوجه والأعضاء - هذا هو معنى - فصلناه تفصيلا - ووضعه ايضا - هذا توضيح الله لنا - هكذا تقول في أرواحنا كما قمتنا في هذا التفسير فان الأرواح الانسانية يسطر فيها كل شئ عملناه وبالتكرار يصير هذا العمل ملكة راسخة وهذه الملكة الراسخة فيها تبقى ثابتة - فالجهل والعدو والحرص والطمع والبخل وما أشبه ذلك يصبح فينا جزءا منا فهو يؤذيها كما نحس بالأذى من الأخبار المخرقة - وهذا الأذى لا يفارق النفس ويؤلمها أشد الألم بل هو يؤلمها في الحياة الدنيا كما يحس الانسان بالوخز في ضميره فإذا وقعت الواقعة وانشقت سماء رؤسنا فهم يومئذ واهيه وزلزلت للمادة الأرضية في أجسامنا وأخرجت أفعالها فرمتها بالأرض - وقال الانسان ما لنا - يومئذ نحث أخبارها - بان للوت قد أتى لها واذن تبقى النفس خالصة لاشئ يعجبها فتحزن حزنا شديدا فان طرقت للملوكات حزنت عليها وإن اقترفت الخطيئات احترق قلبها عليها وإن جهلت علوم الكائنات أصبحت في ألم عظيم إذ نحس بأن العلماء ارتقوا الى أعلى البرجيات وهي باقية في الظلمات - وهذه قيامة كل امرئ فكل امرئ يقوم قيامة بموته كما روى (من مات فقد قامت قيامة) وهذا مبدأ الحساب والحساب واضح لا يحتاج لشرح فإذا نظر الانسان لصورته الحقيقية ورآها ملوثة قكرة أنه أن ينظر إليها وكره منظرها وهو غير قادر على التخلص منها وهذا له نظير في الدنيا فان أصحاب

العلاقات العنيفة الذين حكم عليهم أن يعيشوا مع أخس النساء والذين يتعاطون للسكرات ويعلمون أن هذين الوصفين يضعان شرفهم ومهنتهم ووظائفهم فهؤلاء يقولون ﴿ نود أن نقدر على الترك ولكن الملكة فينا متمكنة فلا تقدر على المفارقة ﴾ فكل من هؤلاء يود أن يوتوب ولكن استحكام العادة يقعه عن الخروج منها فهذا سجن وحسرة وإسراق قلبي زيادة عن الجسدي . هذا هو قوله تعالى - إقرأ كتابك - فليست قراءة كتابية بل قراءة نظرية علمية يقرأها الجاهل والعالم والذكي والغبي والكافر والمؤمن لاحتياج إلى ذكاء ولا إلى عين وضياء ويقال للإنسان إذ ذاك - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - وأي بصير أحد من هذا . إن هذا العذاب يحس به بعض الناس في الدنيا ولكنه محبوه عنهم أكثره فتجد العقلاء في أوقات فراغهم إذا رأوا علما أحسوا بحزنهم على تقصيرهم في العلم وإذا رأوا ذاك خلق جيد ودوا لو يكونون مثله ويذكرون نقائصهم فتحزنهم وهكذا . فعذاب الإنسان بعد الموت أكثر مقدماته معلومة من الآن فإن الجاهل يبقى في مزرعته أو تجارته مثلا لا يفارقها وإذا كان عنده علم رأته يحلو به في بعض أوقاته ليرقى نفسه

على نفسه فليكن من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم
هذا هو ما ينه الله أن يحسب النفس في أخلاقها وأعمالها مسطر فيها مفصل كحساب الأفلاك وحساب ظواهر الأجسام . واعلم أن هذا القول هو الحقيقة أي أن الناس اليوم في الحياة الدنيا مسطرة في نفوسهم نقائصهم وكآلاتهم وأن ذلك ينكشف بالوت ويتبدى بالنعيم والجحيم . ويزيد الانكشاف يوم القيامة الكبرى فالأطفال والنساء والصبيان يكفون بعذاب جهنم والعقلاء يستبعدون ذلك فجاءت هذه الآية لترهبهم سرعة العذاب وهذا أيضا ربما لا يكفي بعض النفوس فجعل الله العذاب في الدنيا وكنتم عنهم وأظهر علاماته ليرتدع الناس عن الذنوب وليعلموا أن لكل ذنب جزاء مبتدئا من العمل منتها إلى أجل غير معلومة . هذه هي الحقائق الناصئة والآيات الواضحة

﴿ جوهرة في قوله تعالى - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - ﴾

اعلم أيديك الله أن العالم الذي نعيش فيه يكاد ينطق بهذه الآية . يحيل للإنسان أن أعماله لا أثر لها ولكن للمفكرين الدارسين من علمائنا السابقين وعلماء القرن العشرين يعلمون بمزاولة الدراسة هذا المقام علما اقناعيا تارة ويقينيا أخرى ولأقم لك سقمة فأقول

إن تفاوت الحركات في المادة بطأ وسرعة كتفاوت الأجسام خفة وثقل وتفاوت الآثار ذهابا وبقاء . أما التفاوت عظيم في الحركات فإن الناس يشاهدون السلحفاة القليلة الخطوات والأرنب السريع العدو والرياح العواصف وقطرات السكة الحديدية والبرق والنور فأرى نسبة بين السلحفاة والأرنب وزد على ذلك ما بينهما وبين الريح يرينا الله البرق ويرينا السلحفاة ويقول أنا أخلق هذا البطء لحكمة وهذه السرعة لحكمة أخرى ولا أضرت على خلقي بكل ماهو في الامكان والبخل بالمكن ظلم والظلم لا يتصف به الحكيم العليم . وترى العلماء يقولون إن سرعة الصوت في الهواء ١٠٩٠ . قدما في الثانية بميزان (فارنهایت) ١٤٦٣٣ . قدما في الميتر وجين في الثانية وفي الاكسوجين ١٠٤٠ . قدما . كل هذا في الثانية وفي الماء ٤٧٠٨ . أقدم في الثانية وفي الحديد ١٦٨٠٠ . قدما في الثانية وفي النحاس ١١٦٠٠ . قدما في الثانية وذلك نحو عشرة أمثال سرعتي في الهواء وفي السنديان ١٠٩٠٠ . قدما في الثانية . إذا فهمت هذا فانظر النور فإنه يقطع في الثانية الواحدة ١٩٣٢٠٠٠ ميل في الثانية . ومعلوم أن محيط الأرض ٣٣٨٠٠ ميل . إذن النور يقطع محيط الكرة الأرضية ثمان مرات في الثانية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ٤٠ ألف كيلومترية في (٨) وهو ٣٣٠٠٠٠ كيلومتر في قطر سكة الحديد يقطع في الثانية الواحدة نحو واحد من مئتين من الكيلو وذلك نحو (١٨) مقرا فتكون سرعة النور

أكثر من سرعة القطر في سكة الحديد ٣٣٠٠٠٠ في ٦٠ أو ١٩٢٠٠٠٠٠ أي ١٩ ألف ومائتي ألف مرة تقريباً، ومعلوم أن قطر سكة الحديد أسرع من جرى الخيل والخيول أسرع من الجبر وهكذا إلى السلحفاة .
فاجب لقطار أعجبنا جريه أصبح كسلحفاة بالنسبة للنور

(الكثافة والطاقة)

وكما عرفت اختلاف الصوت تعرف اختلاف الأبحام خفة وكثافة فترى الماء أطف من الأرض نحو خمس مرات والهواء أطف من الماء ٨٠٠ مرة والبخار أطف من الماء ١٧٣٨ مرة كما تقدم في التفسير فيكون أطف من الهواء مرتين فأكثر قليلاً ثم وراء البخار الذي يعالو على الهواء النور فهو أطف وأطف . وما هو النور . هو إما مادة لطيفة ولما عرض قائم بالمادة فإذا كان مادة لطيفة فكيف ينتقل من الشمس والكواكب إلينا إلا على جسم يجعله إلينا كما تنقل الدواب أجسامنا وأمتعتنا وإن كان عرضاً في المادة بأن يكون تموجاً في الأثير حصل المقصود وهونك المادة اللطيفة . إذن النور لابد أن يكون دالاً على شيء موجود إما أن يكون هو نفس ذلك الشيء وإما أن يكون هو قائماً به . الله أكبر . جل العلم وجلت الحكمة اقتربنا من المقصود وهو ما جاء في كتاب (اخوان الصفاء) وما جاء في كتاب اللورد (أوليفرلودج) . ان الذي جاء في كتاب (اخوان الصفاء) هو أن هذا الفراغ الذي نراه ليس فراغاً والفراغ مستحيل لأننا لا نتصور هذا الفراغ إلا ظلمة أو نوراً والظلمة والنور إما عرضان ولما أحدهما عرض والآخر جوهر فإن كانا جوهرين فقد تم المقصود وهوان لا خلا في الكون وإن كانا عرضين كالإبيض والسواد فلا بد أنهما قائمان بجوهر وقد تم المقصود وإن كان أحدهما جوهر والآخر عرضاً حكمهما قد ظهر عما قبلهما وهذا برهان يقيني . هذا ما جاء في (اخوان الصفاء) فاسمع إذن لما جاء في كلام اللورد (أوليفرلودج) المعاصر لنا الذي ألف كتاباً سماه (الأثير والحقيقة) طبع في شهر ماير سنة ١٩٢٥ ثلاث طبعات أي قبل كتابة هذه المقالة بسنتين اثنتين وبضعة أشهر . فانظر ماذا يقول في هذا الكتاب . يقول النور لما أن يكون مادة أو ظاهرة طبيعية (يريد عرضاً قائماً بالمادة) فإن كان مادة منبعثة من الأجسام السالوية في شكل ذرات دقيقة فلا بد من شيء يجعله كما يجعل الماء البواخر . وإذا كان النور ظاهرة طبيعية أي تموجاً وجب أن يكون هناك شيء يتموج وعلى كذا الخاليتين لابد من وجود شيء يحمل النور أو يتموج فيكون النور وذلك الشيء هو الأثير . ألت تهب معي أن يكون مايقوله (أوليفرلودج) الانجليزى هو عين مايقوله (اخوان الصفاء) وبينهما نحو ١١٠٠ سنة

اللهم ان العقول الانسانية الفاضلة في عالمك الذي خلقته متلاحقة متصاحبة والعقول البهاجلة متباعدة متنافرة . هالأنذا وصلت معك من الكثيف إلى اللطيف وذكرتك الحركات ودرجاتها . فهنا مادة كشيعة وأخرى لطيفة وحركة بطيئة وأخرى سريعة (وبعبارة أخرى) حبر وسلحفاة أولاً ونور وحركات النور ثانياً فالنور مقابل للحجر وحركات النور مقابلة لحركات السلحفاة وأعجب كيف يتلاقى الأمران في النور جوهره وحركته . ثم انظر في الأمر الثالث معي وهونهاب الآثار وبقاؤها فبقاه الآثار أشبه بالجبرج بحركات السلحفاة ونهبائها أشبه بحركات النور . فانظر أمواج البحار وأمواج الهواء بالعواصف والرياح فهذه آثار سريعة الزوال ثم تذكر بعد ذلك صور الناصر المركبة في أرضنا مثل النبات والحيوان فلهامدد أطول ثم أطول جداً من مدى أمواج البحار وحركات الرياح من يوم إلى شهر إلى سنة إلى مائة سنة إلى أطول في بعض الأشجار وبعض الحيوان . ثم انظر إلى ما هو أطول من ذلك كآثار المؤلفين الذين أودعوا نقائس علومهم في بطون الكتب والطوامير وبقي ذلك مئات ومئات من السنين ثم انظر لما فوق ذلك مما أودعه تقدسنا من الكتابة

على الأجسام والجدران المتينة الصلدة بحيث بقيت تلك الآثار آلافا وآلافا من السنين فانظر لهذا الوجود واجب . مواد جلدة وأخرى لطيفة وحركات بطيئة وأخرى سريعة وآثار باقية وأخرى زائلة . وجود ملى بالأمور المتقابلة وكلها نافعة في هذا الوجود

ثمرة هذا المقام معرفة حقيقة النفس الانسانية وموافقة أبحاث المورود (أوليفرلودج) في كتابه (الأيثر والحقيقة) المتقتم ذكره للآراء التي أودعها الرئيس (ابن سينا) في كتاب الاشارات وأنا موقن أنك أيها الذكي في أعظم الشوق الى أن أقص عليك قصصهما لتعجب من العلم الذي ملأ الكرة الأرضية والسلمون اليوم هم التأمنون . ثم تعجب بعد ذلك كيف يكون هذا القول فيه مناسبة لمساق الآية التي نحن بصددها وأذن وجب أن أظهر لك هنا ثلاث زبرجديات (الزبرجدة الأولى) في آراء الرئيس ابن سينا (الزبرجدة الثانية) في آراء السلامة (أوليفرلودج) في الكتاب المتقتم (الزبرجدة الثالثة) فيما يناسب ما تقم من مساق هذه الآية

(الزبرجدة الأولى في آراء ابن سينا)

جاء في كتاب (الاشارات) مع كلام شارحه هذه الجلة (القوة المحركة لسياء غير متناهية وغير جسمانية فهي مفارقة عقلية) يريد بذلك أن المحرك لهذه العوالم كلها قوة عقلية ليست في المادة بل هي مفارقة لها ثم ذكر بعد ذلك أن هذا العقل العام تنبعث منه نفوس وهو عتقا دائما بما عنده من العلم وتلك النفوس هي التي تقوم بعوالم السياء . فكل جرم ساوى أشبه بالجسم الانساني له قوة كامنة فيه كقوة الانسان نسبه نفسا وفوق هذه القوة شيء نسبه عقلا وله السلطة عليها كما تجدفينا نحن عقلا له السلطان على نفوسنا الشهوية ويقول إن الله أول ما خلق العقل الأول الذي ليس بجسم ولا هو جزء من جسم ولا يتعلق بجسم بل هو عقل محض وهذا العقل المحض تولدت منه النفوس المدكورة والنفس المدكورة أهل للابسة الأجسام وكل جرم ساوى له عقل وله نفس وآثر العقول العقل الانساني وله اتصال بالعقول العالية المستمدة من العقل الأول الذي يستمد من الله وهذه العقول كلها مع اختلافها في الدرجة ليست في مادة كما انها ليست مادة ولا جزءا من مادة فهي مفارقة وما يستدل به هو وغيره على أن الآثار في الأرض للعقول لا للأجسام . لما نرى الشمس تسخن الأرض وتبطلها قابلة لبعض الأعراض والسخونة نراها باقية بعد زهاب ضوء الشمس . وهكذا نرى النجوم والحبوب قد صارت صالحة لما يراد منها بواسطة الشمس وحرارتها وتبقى تلك الصفات فيها وان فارت حرارة الشمس فذلك من اللاتل على أن هذه الآثار ليست للعالم الجسمي بل لعالم عقلي وما الشمس والهواء ولا الحرارة ولا البرودة ولا الرطوبة إلا معدلات ومؤثرات وكيف يمكن مؤثرات وقد بقي الأثر مع عدمها هي . فهذا من ثمرات كون للمؤثر في العالم المادى عالما عقليا مفارقا للمادة . ثم يقول بعد ذلك

أول موجود هو العقل الذي له السلطان على هذه العوالم كلها وهكذا العقول الأخرى ثم يليها صور الأفلاك والعناصر ثم يليها مواد العوالم العالوية والسفلية والمادة (الميلوي) هي أخس مراتب الوجود ثم يرتقي الوجود فيكون معدنا فنباتا فحيوانا فإنسانا والعقل الانساني أعلاه يكون منه عقول الحكماء ونحوهم وهي العقول التي رست فيها صور الوجود على ما هو عليه بقدر الطاقة البشرية فصار هؤلاء أقرب الى العقول العالية الفلكية والعقل الأول وان كانت صور للوجودات في الانسان انفعالية وهي في العقول العالية فعلية . ومعنى هذا أن صور للوجودات في العقول الانسانية جاءت بواسطة المخالقات التي وجدت بتأثير العقول العالية المحيطة بهذا الكون وتأثيرها هي في عقولنا فلا عقل في الأرض يترك علوما إلا اذا استمدت هذه القوة من العقول العالية كما ان أرضنا قد استمدت جرمها من جرم الشمس ونحن استمدنا أجسامنا وأغذيتنا من الأرض فالأصغر يستمد من الأكبر عقلا كما استمدت من جسمها . وهنا وصلنا الى بيت التصيد من هذا الموضوع . لقد قمنا

أن الحجر والسلحفاة يضاران الضوء وحركة الضوء . وأن بقاء الأمواج المائية والهوائية أقل من بقاء النبات والحيوان وهذان بقاءهما أقل من بقاء بعض الكتب المؤلفة والكتابة على الأحجار أبقي وأدوم . فهنا تقول هانجن أولاء ترى أن علماء الفلسفة قديما كالرئيس ابن سينا يقولون ان هناك دواما لصور العالم في العقل الأول والعقول التي بعده وأن هذه العوالم العلوية كلها ذات نفوس كنفوسنا وعقول كعقولنا وأن عقولنا مستمدة من العقل الفعال الذي في فلك القمر . هذا كلامهم وهذا رأيهم على مقتضى ما وصل اليه العلم في زمانهم ويقولون إن هذه العقول الانسانية لهذا العقل الفعال أشبه بالآلات له وهذه العقول السجارية تدبر هذه العقول الانسانية . هذا قولهم ويقولون ان تلك العقول العالية بالنسبة للعقول الانسانية أشبه بالشمس بالنسبة للحيون البصرية . فكما أن العين لا تبصر إلا بضوء كضوء الشمس كذلك هذه العقول الانسانية لا بصيرة لها ولا فهم إلا بإشراق تلك العقول العالية عليها وهذه العقول رسم فيها هذا العالم كله . إذن نرجع لمثالنا ونقول هذه العقول تبقى العلوم فيها سرمدًا أبدا فهي فوق في البقاء الأمواج في الهواء والماء وصور النبات والحيوان وكتب المؤلفين والكتابين على الأحجار وعقولنا نحن تصبح بعد الموت حافظة لكل ما وقع لها لاتنسا كما قال تعالى - وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا -

هذا كلام المتقدمين من الفلاسفة الاسلاميين وبه تمت الزجدة الأولى

(الزجدة الثانية في ذكر مافيه العلامة (أوليفرودج) الموافق لآراء الرئيس ابن سينا)

ها أنت ذا اطلعت على آراء الفلاسفة المتقدمين وطريق تفكيرهم بطريق الرئيس (ابن سينا) الذي نقل هو والعلامة الفارابي قبله (١) علوم علماء الاسكتنبية الذين انحصروا فلسفة اليونان والرومان (٢) وعلوم علماء اليونان الذين هم أساتذة علماء الرومان كنيكا وشيشرون ومن بعدهم وقد جاء في تاريخ الفارابي أنه قرأ الفلسفة على أساتذة تعلموها من علماء بالاسكندرية . وقد كانت النصرانية حرمت عليهم التوغل فيها بعد الصدر الأول من التاريخ المسيحي . فها هو ذا طريق تفكيرهم . يقولون بالعقول والنفوس السجوية ثم بالعقل الانساني الذي تفيض عليه العقول العالية المفارقة للمادة وهو مثلها مفارق لها . فاذ مات الانسان لم تمت روحه لأنها في طبعها مفارقة للمادة فكيف تفتي . هذا كلامهم فاسمع إذن لما يقوله السر أوليفرودج (١) المادة (٢) الحي (٣) العاقل (٤) الأثير (٥) كل من علاقة الحياة والعقل والنور والكهرباء والمغناطيس بالأثير (٦) تأثير العقل في المادة وسيادة الماتراء من العواطف على ماتراء من المادة (٧) انتقال الآراء من الدماغ الى الأعصاب الى الأيدي مثلا الى الورق أو الهواء الى عقول الآخرين بتوسط حواسهم وأعصابهم . ثم أبان فهم العقل الانساني لآثار العقل الكلي الذي أحاط بهذه العوالم كفهمة لآثار العقل الانساني هذه صفة تفكير السر (أوليفرودج) . هذه صفة تفكير علماء العصر الحاضر . هؤلاء الذين درسوا عالم السموات والأرض فراؤا أن الشمس والكواكب ليست شيئا سوى انها مركبة من عناصر مثل التي ظهرت لنا في أرضنا كالنحاس والحديد والبوتاسيوم والصوديوم . عرفوا ذلك بطريق النور . ذلك النور الواصل من تلك الأجرام المضيئة التي هو مركب من ألوان سبعة تتخللها خطوط سود تلك الخطوط تنتفع في الأجسام المضيئة بحيث تخالف خطوط الحديد السوداء مثلا نظائرهما في النحاس عند التلهاهما . فبهذا عرفوا مواد الشمس وغيرها من الكواكب الثابتة والسيارة . فاذن صرفوا طرق التفكير عن منهج القدماء الذين ظنوا أن هذه عوالم من عناصر غير عناصر الأرض . الفلاسفة القدماء كانوا يفكرون ذلك التفكير ليوصلهم الى ما شعروا به في نفوسهم من بقاء الأرواح فتحيلوا على ذلك بما سمعت قانهم رأوا هذه النفوس الانسانية قد تحجب بما غاب في الرؤى فيتم ذلك فاحتلوا بالطرق العلمية على اثبات بقائها واتصالها بعوالم أخرى . هكذا علماء العصر الحاضر كالورد (أوليفرودج) . هؤلاء الذين لما صدق بعضهم بعالم الأرواح ومناجاتها أخذوا

يقررون ذلك بالطرق العلمية المعروفة في زماننا فتراهم يقولون ان العالم الذي نحن فيه ليس من المادة وحدها بل فيه عالم غير مادي . يقول السر (أوليفر لودج) الذي هو سائر على نهج التفكير المعمرى . اننا نظن ان المادة فوجدناها خالية من الحياة في العناصر والمعادن والسوائل والغازات والكهرباء ثم رأيناها ارتقت في (البروتوبلازم)

(١) المادة والحياة وهي (المادة التي ظهرت فيها الحياة) بصفة (مركب هلامي) ثم نرى تلك الحياة زداد ارتقاء طبقا عن طبق حتى وصلت الى العقل

(٢) ولا ريب أن الحياة العامة والعقل الانساني لم نتركهما وانما عرفناهما بآثارهما . ففى الحيوان يتحرك ويحس ونرى الانسان يبنى ويذرع وينظم حكمنا بالحياة في الأول والحياة والعقل في الثاني

(٣) ثم رأى العلماء (أمرين عجيبين) منذ القرن التاسع عشر في عهد (نيوتن) وهما الجوهر الفرد الذي أثبتوه بالامتحان العلمى والاثير الذى لم يحكموا عليه لعدم خضوعه للامتحان العلمى لأنه لا شكل له كالمادة ولا هو مركب وانما عرفوه كاقترانه في هذا المقال بطريق النور الى آخر ما تقدم

(٤) النور والمغناطيسية الخ مع الحياة والعقل . ثم ان هذا النور فيه حرارة والحرارة تنقلب الى حركة والحركة الى كهرباء والكهرباء تنقلب ضواً . فهذه الظواهر تنقلب بعضها الى بعض . فالنور كهرباء والكهرباء نور وكل هذه الظواهر في العالم الذى سميناه (أثيرا)

(تأثير ما لاراه من العقل والحياة فيما نراه من المادة)

يقول السر (أوليفر لودج) ملمخصه ان هذا العالم كما تقدم فيه للمادة وغير المادة وأكثر العلماء على ذلك فالحياة والعقل والحب والرحمة والفرائز المتنوعة في سائر الحيوان هي التي لها السلطان على المادة . ألا ترى اننا نعلم أن في خلايا السماغ قوة تنبع من هناك وتسير في الأعصاب فالأعضاء فيشكل اللسان وتكتب اليد والكلام يحمله الهواء والكتابة يحملها الورق أو الأجزاء المائية . والهواء يسلم الكلمات لأذن السامع وأذن السامع توصلها للأعصاب والأعصاب توصلها الى خلايا السماغ عند السامع وهكذا الكتابة يراها القارى صوراً في الورق أو على الأحجار فيعقل صور معانيها فتنتقل الى المخ فيعقلها الانسان بطرق مجهولة للناس كل الجهل وهكذا ارسال البريد البرق يسلك وبلا سلك على هذا النمط بل من الناس من يخاطب بعضهم بعضاً بطريق أخرى لادخل للمادة فيه المسمى (التلبيطية)

فهذه هو الانسان استخدم المادة لتحمل ما في ذهنه الى ذهن الآخرين . إذن المادة متى وراكبها العقل والمواطف لآزارها . رأينا الباب وما رأينا راكبها . راكبها من عالم لطيف لا يرى كالأثير الذى يحمل رسائل عقولنا في البريد البرق (التلغراف والتلفون) ويحمل صور الموجودات في النور فيوصلها الى العين ومنها الى العقل . إن الحامل لتلك هو الأثير الذى يحمل النور أو النور ظاهرة من ظواهره . ويقال في علم الأرواح الحديث ان الجسم الانساني جسم آخر على صورته من عالم الأثير أشبه بما يراه الانسان من صورته في المرآة . فصورة الانسان في المرآة من عالم الأثير ولذلك أمكن بقاؤها بالتصوير الشمسى . فهذا الأثير يرتب مع هذا الجسم الطبيعى . فهل اذا فنى الجسم الطبيعى فنى الروح أى هل اذا فنى الفرس ففنى فناء الفارس . كلا . إن الجسم الانساني أيضا لا يفنى بصد الموت ولكن مادته تحوّل الى أجسام أخرى . إذن الجسم لا يفنى وقد تحوّل فكيف نحكم بفناء الروح . فهذه الروح الباقية التي لا تفنى والتي استقرت فيها علوم الانسان ومعارفه باقية وقد استخدمت المادة والأثير في فهم عقل الانسان الآخر . وهكذا فهمت هذه النفس النظام العام للعقل الكلى المحيط بعولنا الأرضية والسموية وعلى قدر فهمها من تدير ذلك العقل ونظامه يكون ارتقاؤها واختراعها وباتصال بعض النفوس في الأرض بذلك العقل تقدر على الاختراع والابتداع ونظام

الجلال وجلال النظام . وعلى ذلك أصبحت النفس اليوم في العلم الحديث أشبه بالرجل الذي يضرب على آلة الطرب
 فإذا كسرت الآلة فهو حي . باقي . ذلك هو رأي اللورد (أوليغولودج) في النفوس الانسانية والجد لله رب العالمين
 ﴿ الزبرجدة الثالثة في مساق هذه الآية ومناسبتها للعلم الحديث وأن هذه من عجائب القرآن ﴾

يقول الله تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من
 ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا * وكل انسان أزمانه طائرته في عنقه ونخرج له
 يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك - الخ

يا محبا لكل الحب . هاهوذا ذكر النور والظلمة وجعل النور مبصرا . لهذا . نطلب الرزق ولنعرف
 علم الفلك ولنعرف علم الحساب ثم يقول بعد ذلك كلاما آخر . يقول ان كل شيء مما يرى وبما لا يرى فضله
 تفصيلا . فأما ما يرى فقد تقدم . وأما ما لا يرى فهو مسألة كتاب حساب الانسان الذي جعله الله ملازما
 للانسان وهذا الكتاب سيقروء الانسان يوم القيامة . إذن ما السبب في ذكر هذه الجلة بعد النور والحساب
 للمستنتج منه ذكر النور وذكر سير الكواكب والحساب الذي لا يتم ذلك إلا به ثم أتبعه بمجمله تسلي ما يرى
 بما لا يرى ثم شرع في ذكر ما لا يرى وقال انكم ستقرؤن كتابكم بأنفسكم وتعرفون حسابكم منه

أفلا ترى أيها الذي أن للنور علاقة بهذا الموضوع والنور هو عروج في عالم الأثير وعالم الأثير هو الباقي كبقاء
 أرواحنا وأرواحنا تكمن فيها آثارنا . إن ذكر النور هنا وذكر طلب المعاش الذي هو أمر مادي ثم أتبعه
 بذكر ما هو أرفع من علم سيرة النجوم والحساب ثم ما هو أرفع وهو كتاب أعمال الانسان يدل على أن
 المساق واحد وأن النور الذي نراه كما كان مكتملا لأمر المعاش المحسوس وأمر الحساب العقول قد سرى الى
 أرفع من ذلك وهو كتاب الحساب للانسان به يد الموت الذي هو أقرب الى عالم الأثير الذي هو باق لا يضي
 والذي كان النور المذكور ظاهرة من ظواهره

فإذا سمعت الله يقول - الله نور السموات والأرض - فهمت أن الأمر عظيم فان هذا النور الذي نراه
 ولا ندقه يصل بأمر باق عظيم لطيف وهو الأثير والأثير لا يضيع فيه شيء بل هو حافظ لما فيه فلا يذهب منه شيء
 فهو أشبه بمראה لوح المحفوظ . إذن نحن نعيش في عالم الجلال وتتصل بالهجة والكمال ونحيط بنا العلوم
 والعقول ونحن محبسون . اللهم أربنا حتى ندرك الجلال ونشقى ذلك العالم الجليل حتى نخرج بالموت
 فرح العاشق الذي غاب عن معشوقه فتدنى لقاءه . إن هذه الحياة إن لم تكن سببا في جنة للخالص من
 المادة وللموت فانها تكون جلا ثقيلا لم يبد الفائدة المطلوبة * وفي الحديث ﴿ من أحب لقاء الله أحب الله
 لقاءه ﴾ انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ اشراق وبهجة لفهم ما تقدم ﴾

لعل أكثر الأذكياء الذين يقرؤن هذا التفسير قد طالت عبارات الرئيس (ان سينا) وعبارات السر
 (أوليغولودج) عليهم فسر عليهم تلخيص المعاني . فها أنا ذا أخصي ليفهمها العموم فأقول

﴿ آراء القدماء من الفلاسفة ﴾

كان قدماء الحكماء من يونانيين ورومانيين واسكندر بين وفلاسفة اسلاميين أكثرهم يؤمنون بالله وبالعقل
 وبالنفس . وملخص ذلك انهم رأوا نفوسا حيوانية يصدر عنها الحس والحركة وعقولا يصدر عنها الحكمة
 والنهم . ذلك مشاهد في الحيوان والانسان فأروا الشمس والقمر والكواكب ولها حركات كحركات الحيوان
 فقالوا هذه حركات منظمات والحركات نتيجة نفوس قائمة بتلك العوالم العالية والنظام نتيجة عقول مدبرة لها
 فكما رأينا للانسان حركات تنجب من نفس تدبره تدبرا منتظما غالبا من عقل يشركه . وهكذا نرى هذه
 العوالم العلوية لها نفوس ولها عقول وكل عقل في السموات يستمد من عقل أعلى منه وهكذا حتى تنتهي

السلسلة الى العقل الأول والعقل الأول مستمد من الله مباشرة . وهذه العقول كلها لاعلاقة لها بالمادة إلا كعلاقة الملك بالمدينة فقد يدبرها وهو خارج عنها . إذن العقل الانساني له صلة بالعقول الساجية المتصلة بالعقل الأول المستمد من الله . فهذه العقول الانسانية نسبتها لما يسمى بالعقل الفعال كنسبة العين والأذن وحاسة السمع والشم والذوق والشم لنفس الانسانية . فهذه العقول الانسانية مستمدة من العقل الفعال ومتصلة به وهذا العقل الفعال متصل بما قبله وهكذا - وان الى ربك المنتهى -

وما هذه النفوس الانسانية والفلكية إلا كالنضروف الذى يكون بين العظم واللحم فيكون صلة بينهما فالعظم لا يمكن اصاله باللحم . لذلك جاء النضروف مناسبا للحم من جهة والعظم من جهة . هكذا نفس الانسان الشهوية والنضوية وقوة الحس والحركة فهى تناسب العقل من جهة أعلاها وتناسب البدن من جهة أدناها فتكون صلة بين عقولنا واجسامنا . ونحن في كل آن نحس في أنفسنا بشئ يردعنا ويؤنبنا ويعطينا علما وحكمة فذلك هو العقل للتصل بالعقول العالية . هذا كلامهم وهذا صورته

(١) عقل (٢) نفس لها حس وحركة يظهران في جسم

(٣) جسم مركب من لحم وعظم وأوردة وشرايين الخ

أما السر (أوليفرلوج) فانه يقول . هنا شيان لآراهما الأثير والروح والأثير يقوم به النور والكهرباء والحرارة والمغناطيس . الروح يكون معه الحياة والعقل والحب والبغض والرحمة والحسد الخ والنور وما عطف عليه يكون منها وضوح البصرات والتفراف والتفوق وأن تدور الآلات النافعة للشي والطحن والخبز الخ والروح ونواحيها يكون منها الحس والحركة وصون الماوم والاقتراب والابتعاد والخاصة الخبر وإصال الاذى الخ وهاتان هما صورتان لها

(روح)

| | | | | | |
|------------------|----------------------|-------------------|------------------|-------------------|---------------------|
| روح لا يصل الجبر | حسلا يصل الاذى للناس | جاءة للحس والحركة | عقل لتظام الحياة | حس لتأثير الأجسام | بغض لا تفرق الأجسام |
|------------------|----------------------|-------------------|------------------|-------------------|---------------------|

(أثير)

| | | | |
|-------|---------|--------|------------------|
| حرارة | مغناطيس | كهرباء | نور يظهر البصرات |
|-------|---------|--------|------------------|

لادارة الآلات النافعة وإصال
الأخبار وتسهيل الأسفار

فما أنتذا رأيت أن هنا (درجت ثلاث) الروح والأثير وهما لآراهما وقد صدرعنها الدرجة الثانية وهي قرية منها فلا ترى الكهرباء ولا المغناطيس ولا ترى العقل ولا الحب . وهذه الدرجة الثانية في المقامين ظهر أثرها في الدرجة الثالثة في الأجسام المحسوسة فترى الآلات الماثرة بالكهرباء والأجسام المتحركات بالحياة وتكون النتيجة أن ما لا تراه يؤثر فيها زله . ثم إن العقل والأثير والحياة كلها أصبحت من ولد واحد وقد علمنا أن المادة التي نراها لا تعتمد بل تتغير صفاتها لا غير فن باب أولى عالم الأثير وعالم الحياة والعقل فاتها أولى البقاء واذن تكون عقولنا وحياتنا وعواطفنا باقية . هذا ما أردت ايضاحه لتقف على آراء المتقدمين ولتأخرين واتفاهم على بقاء الروح إما بالبرهان القديم من اشتقاق أرواحنا من عقول فوق عقولنا لتبقى ولما بالبرهان الحديث من أن الأثير والروح من ولد واحد لا فينيان انتهى

بهذا نفهم قوله تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - . ويقول علماءنا ان العالم (عالمان) عالم الأمر وعالم الخلق وعالم المدخله التقدير والمساحة وعالم الأمر لا يدخله تقدير ولا مساحة ولا شكل له . أليس من عجب أن يكون كلام السر (أوليفرودج) العالم الطيبى في زماننا هو عين ما يقول علماءنا في تفسير الآية كالعلامة الرزاقى . الله أكبر . اجتمع علماء الدنيا أى أكابرهم على بقاء الروح وأحوالها ومن المدهشات أنك ترى علماء الاسلام قديما لما كفر المسلمون فلاسنتهم رجعا الى اللواربة والتقية فيقول العلامة محي الدين بن عربى كما قلته فى آخر سورة هود عنه ان عذاب الأنفس بعد الموت ماهو إلا كل مرض يعترى الجسم فى الدنيا . ويقول العلامة الغزالى فى بعض كتبه (إن أكثر الناس أقرب الى الخبز وأقلهم من نال أعلى مقام أو انحط الى دركات الهوان كما نشاهد ذلك فى الجبل . فكل الجبال وكال الصبح كلاهما قليل والمتوسطون هم أكثرهم)

أقول يقولان ذلك لأن هذين القولين مذكوران فى كتاب (الاشارات) لابن سينا . إذن أكابر الصوفية من المسلمين تسروا بالتصوف وأدخلوا الحكمة وجعلوها من ضمن الكشف وذلك بسبب المرض العقل الذى حلّ بآدم الاسلام فاختلت حياتهم وضاعت دولهم وذه عاقبة الامور . وسيرجع لهذه الأمم مجددا ورفعتها وعزّها بعد ظهور هذا التفسير وأمثاله والله هو الوليّ الحيد . انتهى

اعلم أيها الذكر أنى لما كتبت هذا الموضوع كان ذلك فى ليلة الثلاثاء ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢٧ فاضطجعت للاستراحة فأخذتني سنة من النوم فرأيت جماعة يسألوننى فقال قائل منهم هل كل ما كتبت فى هذا الموضوع قام عليه البرهان . قلت كلا بل فيه بعض البراهين الاتقاعية والخطائية وما هو أقل من ذلك وإنما فعلت ذلك لأين الناس كيف كان الناس يفكرون قديما وكيف يفكرون حديثا فرأيت انهم سرّوا بهذا الجواب ثم استيقظت حالا فكشفت هذا وخطر لى أن هذا مناسب لما قاله (سقراط) الفيلسوف لتلاميذه قال (لعلّ ماسمعتوه يكفى لاثبات بقاء النفس بعد الموت وفى الأقل ترجيح هذا الرأى على غيره وهى الغاية القصوى التى يمكن ادراكها فى هذه الحياة فى هذا الموضوع) اهـ

فهذا القول من (سقراط) يفيدنا أن العلم بامور الحياة عقلا انما يعطى فكرة الترجيح لا التحقيق التام لأننا فى هذه الأجسام الأرضية وذاك عالم أعلى . فهذا العالم الأعلى يعرف بحال آخرى غير البرهان مثل ما يوقن به بعض علماء الأرواح أو بعض أهل الرياضة والصالح أو نحو ذلك وقد رأيت أن أقل لك ما قاله الفيلسوف (سقراط) لتلاميذه قولا عن كتابي (الأرواح) فربما كانت هذه الرؤيا يقصد منها اثبات ذلك هنا فهناك ما كتبت هناك بنصه

(المجلس الحادى عشر فى بيان براهين (سقراط) على بقاء النفس وكيف كان مبدأ التفكير عند

المؤلف وكيف استدلل ابن مكسويه عليها وهيئة المفكرين فى هذا العصر الحاضر)

قابلى الشيخ شبر محمد وقال . لقد فهمت فى المجلس السابق كيف كان انتشار الروحانية فى الدنيا وطرق الاحضار واليوم أرجو أن تذكر لى كيف أنكر الناس فى هذا العصر وكيف ينسبون هذا الانكار الى رجال مجلة مشهورة فى هذه البلاد . فقلت يا شبر محمد ان الناس على أقسام فبعضهم للمفكرين الناظرون ومنهم للقليلون فأما المفكرون فما أصرهم أن ينظروا بعقولهم وكثير ما هم فى بلادنا وقد يطلعون على آراء أفلاطون وسقراط وقدماء الفلاسفة ومحدثيهم . فأما براهين المتقنين العقلية فيها ما قاله (سقراط) ترجمة الفيلسوف (ستلائه) الطليانى والتفطلى المصرى وهذا نصها

(أولا) إنا نشاهد الضد يتولد عن ضده فالجبل ينشأ عن التقيح والعدل من الجور واليقظة من النوم والنوم من اليقظة والقوة من الضعف وبالعكس فالأشياء يستحيل بعضها الى بعض ثم ترجع بصفة دائرة

الى ما كانت عليه . والحياة والموت والوجود والعدم تقيضان فالوجود ينشأ من العدم والموت ينشأ من الحياة وعلى ذلك يلزم أن تنشأ الحياة من الموت إذ لا بد أن يكون للموت ما يناقضه والا فقد خالفت الطبيعة قاعدتها المطردة في جمع الأشياء .

(ثانياً) ما يستدل به من طبيعة العلم وذلك أن العلم إنما هو تذكّر النفس ما كانت قد علمت في حياة سابقة ومصادقه أن أجهل الناس إذا سئل سؤالاً منقطعاً عن مبادئ الهندسة مثلاً وانتقل به السؤال من أصل الى أصل شيئاً فشيئاً على الترتيب فقد يجد من نفسه مبادئ الهندسة ومبادئ كل علم وهذا لا يمكن إلا إذا كانت الأصول منطبقة في فطرته موجودة عنده قبل ولادته . وهناك دليل آخر من هذا النوع وهو ما لولا فرضنا علماً سابقاً موجوداً في ذهننا ما يمكننا من فهم شيء من الموجودات فإنا إذا قابلنا شيئاً بآخر مثلاً ما أمكن أن نقول إنه مساو أو غير مساو لولم يكن في ذهننا قبل كل مقابلة معنى المساواة المطلقة التي لم تستفدها من الأشياء المحسوسة إذ لا شيء منها يتحقق فيه المساواة إلا بنوع التقريب وسماحة توجب أن يكون معنى المساواة مرتباً في ذهننا حتى نتحكم على الأشياء أنها متساوية أو غير متساوية . ومثل هذا ما يحكم به فكركنا كالجلال والعدل والوجود وغيره فإن ذلك يستدعي معرفة تلك المعاني قبل الحكم عليها فيلزم منه أن العقل البشري إنما اكتسب هذه المعرفة بمشاهدة تلك المعاني صافية غير مشوبة بالمادة قبل ورودها الى هذا العالم وهذا من كلام (سقراط) في الدلالة على أن النفس كانت موجودة قبل هذه الحياة . أما الدليل على أنها موجودة بعد الموت فقد قال أيضاً ما يأتي

(١) ان النفس جوهر غير مرئي فيلزم انه على غير طبيعة الأجسام لأن من طبيعة الجسم أن يكون مدركاً باحدى الحواس . وإذا كانت على غير طبيعة الجسم فهي إذن غير مركبة لأن التركيب من طبيعة الأجسام وإذا كانت بسيطة فإنها غير قابلة للانحلال لأن الانحلال يصير المركب الى المواد التي منها تركب . فإذا كانت النفس بسيطة لم يتصور انحلالها . إن النفس هي الأمر والبدن هو للأموور . فمن طبيعة الامور الالهية أن تكون آمرة ومتصرفة . ومن طبيعة الامور السفلية أن تكون مأمورة فالنفس إذن من الامور الالهية وهي غير قابلة للزوال فهي اذا بقيت على صفاتها وفطرتها من غير أن تشارك البدن في أدناسها فإنها تلتحق بعد الموت بتوجود مثلاً فتنقي معه سيدة مبهجة محررة من أوهاها وأخوافها وكل ما كان يسخرها ويهوش عليها إذ كانت في قيد الحياة . وإذا تركت البدن ملوثة مدسنة غير متقدمة من الوجود إلا ما يؤكل ويشرب ويدرك بالحواس فلا يمسها إلا أن ترجع الى حياة مشاكسة لطبيعتها (٢) الى أن قال

(٣) وأما الالتحاق بالعالم الأعلى الالهي فلا يجوز إلا لمن ترك الحياة وهو في غاية من النقاوة والصفاء وهذا مختص بالفيلسوف الحقيقي دون غيره (٤) ثم سكت (سقراط) برهة وقال (٥) لعل تأسعتموه يكفي لثبات بقاء النفس بعد الموت وفي الأقل ترجيح هذا الرأي على غيره إذ هي الغاية القصوى التي يمكن ادراكها في هذه الحياة في هذا الموضوع (٦) فاعترض عليه بعض تلاميذه (٧) باعتراسين (٨) الأول (٩) انه لقائل أن يقول ان النفس للبدن كاللحان لآلات الموسيقى فإذا انكسرت الآلة وفسدت لم يبق للألحان وجود وهكذا يمكن أن يقال ان النفس ماضية إلا نتيجة تكافؤ العناصر واعتدالها في المزاج الانساني . فإذا فسد الاعتدال وتلاشى للمزاج ففسد النفس لاحتالة (١٠) والاعتراض الثاني (١١) أن يقال . قد سلمنا وجود النفس قبل هذه الحياة وإنها أفضل من البدن وأقوى منه وإنها تبقى بعد موته . غير أنه لا يترتب على ذلك بقاؤها على الدوام إذ قد يمكن أنها تبقى بعد موت بدنها ثم تفتي كما يموت الانسان وهو قد أخلق الثوب بعد القشوب ثم يموت عن آخر ثوب قد أخلفه فأجلب (سقراط) عن الاعتراض الأول بقوله (١٢) اإذا سلمنا أن العلم إنما هو تذكّر النفس ما كانت قد علمت في حياة سابقة فلا يسهو أن يقال ان النفس نتيجة اعتدال المزاج إذ لو كان كذلك لماسبق وجودها

وجود للزواج فكيف تذكر معلوماتها في حياة سابقة فلذا وجب الاعتراف بأن العلم لا يتصور إلا بوجود هذه المعلومات السابقة في النفس لزم منه أن لا تكون النفس نتيجة الزواج . وأيضاً لو كانت النفس نتيجة الزواج لكانت تابعة للزواج ولاتخالفه في شيء بل تكون مسخرة له وتجدد خلافاً لذلك في الواقع إذ قد نرى النفس تنهى البدن عن أشياء وتأمره بأشياء وتصرّف فيه بوجوده مختلفة وهذا يدل على أنها مغايرة للبدن مستقلة عنه وإن جوهرها أعلى وأفضل من طبيعة البدن إذ لو كانت تابعة للزواج لما كانت تخالفه في شيء ما ولما كانت النفس تختلف عن النفس إذ لا فرق بين الألمان والألمان إلا في القوة والضعف لا من حيث أنها ألمان . ونحن نشاهد أن بين النفوس تفاوتاً عظيماً . وأما (الاعتراض الثاني) فجوابه أن الأشياء المحسوسة القانية لا يتصور قيامها إلا بوضع معان غير محسوسة أزلية كاملة الوجود وأن هذه المعاني مادامت فهي لا تقبل شيئاً مما يناقضها . ومثل ذلك أن العدل لا يقبل شيئاً من الجور والمساواة لا يدخلها شيء من التفاوت والفرد مادام على جوهر الفردية لا يقبل شيئاً من الزوجية والعكس بالعكس . والقول في النفس مثل القول في المعاني سواء . سواء إذ قرّر أن النفس جوهر مسيطر قائم بنفسه عجائز للعاني فيكون حكمه مثل حكم المعاني من عدم قبول الضد والنقيض . ولا شك أن النفس أصل الحياة فهي إذن حية من ذاتها وهي إذن لا تقبل تقييدها أي الموت مادامت على جوهرها وهو الحياة . فكما أن الفرد لا يكون زوجاً والعدل لا يكون جوراً ما بقيا على حالهما كذلك النفس لا تقبل الموت ولا يدخلها الغناء فهي إذن أزلية . ثم إذا كان الموت نهاية كل شيء كان فيه فائدة عظيمة للشرير والظالم فانهما يستريحان بالموت من أنفسهما ومن البدن ومن شره ومن عواقب الشرّ دفعة واحدة . وهذا مما لا يرتضيه العقل ولا الانصاف فمتين أن نفتقد في النفس أنها إذا فارقت البدن فقد تحمل معها ما كانت عليه من الأوصاف إن خيراً وخيراً وإن شراً فشرّاً فمن ترك وهو في قيد الحياة ملاذ البدن ومتاع الدنيا واجتنب ما لا يعني أو يضّر ولم يطلب إلا ما يعين على العلم وزين ضميره بالعفة والعدل والمروءة والحرية والصدق فله أن يتربح وقت السفر من غير اضطراب كمن تهيأ للرحيل وكل ما نتقم من المحاورة للموسومة فاذن أو فينون كتبه القفطى في تاريخه وفيها زيادات ترجعها الفيلسوف (سننلانه) الطلياني أدخلها هنا . وقد اطلعت على كتاب بالانجليزية مطوّلاً بهذا العنوان ومادني من كلام القفطى والاستاذ (سننلانه) الطلياني مختصره

(كيف كان مبدأ فكري المؤلف في أمر الروح)

ولما انتهى بنا القول إلى هذا المقام قال شير محمد قد فهمت ما قلت من آراء (سقراط) وأن الروح عنده قديمة وعرفت براهينه الاقناعية ولكنني أريد قبل أن نخرج من قسم المفكرين إلى قسم المقلدين أن نخبرني كيف كان أول ما فكرت في هذا اللقاع فقد رأيتك في كتاب (التاج للرصع) تبدأ بالشك في نظام هذا العالم وتبين كيف كان تشكك وكيف كنت تطلب الحقيقة بنفسك فأرجو أن تبين لي السبيل التي سلكتها حتى تعرف حقيقة الروح وهل كان الشك مبدأ أمرك فيها . فقلت اعلم يا شير محمد إن مبدأ أمرى في مسألة الروح كان الشك المطبق بل الإنكار . ذلك أنني كنت يوماً واقفاً في حقننا بأرض كفر عروس الله حجازي بجانب نهره المسمى ترعة كفر عروس الله وكنت أزالول بعض العمل فاعتراتني دوائر لضف محني جلست مدة فلما أفتت مما أغشني على نظرت في أمر الروح وقلت بإيت شعري إذا كنت الآن لا أزال حيا لم أفارق الجسم وما هو إلا أن أغشي على حتى فقدت الشعور والاحساس فكيف تكون حالي إذا فارقت الجسم وفترقت الأوصال وتناثرت الأعضاء فهل يبقى لي عقل أو علم وكنت إذ ذاك في زهد العلة الأزهرية وكانت سني حوالى العشرين ثم بعد ذلك رجعت إلى الأزهر وأنا منك على طلب العلوم السانية والشرعية فذات ليلة رأيت وأما نائم في مقابر قريتنا (كفر عروس الله حجازي) وكأن قاتلاً يقول انظر فنظرت في الجوف فرأيت كأن هناك نوراً

أيض مغمورا في وسط الزرقة فقال هذه هي الروح وكانت ليلة الخميس فلما استيقظت فت مع رفاقي المجاورين
لرايضة خارج القاهرة قاصدين بيت أحد أقر بنا فلما جلست وجدت في الطاق كتابا فأخذته فإذا هو كتاب
(تهذيب الأخلاق) للشيخ أبي علي أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ . ولم يكن لي
عهد بهذا الكتاب ولا بغيره من الكتب الفلسفية فتصفحته فوجدته ابتدأه بالبرهان على وجود النفس وأتى
ببراهين أشبه بما تقدم ذكره عن (أفلاطون) و (سقراط) فيها أننا لما وجدنا فينا شيئا يصاد الجسم وأعراض
الجسم ويباينهما كل الباطنة حكمنا أنه ليس بجسم ولا جزءا من جسم ولا عرضا . ألا ترى أن الجسم المثلث
لا يقبل التزييع إلا بعد زوال الصورة الأولى وهي التثليث وهكذا سائر الأشكال والأعراض ليس يقبل الجسم
واحدا منها إلا إذا خلع الآخر والعقل نراه يقبل سائر الأشكال والألوان والمقادير فليس يتغير بل يقبلها كلها
دفعة واحدة وهذه العلوم تزيد العقل قوة بخلاف الجسم فلا يقبل إلا لونا أو شكلا ولا يجمع شكلين معا .
وهذا هو التباين العظيم بين المادة والعقل ومنها أن القوى الجسمية لا تعرف العلم إلا من الحواس فتنشوقها
بالمستوى المشابهة كاشهوات البدنية ومحبة الانتقام والجسم يزداد بها قوة فهو يفرح بها . فأما النفس فاتها كلها
اقتربت من المادة ضعف إدراكها . وكلما رجعت إلى ذاتها ازدادت قوة . ومنها أن النفس تفرغ على
العلوم والأمور الالهية ولا ينشوق شيئا إلى مالبس من طبعه ولا ينصرف عما يكمل ذاته ويقوم جوهره فالنفس
بانصرافها عن الحواس عند التفكير لتكمل معارفها مخالفة أفعال البدن فهي إذن جوهر مفارق للبدن .
ومنها أنها أخذت مبادئ العلوم غير التي أخذتها عن الحواس فاتها حكمت مثلا بأنه ليس بين طرفي النقيض
واسطة وهذا لا تحركه الحواس . ومنها أن الحواس تدرك المحسوسات وحدها . وأما النفس فاتها تدرك
أسباب الاقاقات وأسباب الاختلافات وهي معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء من الجسم وهي تحكم على الحس
أنه صادق أو كاذب . ألا ترى أن البصري يرى الكبير صغيرا والصغير كبيرا كالشمس والأصبع الفاتس في الماء
فإن الأول أكبر بالبرهان والأصبع ليس بحجمه الحقيقي ما يرى في الماء بل أكبر عما هو عليه في النظر وأسباب
ذلك مذكورة في علم المناظر . هذا ملخص ما ذكره ابن مسكويه ولم أشأ أن أخرج مع المجاورين لرايضة
بل بقيت أقرأ الكتاب بقية النهار . فهذا كان مبدأ نظري في النفس وبقائها . قال شير محمد لقد أوتعت
المقام وتبين لي ما قاله القدماء والمحدثون وعرفت كيف يتفكر العقلاء في بلادكم وإلى أيئ الكتب يرجعون
وعرفت النحو الذي ينحونه في معرفة الروح . ولقد رأيت ما قاله (سقراط) يشابه ما ذكرنا في المحاضرات
السابقة في كلام غالبى الملوكي الشير حين استحضرت روحه وقال أنها من المادة الأولى بسيطة لا تقبل العلم
وأخذ يفهم ما معنى الأبدية . فإذا صح ما قيل عن روح (غاليلى) سابقا وأنها هي الروح حقيقة رأينا تطابقا
بغريبا بين كلام الأرواح ومقال (سقراط) وابن مسكويه فإن اجتمعهم أنها بسيطة لا تقبل العلم
ألا أن العلم الحديث والقديم متفقان . فما أجل العلم وما أعجب الحكمة . ولقد فهمت هذا المقام حق
الهمم فلننتقل لبيان القسم الثاني من الناس بالنسبة للعلم وهم المقلدون كما وعدت في أول هذا المجلس . قلت
موعدنا الصبح . - أليس الصبح قريب - انتهى ما قلته من كتابي السمي (الأرواح)
(زيادة ايضاح عن علماء الأرواح في قوله تعالى - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا -)
لقد تقدم في سورة التوبة عند قوله تعالى - اتخذوا أحوارهم وربةانهم - الخ أتى قلت هناك ترجمة
حياة (عمانوئيل سودنبرج) وأنه سلم الأرواح وذكرنا هناك مستأنسين للآية بما حدثت به الأرواح مما يوافق
شريعتنا الفراه . ولقد جاء فيه ما يوافق هذه الآية تحت عنوان (أن الذائكة والفكر والعاطفة وكل حالة
كانت للإنسان في العالم تبقى معه بعد الموت وأنه لا يترك شيئا من ورائه إلا الجسد الأرضي)
قال ما ملخصه في صفحة (٢٧١) في النسخة المترجمة وما بعدها إن الإنسان لا يحسن - أنه مات بعد الموت

لأنه يرى له جسدا كالجسد الأرضي مع انه أصبح روحا فهو يسمع ويصرو وينوق ويدس ويحب ويكره .
 فأروح على صورة الجسم وله سائر خواصه وهو يقرأ ويكتب كما كان قبلا . والفرق بين الحالين أن جميع
 الحواس بعد الموت أقوى وأشد وأعظم ومثلها بنور الظهيرة بالنسبة لظل المساء ثم ذكر (أولا) أن هناك
 قوما أنكروا جرائم فكشفت لهم جميع أعمالهم وأعيد اظهارها من نفس ذا كرتهم بترتيب الأشهر والسنين
 من أول سنة الى آخر سنة وكان أكثرها زنا وعهارة وخديعة للناس بحيل رديئة وسرقات مرصعة فلما حصل
 ذلك اعترفوا (ثانيا) ومنهم من أصيبت الرشوة التي أخذوها بسبب القضاء وذلك ليس له واسطة ولا كتاب
 إلا ذا كرتهم ومن نفس هذه الناكزة أصبحت جميع الأشياء التي أخفوها من أول عهد الوظيفة الى النهاية
 وأضيف الى ذلك أدق ما في هذه الامور وقيم تلك الهدايا وما قصدوه في نفوسهم . ذلك كله أعيد بنفس
 الناكزة ثم ظهر لهم عيانا وقد بلغ عتة مثاث . قال ومن غريب الامور أن مفكراتهم التي كتبوا فيها أشياء
 هكذا فتحت بعض الأحيان وقرئت أمامهم صفحة فصحة وبعضهم قادوا العذارى الى العار واغتصبوا العفة
 فقد دعوا الى القضاء والنساء عرضت كأنها حاضرة وحضر نفس الزمن ونفس الكلمات والمقاصد كأنه خيال
 ظهر لجأه . وهذه المناظر التي تشبه السينما (الصورت المتحركة) التي تسمى الخيالة قد تدوم ساعات متوالية
 (ثالثا) قد كان رجل يرى أن القيمة ليست شيأ مذكورا فأصابت غمائه أمامه بترتيب ونفس الكلمات
 التي قالها ذما . وهكذا الأشخاص الذين وجهها اليهم والذين قبل القول أمامهم . جميع ذلك أخرج وظهر
 مع انه قد أنقذ بكل دقة عند ما كان حيا (رابعا) أن رجلا معروفا كان قد خرم أقربه من الارث بواسطة
 دعوى مزورة فظهر ذنبه وحكم عليه . والجب أن الكتب والأوراق التي جرت مبادلتها بينهما نليت على
 مسمع مني ولم تفقد كفة واحدة وهذا الرجل قبل موته كاد يقتل قريبه باسم فظهر بكيفية واضحة وصورتها
 أنه حفر قبرة تحت قدميه ومنها خرج رجل كأنه خارج من قبر وناداه ماذا فعلت في فكشف كل شئ وذلك
 أن القاتل تكلم معه بهيئة صداقة ومحبة وقدم له الكأس وحضر الفكر الذي فكره قبل ذلك ثم ماذا جرى
 بعد ذلك . ولما ظهرت هذه الأشياء حكم عليه بالسقوط في جهنم . ثم قال وبالجملة فإن جميع شروهم
 وجرائمهم وسرقاتهم ونحوها تهمهم وخذلهم فعان لأرواحهم الشريرة وخرج بنفس ذا كرتهم ويحكم عليهم ولا سبيل
 الى الانكار . ثم قال متى كشفت أعمال الانسان له جاءت ملائكة مفتشون فنظروا وجهه وفتشوا جميع
 جسمه مبتدئين من أصابع اليدين الى آخر الجسم . قال وقد عجبت من أن الأشياء التي فعلها الانسان لم
 تكن مرسومة في السماغ وحده . كلا . بل هي مرسومة على جميع الجسد . ومعنى هذا أن أوائلها في أول
 الجسم وباقيها مرسوم على الجسم كله مرتبطا منطزا . فكل ما فكر فيه الانسان أو عمله مرسوم على الانسان
 كله ويظهر كأنه كتاب يقرأ وذلك عند ظهوره من الناكزة . قال وقد رأيت كتابا وفيه كتابات كما ترى
 في الدنيا وأخبرت انها كانت من ذاكرة أولئك الذين كتبوا وانه لم يبق كفة ناقصة مما كتبه ذلك المرء في الحياة
 الدنيا . ومن ذاكرة المرء تؤخذ كل صغيرة وكبيرة . وذلك كله من ذاكرته الروحية الداخلية لا ذاكرته
 الخارجية الطبيعية والرسوم في الناكزة الروحية الداخلية لا يعي ولا يزول وهي يرسم فيها كل فعل وفكر
 وقول وكل مارآه المرء أو سمعه أو أحس به . هذا ماقلته من ذلك الكتاب ملخصا من صفحة ٢٧١ الى
 صفحة (٢٧٦)

أليس هذا هو نفس قوله تعالى - إقرأ كتابك كنى بنفسك اليوم عليك حبيباً - وقوله - فكشفنا
 عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - وقوله - ذوقوا ما كنتم تكسبون - وقوله - يوم تشهد عليهم ألسنتهم
 وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - وقوله - وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين - وقوله - وما يجزون
 إلا ما كنتم تعملون - وقوله - وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ - الخ

وقوله - ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها • وجودوا ما عملوا حاضرا ولا ينظم ربك أحدا - وقوله - وكل شيء أحصيناه كتابا - وقوله - وأحصى كل شيء عددا - وقوله - وكل شيء أحصيناه في إمام مبين - وقوله - وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون -

فهذه الآيات كلها موضحة أشد وضوح في هذه المحادثات التي ظهرت في علم الأرواح الحديث • نعم ان علم الأرواح حدث في القرن التاسع عشر وهذا المؤلف ظهر قبل ذلك ولكنه موافق لعلم الأرواح وهذا كل ما فيه انه موافق للقرآن فان صح كان مجيزة صريحة لأنه جاء بما نطق به القرآن • والحق أن هذا زمان ظهور الحقائق ومصادق قوله تعالى - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وقل الحمد لله سبريكم آياته فنعرفونها - وقوله - سبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - الخ • والحمد لله رب العالمين انتهى ﴿ جوهره في قوله تعالى أيضا - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - مع قوله تعالى فيا يأتى في هذه السورة - قل الروح من أمر ربي - الخ وقوله تعالى فيها أيضا - إن الشيطان يزغ بينهم - الخ وقوله تعالى في سورة مريم - ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين - وقوله تعالى في هذه السورة - ان يشأ برحمتك أو ان يشأ يصد بكم - الخ ﴾

اعلم أيها الذكر أن النفس الانسانية لا سمعها أن تصدق بعوالم تحيط بنا من كل جانب وتلمهنا خبيرا أو تحدث في قلوبنا شرا • ولقد قمت في مواضع من هذا التفسير لنصوصا عن كبار العلماء شرقا وغربا والذي ذكرته من ذلك كاف موجب للطمانينة • ولكني الآن أريد أن أضيق إلى ما تقم ماعترت عليه بعد ذلك فأولا أذكر لك كلام الامام الغزالي في الاحياء ثم أتبعه بكلام بعض علماء الأرواح لتجيب من هذه الدنيا ومن علومها وأن الانسان قديمه وحديثه يبحث عن الحقائق • فهذا أناذا قد ذكرت فيما مضى في غير ما موضع وأقربها ما في آخر سورة النحل أن علمنا الذي نعيش فيه قد جعل الله فيه الخير والشر مقرونين في قرن • ففرى السباع في مقابلة الأنعام والحيات والعقارب فيها سمها يقابل تراقي أجسامها كما تراه هناك مبرهنا عليه بتجارب الأطباء وهكذا الحيوانات النورية التي لا ترى إلا بالبنظار للعظم ظهر كما تقم هناك أن جرمها تراقي لسمها كالحيات، سواء بسواء • هذا كله تقم ثم تخطي الناس ذلك إلى عالم الأرواح لأنه ما الذي بعد هذه الحيوانات التي لا ترى بالعين إلا العوالم التي لا ترى أصلا • فالنظر إلى كلام الامام الغزالي رحمه الله فهو يقول في المجلد الثالث من الاحياء تحت عنوان ﴿ بيان تسلط الشيطان على القلب بالسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ﴾ لقد أفاض في هذا المقام في بيان أسباب قبول العبد الوسوسة تارة والالهام أخرى إلى أن أوضح أن هذه الخواطر المنقسمة إلى ﴿ قسمين ﴾ خواطر الخير وخواطر الشر حادثة والحادث لا يبدله من محدث ومحدث الخير غير محدث الشر فنادى إلى الخير نسميه ملكا والداى إلى الشر نسميه شيطانا والطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الأول يسمى (توفيقا) والذي يتهيأ به لقبول الثاني يسمى (إغواء) والملك عبارة عن خلق خالق الله شأنه افاضة الخير وسخره لذلك والشيطان خلق ضد ذلك وإليه الاشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - وروى عنه عليه السلام أنه قال ﴿ في القلب لثان لمة من لللك إبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى وليحمد الله ولته من الصدق إبعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستمد بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء - الآية ﴾ ثم انظر إلى ما يقوله علماء الأرواح في العصر الحديث • جاء في كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ الذي نقلت عنه في سورة التوبة قال في عدد ٥٧٨ ماملنصه •

إن شر أهل جهنم جميعا أولئك الذين كانوا في حياتهم يحبون الشر ولا يحبون إلا ذاتهم وحدها ولا يسلكون

الإسالك الخلد وطرق الفش - وهذا الخلد القى تشبعت به أفكارهم يفيض منهم على غيرهم فيوسسون اليهم ويكون ذلك عدوى . أقول كالمعدوى الحاصلة بالحيوانات القترية . قال وهؤلاء يسمون جنا وهؤلاء يكون نصيبهم وسعادتهم وسرورهم بأن يدسوا السم في الدسم ويخدسوا غيرهم بالوسوسة فيفتنون السم في نفوس غيرهم كما تنفث الأفاعى سمومها في الأجسام فاطيات بتفريق سمها تفرح وهؤلاء بتفريق وسوستهم وغشهم يفرحون ويمرحون . قال والذين ليس عندهم هذا المكر وهذا الخلد المستمد من حب الذات يكونون في عذاب أقل . ثم قال انهم يسمون العواطف كما تسم الكلاب الهائم البرية في حرش . ثم ان العواطف الصالحة متى أدركوها تتحول حالا الى عواطف شريرة وتقودهم بكيفية عجيبة وعذري في ويغفلون بحيل أن يدخلوا المقاصد الرديئة بأوهام تؤثر في الانسان وهولا يشعر فهولاء يفعلون بعد الموت نفس ما كانوا يفعلون في الحياة الدنيا ويرون في هذا نصيبهم وسعادتهم وعزهم . قال والله يعد هؤلاء عن هوصلح قال وهذه الأرواح الشريرة تهيج في الانسان الشرور والذائل الموروثة التي تبقى غبأة فهولاء يستخرجونها ويظهرونها فتكون ضرا ويلا على الانسان

وقال في عدد (٥٩٤) مالمخسه ان سكان الجنة طوائف طوائف وهكذا سكان جهنم وكل عقاب لطائفة من طوائف أهل النار يقابله نعم لطائفة توازيها في جهنم . ويقول إن هذين القسمين لابد منهما في الوجود كله . ففي عالم الطبيعة نرى الحر والبرد والظلمة والنور والرطوبة واليوسة . ويقول ان الانسان لاشرية له لا بأن يكون لهوسوسة وإلهام فيكون عنده الداعيان داعي الخير وداعى الشر . وهذان الداعيان يجاذبان فهو بينهما يختار ما يوافقه ويجاهد في دفع الآخر حتى يختص بأحد الأمرين . انتهى

أفلا تجب أن ترى العقول البشرية في الشرق والغرب التقت في نقطة واحدة فزى الامام الغزالي يأتي بالحديث ويذكر الوسوسة والالهام ويقول هما مسخران من الله ونرى هذا العالم الافرنجي الروحي يقول مثل مايقول بعبارة أخرى ويرجع الى أن كل شئ زوجان . انظر كيف اتفق القولان مع ما بينهما من بعد الثقة والدين والزمان وهذا من العجب العجيب

اللهم ان العلم هو السعادة في هذه الحياة . انظر كيف يقول في كتاب (السماء وجهنم) أن هذه الأرواح الشريرة تحسن بلدة . فياعجبا . إذن هي مسئلة بالوسوسة كما يستدل الناس في الدنيا بالتقلب على أعدائهم وبذل من يحسنونهم وهلاكهم

(موازنة بين ما جاء في كتاب (السماء وجهنم) المذكور وبين ما جاء في كتاب الابريز الذي ألفه

الحافظ أحمد بن المبارك عن أستاذه عبد العزيز البياغ الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري أي قبل أيامنا هذه بنحو قرنين اثنين والكتابان في زمان واحد وهذا شرق وهذا غرب وكلاهما

يرجعان لعلم الأرواح)

ان الاستاذ الحافظ أحمد بن المبارك المذكور قد ظهر من كلامه الذي قرأته أنه كان بحرا في العلوم الاسلامية والحكيمة والصوفية وهودكى قدير ولكنه لما قابل الشيخ عبد العزيز البياغ وآه رجلا أميا . وهذا الأمي أدهشه فانه لا يحفظ القرآن ولا الحديث ولا يعرف من هذا شيا ولكنه آه يعلم فوق ما يعلمه جميع الفلاسفة وعلماء الدين في أمة الاسلام . وسأذكر في مواضع أخرى من هذا الكتاب بعض المحاورات التي جرت بينهما بمناسبة آيات من القرآن وأذكر هنا ما يناسب ما نحن فيه . ذلك انه قال في صفحة ١٦٥ ما يأتي

(ان الرجل الذي إذا أمكته المعصية أقبل عليها واستعلاها غاية الاستعلاء وتشوق اليها بالكلية يستعجلها يوم القيامة فيقطع الى العذاب بمسح شرارته ويشوق اليه بالكلية ويقع فيه المرة بعد المرة ويستعجله استعلاء الجروب للعك وعلى قدر ماحك يكون وبالله) . انتهى

يكون هذا العالم الذي نعيش فيه من أرض وسلاوات ومعادن ونبات وحيوان أشبه بالمعديوم وإنما الموجود كله هو الأثير المالى لهذه العوالم كلها وهذا الأثير هو الذى توجد فيه الأرض والكواكب وفيه تكون الأرواح ولها حياة قبل اليوم الآخر روحية تقدم وصفها . اذا علمت هذا فانك ستفهم ما يعرض لك من المراسلات بين الأرواح وبين الناس

إن علم الأرواح انتشر وملاً الأقطار كلها والمسلم لا يمكن أن يعيش في خلوة فهو يقرأ هذه العلوم التي ملأت أوروبا والشرق ويقرأ رسائل كثيرة ترد من الأرواح بالطرق التي ذكرتها في كتاب (الأرواح) فيحصل للمسلم من هذه المراسلات شكوك وأوهام فيقول في نفسه (اذا كانت هذه الأرواح فرحة مسرورة فأين عذاب الكافر منها أو الفاسق) فإذا علم المسلم ما كتبناه هنا أدرك أن شقاء الفاسق والكافر منها أشبه بحك الأجر بجره وأن العذاب يصحب اللغات كما أن الحية والعقرب فرحتان بحياتهما بل لا تعرفان حياة سواهما فافهم ذلك . وهناك أمثلة على ذلك من كتب (بهجة الأبراج في مناجاة الأرواح) للؤلف حديثنا المطبوع سنة ١٩٢٨ م جاء فيه ما يأتي

(علمنا هذا الروى الذى نكسك الآن عمل شغل وحركة لاعمل كسل وبطالة غير أن قليلا من الموسيقى والترنيل يكون مستطابا ومقبولا لكن بشرط أن لا يدوم التنازل) له .

وأوضح من هذا ملاباء في رسالة من روح والد يسمى يوسف وردت في نيسان (ابريل) سنة ١٩١٩ في (واشنطن) بأمريكا جاء فيها نصائح لابنه ومنها ما يأتي

(سيحصد الانسان مزرعه وسينال مكافأة أعماله في هذه الحياة الأرضية . وأما الغفران فليس مجرد التخلص من القصاص بواسطة أمر الله بل هو مغفرة أوجع الأعمال للغايرة التي ليست مرضية وتؤثر ببطء تدريجيا في نفس الانسان وهكذا عند ما يصير روحا من الأرواح السهلوية يجب أن يجد ويتشكل على نفسه فالروح يجب أن توفى كل ما عليها من الدين قبل أن تنال النفس المغفرة وتوافق النفس ارادة الله ونواميسه) ثم قال (وهنا أقول لك دعنى أقل لك انه لا يوجد إيمان أوسر أو معتقد كنيسته من الكنائس يقدر أن يمسح هذا الغفران إنما هو عمل من أعمال النفس وينبئ للانسان أن يسى له ويجتهد ويجهتد . كتبت كل هذا حتى أريك يا بنى أن النظم قاس لا يلين . وقد تكلم قليلون وهم الذين يفهمون نظم الأعمال وتأثيرها في الانسان فيملونها ويسوون استعمالها خصوصا خدمة الكنائس وعائلها المنتحلين دائما السلطة الروحية . وقد عرفت مما تقدم أنه يجب على الانسان أن يتعد عن هذه الأشياء التي تدنس نفسه وتقصد أخلاقه ولكن لا للأسف أكثر الناس بدل أن يتعاشوا هذه الأشياء يزدنون الطين بلة فيأتون الى العالم الروى متلين أعصم بأحال قهيلة . وهكذا تنبئ أعمالهم وأفكارهم غارقة في لبح الأهواء التي لارضى فهو لا يجب أن يقضوا في عالم الأرواح أدوارا عديدة لكي تظهر نفوسهم من هذه الأشياء . فالإيمان والرجاء الكاذب لا يفيدانهم شيئا لطهير نفوسهم بل يكونان حجر عثرة) انتهى المقصود منه

أفلا ترى أن هذا القول وما قبله صريحان في أن كثيرا من هذه الأرواح معذبة وإن كانت تخاطب أحبائها في عالمنا . هاهى ذه للرسالة الأولى يقول فيها ان الحياة كلها عمل والله يقول - وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة - الخ فهذا نوع من النصب وانظر كيف يقول ان الإيمان والرجاء الكاذب عقبة في سبيل المغفرة إذن ليفهم المسلمون أن هذه الأرواح التي ترأسل أفكارها في أمريكا وفي أوروبا تكون في عذاب . ومن العذاب الشغل القاسى وانظر كيف يقول ان النظم قاس لا يلين . ثم انظر كيف يش من العقيدة الدينية الزائفة عن محبة الصواب بسبب القيسيين والقائمين بأمر الدين . ولعلم المسلمون قاطبة أن هذه العاقبة هي عاقبة الكسالى المسلمين الذين تركوا مواهبهم وعقولهم في الدنيا واتكوا على شيوخهم ونظراتهم أولئك

هم للفرورون . انتهى والحمد لله رب العالمين

وجاء في الكتاب المذكور (بهجة الأفراح) أيضا صفحة ٩٣ و ٩٤ ما يأتي

سئلت روح (يؤب أنجرسول الجاهد) ماهو الشيء الذي أدهشك بالأكثر حينما انتقلت الى عالم الأرواح (فأجاب) معرفتي الحق وانى فوئض أزلية خالدة لم أمت ولن أموت . ثم سئل ما الدين الحق (أجاب) هو أن تبلغ نفوسنا أسس درجة في القرب من خالقها وتكسب من محبة العاقبة ومن الوهية العظيمة التي لا تنتهي . وقد سئلت أيضا الأسئلة الآتية

(س) هل تقدر أن تعرفنا ماهو الاله

(ج) إن الله هو الخالق والمبدع والكل في الكل والذي بدونه لم يكن شيء مما كان وسيكون وهو علة كل المثل ومصور كل الحوادث الطبيعية . هو البداية والنهاية والأول والآخر الذي لم يكن قبله ولا بعده شيء من الكائنات

(س) هل الاله موجود منذ الأزل

(ج) نعم . نعم . نعم هو أزلي وكل مادة الكون صادرة منه

وجاء في الكتاب المذكور أيضا أن طيبيا يسمى (الدكتور هانسان) جرى شوطا عظيما وجد في بحث علم الأرواح وكتب عشرات من الأرواح أسماها على الأوراق تارة وعلى الأحجار أخرى بدون أن تمسها يد انسان بمحضوره مع جم غفير من العلماء والفلاسفة . وهذه الامضات شهد الحاضرون أنها هي نفسها امضات أولئك العلماء في حال حياتهم بالحق . ومن جملة الذين كانوا يظهرون بأشخاصهم بسبب وجود الوسيطة روح رجل يسمى (جورج خريسي) فلم يسع الدكتور (هانسان) في مقابلة مساعدة روح (خريسي) المذكور إلا أن يشكره شكرا جزيلا على مساعدته في اظهار الحقائق ثم قال الدكتور (هانسان) لروح (خريسي) المذكور اني مستعد لمساعدتك . فأجاب الروح بما يأتي

أيها الدكتور . أظهرت كل لطف ورقة بقولك لي انك مستعد لأن تجري نحوي كل مساعدة فأقتر لك هذا القول اللطيف حتى قدره ولكنك لا تقدر أن تصنع لي شيئا . إن الفلعة التي ارتكبتها المسيحية هي ترك ملابسنا الكتانية الملوثة دعارة وبجاسة ليسوع المسيح لكي يسلها وينظفها ويصفرها بينما نحن نقضى معظم حياتنا الأرضية في ارتكاب المعاصي والآثام . الحياة الشريرة التي تضعف رجاء الآخرين وقطع آمالهم من الخلاص والمحبة الالهية . هؤلاء الخطاة والآثمة انهمكوا بالخلاعة فتعلمهم البياضة المسيحية انهم اذا تابوا في آخر ساعة وآمنوا بالمسيح وندموا فدامة تامة تغفر لهم كل خطاياهم ويصلون بدم المسيح فيصبحون أبرارا أظهرا يستحقون أن يدخلوا السماء . فهذا الاعتقاد فاسد لا نبشر به هنا ولا نعلمه لأن النفس لا يلزمها كفارة بل يجب عليها أن تطلع لشرائها كما تسير السفينة الى ميناء الأمان حالما تنطلق من الجسم المادى للسجونة فيه قاصدة أن تلك نور الطهارة حيث تستعد لترفل في حلل الراحة والسلام والسعادة الأبدية مع الله عز وجل الذي هو أصل المحبة والجلل وعلى كل انسان أن يفرح باب السماء بنفسه وبحسب استحقاقه ويرى صك المرور فلا يستطيع أن يختلس الدخول الى السماء خلسة بل يجب عليه أن يشتغل بجد واجتهاد وكل منا يسكن المنطقة التي تليق به وعلى مقضى قديمه ودرجة اختياره وارتقائه وما يحصله من المعارف والعلوم وأسباب الرقي . وهكذا يظل يجاهد بنفسه ليرتقي من كون الى كون ومن كرة الى كرة ومن مسكن الى مسكن . وتختلف هذه المساكن الكثيرة بالجد والثناء والكرامة والراحة والنور ولا تقدر أن نصفها بلسان ليفهمه العالم الأرضي . وفي هذه الأحوال قد بذلت مقدرتي لأوضح ما نحن فيه من السعادة والعدل انتهى . ويلي ذلك الامضاء

(جورج خريسي)

ويقول الدكتور (هانسان) انه حصل على كل ما ذكر هنا في (١٥) دقيقة

(تذكرة)

سبرد على خاطرك أيها القدي أن هذا مسيحي وكيف ينطق بهذا القول . أقول لك انه قد أظهر في قوله ان المسيحية مفسوشة ضارة بالنوع الانساني . أليس هذا هو النسخ الذي ورد في ديننا فترجع وتقول لي كيف يصف الأنوار في الحياة الأخرى وانهم في ارتقاء . أقول لك هل نسبت ما تقدم عن الشيخ عبدالعزيز الدباغ وعن الاستاذ (عمانويل) العالم الروحاني . فهذا افرنجي وهذا مسلم كما قدمت وكلاهما يقول ان العذاب في البرزخ أي بعد الموت يكون أشبه بحك الأجر جربه فهو يحك ليستلذ فيزيده الحك مرضا كما نرى في الدنيا أن الانسان يسطي المال فيقطع في الزيادة فكما ازداد مالا ازداد غما . وهكذا الصيت والذكر وهكذا الملك . فهاهنا (نابليون) توغل في الملك وكان آخر أمره أنه حبس في جزيرة (سنت هيلانه) فهل نحن نعرف تلك الأنوار التي ذكرها فلعلها كالأنوار التي يراها القرائ فيطير اليها فيحترق . وقولي لك حك الأجر هي عبارة الشيخ عبد العزيز الدباغ . وقد تقدم أيضا عنه أن الصلاة يشتاقون الى العذاب فاشتيق هؤلاء الى درجاتهم ربما كان اشتياقا الى العذاب . وأما (عمانويل) فعبارةه للتقدمه تقرب من هذه . فانظر كيف يقولون انهم يعملون ويحبتون . أليس هذا العمل عذابا مع ان للعلوم عندنا في ديننا أن أهل الجنة في نعيم الخ . فقال وماذا تقول في قولهم ان الرقي بالعلوم والمعارف . أقول لك قد رأيت في كلام (عمانويل) المتقدم وفي كتاب الشيخ (عبد العزيز الدباغ) أن الأرواح الشريرة تكون علومها هي علوم السحر والطلسمات فهذه العلوم تكون عذابا لها ويكلمها الله الى نفسها ويكون ذلك كله عذابا لها فلعلك تقول بعد هذا كله أنا غير مقتنع فأقول أحبك على ما تقدم من أن هذه هي حال البرزخ وليست هذه هي الجنة ولا ضدها والرجل لم يقل ذلك إلا لأنهم ماوثون بالمعاصي وهم الآن يحبتون في العمل ليخلصوا منها فتقول لي وكيف يخلصون منها وهم كفار . أقول لك أذكرك بما نقلته في هذا الكتاب في موضع آخر عن الامام الغزالي ان عذاب الناس بعد الموت لا يكون على الكفر . كلا . وانما يكون العذاب أولا بترك المشيئات ثم بعد أمد يصب على الذنوب وهكذا . فأما العذاب على الكفر فأما يكون يوم القيامة فراجع لما فيها سبق في هذا الكتاب وأما في شرح العلامة المتاوي على قصيدة ابن سينا في النفس التي أولها

حببت اليك من محل الأرفع • ورقاء ذات تبرز وتتمتع

ولعلك تقول كلامك لا يبرى من غلة ولا ينفي من غلة فأنا الى الآن لم أفهم . فأقول لك اقرأ كتاب (فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) للغزالي فتقول أنت قرأته فلم أعرف ما قصد . أقول ان الخواثيم مجبولة فرما يكون بعض من تتوهم انهم في راحة من الأرواح قد أسلموا ونحن لانعلم أوتكون بعض تلك الأرواح لاعلم لها بالاسلام مطلقا ولم تسمع به أو سمعت به مشوها على غير حقيقته فتقول لي أنا الى الآن لم يسترح ضميري . أقول إذن يكون الكلام بعد هذا كله من باب الوسوسة ونحن نريد رقي الأمم الاسلامية بالعلم والحكمة . وإياك أن تظن أن اعتناك الاسلام وحده بلا علم ولا عمل يكفيك فلا بد من الجهاد في الحياة الدنيا . وإياك أن تصنع وقتك فيما لا يجدي نفعا . ودع الوسوس وقرأ قوله تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقوله - أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون -

فلما أتممت هذا المقال حضر العلامة الذي اعتاد أن يسألني في هذا التفسير . فقال قد ذكرت هنا وفي مواضع أخرى من هذا التفسير أن أرواح الأموات يهتدون بأقاربهم ويعلمون أحوالهم كما ذكرت هنا فهذا

بدل على اتصال بين الحى والميت وإن لم يعلم الحى . وهذه النصوص أتت قتلها عن أهل أمريكا وأوروبا لايتق الناس بها وأنا أولهم إلا إذا جاء فى ديننا ما يماثلها . فقلت فاسمع ملجاء عن علمائنا الأجلاء جاء فى كتاب « مشارق الأنوار » قلا عن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه مانصه « كان سعيد بن جبير رضى الله عنه يقول إن الأموات لتأثيم أخبار الأحياء فما من أحد له جيم أى قريب إلا ويأتيه خبر أقارب به فان كان خيرا سرت به وإن كان شرا عسى له وحزن » وقال أيضا وكان أبو البرداء يقول « اللهم إني أعوذ بك أن أهمل عملا تخزي به أمواتي » قال وكان وهب بن منبه يقول « إن الله تعالى بنى دارا فى السماء السابعة يقال لها البيضاء يجتمع فيها أرواح المؤمنين فاذا مات الميت من أهل الدنيا تلتقه الأرواح فبساؤونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله اذا قدم من سفر » • وروى أن الأموات يسألون القادم عليهم عن أهل البيت كاهم مافصل فلان . هل تزوج فلان . أو تزوجت فلانة ونحو ذلك »

ثم قال فى صفحة (٣٩) من كتاب المشارق المذكوران بعض العارفين قال انه يؤخذ للروح صورة من بدنها تتميز بهامن غيرها ولذلك تصنف بالاتصال والانفصال والصعود والنزول وغير ذلك من الاعراض والشخص كل نوع قيل الى بعضها وتفرعن عن مخالفيها
وقل فى صفحة (٣٨) عن الامام التوى مانصه « وأصبح ما قبل فى ذلك قول إمام الحرمين ان الروح جسم لطيف مثنكب بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر »
والى هذا الخلاف قال اللقاني

ولاخفى فى الروح إذ ماوردا • نص عن الشارع لكن وجدنا لماك هى صورة كالجسد • لحسبك النص بهذا السند

ثم قلت له . إذن ظهر لك أن علماءنا كانوا يتناقلون فيما بينهم هذه الآراء فهم يقولون ان الأرواح تنهم بأقاربها الأحياء . ويقولون ان صورة الروح كصورة الجسم الجسدى ولكنها لطيفة . وهذان الأمران هما اللذان ظهرا فى علم الأرواح . فهذه الصورة يقول علماء الأرواح انهم رأوها كصورة الجسم فى الحياة وأن الأموات يهيمون بالأحياء . وحقهم عن اللورد (أوليفر لودج) الانجليزى مثل ذلك فى مواضع كثيرة من هذا التفسير . إذن صار علم الأرواح الحديث موافقا لما كان يقوله علمائنا . فقال وهل هذه الأحاديث المتقدمة صحيحة . فقلت هيا . نحن الآن لسنا فى مقام محبة الأحاديث وضعفها بل نحن فى مقام أن هذه كانت آراء يقولها المسلمون فلتكن هذه أقوال الصحابة أوغيرهم من الصالحين إنما المراد أن نوع هذه الآراء لاينكرها الاسلام . فقال قد اكتفيت . فقلت الحمد لله الذى بنعمته تمّ الصالحات . انتهى
(اللطيفة الثامنة - ولا تزوارى وزر أخرى - الى قوله - خيرا بصيرا -)

بعد أن بين قبل هذا كيف تنضح الذنوب وتظهر العيوب عقد سبحانه هذا الباب ليبين لنا مالنا وماعلينا وعصمه أن الذنوب على (قسمين) قسم يختص بالمرء . وقسم يمس كثيرا من الناس . ولأوضحه بمثال فأقول . قتل رجل رجلا . فهذا القاتل قد أذنب ولا يصاب سواه على جريمة لاقى القانون ولافى الشرع وهكذا جميع الذنوب . ورجل آخر أعلن فسقه وزينه للناس وأخذ يذيع شره الفسى ونظمه الضار فاتبعه أناس فذلك ذنبه على نفسه أيضا . ولكن هناك أمر آخر وراء ذلك وهو أن الأم تتأثر بمؤثرات ترسخ فيها فتنتقل العدوى من زيد الى عمرو . ألم ترى الأمراض المعدية والطاعون وبعض أنواع الحيات المعديات . ومن المشهور أن زيدا يتناب فيتأثر خالد والعادات تؤثر تأثير الطاعون والأمراض للمعدة . إن الناس يعيشون بالقوة لا بالتعليم فالتعلم فى الكتب والأخلاق والعادات جاريات بين الناس معلقة بأذهانهم لاصقة

بهم محكمة فيهم لا يجدون عنها حولا فيكون الأئمة ذنوب عاتمة وهيوب جلجلة تشملهم جميعا . ومما مثل
 الأئمة إلا كمثل رجل ابتلى بمرض الزهري فوله أولادا مرضوا بهذا الداء فتصبح أجسامهم وأخلاقهم وآدابهم
 معتلة فهنا عذب صاحب الذنب في الدنيا والآخرة ولحقه في هذه الملة أبناؤه ومن اقتبس للرض منه باللامسة
 ولكن هذا العذاب ليس على الجنابة بل هو نقص طبيعي يحرمهم من بعض منافع الدنيا وتسوء أخلاقهم
 وتنحط فتكون سعادتهم في الآخرة أقل . ولذلك يقولون (إن البلاد يم) فالذنوب إذن (قسبان)
 خاصة ووبالها على صاحبها وذنوب عاتمة يمدب بها الشعب كافة والعذاب في الدنيا بانحطاط الأخلاق والأعمال
 وفي الآخرة بعدم ارتقاتهم لنقص أعمالهم . إن الشعب أشبه بشجرة لها أغصان ولأغصان فروع وللفروع
 أوراق فإذا ساء سقيها أساءت عناصرها المغذية لها شملها الضعف وإن أودى غسن أوراقه أفرغ اختص
 به ما نتج من ذلك . إن بين النفوس رابطة متينة فالأسرة مرتبطة والأئمة مرتبطة ومستحيل أن تكمل
 الأفراد إلا بمجر جيل يجمعهم ورأى شريف يجمعهم ثم هم يتفاوتون على مقتضى اجتهادهم

اللهم إنا جئنا إلى هذه الأرض فردى ولكنك جمعتنا وطلبت من الجميع أن يهدأ أخلاقا وعادات ولذلك
 لما رأى الأنبياء ذلك اهتموا بأمر الشعوب فملوهم . فأما إذا اقتصر النبي على تعليم نفسه لم يكن لهذا من
 أثر فعال . ومن اقتصر على تعليم أولاده ورفاقهم في أي شعب كان فليعلم أن الوسط له أثر السيئ فإن الخادم
 والطابع والجار والشريك كل هؤلاء سياخون مجراهم على حسب عاداتهم ويكون أبناؤه غرباء بينهم فلا بد
 من روابط عاتمة في المجموع . فالذنوب على ذلك (قسبان) أحدها (الشخص خاصة) (والثاني) (المجموع)
 وهذا معنى هذه الآية . فقله - ولا تزر وزر أخرى - إشارة إلى الأول وقوله - وإذا أردنا أن نهلك
 قرية أمرنا مترفينا - الخ إشارة إلى الثاني . إن الأئمة كلها كشجرة سيء سقيها وعناصرها الأرضية فذبل
 كلها . هذا هو قوله تعالى - أمرنا مترفينا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - لأننا وجدناهم
 لا يملكون للحياة فإن الأفراد الذين فسقوا فيهم لم يجدوا من يردعهم فالتقوم إذن في عذاب الذين ليسوا بأعيان
 فليموتوا أو فليذلوا . إن الأئمة التي انقضت في الترف والتعم يتقاطع رجالها وتفسد أخلاقهم وهو الذي
 حصل في أئمتنا الإسلامية . انظر إلى الدول الإسلامية كيف اضمحلَّت بالشهوات وحب الذات وجهل المنافع
 العاتقة فغرقوا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض في بلاد الشرق وفي بلاد الأندلس . فلقد استكثر الأمويون
 في الأندلس من البربر وهم شيعتهم وهم الذين قاموا بنصر عبد الرحمن الداخل أول مرة على مناويته من شيعة
 العباسيين الذين كان لهم الحكم قبله بل هم نصره أيضا على جيوش (شربان) التي أرسلها لخر به زلفا
 لصديقه الخليفة العباسي في الظاهر وخوفا من اتساع ملكه إلى أرض فرنسا في الواقع . ولقد كان العباسيون
 يستعينون بالفرس فكسروا شوكة الأمويين وأكثروا من الممالك . وهكذا الأمويون بالأندلس
 فانهم لما ثبت قدمهم في الملك أخذوا يقلدون العباسيين في استكثارهم من للماليك الصقالبة وغيرهم خصوصا
 في أيام الحكم بن هشام وعبد الرحمن الناصر حتى أصبحت لهم الكلمة النافذة في البلاد وصار حكمها من بعده
 في أيديهم وأصبح حاكم هنا حاكم في الشرق شيئا بشيئا وقدمنا بقدم وكانت أنفس كثير منهم تتحدث في قراراتها
 بتخطي الرقاب وطرق كل باب إلى الوصول إلى منعة الحكم ولا يقدحهم عنها إلا ما كان يحيطها من ربح مشروع
 وسيف مسلول وعظمة قائمة وسلطان قدمه في الأرض ورأسه في السماء . وعلى كل حال فانهم كان لهم التصرف
 المطلق في داخلية الدولة . وخالف الأمويون في الأندلس آباءهم في دمشق في عفاظتهم على عصبيتهم العربية
 وضفت بذلك شوكة العرب وقوموا على حكومتهم وما زالوا يترقبون الفرصة للخروج عليها حتى ألبم ابن أبي
 عامر وزير الحكم بن الناصر وكان من العرب المنتصرين إلى عصبيتهم فأخذ بهاته في التفرقة بين العناصر
 المنغلبة من صقالبة وآراك وبربر ثم بالاقطاع بهم شيئا قسباً . وكان في أثناء ذلك يستقدم رجالات من بربر

المغرب من (زنانة ومصموده) وغيرهم وكان يوليه مناصب السولة حتى اذا شعروا بضعف الخلفاء ومن والايم
أخذوا يخرجون على دولتهم ويستقلون بأطرافها . وأول من بدأ منهم باستقلالهم بنوجود في قرطبة ثم
بنوعباد في أشبيلية ثم بنوزري في غرناطه ثم بنوجهور في قرطبة ثم بنودى التون في طليطلة ثم بنوعاص
في بلنسية ثم بنوهود في سرقوسة حتى غلبهم على أمرهم الفرنجة من الشمال والمرابطون من الجنوب
وكثيرا ما كانت ملوك الطوائف يحاربون بعضهم بعضا طمعا في استيلاء هذا على ما كان في يد الآخر
حتى انتهى أمرهم الى الضعف وصاروا يدفعون الجزية الى (الاذيفونش) غير ما كانوا يلاقونه من الهوان
من الفرنجة ومازالوا حتى ضاقت صدورهم من غدر ملوك الفرنجة بهم وسوء معاملتهم لهم فأجمعوا فيما بينهم على
استئداء عرب المغرب لنصرتهم وكان هذا رأى ابن عباد صاحب أشبيلية وكان المغرب وقتئذ في حكم المرابطين
وأخيرهم يوسف بن تاشفين سلطان المغرب من أقصاه الى أقصاه فلما وصلت اليه دعوة ابن عباد قبلها وأجاز
الى الجزيرة سنة ٤٤٩ هـ بجيوش جرارة على رأسها قائد العظيم داود بن عائشة وسار هو وفي مقتته وزيره
الكبير سير بن أبى بكر التوتنى فقابلته جيوش الأسبان متجمعة بقرب بطليوس وعلى رأسها الاذيفونش ملك
(القوط) ووقعت بينهم موقعة تشب لها الوليدان انتصر فيها ابن تاشفين انتصارا باهرا . وهذه الواقعة يسمونها
(واقعة الزلاقة) وهرب الاذيفونش بعد أن جرح في يده جرحا بليغا ثم طلب الصلح من بنى تاشفين فنهض ذلك
لمدة خمس سنين فأخذ فيها الاذيفونش على نفسه أن لا يتعرض للمسلمين بشئ مطلقا وخلصت بلاد الأندلس
من مظالمه ومما كانت تدفعه اليه سنويا من الجزية وتسمى ابن تاشفين بعد هذه الواقعة بأمر المسلمين . وقد
غنى المسلمون من هذه الواقعة شيا كثيرا جدا من الأموال والأرض ففت ابن تاشفين عنه وتركه جميعه
لأهل البلاد وانصرف عن الأندلس الى المغرب تاركا وراءه جبال العمل وجبل السيرة .

وفى سنة ٤٨٦ هـ أجاز ابن تاشفين الى الأندلس جوازه الثانى لأن أهله شكوا اليه من كثرة المكوس
(الضرائب) التى تأخذها منهم ملوكهم . فلما وصل الى الجزيرة الخضراء خافه ملوك العرب وقطعوا الميرة
عن جيوشه بعد أن انتفخوا مع ملوك الفرنجة عليه فقصد بلادهم واستولى عليها واحدة بعد واحدة وبعث
ببني بلكين أصحاب غرناطه الى المغرب لقصوا فيه بقية حياتهم ثم قصد أشبيلية لما علم بفساد دخيلة ابن عباد
وأنه استجار بالاذيفونش عليه وأخذته أسيرا وأرسل به الى اغمات من أعمال مراكش حتى مات في اعتقاله
بها سنة ٤٩١ هـ ثم قصد بطليوس وقبض على ملكها ابن الأفضس وقتله . وبذلك أصبحت الأندلس من
أقصاه الى أقصاه في حوزته إلا (سرقسطه) وهى في شمال (اسبانيا) فانها بقيت في يد بنى هود لاعتصامه
بالاذيفونش وبعدها عن مركز القوة الاسلامية . ولما خلس ابن تاشفين من استيلائه على الأندلس فؤض
أمره الى وزيره سير التوتنى ورجع الى بلاده ومن ثم أصبحت الأندلس في يد المرابطين ومازالت في أيديهم
الى أن دب الشقاق بين أحفاد ابن تاشفين طلبا للثأر فى أواخر القرن الخامس الهجرى بما كان سببا لضعفهم
وقيام بلاد المغرب عليهم حتى سقطت دولتهم بقيام دولة للموحدين على يد المهدي بن تومرت

ولما مات المهدي سنة ٥٢٤ هـ اتفقت رجالات الغرب على مبايعة عبد المؤمن بن على وكان في مقتمة
رجال المهدي علما وفضلا ودهاء وهو أول من تسمى في المغرب بأمر المؤمنين

وفى سنة ٥٤٦ هـ أجاز عبد المؤمن الى الأندلس جيشا من الموحدين للفتح فتظلب على عز يه ثم حاصر
للرية فاستغاث من كان فيها بالاذيفونش الذى أرسل اليهم محمد بن مردنيش وزيره على جيش من النصارى
والمسلمين فكسره عبد المؤمن . وتم استيلاء الموحدين على الأندلس فى مدة ولده أمير المؤمنين يوسف بن
عبد المؤمن وله اصلاحات كثيرة في أشبيلية وهو الذى بنى جامعها وأقام جسر ها . وأتى من بعده ولده المنصور
يعقوب فأكمل الجامع بحيث أصبح لا يباهيه شئ فى الدنيا . وقسارب المنصور يعقوب (الاذيفونش) ومعه ملوك

النصرانية فانتصر عليهم انتصارا باهرا في واقعة الكرك الشهيرة وفتح كثيرا من الحصون والبلاد التي كانت في أيديهم ومازال يتقدم في الفتح حتى طلبوا اليه الصلح فصالحهم على خمس سنين وذلك في سنة ٥٩٢ هـ وقد ذكر المؤرخون أن من قتل في هذه الموقعة من الافرنج أكثر من مائة ألف . أما ما غنمه المسلمون فيها فهو شيء لا يحصى النصر ولا يحيط به العدد حتى أصبحت العرب تتبع الأسير بدرهم والسيف بنصف درهم والجار بدرهم والفرس بخمسة دراهم وبعد هذه الواقعة استولى المنصور على طليطلة . ثم قصد طليطلة وهي عاصمة (الأذيفونش) وحاصرها . ولما لم يبق غير نزول من فيها على إرادته نزلت والدة (الأذيفونش) وبناته وحرمه واستغاثوا به وبجروته فأكرم مشاؤون وأعلنهم إلى مقره من مميزات مكرمات وعاد هو إلى بلاده بالفتايم التي لاحتصرها

ولما مات يعقوب المنصور سنة ٥٩٥ هـ استولى بعده والده أبو عبد الله محمد الناصر فأجاز إلى الأندلس عام ٦٠٩ هـ بجيوش من العرب يقترونها بسبائة ألف . هنالك أعلن البابا الحرب المقتتسة فهرعت جيوش النصرانية من إيطاليا وفرنسا وألمانيا واتحدت جيوشها في إسبانيا واستعدوا لملاقاة الناصر بسهولة (نافاد) و (نولوزا) وهي قرية تبعد عن قرطبة شمالا بمائة وأربعين كيلومترا . وكان الناصر قد أعجبه كثرة جيوشه فأخذ يفتك في طريقه برجالات (الأندلس) بإعزاز وزيره ابن جامع الذي أراد أن تكون له وحده الكلمة في البلاد وقد أحمل الناصر رؤساء الأندلس ولم يستشروهم في أمر عدوه وهم أدركوا الناس بالجهة التي يأخذونها منها . ومازال حتى التحمت جيوشه بجيوش النصرانية في موقعة يسمونها موقعة القباب لكثرة ما كان فيها من القباب التي كانت سببا في خذلانهم وانتصار الفرنجة عليهم انتصارا باهرا تفرقت معه جيوش المسلمين على كثرتها بحيث لم ينج منهم غير القليل . وفي هذه الواقعة ظهر كوكب نجم المسلمين في الأندلس وغربت شمس سعودهم والله تعالى غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وعلى أثر هذه الموقعة مات الناصر فبايع أهل المغرب ولده يحيى فلجأ أخوه للمأمون ابن الناصر إلى ملك (قشتالة) يستنصره على أخيه وعلى الموحدين فاشتراط عليه شروطا جادة . منها أن يعطيه عشرة حصون يختارها هو عما في يد المسلمين مما يلي بلاده وأن تبني له كنيسة في مراکش وجهز له جيشا من الفرنجة تدخل به أرض المغرب وهناك جمع للمأمون شيوخ الموحدين وقتلهم مبرا وكان عددهم أكثر من أربعة آلاف نفس ومن هذا الوقت أخذت الأطراف تدور عليه في المغرب وأخذ حكم للموحدين في الضعف

وفي هذه الأثناء استولى الفرنجة على قرطبة ثم على جزر البليار وبلنسية واستولى أسطولهم على (سبتة) وغيرها من سواحل المغرب ثم استولوا على أشبيلية . ومازالوا يستولون على بلاد الأندلس وحصونه حتى لم يبق مع المسلمين غير (غرناطة) التي بقيت في يد بني الأحمر لضعفها وكثرة أهلها لأن سواد البلاد التي كان يقصدها الافرنج كانت تلجأ إليها ومع هذا فقد كانت تدفع الجزية للملك قشتالة

ولما استولى بنو مرين على المغرب كان بنو الأحمر يساعدون الفرنجة عليهم كما كان بنو مرين يقفون أحيانا مع ملك قشتالة على بني الأحمر . ومازال ملك بني الأحمر قائما بفرناطة حتى حصل الخلاف بين أبي عبد الله بن أبي الحسن وأمه إسمانية وبين عمه على الملك انتهى بتطلب الفرنجة على غرناطة في سنة ٨٩٢ هـ الموافقة لسنة ١٤٩٢ م وبه أفضى ملك المسلمين بالأندلس وانطوت محيقتهم . وسبحان من له الملك يؤتية من يشاء وينزعه من يشاء . ذلك كله لأنهم مترفون وقد فسقوا وعصوا ربهم . انتهت الطليقة الثامنة

(الطليقة التاسعة في قوله تعالى - من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد -)

هذه الآيات جاءت كالحتم لهذا المقام كله لأنه مبتدأ بما يفيد أن الإنسان عجول يدعو بالشر دعاءه بالخير ثم ذكر الطرق التي تجعله غير عجول كالعلوم الرياضية والتفكير في أمر النفس وأمور الدولة . ولما تم الكلام

في ذلك أخذ يشرح الهجة التي كان الكلام مسوقا لها وأعطى قاعدة عامة وهي أن النتائج على مقتضى المقدمات فالأعمال الجسمية نتيجتها الأمور الجسمية والأعمال العقلية نتائجها الأمور العقلية . والأولى مصيرها للفناء والثانية مصيرها للبقاء وليس يقوم أحدهما مقام الآخر . فلأن امرأ درس العلوم والأخلاق وحمل بهما وواظب على ذلك ثم هوى الوقت نفسه قد أهمل الرياضة البدنية فلم يمش في خلاء نقي . أو أهمل مضغ الطعام جيدا . أو لم يحافظ على قوته العقلية فبذرها بكثرة الكلام والضحك . أو تعرض للبرد . أو كان جسمه معرضا للأمراض الباردة فأخذ يمشي على شطوط الأنهار والحدائق مثل من لم يكونوا مستعدين لذلك . فخل هذا تصيبه الأمراض تخمول النفس وضعف الأعضاء في الحركات في الأول وسوء الهضم في الثاني وضعف القوة المفكرة في الثالث ومرض (الروماتزم) في الرابع

فهل أنتج الصلاح والعلم نتيجة في غير ما خلقا له . وهل صح البدن بهما . كلا . فنتيجة العلم والصلاح آثار خاصة بهما لا تمتدأها إلى صفة الأجسام . وهكذا لو أن امرأ حافظ على جسمه فمضغ الطعام جيدا ولم يخطأ أصنافا كثيرة وكان في غاية البساطة ما كلاً ومشرباً وحافظ على الرياضة واحترس من كثرة الكلام والضحك حفظ عقله وجسمه واقتصر على ذلك . فهل ذلك ينفعه في العلم وهو لم يدرسه . كلا . فالثمرات أنواع الشجرات فلا شجرة تمر مائس من ثمراتها . هكذا أعمالنا فإما كان متعلقا بالمعالجة فثمرته في المعالجة وما كان في الآجلة فهو لها . ولا جرم أن الناس درجات في الأعمال والآراء والعلوم والثروة وأوضح شيء في هذا العالم الثروة فلواتك جمعت الناس في صعيد واحد لم نجد اثنين يتساويان ثروة فلا بد من التفاضل ولو قليلا واذن يمكن أن يكونوا سلسلة لها أدنى وهو أفقر الناس وأعلى وهو أغناهم وهم جميعا بين هذين . هكذا حكمهم في الجبال وفي العلم وفي الصلاح وفي الأخلاق وهكذا . فهذه درجات بعضها فوق بعض . هكذا سيكونون في الآخرة درجات باعتبار ما انطبع في نفوسهم من العلوم والأخلاق وهم درجات إنما تفاوت هناك أشد والبرجل أكبر . هذا ملخص هذه الآيات . انتهت الطبقة التاسعة

(الطبقة العاشرة - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه - الخ)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابي قال أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك فأدناك رواه البخاري ومسلم وروى مسلم حديثاً آخر قال رسول الله ﷺ (رغم أفقه رغم أفقه رغم أفقه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والدبه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة)

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال أحمى والدك قال نعم قال فبينما جاهد) انتهت الطبقة العاشرة

(اللطيفة الحادية عشرة - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا -)

إن تفسير هذه الآية جميع الشرائع والعلوم فكيف تقول فيها إلا ملخص مامضى

(اللطيفة الثانية عشرة - وأن من شئ إلا يسبح بحمده -)

اعلم أن بعض الحكماء مثل الشيرازي في كتابه (الاسفار) في علم الحكمة قرر أن هذا الوجود كله حتى ولا معنى للوجود بغير حياة وأن الحياة على مقدار اشراق أنوار الوجود الأعلى على المخلوق فلا انسان والحيوان والنبات حياة أي إن هناك نوعا من الشعور وهكذا الجملد له نوع من الشعور أقل لأنه أفيض عليه من الحي . هذا ملخص ما أطال به . وأنت تعلم أن الأدلة لا تنكفي ونحن يصعب علينا تصديق ذلك إلا ببراهين أبلى وأدلة أوضح فذلك ترى العلماء يقولون على أن التسبيح للعوالم إنما هو دلالتها وهو تسبيح بلسان الحال لا بلسان المقال ويظهر أثر التسبيح فعلا لا أهل الرياضة ولنفوس التي شغلت بذكر الله فهؤلاء حقا إذا

سمعوا هبوب النسيم أو صرير الباب أو موج البحار أسرع إلى قلوبهم معان يقصر دونها التسبيح اللطفي ويرون لذّة ليس يدركها الذين لم يذوقوها فتسبيح العوالم التي بلسان الخال قد انطبع في قلوب هذه الطائفة وأعطاهم معاني تدلّ على التسبيح وتؤدّي مؤداه . هذا لا يحتاج إلى برهان بل يرجع إلى الوجدان وليس يصنق به إلا أرباب الوجدان ولكن ليس في ذلك أن الجناد نفسه يسبح غاية الأمر أنه يكون سببا في حدوث التسبيح في قلوب المسيحيين . أما كون المخلوقات نفسها تسبح وتعلّق ما تقول فهذا ليس في مقدور الناس تصديقه والناس يرون في ذرات الماء وصريره وهبوب النسيم وزفير الأسد وعجائب الأرض والسما من المعاني ما يجعل عن الوصف - يسبح له ماني السموات وماني الأرض -

فأما ماورد عن ابن عباس أن النبات والحيوان يسبحان فذلك يؤمن به لأنه مسموع مسلم به أن صح

﴿ كيف يتجلى لك تسبيح السموات والأرض ومن فيهن ﴾

اجلس في المخلوقات ودع الأعمال ولتكن الحركات وتنظر فيها أملكك من حقل أخضر ونبات أزهر يأتلق وجال بهيج وشجر ضئير ونخل ظليل وأثل طويل وسرو سحيق وكلاّ يزين وقد هبت النسيمات وفاءت الأفياء وتقلب الزرع ذات البين وذات الشمال وغنت الأعواد بنغمات مشجية وانماق عده وتمايلت عجبا ونبها وتناوحت تناويع الحمام واعتنقت اعتناق العشاق وطلعت الحشرات بمختلف الأصوات والطيرو فوق الأفنان تصدح بالألحان والكون يرقص طربا والأرض تزداد عجبا والسما ترسل الضياء في فسيح الأرجاء والوحش في الغلات يقتص السخلات . فإذا جنّ الليل وأرخى سدوله تبدلت الأرض غير الأرض والسما غير السما وطويت صحائف النهار وأسدل عليها الستار وأقبلت عرائس الليل سافرات الوجوه مشرقات المصاييح ناعسات الطرف مرسلات نوراً ينسامين على الأحياء في الأرض أن هلموا إلى والظنوا جالبي فتعالوا اتل ما أنتم ربكم على من جبال وبها وحسن وضارة وقد حشركم في الأرض وزوى نور الشمس عنكم ليالي وليالي لتتوفروا على النظر إلى وتعلموا أن هذا الجبال هو الذي سترونه بعد الموت حين تغرب شمس أرواحكم فتصلون في العالم الثاني إلى جمال وسكون وبهجة نحن نختلها الآن تمثيلا . حياتكم قضاء النهار وموتكم كظلمة الليل تشرق عليها المشرقات الأنمات وتتجلى لكم أوانس العالم الجليل عالم الأرواح فانكم اليوم تشهدون مشهدا جيلا يهرب لكم عن المشهد الذي سلاقونه بعد الموت وشتان ما بين المشهدين . فهذا نور واشراق جسدي وذلك نور واشراق روعي مع الملا الأعلى . انهم أرسلوا اليكم نبشرا بمسقبلكم وطليعة لسعادتكم وفرطاً لأنفسكم فنحن الأوانس وأنتم المستبشرون فاقبلوا نعمة الجلال واستشعروا الجلال واذكروا ذلك في الأجيال . هذا نظامنا المتقن بحساب المرق لا لآليات

هناك أيها الذي تفهم لغة العواصف والريح وقصائد الورد والتسبيح . وهناك تفهم شيا من التسبيح

﴿ جوهرة لتذكرك معنى هذه الآية فيما تقم في سورة هود عند قوله تعالى على لسان هود

- إني نوكت على الله ربي وربكم مامن ذابة إلا هو خذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم -

تقدم هناك معنى الصراط للمستقيم . صراط الله وصراط الذين أنعم الله عليهم وتقدم هناك معنى تسبيح كل شئ ونحن محجوبون عن فهمه فارجع إليه إن شئت . ولكنني أزيد هنا بعض إيضاح للخي فافرق ذلك هناك ثم انظر إلى ما أقوله لك الآن . وسترى أيضا فيما سيأتي عند قوله تعالى - قد أفلق للؤمنون - بعض صور الحيوان المرسومة بالتصوير الشمسي الدالة على أن لون الحيوان إنما خلق لجايته بحيث يكون بضه مماثلا للون الرمل والحجارة التي يعيش عليها وألوان الليل الذي يخرج ويأكل فيه وألوان الورق الخفاف الذي يقع عليه أوجنوح الأشجار التي يلجأ إليها أو تكون رأسه ورجلاه وصندوقه أشبه بأفرع الأشجار وجناحه يشبهان الورق وهما ملونان بلون ما يحيط بهما من الزهر بحيث لا يشك من يرى ذلك الحيوان أنه عبارة عن غصن ذي أوراق

وهكذا مما لاحصره سبق ذكره هناك وسيأتي ذكره وصورته وقد قلنا هناك ان هذا هو تسبيح هذه المخلوقات وحدها لأن هذا دلّ على عدل الله وتنزهه عن الميل عن الصراط المستقيم فلم يكن اعطاؤه للفأر لون السواد لظلمه ولا للطار الأمريكى اللبلى المذكور هناك لون الياض والتبيل الطويل تفضيلا له على الفأر . كلا . بل سواد الفأر ينفعه في اختفائه عن العيون ليلا وياض هذا الطائر ليكون موعم طول ذيله علما لأعدائه فلا تقرب له لعلها بما له من رائحة منقّة يطلقها عليها فيكون ذلك العلم راحة لهذا الطائر ولما يريد اقتناصه من الحيوان . فهذا غيظ من فيض من ذلك المقام . ثم قول . هذا هو التسبيح وهذا هو التحميد الذى لم تفهمه في قوله تعالى . ولكن لا تفقهون تسبيحهم . وكيف تفقه تسبيحهم إلا بالعلم المذكور في آية الأنعام إذ يقول . قل هل عندكم من علم الخ . فهذا العلم الذى فتح بابَه في هذا التفسير لاسيا هذا المقال هناك عرفنا تسبيح كل شئ إذ يقول الله . سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض . . فهأنذا رأيت الله قد سبحناه أى نزهناه عن الجور والظلم فلم يظلم الفأر بسواده ولا الحية بولها الضعيف الذى ليس كاون الطاووس فاذا اسود الفأر وليس الحية الزنبر فكلهما قد دفع عنه الشر بما انصف به

(١) فالشر كالسواد به بقاء الحيوان ودفع الشر عنه

(٢) فهذا نزهة لله عن قصد الاذلال

فاذا سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض . وإذا كانت الملائكة يسبحون بمحمد ربهم . وإذا كان أهل الجنة أسر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فإن ذلك كله يرجع الى هذا النظام الجليل . إن الفأر وإن الزنبر وإن الدب القطيع وإن الطائر الأمريكى وغير هذه مما يمد بثبات الآلاف لو أعطيت ألوانا وأشكالا غير مالها لكان وبلا عليها فهذا نزهة الله عن المحابة بل عمله متجه الى حفظ هذه الحيوانات فهو منزّه عن الحب إعطاء مالا فائدة منه لهذه الحيوانات وعن المحابة فى الوقت نفسه أعطى نعمة . فاعطاء النعمة مقرون بدفع المضرة فهو منزّه عن مالا فائدة منه معطى نعمة البقاء والبقاء . إذن التسبيح والتحميد مقرونان فى قرن فهذا هو تسبيح ما فى السموات وما فى الأرض وهذا هو السرّ فى أن التسبيح قد ذكر مرتبا بالحمد . يقول الله تعالى . وإن من شئ إلا يسبح بحمده . فهأنذا رأيت التسبيح مقرونا بالحمد لا يفترقان فستحيل أن يدفع ضرر بالاجلب تقع للدفع عنه كما رأيت

(موازنة بين تسبيح اللسان وحده وبين تسبيح المخلوقات)

يسبح الناس بالسنتهم وتسبح المخلوقات بأوصافها وألوانها . فبالتشريع شمرى أيهما أصدق . لاجرم أن التسبيح المسمى أفصح من التسبيح اللفظى . والافاض بالتسبيح قد يضل عن معناه وهكذا التحميد . أما صور هذه المخلوقات فانها ناطقة نطقا يفقهه الحكماء بالحمد والتسبيح . واعلم أن التسبيح الحقيقى من العقلاء كالإنسان وللك لئ يكون إلا بمرقة أمثال ما ذكرناه . فتسبيح كل شئ هو التسبيح الحقيقى فاذا عرفناه فقد سبحنا وحدنا . فهذه الصور الحيوانية الدالة على التسبيح والحمد اذا قرنت باللفظ بهما كان الحمد والتسبيح حقيقيين وهذا هو الذى جاء فى معنى قوله تعالى . فسبح بحمد ربك . مخاطبا رسوله ﷺ قرن التسبيح بالتحميد كما قرنها فى تسبيح كل شئ فى آيتنا التى نحن بسدد الكلام عليها

يقول الله لرسوله ﷺ ليكن تسبيحك وحده مقترنين كما اقترنا فى تسبيح كل شئ . ولا يكون ذلك إلا اذا كان الوجود مثلا أمامك على هيئة التى تقدم ذكرها (ذكر بعضها فى هذا المقام) وهكذا فى تسبيح الملائكة قال . والملائكة يسبحون بمحمد ربهم . أى انهم عللون بإبداع هذه المخلوقات التى كلها تسبيح وتحميد على . ولاجرم أن العلم بالشئ حضور صورته فى الذهن . إذن تسبيح الملائكة وتسبيح الأنبياء بحضور أمثال ما ذكرناه من العانى فى الحيوان والنبات وغيرها

(الكلام على قوله تعالى - ولكن لا تفقهون تسبيحهم -)

قد يقول قائل إن الله يقول - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - والمخاطب بذلك جميع الناس فكيف يعقل أن ملائقته تسبيحه هو الذي يكون بتصوره وتفقه التسبيح . إذن بمقتضى نص الآية يستحيل على الناس أن يفقهوا هذه المعاني

(الجواب على ذلك)

اعلم أن هذا الخطاب وإن كان علما فقد خصص في آية (آل عمران) . يقول الله - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فأنه يشهد أنه واحد لا شريك له وأنه قائم بالقسط والعدل وهكذا الملائكة يشهدون بالأميرين وهكذا أولو العلم أي البارسون لهذا الوجود على نحو مقتضاه . إذن البارسون لهذا الوجود مستثنون من المخاطبين الذين لا يفقهون تسبيح هذه المخلوقات . فثبت إذن قلا كما ثبت عقلا أن النوع الإنساني إذا عرف نظام الحيوان ودقته كما ذكرناه هنا وفيها مضى وفيها سيأتي يكون مسبحا حامدا ويكون العارفون بهذا مسبحين حامدين ويكون التسبيح والتحميد اللفظيان مذكرين بهذه المعاني . فإذا قال المسلم (سبحان الله والحمد لله) عقب كل صلاة ثلاثا وثلاثين . وإذا قالها المسلم عند نومه كذلك بهذا العدد . وإذا قال المسلم في الركوع (سبحان ربّي العظيم) ١١ مرة أوفى السجود (سبحان ربّي الأعلى) ١١ مرة أيضا . وإذا كرر ذلك في كل صلاة واجبة أو مستنونة وكان العدد مئاة ومئاة كل يوم فغنى هذا كله أنه يدرك الأسرار التي ضرب بنا لها الأمثال هنا وفيها مضى وفيها سيأتي من العلوم المنتشرة في الدنيا كما كان ﷺ يقوم في آخر الليل وينظر في السماء ويقرأ آيات آخر (آل عمران) . كل ذلك قبل صلاة الليل . لماذا هذا . ليتدرك ذلك في تسبيحه وتحميده ويكون الوجود حاضرا مجلا في عقله فيسبح ربه ويحمده مراعيًا نحو ما قرأناه (وبشارة أخرى) ليدلنا على أن تسبيحنا الحقيقي وتحميدنا الحقيقي لا يكونان إلا بعد النظر في الوجود ونظره هو ﷺ مجرد لئلا لأنه علوه علما . أما نظرنا نحن فلتكن جميع العلوم التي ملأت الدنيا اليوم لأن الله علمه بالوحي ونحن لم نعلمنا الله بالوحي ولكن أمرنا أن نتعلم تعلما عمليا بمقولنا . وقوله تعالى - قائما بالقسط - أي العدل في النظم هو عين قوله تعالى - إن ربّي على صراط مستقيم - الذي ذكره هود عليه السلام في معرض التوكل على الله وفي معرض أنه آخذ بناصية كل دابة . وأنت تعلم من هذا التفسير أن ذلك راجع لاعطاء كل ذي حق حقه من الحيوان فلا يسطي الحية لون الطاووس مثلا يكون هلاكها ولا الضب لون الزنبور مثلا يكون هلاكه . فثبت إذن أن المسلمين عليهم أن يدرسوا هذه الدنيا ليكونوا في الدنيا سادة وفي الآخرة مع الله ومع الملائكة والتبيين وذلك بالعلم بمقتضى هذا الوجود . ومنها اعترض بعض الإخوان فقال . إذن جميع التسبيح والتحميد من أزمان النبوة إلى الآن لأناب فيه وقد مضى ١٣٠٠ سنة فأكثر والناس لم يلاحظوا هذه المعاني . إذن كل تسبيح كان باطلا وهذا لا يترك عليه عالم في الاسلام . فقلت له ان الذكر اللفظي يكفي للمعنى الاجالي فيسكني هذا ذكر أن يتصور معنى اجاليا وهذا موجود عند جميع المسلمين بل ان الذي غفل قلبه عن المعنى الاجالي يكون تكرار التسبيح والتحميد وقتا فوقتا بما بلغت الذهن الى الله وجلاله . فكل تسبيح من جهال المسلمين وكل تحميد وكل ذكر لما آتاه في القلوب مشهودة . هكذا قراءة القرآن وتكرار الصلوات والعبادات . كل هذه سبب في استحضار الله في النفوس وهذا الاستحضار له فعل عجيب في النفوس وآثار مشهودة معلومة . على ذلك درجت الأمم في البيانات قديما وحديثا وهذه فضلا عن لفت القلوب لحب الله بكثرة التكرار تجلب القلوب مستعدة لهذه العلوم عند قراءتها . وإذا كنا نرى المرأة التي استحضرت في ذهنها الضفدعة لشدة خوفها من الضفادع قد تتحول ولدها في رجها نوعا ما الى هيبة الضفدعة كما تقسم في هذا التفسير . وإذا رأينا قماء المصريين كانوا يأتون بصورة الجبل المعبود الذي له لون خاص

وعلمة أشبه بالمثلث على جبهته فيضعونها أمام بقرة في حال حملها ثم يكون نتيجة ذلك أن يولد الجمل على الحية التي رأتها أنه فيجعلونها إلها . أقول إذا كانت هذه هي هيئة النفوس الحيوانية فلا جرم أن يكون استحضار الله في القلوب بالتسبيح والتحميد داعيا إلى حبه ويكون ذكره في القلوب ورسوخ الربوبية في الأئدة ولذلك نتاج صادقة مشاهدة معروفة في الدنيا ثم هذه تكون ملازمة للروح في العوالم الأخرى ومن عجب أن هذه هي التي ورد في القرآن ما يفيدها إذ رأى زكريا مريما وهي لم يحسها الرجال وكانت سيدة النساء وعابدة فدعا الله فجاء له يحيى على صفات كصفتها فهو سيد وهي سيدة النساء وهو حصور لا يأتي النساء وهي مثله مع الرجال وهو مصدق بعيسى وهي كذلك كما تقدم ذكر هذا في (آل عمران)

انما جاء ذلك في القرآن ليرينا الله أن النفوس آثارا ومن ذلك التسبيح والتحميد مع جهل هذا الوجود فلهما آثار في العقول ولكن هناك طاقة أرقى وهم أولو العلم الذين هم مع الملائكة ومع ربهم ويشهدون هذا النظام والحمد لله الذي ألهم وعلم

ولما وصلت إلى هذا المقام اطلع عليه من اعتماد من الاخوان أن يقرأ مسودات التفسير فقال هذا القول مشبع وجبل وقد ظهرت حقائقي ما كنا لنذكرها ولكن أريد أئين من هذا . قلت ماذا تريد . فقال أريد أن أرى من القرآن ما يشبه النص على ما تقول أي ان التسبيح والتحميد الحقيقيين انما يكونان بادرار حقائقي الوجود مع علمي انك أقررت بأن تسبيح العاقبة وقد يسهم وان لم يكن مقرونا بالعلم له فضل عظيم . ولكن أريد التحقق من مقام الحكماء وأولى الألباب الذين ذكرت أن تسبيحهم لابد أن يكون مع العلم حتى يكونوا أقرب إلى ربهم وإلى ملائكتهم وإلى أنبيائهم . قلت ألم قرأ قوله تعالى - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون - . ألت ترى انهم سبحوا الله مساء وصباحا وعشيا وظهرا وأتى بعجلة بين الصباح والمساء وبين العشي والظهر وهي انه يحمد في السموات والأرض . ولا جرم أن كونه محمدا في السموات والأرض التي أتى بها بين صلواتنا في الذكر لحكمة أن تسبيحكم يستحسن أن يكون مع ادراك الحمد الرسوم في صور السموات والأرضين الذي تفرقه عقولكم والا فلماذا أتى بهذه الجهة بين صلواتنا انفس كأنه يقول لنا ان تسبيحكم وصلواتكم بينها وبين العوالم المحيطة بكم مناسبة وهي انكم تدرسون هذا الوجود قبيل الرحيل إلى السموات التي استعدتم للعروج إليها طبقا عن طبق حتى تصلوا إلى لقاء ربكم وتكونوا مع الملائكة في أعلى عليين وذلك لا يكون إلا بالعلم . فقال احسن جدا . فقلت الحمد لله رب العالمين

(التسبيح والتحميد وظواهر الصلوات وقصص الأولين في الكتب السماوية أشبه بأشجار

ثمارها الحكمة والعلم)

التسبيح والتحميد باللسان مثلها كمثل أشجار البساتين المزهرة . فانظر رعاك الله لهذا العالم الذي نعيش فيه . خلقنا بأجسام ذات أعضاء وحواس وأحشاء وأطراف . ومست الحاجة إلى طعام وشراب فكان هناك نفس داخل وخارج . داخل بما يصلح الجسم . خارج بما هو ضار . فهو ادن داخل مدخل صدق وخارج مخرج صدق . جالب خيرا في الأول ودافع ضرا بالثاني . انظر هنا قليلا . انظر إلى هذا الداخل والخارج لاصلاح الجسم ودفع الضرر عنه واقامة بنيانه . لم يرد الله أن يفر ذلك الداخل والخارج بلا عمل آخر في دخوله وخروجه فخلق له هذه الأسنان واللسان والشفتين والخلق الخ . ففي أثناء دخول الهواء وخروجه تغير على حسب هذه الأعضاء فيكون حروفا والحروف كلمات والكلمات تعبر عن هذه الدنيا كلها وعن الآخرة الله أكبر . هذا العالم الذي نعيش فيه أشبه بصورة جيلة جاء المصورون من كل فج عميق لينسخوا صورتها وهم آلاف آلاف أقولها أقوالا لا ينقطع عددهم ولا مددهم من يوم أن خلق السموات والأرض إلى

قيام الساعة . أتدري ما معنى هذا . معناه أن الألفاظ المعبرة عن هذه المخلوقات ترصد في الكتب وتقال في القصائد وقد ذكر في المجالس فيصوّركل واحد من الناس هذه الدنيا على مقدار ما سمع من القول وما علم بالحواس ومافكر بالعقل . إذ أن كل امرئ في الدنيا قد صوّرت له هذه الدنيا بصورة ما أى أن كل دماغ أشبه بالخزانة المظلمة وفيه لوحة قد رسمت فيها كل ما يسمعه أو يراه والكلام الذى سببه الهواء يضع في النفس صور المعلومات علويها وسفليها . جلّ الله وجلّ العلم . نفس داخل وخارج لاصلاح الجسم حل معه صور العالم الذى نعيش فيه فرسمت في دماغ كل امرئ . إذ أن هذه الدنيا لها صور لا تعد لها تقال باللسان في عالم الهواء وترسم في السماغ . فإذا كان هذا العالم واحدا فهو آلاف وآلاف في آلاف بالصور المتخنة منه بالكلام وبالصور العقلية

﴿ آثار الكلام ﴾

للكلام آثار في القلوب . فبه بلغ الأنبياء . وأثر الخطباء . وبه ارتقاء الأمم وعظمة الدول وحفظ آثارهم في هياكلهم وكتبهم وحفظ الشرائع في الطوامير و بطون الدفاتر . فللكلام آثار وأثر . تلك كلها قد جاءت تبعا لاصلاح الجسم بالهواء داخلا وخارجا . لا يجب إذا كان للتسييح والتحميد والمساوات آثار في نفوس المسيحيين الحامدين المصلين . ولا يجب إذا قلنا إن هذه التسييحات والتحميدات يساتين . وهل بمنمقال الوحي مقال . ألم يقل يحيى في حديث الاسراء محمّدا عن الخليل عليه السلام قال يا محمد بشرأتك بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وغراسها سبعان الله والجنة الخ . إذ أن التسييح والتحميد أشجار والأشجار لها أثمار . وثمار التسييح والتحميد ياترى . أثمارها المعرفة والصلح أى أن يعرف للمرء أن الله منزّه عن وضع الأشياء في غير مواضعها وهو مع ذلك محسن كريم . إذ أن الهواء في الزفير والنشيق يمثل التسييح والتحميد فالنشيق يمثل التحميد لأنه يدخل النافع والزفير يمثل التسييح لأنه لاخراج الضار . فإذا رأيت سبعانه قد جعل لون الحية أشبه بما حولها فهو بذلك دفع عنها غوائل ما يهلكها وحفظ حياتها فدفع الغوائل يشير له التسييح وبقاء الحياة يشير له التحميد والأول كلزفير والثاني كالتهميد . الله أكبر . جلّ العلم وجلت الحكمة وجلّ الله . أليست هذه المعاني هي التي ورد بها الحديث في وصف أهل الجنة ﴿ يلهمون التسييح والتحميد كما يلهمون أثم النفس ﴾ فانظر لذة المعنى وتعب لالهام النفس المشتغل على الدفع والنفع وللتسييح المشتغل عليهما . اللهم أنك أنت العلم والمعلم . تبين من هذا أن التسييح والتحميد أن تبعمما العلم العام كما في هذا التفسير فيها ونعت وإن لم يتبعهما ذلك كانا أشبه بأشجار وأزهار من غير ثمر والأشجار والأزهار لها منافع الظل وجمال الزهر ومنافع أخرى . والمسيح الجاهل له في التسييح منافع كثيرة فهو في أثناء ذلك نزّه نفسه عن الغيبة والخيبة وقول الزور . وأيضا بدخول النفس وخروجه تتأثر الأعصاب بالمعاني التي حملها الكلام ففسرى الى الروح سرعان الضوء في الأثير فتصل الى الروح آثار نورية فتكون أشبه بنور الشمس والقمر في العالم المادى ومن رأى نور الشمس والقمر اهتدى بهما وإن كان لا يدرك نظامهما وحسن اتقان جريهما . فمثل المسيحيين الحامدين كمثل الناظرين للألوان . فالعامة والجهلاء ينتعمون بنفس الضوء والعلماء والحكماء يدركون سرّ سير الشمس والقمر . هكذا هنا فظواهر التسييح تفيد نورا في القلب اجاليا ومعرفة العلوم تفيد معرفة الحقائق التي تدخل تحت التسييح والتحميد . وتسييح الناس في الجنة وتسييح الملائكة وتحميدهم إنما يرجع كل ذلك الى العلم والحكمة للاستفادين . من قوله ﴿ يلهمون التسييح والتحميد الخ ﴾ والالهام للمعاني وتبعمها الألفاظ . ومثل ما ذكرت في التسييح والتحميد يكون الكلام في قصص الأنبياء في القرآن فالعامة يفرحون بظواهر القصص والحكماء والعلماء لا يفتنون على الظواهر . العامة بنفس القصص يفرحون والعلماء والحكماء يستخرجون الدرر من البحار ويسلمون أن المقصود ما هو ممكنون في ذلك القصص

كما رأيت في سورة هود إذ بدأها بذكر عالم الحيوان وأن الله عليه رزقها وأعاد الكرّة بذلك في قصة هود إذ قال - إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ قبضتتها - وقد تقدم هناك ذلك فكان المقصد من قصته أخذ الله بنواصي كل شيء كما جاء في مبدأ السورة . وهكذا هنا في سورة الاسراء ذكر انه أسرى بعبده ليلان المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . ولما كان ذلك أمرا يرجع الى خلاص الروح وشرفها أوما الى ذلك بذكر أن الروح من أمر ربي لينين للناس أن النفوس ترجع اليها والنسوة نبراس ذلك الرجوع - وان الى ربك المنتهى - وهذه الآية التي نحن بسدد الكلام عليها تحوم حول هذا المعنى فان من يفقه التسبيح هو الذي يصل الى الله ومن لم يفقه فهو محجوب

(تذييل . آثار كلام الناس وآثار كلام الله)

هذه آثار كلامنا . آثار كلامنا صوري لإذهان أى صور ماتكم به . فاذا نطقنا بلفظ شمس أو قمر أو شجرة رسمت صورة الشمس وصورة القمر وصورة الشجرة في ذهن من نخطبه . فكلامنا أشبه بالزراع والأذهان أشبه بالمرزعة والصور محدث في النفوس بمجرد نطقنا بها . ولا جرم اننا من آثار فضل الله وقد خلق آدم على صورته كما في بعض الآثار . فاذا قال الله للشيء كن فان ذلك الشيء يكون ولكن كونه هناك كونا في العيان . واذا قلنا للشيء كن فبمجرد نطقنا يكون ذلك الشيء ولكن وجوده في الأذهان وهذا قوله تعالى - إنما قلنا للشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون - أى على منوال ما تقولون أتم . فأنتم تنطقون باسم الشيء فتوجد صورته الذهنية في نفس السامع وأنا أقول كن فتكون صورته الحقيقية فأتارى عملية ووجودية وآثاركم ذهنية خيالية . وأقرب شيء لتفهيمنا سرعة خلق الأشياء وطاعتها للصانع هو كلامنا . فكما ان كلامنا لا كلفة فيه وبمجرد حوله رسم صور الأشياء هكذا كلام الله ووجود مخلوقاته (جوهره في قوله تعالى - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن -)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحانك اللهم وبحمدك قدّست أسماؤك وصفاتك وأفعالك . ههنا في هذه الآية ورد - سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا - والذي قالوه انه معه آلهة فهو منزّه عن الشريك وقال في آية أخرى - سبحان ربك رب العزة هما يصفون - الخ والتي وصفوه به أن خلق السموات والأرض باطل - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا -

إن الله تعالى لم نزه ولم نزل مصنوعاته . وهذه المصنوعات غامضة على أكثر هذا النوع الانساني . لقد أكثر علماء التوحيد غالبا من التنزيه في الذات والصفات والأفعال ولكن الجمهور لم يزايلوا ذلك العموم ولم يهتدوا أكثر الناس الى بعض التفصيل والحكم في العالم المشاهد . كثير التسبيح في الصلاة وكثير التسبيح في القرآن ويقول الله - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - هذا والله تيسير لمعرفة هذا التسبيح يسبح المسلم ويحمد . ليس الحمد وليس التسبيح قاصرا على ما تصنعون . إن هذا الدين زلزل رقبكم ولم ينزل لجرد كلمات قال ولا آيات تحفظ ولا صلوات تقام بلا عقل ولا فخر . كثير في الصلاة التسبيح والحمد والقبول وكثير في القرآن ذاك الأمران . ألا انما مثل البيانات في الأرض كمثل (كلية ودمته) الذي آله (يديا الفيلسوف) ملك الهند في زمانه قبل الميالد بنحو ثمانية سنة وجهه على أئنة الأسد والثعلب والحمام والغراب والسلحفاة والغزاة والقرود والقبيلة وما أشبه ذلك . فهذا الكتاب ظاهره يتنفع به الجهال ينسلون بالصورتاتي فيه ويفرحون بأسد يتكلم وتعلب بتم على التور ونور يسمع النخمة فيظن السوء بالأسد وهكذا الأسد يسمع ذلك فيفتك بالتور ثم تدور الدائرة على الخنازير وهو (دمنة) فيحكم عليه بالقتل فيقتل . هذه حكايات يفرح بها الجهال ولكن الحكماء لا يفتنون عند الظواهر بل يدخلون في علوم السياسة ونظام الأمم والعمران . هذا

كتاب (كلية ودمنة) وهذا قصده ولكن ليأك أن أقول إن الديانات على هذا الخط . كلا . وإنما أقول لك إن المصنفين هذا التشبيه أن كلام بعض مخلوقات الله في الأرض إذا كان له ظواهر يكتبني بها العاقبة وبواطن بعضها الخاصة ببالأولى ثم الأولى كلام الله الذي لا يقاس بكلام الناس . إن كلام الله أشبه بفعله أن الله يخلق الأشجار المثمرة يستظل بها قوم وقوم يأكلون الأثمار . وهكذا هذا القرآن وهذه الصلوات والتسبيحات . يسبح السلم ويصل ويحمد فإن كان جاهلا فقد نال مناه لأنه أثناء التسبيح والتحميد والقراءة وهو غافل عن المعنى قد كلف نفسه عن المعاصي وأيضا يكون حين القراءة أو الصلاة في صورة الطاعة وفي استحضار الخالق وإن كان الكلام غير مفهوم وهناك تكون البركات والآثار على قدر اجتهاد العابد ونيتة فهو إذن كالاستظل بالشجرة وإن لم ينل الثمرة . الله أكبر ههنا وصلت إلى المقصود من هذا المقال . سبحانك اللهم وبحمدك سبحانك وبحمدك مافي السموات ومافي الأرض وذلك لا يعرف إلا بالعلوم التي ملأت الكرة الأرضية اليوم . اللهم إنك أنت القائل - وقيل الحمد لله سبريكم آياته فتعرفونها - والقائل - ثم إن علينا بيانه -

اللهم إن هذا هو زمان اليان وزمان العرفان . أزلت القرآن وحفظه المسلمون وسبحوا وحمدوا وأكثروهم تائمون . حل بوا علماءهم كالغزالي وابن رشد فأنت قد ألهمت الأمم التي أخذت علوم المسلمين أن تدرس هذا الوجود فدرسوه على قدر طاقتهم وهما نحن الآن في هذا التفسير وغيره نسترد الأمانة وقول - هذه بضاعتنا ردت إلينا - . فإذا قرأنا في تلك العلوم . قرأنا أن كل مخلوق له خاصة بعضها كشف قديما وبعضها كشف حديثا وبعضها سيكشف . وهذا كله هو معنى التسبيح والحمد . انظره في سورة هود عند قوله تعالى - مامن دابة إلا أنا أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وهكذا عند قوله تعالى في سورة الرعد - وفي الأرض قطع متجاورات - في بعض اللطائف التي ذكر فيها (الثغرات في الأحجار) هناك ترى في هذا المقام أن لون الحيوان إنما خلق فيه لمنفعة هو . وترى في سورة - قد أطلع المؤمنين - نيفا وثلاثين حالا مذكورة للحيوانات بحيث يكون اللون حافظا لنفس الحيوان وكان الزنبر مثلا وهو حامل سلاحه وماون بلونه قد نطق بتسبيح ربه أي تنزيهه عن العبث في اختصاص الزنبر باللون الزاهل لما له من السلاح الذي يحميه هذا هو التسبيح حقا . سبح مافي السموات ومافي الأرض وكل مافيها يسبح كما يسبح الزنبر أي أن لونه الظاهر إنما وضع فيه لأنه له سلاح يحميه . ففي هذا اللون نجاته من المهاجم عليه لأن اللون أعلمه به ونجاة المهاجم عليه من الطيور الآكلات الحشرات لأن لون الزنبر أنذرهما . فائدة تعالى منزه أن يعطى هذا الزنبر لونه بلامنفعة إذ نفس الزنبر تسبيح عملي وقس على مسألة الزنبر كل المسائل هناك فترقبها وأقرأها وقل في كل منها ما قلته لك الآن

هذا بعض سر التسبيح في هذا المكان وغيره وهكذا في سورة الرعد إذ ترى هناك في القطع المتجاورات أن الماء والأرض والهواء والبخار والأحجار قد اختص كل واحد بعمل وصارت جميعها أشبه بأوتار الموسيقى كما شرحت لك هناك . يرتفع البخار فوق الهواء ويتكون السحاب وينزل في أجزاء الهواء قطرات رطبة بالناس لئلا يهاكوا أو يستفترخوا بزواله مرة واحدة . وهكذا ترى أن لكل حجر وظيفة لا يتفق فيها سواه فلا للملح يبنى عن حجر الراسي ولا حجر الراسي يبنى عن الجرانيت ولا الماء يبنى عن الهواء ولا الهواء يبنى عن البخار . فما من هذه المخلوقات إلا له مقام معلوم لا يفيد فيه سواء - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - إذن الماء والهواء والبخار والملح والأحجار الأخرى كل واحد يقول أنا ما خلقت باطلا بل خلقت لمنفعة وغيرى لا يستدنى من كل الوجوه ثم يقول كل واحد منها إن الله منزه عن العبث في خلقي إذ خلقتني لعمل . إن هذه العوالم ليست مصادفة عياء بل معقولة موزونة . فهذه لأعبث في خلقها وإيجادها . ههنا أجد الجسد للتسبيح فشجرة النخل مثلا تقول إني لا يستدنى غيري مستدنى في زمن الحبل فاخصامي بهذه الصفات ليست عبثا وفيها

منافع . فقول النحلة لست عبثا معناه أن الله منزّه عن همل بلاتدبير وكونها فيها منافع معناه أنه محمود على نعمه . تبين بهذا معنى قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - على قدر طاقتنا وتبين أن هذه المعاني لا تتم لنا إلا بدراسة علوم الأمم المحيطة بنا التي تسلموها من آباءنا . وتبين بهذا أيضا أن المسلمين لن ينالوا هذه المعاني التي توقفتهم على حقائق الكائنات وتبسيطها إلا بعد بذل الجهد في توسيع نطاق المعارف العامة ابتدائية وتجهيزية وعالية . وهناك ينبغي من يدركون خواص الموجودات . إذ لن لا يتم ذلك إلا بعد ازدهار أنوار اللدنية في بلاد الاسلام وقراءة علوم الأمم المحيطة بنا وبغير ذلك لبقاء المسلمين ولاعلم عندهم ولاتسبيح ولاحد ويكون أتباع هذا الدين الحكيم حفاظين كلمات لا تدخل عقولهم ولا تؤثر في قلوبهم وينطبق عليهم إذ ذاك قوله تعالى - ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون -

الآن أيها المسلمون كشف الظاه وظهر السر وأشرق النور - وأشرقت الأرض بنور ربها - . اليوم ظهرت أسرار هذا الدين . ومن أجل الأسرلر أنه لا تسبيح ولا قدس على الحقيقة إلا بدراسة العلوم التي عرفها الأمم حولنا فإن لم ندرسها حقاً علينا قول ربنا - فويل للمسلمين • الذين هم عن صلاتهم ساهون - إن الساهي عن صلاته لا يعقل المعنى في مثل ﴿ سبحان الله والجد لله ﴾ ومن لا يعقل المعنى لا يطلبه ومن لا يطلب العلم جاهل وإن جميع العلوم داخلية في الجند والتسبيح والويل الذي جاء في الآية حلّ بالأم الإسلامية اليوم لأنهم قوم ساهون في غمراتهم وأعمالهم وديانهم ودينهم . فهذه الصلاة معراج . فهل عرج المسلمون عليها للعلوم التي فصلها الله في الأرض وفي السماء . ولكن الله يقول - وما كنا عن خلق غافلين - فهو سبحانه لعنايت بالمسلمين أودع في العبادة التسبيح والتحميد فكرّرهما مملأ الأرض بالعلم ثم أظهر هذا التفسير وأمثاله فظهرت الحقيقة وسيقرأ الناس هذا وأمثاله فترتقي أولاد مدنهم ومع ارتقاء المدن بالعلوم يكون ارتقاء النفوس بها من حيث ادراك أمثاله ما قلنا الآن من أن التسبيح والتحميد ساريان في سائر العلوم وهما معروفان لفكرين والجد لله رب العالمين

﴿ التسبيح والتحميد في القرآن لفز الوجود ﴾

هل يعلم المسلمون أن هذه الآية هي اللفز الذي انتصب لخله أم الأرض قاطبة . التسبيح والتحميد هما مسألة (الخبر والشر) . فالتسبيح تزيه عن فعل الشر أو الاتصاف به والتحميد ايدان بالاتصاف بفعل الخير والشر والخبر المذكوران هما موضوع دراسة الأمم كلها . اتنا على هذه الأرض نحس بالآلام ولذات ومحجوب ومكروه . هكذا أبناء آدم من عهده وإن تقادم بحثوا في الخير والشر ونظروا . فانظروا في دين الجوس وكيف كان الجوس يقولون إن الذي صنع هذا العالم ﴿ إلهان ﴾ إله للخير وإله للشر . فإذا قيل لهم من الذي صنع القارب والحيات . ومن الذي أتى بالأمراض والموت فلاجواب لهم إلا أن يقولوا هو إله الشر . ولتدفروا بذلك من أن إلهاً رحباً يصح فاعلا للشر وانتهى الأمر عندهم على ذلك . إن الناس قديما وحديثا لا يمتثلون إلهاً رحباً ثم هو يخلق الشر . فهذه العقدة حلها دين الجوس بهذا الحل الذي فصل الخير عن الشر وجعلوا أن إله الخير تغلب على إله الشر وصنع هذه الخيرات . هذا هو دين الجوس وهذا الحل يتناول الشرور التي في العالم والتي في نفس الانسان . فإذا قيل لم كانت الزلازل يقولون من فعل إله الشر . وإذا قيل لم كانت الحياة فيقولون من إله الخير وهكذا المرض من الأول والصحة من الثاني

﴿ آراء علماء اليونان في الخير والشر ﴾

ثم إنك ترى أن علماء اليونان بحثوا في الخير والشر ولكن من أجله الإنسانية وحدها . ولقد كان فيهم (الرواقيون) أصحاب (سقراط) وللساؤون أصحاب (أرسطاطاليس) والتي نقل إلينا هورأى أصحاب الرواق وكلامهم في هذا المقام خاص بالأخلاق . ولقد كان (سقراط) قبل الميلاد بنحو أربعة قرون وكلام هذه الطائفة

أما الآن فالآلام كلها لازال غير قادرة على حفظ النظام العام . هذه هي اللغة العاتقة التي لم يتم الناس دراستها الى الآن . فهذا الكلام الالهي الذي ظهر أثره في نوع الانسان قد دخلت فيه آلام كثيرة . آلام لموت الولد ومرضه . وآلام الحرب . وآلام التصب في كسب المعاش . وآلام المرض بل ان أكثر هذا الكلام الالهي آلام . إذن اللغة التي يخاطبنا الله بها كلها إحساس والاحساس متنوع . إذن هذا الاحساس لم يكن لا يذاتنا بل هو لنفستنا . فإذن قول المسلم ﴿ سبحان الله ﴾ معناه أن هذه الآلام لم ترسل لأهل الأرض ظمأ كلاً . بل هي اللسان الذي يفهمونه وليس هناك طريق توصل للحيوان وللانسان منافعهم إلا من طريق هذه اللغة . فعلى قادة الأمم بعدنا أن يكونوا جاعات للتفكير في أسباب الآلام العاتقة حتى يتداركوا ما فرط من نوع الانسان وعلى مقدار الجهل بهذه اللغة يكون العذاب لهذا الانسان . فإذن يجب دراسة هذه الآلام الشاملة لنوع الانسان ومتى أدركها الناس سعدوا . فما هذه الآلام العاتقة في نوع الانسان من سياسية وجسمية وعقلية إلا مطالبات بالكمال وعلى الناس الدراسة . هذا معنى سبحان الله يعني يا أيها الناس إني لم أنزل عليكم جوعاً ولا غرياً ولا غيرهما إلا لتكميلكم فالآلام مقتضات الكمال لا أني أريد تعذيبكم بل تهذيبكم . إذن تسبيح المسلمين يراد به دراسة هذا الوجود . أما التحميد فانه تكميل التسبيح فاتنا اذا درسنا الآلام الانسانية وعرفنا أن القصد منها معرفة مقاصدها . هكذا من باب أولى فلندرس النعم المحيطة بنا فلا نفرهوا ولا نملأ ولا نعصر أرضاً إلا لدرسانها لنتمتع بنعم الله لأن هذه النعم هي المطالب العاتقة التي لها خلق الله فينا أنواع الآلام . فالآلام تدفعنا للعمل والعمل ينيلنا نعم الله التي تحيط بنا وهذه النعم هي الممود عليها . فإذن يدرس الناس طبائعهم فيكونون مسيحين لأنهم اذا عرفوا الحقائق نزّهوا ربهم عن قصد إيذائهم وعذابهم بلا حكمة ثم يخرجون من ذلك الى تناول النعم فيكون الحمد ثم بعد ذلك يقول لهم أيها الناس انكم لم تؤثروا من العلم إلا قليلاً وهذا معنى ﴿ الله أكبر ﴾ هذا هو التسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلوات وهذا بعض سرّ قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم - فالجوع يؤلمك وفي الوقت نفسه ينزّه الله أن يريد إيذاك وإنما يرسل الجوع ليدعوك للطعام وبالطعام تحيا فالملك لاسعادهك بالحياة فلأن الناس درسوا ما في نفوسهم لأدركوا أن كل ألم فانما هو لمصلحة والمسلم يقول في سجوده وركوعه سبحان رب العظيم وسبحان رب الأعلى ثم يتبع ذلك بأنه خضع له سمعه وبصره وبأنه سجد وجهه للذي خلقه وصوّره الخ كل ذلك من هذا الوادي . فهو يقول ان الله لم يرسل الآلام في الأرض إلا لرحمتنا فلندرس ما لم تفهمه لأن الله يقول - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - وقد جاء في الحديث ﴿ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ﴾ ومثل هذا الفهم من أجلّ اللغة في الدين لأنه نهاية حكمة الحكماء وعلم العلماء وبعض ما فضل به ابوبكر رضي الله عنه الذي أفضل الناس بشئ وقر في نفسه

اذا عرف المسلم اهذاً ينتقل الى طبائع هذه الدنيا ويرسها وينظر منافعها ويحترس من المضار ويجلب المنافع وهو معنى الحمد . واذا وصل الناس الى منافع في الأرض فليس معنى هذا انهم قد وصلوا الى النهاية كلاً . وهذا معنى ﴿ الله أكبر ﴾ فكما وصل الناس الى نعمة فليعلموا أن وراءها نعماً . واعلم أن أهل الأرض اليوم كلهم جاهلون لأنهم يجهلون مآخيل فيهم من الآلام مع انهم لو درسوها لأعطتهم علماً جاً فاذا رأينا الجوع والعري وحسب التزويج مغروسين فينا فلنظن فينا أن هذا قصد وحكمة وهذا القصد وهذه الحكمة يجب علينا دراستها تهدينا الى حياتنا بل لنقلد الله في ذلك وليكن تعليمنا صامتاً اذا قفنا . وكلما كان التعليم بالصمت كان أقرب الى التفقه والا فنعش عمتلون فنأكل الطعام ونزويج ونحن مقهورون على ذلك ولا ندري اننا مقهورون . فلماذا لا يشكر أهل الأرض في انهم يكون بعضهم لبعض نافعاً بطريق الحب والشفاع النفسى كما رأوا أنفسهم يملون ويأكلون ويشربون وهم يظنون انهم مختارون مع انهم جميعاً يجهلون انهم مقهورون

على ذلك . اللهم اننا خلقنا في هذه الأرض ونحن لم نتم مقصود هذه الحياة كما قال تعالى - كلاً لها نذكرة * فمن شاء ذكره - في مصحف مكرمة * مرفوعة مطهرة - الى قوله - قتل الانسان ما اكفره * من أى شئ خلقه * من نقطة خلقه فقتله * ثم السبيل يسره - الى قوله - كلاً لما يقض ما أمره - ورى القرآن يذكر أن نوح طغوا بسقر الناقة ويقول - كذبت نوح بطغواها * اذ انبت أشقاها - الخ وهذا كله راجع الى جهل نعمة أرسلت اليهم وهي الناقة ولما جهلوا عقروها وهي نعمة في الحياة الدنيا فعوقبوا . ومعنى هذا أن الناس على الأرض اليوم اذا جهلوا النعم التي أحاطت بهم فانهم لاهلة معاقبون وأكثر أهل الأرض اليوم في عقاب في الدنيا - ولعذاب الآخرة أشد وأبقى -

فليقرأ الناس جميعا عواطفهم - ومنافع أرضهم والله لن يتم ذلك إلا اذا تصافروا أهل الأرض على هذه الدراسة ووحدها الوجهة العلمية والعملية والا فهم لا يزالون في عذاب مستمر . وأظن أن النوع الانساني سيقرب منه هذا اليوم - والله يعلم وأتم لاتعلمون - انتهى

(بهجة العلوم في قوله تعالى أيضا - تسبح له السموات السبع - الخ)

(من كلام الصوفية)

اعلم أيها الفكري أن الله عز وجل أنذر هذه الأمم الاسلامية بجميع طرق الانذار فلم يفر سبيلا لتعليمهم إلا سلكه ولا طريقا لهدايتهم إلا سنها . ذلك لأنه رحن رحيم فهو رؤوف بخلقه . ولا جرم أن هذا العالم الذي نعيش فيه من العوالم المتأخرة التي تأتي الهداية لأهلها بطرق خاصة تناسب عقولهم . فانظر ماذا جرى قد عرفت فيما سبق في هذا التفسير أن المسلمين للتأخرين حرّموا من العلم بحمال هذه الدنيا وزاد الطين بلة أنه شاع بين المتصوفة أن العلم حجاب وشاعت هذه القضية بين الناس فأصبحت هذه عقيدة معدولا بها فإذا صنع الله مع المسلمين . جعل بعضهم في أخريات الأمم وسلط عليهم الفرنجة فأحاطوا بهم من كل جانب وقبل ذلك سلط عليهم الصليبيين غار بوهـم . كل ذلك ليوقظهم للعلم والمعرفة لأن العلم هو السلاح العام في كل زمان لاسيا في هذا الزمان فهو السلاح المتين فان السلاح في الحرب نتيجة من نتائج العلم وهكذا سائر أدوات الحرب من سفن وقلاع الخ

تجب من صنعه مع المسلمين . علم سبحانه أنه عز وجل سيلهم أناسا في عصرنا هذا لنشر العلم ونحريض المسلمين عليه مثل ما في هذا الكتاب وعلم أن أكثر الأمم الاسلامية أتباع شيوخ الطرق وأكثر شيوخ الطرق يهتدون الناس عن العلم وعن قراءة الكتب تتقي السلطة في أيديهم لأن المسلم اذا كان أعلم من أستاذه تركه لاهلة . فانظر ماذا دبر الله قراء هذا التفسير . ألم الرجل الصالح المسمى (بالشيخ الخواص) بمصر في القرن العاشر الهجري أن يلقى بعض مسائل الشيخ عبدالوهاب الشرنافى رحمه الله تعالى وتلك المسائل تناسب الآية التي نحن بصددها وتناسب العلوم التي كشفت حديثا ولم تكن معلومة في ذلك العصر وانما فعل ذلك لتكون حجة لأمثال قراء هذا التفسير وتلك الحجج بها يصلون ويهاجون أولئك الجهلة من المسلمين الذين يقولون ان هذه العلوم لا لزوم لها فتكون هذه المسائل أشبه بمن يضرب بطيرين بمحجر واحد فهي أولا حجة على جميع من يدعى من الصوفية جهلا أن الاسلام براه من هذه العلوم فيقال لهم إذن لماذا أظهر الله معرفة ما ستسمعه من الجوانب العلمية على يد صوفي مثلك في وقت لم يعلم بهذه العلوم أحد في الأرض . إذن هذه العلوم اسلامية صوفية وأنت جاهل بها (ثانيا) هذه متى سمعها المسلم وأيقن أن بعض الخواص من المسلمين عرفوا هذه المسائل قبل ظهورها أيقن لاهلة بأن هذا علامة على صدق هذا الدين وتكون هذه من معجزات صاحب الشرع ﷺ

اذا علمت ذلك فهناك ما قاله الشيخ الخواص للشيخ الشرنافى في مكتابه للمسمى (الجواهر والقرر)

ذلك أن الشيخ الشعرائي سأل الخوفاً شيخه الأمامي القمي لم يكتب ولم يقرأ ولم يعلم فقال لماذا كان كل شيء في الوجود حياً دراكاً عند أهل الكشف فبأي شيء زاد الحيوان على الجسد في شهود العاتية . فقال زاد على الجسد الشهوة فقط زيادة عن الإدراك ثم ذكر له ملجاء في السنة الصحيحة مما يشهد بمعرفتها لأوامر ربها وبمعرفتها بكل شيء وبفهمها كل كلام ولكنها عاجزة عن إسماعنا النطق بالله . وذكر هنا أحاديث في هذا المعنى اكتنى منها بقوله أنه عليه السلام لما هاجر إلى المدينة وعرض كل من الأنصار لزمام ناقته قال عليه السلام دعوها فانها مأمورة . قال ولا يؤمر إلا من يعقل ثم قال وفي القرآن العظيم - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجنحية إلا أم أئمانكم - قال والأمثال هم المشتركون في صفات النفس كلهم حيوان ناطق إلا أن كل جنس يقل في غيره معرفة اصطلاحه ثم قال تعالى - ثم إلى ربهم يحشرون - يعني كما يحشرون أئمة وهو قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - يعني للشهادة يوم الفصل والقضاء ليفصل الله بينهم كما يفصل بيننا فيأخذ للشاة الجلاء من الشاة القترناء كما ورد في ذلك دليل على أنهم مخاطبون مكفون من عند الله من حيث لا يشعرون المحجوبون وذكر آية - وإن من أئمة إلا خلا فيها نذير - قال والنذير خاص وعلم . قال وورد أن الكلاب أئمة من الأمم وهكذا النمل والحشرات انها أم أئماننا . ثم ذكر كلاماً لاتصوره عقولنا مثل أن البهائم قد حارت أشد الحيرة في معرفة الله تعالى وإن أعلى ما يصل إليه العلماء في العلم بالله تعالى مبتدأ الهائم التي لم تنتقل عنه وإن كانت متنتفة في شؤته . ويقول إن الناس احتاروا في أمر الحيوان لأنهم يرون أمهالاً صادرة بعقل ودوية وفكر دقيق ولم يكشف الله لهم عن عقولها ومعرفتها وهم لا يقدرين على إنكار ما يرونه ويصدر عنها من الصانع الحكيم خائروا وأخذ هؤلاء المحجوبون يتأولون ملجاء في الكتاب والسنة من لفظهم ونسبة القول إليهم . ثم قال فيآيات شمرى ماذا يفعلون فيما يرونه مشاهدة كالنحل في أقرص الشمع وما في صفتها من الحكم والآداب مع الله تعالى . وكالعنكب في ترتيب الحبالات لصيد الذباب حيث جعل الله أرواقها فيه . وما يدخره النمل وبعض الحيوانات من أقوات وبناء أعشاشهم وإقامتها من القش والطين ونحو ذلك على ميزان معلوم وقدر مخصوص واحتياطهم على أنفسهم في أقواتهم فيأكلون نصف ما يتخرون خوف الجذب فلا يجدون ما يتقنون به فإن كان ذلك عن نظر فهم يشبهون أهل النظر . فأين عدم العقل الذي ينسب إليهم وإن كان ذلك علماً ضرورياً فقد أشبهوا بها لا يتركه إلا بالضرورة فلا فرق إذن بيننا وبينهم ولورفع الله عن أعين الخلق حجاب الصبي كما رخصه عن أهل الشهود لرأوا عجا في عشق الأشجار بعضها بسنا وطلبها التلاحق وأظهر آية لأهل النظر إذا أنصفوا . ثم قال الشعرائي بعد ذلك وقد ذهبت شيخنا علياً الخوفاً يعامل كل جاد في الوجود معاملة الحي - فضلاً عن الحيوانات ويقول إن كل جاد يفهم الخطاب ويتألم كما يتألم الحيوان الخ انتهى

ثم إن الشيخ أحمد بن المبارك بعد ذلك بقرنين اثنين حدث عن شيخه أيضاً المسمى الشيخ عبدالعزيز اللباني عن هذا فقد سأله عن تسبيح الحمى ونحوه فقال إن ذلك كلامها وتسميها دائماً وإنما سألت النبي صلى الله عليه وآله ربه أن يزيل الحجاب عن المضمرين حتى يسموا ذلك منها . ثم أخذ يشرح هذا المقام بحسب طريقه فأفاد أن الجادات تعرف ربها كسائر الحيوانات وانها عابدة خاشعة خاضعة . هذه وجهتها لربها ووجهتها إلينا أنها لاتعلم ولا تسمع الخ وأتى بهذه الآية - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - وقال أيضاً إن لأرض علما هي حملته وعارفة به كما يحمل أحدنا كتاب الله عز وجل ويعرفه وكذا كل مخلوق من الجادات هو حامل له . قال الشيخ ابن المبارك فقلت له فتكون عاقلة عالة كيف هي جاد . فقال إنما كانت جادا في أعيننا وأما بالنسبة إلى ربها فهي عالة به . وأتى كد في قوله أن كل جاد خاضع خائف خاشع وجل من ربه والناس لجهلهم يظنون أنهم يمشون على جاد . وأتى بعد ذلك بأشياء لا يتخيلها العقل مثل أنه سمع الأحجار بطريق الكشف تذكر الله وتسبحه . انتهى

وهنا جاء صديق العالم الذي اعتاد أن يسألني في الامور الهامة فقال بعد أن اطلع على ما كتبت هنا .
 عجبا لقد آتيت هنا بما لاتصوره العقول . وهل هذا يلحق بتفسير القرآن في هذا الزمان . فإنا ولهذا القول
 الذي لاتصوره العقول وأتى مناسبة بينه وبين الكشف في العصر الحاضر الذي ذكرته وأين الكشف الذي
 كشف هذا . قلت له ان ما تقدم ذكره يرجع لعالم الحيوان والنبات والجماد . فأما الحيوان فهذا العصر قد
 كشف فيه علما جادا . ناهيك ما تقدم في هذا التفسير من علوم عصرنا ومن دقة صناعات الحيوانات وبدائعها
 وتصرفها فارجع اليه في سورة هود والنحل وغيرها فذكر ذلك قبل أربعة قرون على لسان رجل مسلم أي
 أمر يجب . وأما النبات فأمره أعجب لأنك ترى الشيخ الخواص يقول ان الأشجار تشقى بعضها لأجل
 الاقتراح وهذا عينه هو الذي كشف العلم الحديث وأنا أحد الله عز وجل جدا كثيرا إذ جعل هذا التفسير مستوفيا
 لهذه المسائل كما تقدم في سورة الحجر وفي غيرها فان إلقاء الثبات أمر عالم لا يختص بعالم واحد نباتي وقد مر
 شرحه في سور كثيرة غير الحجر كالأنعام والبقرة وهكذا . وأما الجماد فهو أمر خفي جدا ولكن علماء العصر
 الحاضر لم يذكروا إلا ما أتى .

يقول بعض علماء أوروبا إن كل الجملادات متحركة وهذا أمر أصبح مبرها على وتقدم في هذا التفسير
 ومعنى هذا أن كل قطرة ماء أو قطعة حجر مركبة من ذرات صغيرة والذرات الصغيرة ترجع الى جواهر فردة
 والجواهر الفردة ترجع الى عناصر أولية كالكسوجين والادروجين وقد بلغت العناصر الآن فوق الخمسين عددا
 وجعلوا منها النحاس والحديد والذهب والفضة وهكذا وهذه العناصر متى تحلت لا ترجع إلا الى كهرباء وماء
 لا تتوحد بينهما مسافات متباينات يدور بعضها على بعض كما تدور السيارات حول الشمس فالعالم كلها
 متحركة دائما لا تسكون لها وحركات تلك النرات دائمة لا تتور لها فهي لا تهدأ من يوم أن خلق الله العالم
 الى يوم أن يفنى العالم كله فناء تاما

ويقول العالم (هنتو) الذي نشر في مجلة (هاربر) الأمريكية مقالا في قطرة الماء وانه فرض تكبيرها
 حتى صارت بحسب الفرض أكبر من فلك الأرض حول الشمس ما يأتي

إننا نرى جوهر الاكسوجين مثلا وجوهر الادروجين ليس كل منهما إلا ذرتين من النور احداهما تدور
 حول الأخرى قال وإذا استبقطنا وسيلة نبطي حركتها رأينا في كل دائرة منها قطرة صغيرة من النور ولسرعة
 دوراتها يظهر مدارها دائرة من نور لأنها تدور فيه ستة آلاف ألف ألف دورة في الثانية الواحدة من
 الزمان . وما هذه النقطة اللامعة النورية الدائرة إلا قطرة كهربائية . إذن الأجسام التي نراها كلها ترجع
 لعناصر والعناصر ترجع الى كهرباء والكهرباء ماضى إلا قطرة نورية يدور بعضها على بعض بسرعة ملايين
 الملايين أى آلاف آلاف أضطحا مضاعفة وهذه السرعة باختلافها اختلفت العناصر وباختلاف العناصر اختلف
 العالم الذي نعيش فيه من سبلات وأرضين . هذا كلام علماء العصر الحاضر جميعا ثم ان طاقة منهم خاصة في
 سائر أنحاء أوروبا يستنبطون من ذلك أن كل مخلوق له حياة لأن الحركة تصحب الحياة . ولذا كل الحيوان
 بسبب الحياة متحركا حركات مختلفة فها نحن أولاء نتحققنا حركات الجماد كله وحركته أسرع آلاف الآلاف
 من حركات الحيوان فلم نثبت الحياة لضعف الحركة ونفنيها عن الحركة في أقوى وأدوم . فهذه الطاقة قول
 ان كل موجود حي . هذا آخر ما وصل اليه العلماء في العصر الحاضر . ثم قلت له . أفلا ترى أيها الأخ أن
 كشف العصر الحاضر قد أتى بثلاثة أرباع ما قاله شيوخ المسلمين من باب الإلهام وقد نبهوا المسلمين والمسلمون
 بقوا غافلين لم يتفطنوا لما يقولون . فقال صاحبي حقا انه من العجب أن يذكر ذلك بعض الشيوخ والعالم
 الانساني كله منذ أربعة قرون كان في غفلة فان تعاشق الأشجار التي ذكرها الشيخ الخواص لم تعرف إلا في
 زماننا ومعرفتها جاءت من أوروبا ولم يعلم أحد من المسلمين ولا غيرهم أن للجماد حركات بطيئة أوسرية إلا في

هذا الزمان ولكن كون الجادة فهم أمره غير معقول . فقلت نعم انه غير معقول لنا ولكن نحن الآن في مقام الموازنة بين كلام بعض شيوخ المسلمين وبين الكشف الحديث وانتا تهج من أن بعض ما قالوه ظهر صدقه فقال نعم هذا حسن وقد قرب لنا معنى أن كل شيء يسبح بحمد الله فلا . ثم سألت (سؤالين * أولهما) ما الفائدة في ظهور مثل هذه الأقوال في زمان تأخر المسلمين مع انه كما في ذلك الزمان كان خارجا عن العقول وبضه الى الآن لا يزال بيدينا عن تصور العقل (ثانيهما) هل كل ما يقوله الصوفية بالنسبة لما نراه من تحقيق كثير من المسائل العلمية بدون تعليل . فقلت أما فائدة ظهور هذه الأقوال في زمان تأخر المسلمين فقد قمت لك جلستها في هذا المقال وأزيدا وضوحا الآن فأقول

إن فائدتها ترجع (لأمرين * الأول) أن الناس في زمان جهالتهم حين يسمعون هذا وهو فوق طاقة العقل يسلمون به تسلياً بلا بحث ونكون فائدة لهم ثبت عقيدة الايمان فهي أشبه بمجربات الانبياء فهي من العلوم التي فوق طاقتهم كما ان الهجرة فوق طاقتهم فيكون نتيجة ذلك العلم ايمانا ثابتا (الأمر الثاني) أن يعرف المسلمون في عصرنا حين يطلعون على هذه العلوم والمباحث الطبيعية التي تكاد تنطق بما قاله هؤلاء الشيوخ أن شيوخ الصوفية وتلاميذهم الذين هم أكثر المسلمين الآن اذا تركوا هذه العلوم وهم قادرين عليها وعكفوا على الصادات وحدها والخلوات والمصعوات والتذكر وعقولهم خاوية من معرفة هذه العوالم يكونون آتمين مغرورين مذنبين وذلك (لأمرين * الأول) ما عرفت من أنها فروض كفاليات (الثاني) أن نفس رجال الصوفية هم الذين أخبروا بهذه المسائل قبل ظهورها في أوروبا وبقيت هذه نحو أربعمائة قرون في بطون الكتب لتظهر الآن مشروحة في أمثال هذا التفسير الذي سيكون من الأسباب الفعالة في انطلاق العقول الى حوز هذه العلوم ان شاء الله تعالى . فاذا كان شيوخ الصوفية هم الذين أشاروا اليها قبل ظهور علماء أوروبا وقد وصل هؤلاء الى أهم مذكره شيوخ الصوفية . فاذن يكون الصوفية في زماننا اذا جهلوا هذه العلوم مذنبين مغرورين معاقبين . إن الله عز وجل أطلق هؤلاء الشيوخ بذلك قريبا للصوفية في هذا الزمان على جهلهم . فقال صاحب هذا حق من وجه ولكنه باطل من وجه آخر . إن الصوفية بسبب الانقطاع الى الله يفتح عليهم فيعرفون ما لا يعرفه الناس . فقلت هذا أمر نادر والتاريخ لا يحكم له وهذه العقيدة عاكة بين تلاميذ الصوفية وأكثرتهم يموتون وهم لا يعلمون ولو كان هذا الفتوح علما لأصبحت بلاد الاسلام كلها غنية عامرة أغنى من أوروبا في هذه العلوم . فقال للفتوح عليه لا يكلم الناس بعلومهم لأنهم لا يفتقرون . فقلت وما فائدتنا منه فرضا وهذا كله جهل . قال رسول الله ﷺ (إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم) والله عز وجل لا يعطي العلم إلا للجد فيه . وانظر الى هؤلاء الشيوخ مثل السباع الذي ذكر تسبيح الجاد والشيخ الخواص الذي قال ان الأشجار تتماشق فان علمهما علم اجالي ولم يفد المسلمين فائدة عاكة ولكن العلوم اذا درست دراسة حقيقة انتشر العلم وانتفع به الناس ولكننا رأينا المسلمين مع كثرة رجال الصوفية فيهم أفقر خلق الله في هذه العلوم . إذن من الجهل أن تتكلم على الفتوح بالعلوم عجائبا وأن تترك عقولنا ومواهبنا كمن يترك حراث الأرض ويزرعها اتكالا على أنه ربما يثر على كثر فهذا جهل وغرور . انتهى الأمر الأول وأما الثاني وهو هل كل ما يقوله الصوفية حق فأقول جوابا عليه . كلا . وأذكر ك ما ختمت في سورة البقرة عند قوله تعالى - ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر - الخ إذ ترى أن في كل انسان قوة خفية عنه وقد استعمل الناس طرقا صناعية بها فقد الانسان احساسه وانحطفت اعضاؤه روحيا فيسمع من بعد ونبى بمحوادث مستقبلة ويخاطب الأرواح حوله ويكون بالنسبة لجسمه كأنه غريب عنه ثم هو مع ذلك قد يخطئ . ذلك لأن الله عز وجل لا يريد أن يجعلنا في الأرض نمش خلعدين . فقال لئلا يصح هذا في التوهم المغناطيسي فلا يصح في حق الشيوخ . فقلت له . كلا . إن الله عظيم متعال متكبر وقد فعل مع الشيوخ ما فعله مع غيره

قال وكيف ذلك . قلت ألم تر الى ما ذكره الشيخ الشمراني نقلا عن الخواص في آخر الكتاب للمقنن . يقول
(إن يوم الأمة الحميدة ألف سنة أولها من ولاية معاوية قال ولا تزال الشريعة ظاهرة يحكم بها الى ثلاثين سنة
من القرن الحادى عشر ثم يخلت نظامها الأكبر وتصير كقعد اقطع سلكه) وقال في آخر كتاب (درر
الخواص) ما يفيد هذا وقال مانصه

وقد بين الكشف والنوق اقتراب الأمر الدينى وانشقاق الفجر الأخرى وزاد فى البيان عكس الظلمة
والظلال وقبض العلوم الى أن قال وقد اجتمع بعض مشايخنا بالمهدى عليه السلام وأخبره أنه قد قرب ظهوره الخ
فهذه الأقوال كلها لم تتم وهاتين أولاء فى القرن الرابع عشر الهجرى ولم تم القيادة مع أنها كان موعدها
فى القرن الحادى عشر الهجرى . فينتج من ذلك أن التوحيم للمضاليسى وشيوخ الصوفية يخلطون ويصيبون
وما أصاب فيه الصوفية ايقظ للمسلمين وما أخطأوا فيه تعلم لنا أن لا تسكن إلا على الله وتعلم بأفسنا فهذا
زمان رقى للمسلمين وفى أحد الله عز وجل إذ علمنا ما لم نسكن نعم

وقبل الانتقال الى القسم الثانى أوضح مجاء فى حديث الاسراء أنه عليه السلام رأى ليلة أسرى به نهرين
ظاهرين وهما الفرات والنيل وهناك نهران آخران فى الجنة وأيضا قوله انه رفع الى البيت المعمور وأن هناك
ملائكة يدخلونه كل يوم ثم لا يرجعون وأن سدره للنتهى لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحدمن
خلق الله يستطيع أن يمتحنها

(١) النيل والفرات . اعلم أن الجنة ليس نيلنا فيها ولا فراتنا وإنما هذا الذى رآه رسول الله صلى الله عليه وآله من
عالم البرزخ الذى هو المسمى عالم المثال الذى ذكره (أفلاطون) وكثير من الصوفية عندما . فهذا العالم أرى
الله فيه نبيه صلى الله عليه وآله الحقيقة بحسمة والحقيقة كذلك أى ان النيل والفرات من السماء . وبيانه أن الحركات
الشمسية المنتظمة سبب فى الصيف والربيع والخريف والشتاء ومن هذه يكون المطر المستخرج بالحرارة من
المياه ففى أرسلت الشمس أشعتها على الأرض وسخن ظاهر الماء انجم البخار الى الجوف فتلحق مع الطبقة الباردة
عند خط الاستواء فتهطل المطر . إن الأرض يحيط بها خيمة من الهواء البارد مرفوعة عند خط الاستواء
راسية على الأرض عند القطبين فهناك الثلج المتراكم والجوف بارد فإذا ارتفع البخار فى هواء حار عند خط
الاستواء وتلاقى بهذا الهواء البارد نزل المطر وإذا انجم الريح من المنطقة المعتدلة الى المنطقة الباردة كل رايح
التجارية الضدية المتجهة الى الدائرتين القطبيتين فإن السحاب هناك تهطل . لماذا . لأن الهواء الحار
قابه البارد ومثل هذا يحصل فى الريح الموسمية التى تتجه من الشمال الى الجنوب شتاء ومن الجنوب الى
الشمال صيفا ونهب على المحيط الهندى فهذه الريح متى لاقت الريح الباردة هطلت مطرا . فهذه الأمطار
ناجة من البخار التى حلتها الريح التى أنارتها وأثارت البخار حرارة الشمس المسيرة فى السماء . فاذن كل
ذلك بفعل ساوى لا أرضى لها النيل والفرات وغيرها من الأنهار التى بينها فى سورة الرعد إلا قطرة من
بحر النظام الساوى حركات الشمس وحرارتها هما اللذان يسببهما أجرى الله الأنهار من فرات ونيل وغيرها
ولا جرم أن الشمس ونظامها متصلة بشمس أخرى وأخرى وهكذا الى أن ينقطع فكر العباد فظهر أن كلام
نينا محمد صلى الله عليه وآله يقصد به البعث والتقيب عن الهائب والنظام فان الانسان اذا سمع أن النيل فى الجنة
لا يصدق فيبحث فيصل الى ماقلته . إن علوم الطبيعة أوصدت أبوابها دوننا معاشر بني آدم إلا ما تجرد به
حواسنا وعقولنا وغيره محجوب . هكذا جعل الله للأنبيا رموزا لنبحث حتى نصل الى مقصودها ونقف
على الحقائق بقدر الامكان

(٢) وأما كون سدره للنتهى قد غشيها من أمر الله ما غشيها فنلك يعرف مبادئه بعض للمقنن للعبادة
فان هناك لهم أحوال خاصة بهم حقيقة أما لا أشك فيها وليس لها مفتاح إلا العبادة والذكر واستحضار الله

في الصلاة بحيث تشعر بانك تخاطبه فهذه مفتاح العمل الذي يريك مبادئ لهذا الذي ذكر في الحديث وان كان الذي يتجلى للسالكين ليس شياً بالنسبة للذي ^{هو} ولكن مالا يدرك كاه لا يتدركه . واذا كان حديث القرات والنيل للبحث في العوالم غديث سدره المنتهى وانوارها للبحث في أسرار النفس . وأنا أقول لك ان فيها أسراراً لا تقف عليها إلا بمفتاح العبادة والذكر مع حضور قلبك وتعلم أن هذه الأنوار النفسية شيء وعلم النفس الذي في الفلسفة شيء آخر . فعمل النفس الذي ذكرنا بعضه في سورة البقرة يتناوله البحث ويدخل فيه المنطق والقياس والبرهان . فاما هذا فلا برهان له إلا العبادة والذكر والنتائج لا يعرفها إلا صاحبها فقد يرى مسرات وانشراحاً لا يحصى بها الذي لم يزاولها فعمل النفس الفلسفي يشترك فيه الناس هموماً وعمل النفس الوجداني خاص بأصحابه ولهم ثمراه

(٣) وأما مسألة اللاتسكة وانهم سبعون ألفاً يأتون البيت المعمور ثم لا يرجعون أبداً فهذا مقام فوق هذا المقام فان الجلال الذي يتجلى لأصحاب الذكر والمراتين مرتبت أقل من مرتبة الذين ارتقوا فشاهدوا عالم اللاتسكة . واذا كنا نرى في أرضنا الضيقة عوالم لاتعد ولا تحصى حتى انك لو حسبت ما في دارك وحدها من المكروبات التي لا ترى ربما بلغت مئات آلاف آلاف بل هذه الأعداد وما فوقها ربما كانت في قطرة ماء في فنجال فما بالك بما في المنزل . واذا كان هذا في عالمنا فما بالك بعالم اللاتسكة فالأنبياء يطعمون على عوالم شريفة لا تحصى لقرب نفوسهم من نفوسهم وللتجانس بينهما . انتهى ما أردناه تابعاً للقسم الأول

(القسم الثاني)

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُبْدِيهِا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا • يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا • وَقُلْ لِمَ أَدْعِي بِقَوْلِ الْإِنِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا • وَبِكُمْ أَكْثَرُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يُزْخَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُضْغَمْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا • وَرَبُّكَ أَكْثَرُ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَتَنَّا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا • قُلِ أَذْهَبُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا • أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا • وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُّذْذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا • وَمَا مَتَّعْنَا أَنْ تُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا نُوحًا النِّفَاقَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا • وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحْلَقَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أُرِيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوتَهُمْ فَآيَرْتَهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا •

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا •
 قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَنُحَرِّقَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخِيكَنْ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا •
 قَالَ أَذْهَبَ قَوْمٌ بِتِمْكَمٍ مِنْهُمْ فَإِنْ جَاءُوكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا • وَأَسْتَغْفِرُ مَنْ •
 اسْتَعْطَمَ مِنْهُمْ بَصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِلْعِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ •
 وَعِزَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا • إِنَّ عِبَادِي لِبَيْنَكَ عَلَيْنِهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى •
 بِرَبِّكَ وَكِيلًا • رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّه كَانَ •
 بِكُمْ رَحِيمًا • وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ مَلَ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَلَغَ الْبَحْرَ الْأَمَّا •
 الْبَرَّ أَمْرَضَهُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَافِرًا • أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ •
 عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا • أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُبِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ •
 عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا •
 وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى •
 كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا • يَوْمَ نَذْهَبُ كُلَّ أَنْسٍ بِإِلَهِهِمْ قَوْمٌ أَوْفَى كِتَابَهُ يَتَّبِعُهُ •
 فَأُولَئِكَ يَفْرَوْنَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلُمُونَ قِيلًا • وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أُمِّي فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ •
 أُمِّي وَأَصْلُ سَبِيلًا • وَإِنْ كَادُوا لَيَفْسُقُونَكَ عَنِ اللَّهِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتُفْتَرَى عَلَيْنَا فِئْرَةٌ •
 وَإِذَا لَا تَجِدُكَ خَلِيلًا • وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَائَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا • إِذَا •
 لَا دَفْنَاكَ مِنْغَفَ الْحَيَاءِ وَمِنْغَفَ الْمَكَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا • وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ •
 مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا • سِنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا •
 قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا • أَقِمِ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِيِّ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ •
 وَفَرَّانِ الْفَجْرِ إِنْ فَرَّانِ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا • وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى أَنْ •
 يَمُنَّكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا • وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ •
 لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا • وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا •
 وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا • وَإِذَا •
 أُنْسْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَهْرَاضَ وَنَا يَحْيَاهُ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا • قُلْ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى

شَاكِلِيهِ فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا • وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ
 رَبِّي وَمَا أُتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا • وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ لَتَدْعُنَّ بِاللَّهِ أَوْخِينَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تُجِيبُهُ
 لَكَ بِهِ عَيْنُنَا وَيَكِلَآءُ • إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا • قُلْ لَنْ أَجْتَمِعْتِ
 الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا
 • وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَلَّى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا •
 وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجِبَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبْقُوعَا • أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ
 وَعَنْبٍ فَتَقْطَرُ الْأَنْهَارُ خِلَافَهَا تَنْجِيرًا • أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَمَعْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي
 بِنُفْحٍ وَالْمَلَائِكَةِ قِيَادًا • أَوْ يَكُونَ لَكَ يَنْتَ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
 بِرُوحِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا يَقْرَوُهُ قُلُ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا • وَمَا
 مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَتَ اللَّهُ بِشَرًّا رَسُولًا • قُلْ لَوْ كَانَ
 فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مَطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا • قُلْ كُنِي
 بِأَفْهِهِ شَهِيدًا نَبِيٍّ وَيَتَنَكَّمُ إِنَّهُ كَانَ بِبَيَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا • وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
 يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ مُهْمًا وَبُكْمًا
 وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا • ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا
 وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْآ لَمُنْشَوْنَهُ خَلْقًا جَدِيدًا • أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَلَّى الظَّالِمُونَ
 إِلَّا كُفُورًا • قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَا أَمْسَكُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ قَنُورًا • وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى نِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَأَسَّأَلَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ
 فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَا ظَنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا • قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أَتَىكَ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا رُبَّ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآءَرٍ وَإِنِّي لَا ظَنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا • فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِزَهُمْ مِنَ
 الْأَرْضِ فَافْتَرَقَاهُ وَمَنْ مَتَّعَ جَبِيمًا • وَقُلْنَا مِنْ بَيْنِهِ إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَلَمَّا
 جَاءَ وَهَذَا آخِرَةُ جِنَّتَا بِكُمْ لَقِيفًا • وَبِالْحَقِّ أَتَيْنَاهُ وَيَالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا
 وَنَذِيرًا • وَفَرَّآنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَبٍ وَتُرْنَاهُ نَزِْيلًا • قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ

لَا تُؤْمِنُوا إِنْ دَلَّيْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُنْزِلُ عَلَيْكُمْ حُجُورَ اللَّذَقَانِ سَجْدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا • وَيَخْرُجُونَ لِلَّذَقَانِ يَتَكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا • قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِمَلَأَتِكَ وَلَا تُخَافُوا يَهَا وَابْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا • وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا •

(التفسير اللفظي)

لما قالوا - أئذا متنا وكنا عظاما ورغافا - قال الله لنبيه ﷺ (قل كونوا حجارة) في شدتها (أو حديدًا) في قوته وبأسه (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) ويستعصم على قبول الحياة لكونه أبدي شيء عنها فقرة الله لا تقصر عن إحسانكم فبيان عندها أصلب الأشياء والطفها فالعظام الذخيرة أقرب إذن إلى قبول الحياة لاستعصم عليها كما أطاع ماهوا أكثر منها شدة وأصلب (فيقولون من بعدنا قل الذي فطركم أول مرة) وكنتم نراها فمن قدر على الإنشاء فهو على الإعادة أقدر (فيمنضون اليك رؤسهم) فيصير كونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى هو) استبعادا له (قل عسى أن يكون قريبا) عسى هنا للوجوب أي هو قريب (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) أي يوم يدعوكم من قبورك إلى المحاسبة يوم القيامة فتجيبونه حمدين له إذ تنفضون التراب عن رؤسكم وقولون سبحانك اللهم وبحمدك أو متقادين له اتقياد الحامدين وإذا حضوا الله على الأول فهم (فريقان) فريق ينفعه الحمد وهم المؤمنون والثاني لا ينفعه لأنه بعد فوات الفرصة في الحياة وهم الكافرون (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) أي وتستقصرون مدة لبثكم في الدنيا عند الموت أومة لبثكم في القبر يوم القيامة - كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها - (وقل لعبادي) المؤمنين الكلمة (التي هي أحسن) ولا تخشوا الشركين (إن الشيطان ينزغ بينهم) يهيج ويضد ويلقي الصدولة بينهم (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) ظاهر المداوة ثم قال تعالى (ربكم أعلم بكم أن يشأ ربكم) أي يوفقكم للإيمان فتؤمنوا (أو أن يشأ بعد بكم) أي يمتكم على الشرك فتعدبوا (وما أرسلناك عليهم وكيلًا) موكولا لك أمرهم فتقهرهم على الإيمان • يروى أن المشركين أفرطوا في إيذاء المؤمنين فشكوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) بأحوالهم فيقذف الإيمان في قلب من يشاء والكفر في قلب من يشاء ويصطفى منهم أفضلهم استعدادا للنبوة والنبينون أيضا درجات فلا بدع إذا كان محمد ﷺ نبيا وهو يتم أي طالب فإن استعداده هكذا ولا بدع أيضا في أن المرأة الضعاف أصحابه فالفضل راجع للقوة الروحية لا للمادة الجسمية ولا لكثرة الأموال والثروة • إن تفضيل داود عليه الصلاة والسلام لم يكن للملك وإنما هو لما أوتي من نعمة الزبور • فهكذا محمد ﷺ تفضيله واصطفاه الفقراء أن يكونوا أتباعه لم يكن إلا لما سهرهم النفسية وهذا رد لاستبعادهم أن يكون يتم أي طالب نبيا وأصحابه المرأة أتباعه وهذا قوله تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه داود زبورًا) • قل ادعوا الذين زعمتم من دونه أي الذين زعمتم أنهم آلهة كلالانكة والمسيح وعزير عليهم السلام (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر) عنكم ولا تخويلًا فالضر كالمرض وال فقر والقطع لا يقدر على كشفه عنكم ولا تخويله إلى غيركم وليس الأمر قاصرا على عجزهم عن ذلك بل إن أقربهم إلى الله يدعوه ينتهي إليه الوسيلة فكيف يكون غير الأقرب وإذا كان هذا شأنهم عجزا عن كشف الضر عنكم وافقارًا والتجاء إلى الله أعلاهم وأدناهم فكيف يقبضونهم

وهذا قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) ثم أبطل من الواو في يبتغون فقال (أبهم) هو (أقرب ويرجون رحمة ويخافون عذابه) فهم كثيرهم في الرجاء والخوف (إن عذاب ربك كان محسورا) أي حقيقا بأن يحضره كل أحد ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن سواهما (وان من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت والحرب (أو معدّبوها عذابا شديدا) بالقتل وأنواع العذاب (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي مثبتا في علم الله القديم أو اللوح المحفوظ • لما سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهابا وضعة وأن ينحى الجبال عنهم ليزرعوا أوحى الله لرسوله ﷺ خيرا له بين الاستئصال إذا أنزل عليهم الآيات كشمود فيكذبون وتأخير العذاب مع عدم انزال تلك الآيات فاختر التأخير ليكون منهم مؤمنون وذريتهم سيكونون من المؤمنين فقال الله تعالى (وما مننا أن نرسل بالآيات) أي وما صرفنا عن اقتراح الآيات التي اقترحتها قريش (إلا أن كذب بها الأولون) أي لا تكذيب الأولين الذين هم مثلهم كمعاد وغود فلو أنزلت لكذبوها فيستأصلون وكيف نستأصلهم وفيهم من يؤمن بنفسه أو يؤمن بالله (وأتينا نود الناقة) بسؤالهم (مبصرة) آية بينة (فظلموا بها) فكفروا بها وعقروها (وما نزل بالآيات) المقترحة (إلا تخويفا) من نزول العذاب للمستأصل فاذلم بخافوا أنزلناها (و) اذكر (إذ قلنا لك) أي أوحينا إليك (إن ربك أخطر الناس) فهم في قبضة قدرته (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) ليلة المعراج من العجايب والغرائب (إذ أسرى به إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماء والعرب تقول (رأيت بعيني رؤيا ورؤية) (إلا فتنة للناس) فأنكر قوم ذلك وزاد المؤمنون اخلاصا فهذه الفتنة كنار تميز الخبيث من الطيب والمؤمنون منهم من قال انها رؤيا منام ومنهم من قال رؤية بيقظة ومنهم من قال ان المعراج معرّجان معراج في اليقظة ومعراج في المنام • ثم ان ما قصناه يجمع الأقوال العديدة بها يقول الله فتنا بها الناس كما فتناهم بغيرها فكفر المكذبون فأما المؤمنون فلهم مذاهب شتى ويدخلون في أبواب من المعارف مختلفة وكل يقف عند ما يضمن له نفسه وفريق يتناهى في البحث إلى كشف الحقائق العلمية والأقوال الروحية ليخرج الناس من ظلمة الجهالة • إن أمثال هذه أشبه بالنار توقد فيصير المعدن في البودقة فوقها فيكون للزبد أعلاه والجوهر الصافي أدناه فقد امتازا بالنار امتيازاً كذلك هذه الرؤيا فعلت التي أريناك (والشجرة الملعونة في القرآن) أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس فانهم حين سمعوا أن شجرة الزقوم طعام الأليم اختلغوا فقوم ازدادوا إيمانا وقوم ازدادوا كفرا كأبي جهل إذ قال من ابن أبي كبشة أي النبي ﷺ نوءدكم بنار تحرق الجحرة ثم زعم أنها نبت شجرة وتلعون أن النار تحرق الشجر • وقال عبد الله بن الزبير ان محمدا يخوفنا بالزقوم وما الزقوم إلا الزبد والنمر وإنما كانت ملعونة لأنها في جهنم وهي أبعد مكان من رحمة الله وآكلوهما يمسكون من رحمة الله فجعلت ملعونة مجازا • ويقال لكل طعام ضار أنه ملعون • فهؤلاء كما فتنوا بالرؤيا فتنوا بالشجرة فالكافرون ينكرونها والمؤمنون (فريقان) فريق بكل الأمره وفريق يرى أن يبعث في الحكمة وعلم الطبيعة هل يجد شجرا لا تحرقه النار فيرون أن هناك حررا يقال له الحرير الصخرى • وقد رأيته وأنا في دار العلوم وأقيمت درسا على الطلبة بكل مدرس العلم فيها للرحوم أستاذي أحمد أفندي عبد العزيز فاني وضعت الحرير على النار مقدار ثلث ساعة تقريبا والحرير لم يزد إلا نظافة وهذا الحرير يلبسه الذين يطفون النار في المدن بأمر الحكومات كحكومة مصر فالحري الصخرى كالحرير للعتاد وكالتطن فاذا جاز ذلك في هذه الحياة فكأن في الأرض قسما من حجب وكفى في العوالم الأخرى من حجب بل ما من شجر أو حجر إلا وفيه نار بل الأرض مملوءة نارا وماخلص من النار إلا قشرتها التي نحن عليها بل الماء نفسه مادة نارية فنحن في أسعاه أكسوجين وهو مادة تشتعل سريعاً والتسع أودروجين فأرضنا نار وملاؤنا نار وأشجارنا نار وأحجارنا مملوءة نارا وهذا العالم الذي نسكنه تتخلله النار ولو لم يكن في هذه الآية سوى هذا الذي ذكرناه لكفي بهذه الفتنة

أثرت حاجة البحث والتتقيب وأوقت أهل الجهل والتقصير فوقوا جامدين ثم قال تعالى (وتخوفهم)
بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخوف (إلا طغياناً كبيراً) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بالجهة
ما يقترحون من الآيات فاذن لا ترسل الآيات المقترحة لهم إذ لا فائدة في ذلك . إن هؤلاء ساروا في طريقهم
على منذهب إبليس إذ طغى وتكبر بعد ظهور الحق وأتى بشبهات ضلّلت فهم اتبعوه في تسكينهم (و) اذكر
(إذ قلنا للأنكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) فللأنكة مع آدم يشبههم المؤمنون مع محمد وإبليس
هناك يقابله الكفار هنا (قال) إبليس (أأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ) حال كونه (طيناً) وهؤلاء قالوا أنتنفع بيم
أبى طالب ولا تصدق المراج ولا تعقل شجرة في نار فهذا كله تكذيب بأدلة مسطانية كأدلة إبليس ثم إن
إبليس تمادى في ذلك ووعده باغواء بني آدم وهذا قوله تعالى (قال أَرَأَيْتَ) الكاف للخطاب تأكيذاً
(هذا) مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا (التي كرمت على) أى فضلت لم كرمته على وأنا خير من خلقتني
من نار وخلقت من طين كما يقول كفار مكة - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - (لئن
أخزني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريت) لأستأصلهم بالاضلال (إلا قليلاً) يعنى المصومين وهم الذين قال
الله فيهم - إِنْ عَادَى لِيْسُ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ - (قال انهب) امض لما قصدته فطوره وخلق بينه وبين
مأسوت له نفسه (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً) أى فإن جزاءك وجزأهم جزاء مكمل
(واستغفر) استغفر ولزعج (من استغلت منهم) أى من ذرية آدم (صوتك) بدعائك إلى الفساد (وأجلب
عليهم بحيلك ورجلك) من الجلبة وهى الصياح أى صح عليهم بأعوانك من راجل وراكب والخيال الخيلة
والرجل اسم جمع لراجل كركب لراكب وهب لصاحب وهذا تمثيل لسلطته على من يغوهم برجل مغير صالح
على قوم فاستغفرهم من أما كنهم وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم ثم قال (وشاركهم فى الأموال والأولاد)
فيكسبون الأموال من السحت ويصرفونها فيما لا يبنى ويلمسون الأولاد من حرام باغرائك ويكفر أولادهم
ويضلون بزيئك لهم الباطل مع جهل آبائهم ولواهتدوا للقنوم الهدى (وعدهم) المواعيد إلى لا تقيد كتابخير
التوبة وأنه لا يثبت ولا حسب وكشفاعة الآلهة أوشفاعة الشيوخ الذين ماتوا مع قصير التلاميذ وما أشبه ذلك
(وما يهديهم الشيطان إلا غروراً) فانه يزين الخطأ بما يوهم أنه صواب (إن عبادى) أى المخلصين (ليس لك
عليهم سلطان) غلبة (وكفى بربك وكيلًا) لم يتركهم عليه فى الاستمانة منك أو حافظاً لهم منك . ثم بين
سببه فقال (ربكم الذى يزىيكم لكم الفلك فى البحر) أى يجرى بها فيه (لتبتغوا من فضله) الربح وأنواع الأمتعة
ويأكل الشرق مازرع فى الغرب ويغزل الغربى مازرع الشرق من القطن وتبادل أمريكا والشرق وأوروبا
والصين واليابان المنافع ولولا هذا لكانت الحياة شقاء والانسان ذلاً وهواناً (إنه كان بكم رحباً) فأتاح لكم
النم وأوصلها لكم على بعد الشقة وتأتى البئر إذ فصل بينها بالبحار ليسهل لكم الاسفار بالكهرباء نارة
وبالبخار أخرى وبالشرع آتية . وهذه النم لا تعرفونها إلا عند وقوعكم فى الخطر ثم مثل لذلك فقال (وإذا
مسك الضر فى البحر) خوف الفرق (ضل من تدهون) ذهب عن أذهانكم تلك الأنعام المعبودة وشيوخكم
الذين أنكنتم عليهم فى اتخاذكم من الهلاك (إلا إياه) وحده (فلما نجاكم إلى البر) من الفرق (أهرضتم) عن
التوحيد ونسيتم ما ذكرناكم به من نعمتنا العظيمة بتخويفكم الفرق ثم انجأكم منه وهذا كفر عظيم (وكان
الانسان كفوراً) فهل ظنتم أنه لا هلاك إلا فى البحر وما علمتم أن البر لى والبحر لى وإن فى البر مائى البحر
من الهلاك والخسف فى البر آفات عارضة وفى الجوف الرياح التى ترميك بالحصى والمتنوفات الجوية الطبيعية
والصناعية كالطيارات والمطالود جمع منطاد . فهذه كلها مما أعد لاهلاك من فى البر كما يهلك من فى البحر
وهذا قوله تعالى على سبيل الاستهتام الانكسرى (أفأنتم) أى أنتجوتم فأنتم (أن يخف بكم جانب البر)
بالخسف كما حصل فى اليابان سابقاً وقررتاه وذكرنا معه غيره فى سورة (آل عمران) (أورسل عليكم

(حسبا) ربحا بحسب أى ترى بالحسباء (ثم لا تجبوا لكم علينا كيلا) مانعا وناصرا (أم أمتم أن يمسدكم فيه) فى البحر (تارة أخرى) مرة أخرى (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) وهى التى لا تترك شئ إلا قصفته أى كسرتة (فيغرقكم بما كفرتم) أى بسبب إشرائكم (ثم لا تجبوا لكم علينا به تبيها) التبيح المطالب أى لا يجنبون أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصرا لكم ودر كالأثركم • إن الاغراق فى البحر والخسف فى الأرض جا آلاما معترضا بين نعمة ازجاء السفن فى البحر لا بتغاء الرزق وبين تمام النعمة بتكريم بنى آدم وحملهم فى البر والبحر وورزقهم من الطيبات وغنلهم على كثير من المخاوف والكلام المعترض للإنذار والتخويف وليعرفوا النعمة وهذا قوله تعالى (ولقد كرمتنا بنى آدم) بحسن الصورة واعتدال القامة والعقل والصناعة واللغات والخط والمهذى لأسباب المعاش الشريفة والتسلط على ما فى الأرض والاطلاع على المجائب العلوية والسفلية (وجعلناهم فى البر والبحر) على الدواب والقطرات والطيارات والمطاود (جمع مطاود) والسفن (ورزقناهم من الطيبات) وهى الأغذية النباتية والحيوانية المصفاة المنقاة فلهم خلاصتها لأن أمرجنهم أرقى الأمزجة وخلاصة الغذاء ينشأ منه خلاصة المغتذيين (وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا) بالظلة والاستعلاء والشرف والكرامة والقليل الذى لا يفضل الإنسان عليه خواص لللائكة والمسألة محل نظر لافائدة فى التروغل فيها • اذكر (يوم نضع كل أناس بما همهم) بكتاب أمهم الذى قتموها فلا ذكر للأنساب لأنها مقطوعة ولا ذكر إلا للأعمال والأخلاق والآراء والعقائد والقوى النفسية التى هى مغروسة فى النفوس فلا يقال يا ابن فلان وإنما يقال يا صاحب كتاب كذا فالأنساب جسمية والآراء علمية عقلية والباقي هذا الأخير واللقى خلفه الناس فى الأرض (فمن أوتى) من المدعوين (كتابه) كتاب عمله (يمينه فأؤتيك قرؤن كتابهم) مبتهجين فرحين (ولا يظلمون قتيلا) ولا ينتصون من أجورهم أدنى شئ • والقتيل الشئ الذى يكون فى شئ النواة وذلك ظاهر فى علم الكيمياء فإن وزن الذرات لا دخل فيه فلأذن ذرة واحدة زادت فى نبات أو حيوان أو ماء من عنصر من العناصر الداخلة فى تركيب ذلك لم يسكن ذلك المخلق كما شرحناه فى هذا الكتاب • والذى خلق الدنيا هو الذى خلق الآخرة فالعلم مستحيل هناك كما استحال هنا العلم فى نظم الطبيعة فتأمل والعجب وارجع الى ما تقدم فى مواضع كثيرة فى هذا التفسير (ومن كان فى هذه أعمى) أعمى القلب لا يبصر رشده (فهو فى الآخرة أعمى) لا يرى طريق النجاة (وأضل سبيلا) منه فى الدنيا • ذلك لأنك رأيت فى تفسير هذه السورة وفى غيرها أن الحياة الأخرى بعد الموت مباشرة ويوم القيامة ليست شأ سوى هذه الروح التى بين جنينا قد خرجت وولمها هذا الجسم كما تلد المرأة الصبي وكما يغر النخل الثمر والأشجار الأخرى الفواكه وما الثمر ولا الفواكه إلا ما كان من طبع الشجرة • هكذا ما الروح الباقية شئ سوى هذه الروح نفسها وقد خرجت بجميع صفاتها وأخلاقها وأحوالها وأعمالها وآدابها وهى التى تنظر الى نفسها وتنفر أو تفرح بذاتها فالمرء على حسب الشجر والروح هناك هى الروح هنا فإذا كانت هنا ساهية لاهية فهى هناك أكثر سهوا وأكثر هوا بل هى هناك أبعد مدى فى الضلال والعصى لأن آلات العلم والعمل عطلت وبقيت فيها مناقبها ومثالبها ولا قدرة لها على الزيادة من الأولى ولا النقص من الثانية فهذا تقرير قوله تعالى (وأضل سبيلا) ثم أتى بمثلين لتقسيم قسم المهتدين وقسم العصى الضالين فهؤلاء الآخرون كبعض قرىش إذ قالوا لا تمكثك من استلام الحجر حتى تزل بالهتنا وتسمي يديك • وكذلك أيضا قال ابن أهدل مكة كلوا يرمجونك منها وأذن لا يقون بصدق فيها إلا زمانا قليلا فلهذا حال القسم الأعمى • أما القسم الذى أخذ كتابه يمينه فهو الذى يصمم بما بعد ذلك من الآيات فيصلون الصلوات الحس ويتجهجون وهذا هو قوله (وان كلوا ليعتونك) أى يوانه أى الحلال والشأن فربوا بمبالغتهم أن يوقهوك فى الفتنة بالاستئزال والصرف (عن الذى أوحينا اليك) من الأحكام (لتفتري علينا غيره) غير ما أوحينا اليك (وأذن لا تخفوك خيلا) أى ولواتبت مرادهم لا تخفوك وليا وخرجت من

ولاي (ولولا أن تبتاك) ولولا تثبيتنا إليك (لقد كنت تركن اليهم شيئا قليلا) لقاربت أن تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على أهبة الركون اليهم لا نصف منك . كلا . ولكن لشدة مبالغتهم في المدح لك والتعجيل ولكن عنايتنا بك منعك أن تقرب من الركون فضلا عن أن تركن اليهم (إذن لأذنتك) أي لو فعلت ذلك لأذنتك (ضعف الحياة وضعف المات) ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب المات أي ضاعفا لك العذاب في الدنيا والآخرة وأصل الكلام لأذنتك عذابا ضعفا أي مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهي الضعف ثم أضيفت الصفة كإضافة الموصوف فقبل ضعف الحياة وضعف المات فهو هو لو ركن اليهم يكون عذابه ضعف عذاب غيره لأن الذنب من العظم عقابه أعظم وهكذا زلة العلماء يعاقبون عليها أشد من عقاب العامة لأنهم يتبعونهم (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) يدفع عنك العذاب • لما نزلت هذه الآية قال النبي هو (اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين) (وان كادوا) أي وان كاد أهل مكة (ليستفرونك) ليخرجونك بالصدواة (من الأرض) أرض مكة (ليخرجوك منها ولذن لا يلبثون خلافاك) أي ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك (الا قليلا) أي إلا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم قد قبلوا يوم يفر بعد الهجرة بسنة • وقال بعض المفسرين لو أخرجوك لاستؤصلوا بالعذاب ولكنه هو الذي هاجر . وهذه سنة الله في خلقه أنه يهلك كل أمة تمخرج رسولها من ديارها ولذلك سن الله (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) إضافة السنة للرسول لأنها لأجلهم سنة (ولا تجد لسنة) فيهم (تحويلا) تغييرا . هذا آخر الكلام في مثل الذين هم معي في الدنيا والآخرة وهم أهل مكة • ثم شرع في قسم المهتدين كما قسمنا فذكر أشرفهم فقال (أقم الصلاة ليدرك الشمس) أي لزوالها أي بعد زوال الشمس لأن الملوك من الملك وهو الانتقال والدالك لاستقر يده في مكان (الى غسق الليل) الى ظلمته وذلك وقت صلاة المشاء الأخيرة اذا زال الشفق (وقرآن الفجر) صلاة الصبح وسميت قرآنا من تسمية الكل باسم البعض لأن القراءة من أركانها كما تسمى ركوعا وتسمى سجودا (إن قرآن الفجر كان مشهودا) تشهد شواهد القدرة وبدائع الحكمة ونظام الخليقة وبهجة العالم العلوي والسفلي من ظلام حالك أزاله نورساطع وبهجة باهرة فيبينا الناس في نومتهم خاملون إذ أبسطهم النور فهم منتشرون فهناك ظهور النور وجمال الاصباح وبقطة النوام بعد الظلام وغيبوبة الحواس • ذلك كله محبط بالمصلى صلاة الصبح كأن ذلك كله طوائف من القلاء مطلعون عليه يشهدونه ويراقبون حركته • وهكذا الملائكة الموكلون بحراسة هذا العالم وحراسة المؤمنين يشهدون المصل وقد أخذت ملائكة الليل ينصرفون وأقبل ملائكة النهار يرقبون كما أدير الظلام وأقبل النياء - وما منا إلا له مقام معلوم - واذا كانت هذه الصلاة مشهودة من العوام العاقلة كالصليين والملائكة وغير العاقلين كما ذكرناه فان المصل نفسه يشهد معناها كأنه يطالعه في محيطة نفسه وقد أصبح وقلبه فارغ لم يسب بهموم النهار فتدفق المعاني على قلبه وتبجل له الأنوار المعنوية كما تبجل الأنوار الحسية في آفاق الشرق وتشرق نفسه كانبج الصبح اشراقا • واذا كان حاضر القلب وقد حضرت الملائكة المأمومة المعاني والهام الصلاح والتقوى لأنهم لا يلهون بالغبر إلا المستند وهذا وقت الاستعداد • وهذه هي الصلوات الخمس فمن دلوك الشمس الى غسق الليل أي غروب الشفق الذي ينجمه الظلام أربع صلوات الظهر والمصر والمغرب والمشاء وقرآن الفجر هو الصبح ثم قال تعالى (ومن الليل فتهجد به) أي وبعض الليل فترك المعبود الصلاة • ويقال في النوم أيضا تهجد (ناظلة لك) أي فريضة زائدة لك على الصلوات الخمس المفروضة عليك فأما أتمتك فهو مندوب في حقها (عسى أن يمشك ربك مقاما محمودا) أي عسى أن يقيمك ربك مقاما بمحمدك القائم فيه وكل من عرفه فالبحت هنا ضمن معنى الإقامة • وذلك أن اشراق النفس بالصلوات الخمس وبالزوافل يكسبها قوة وتأثيرا وهذا مما يبعث على انتشار أتوار الهداية كضياء الشمس والقمر إذ الهداية في الأرض إما شمس كالأنبياء وإما كواكب كالعلماء ولا تشرق قلوب هؤلاء ولا هؤلاء إلا بتوجهها

الى الله في اوقات خاصة حيث هنا وزيد فيها النبي ﷺ صلاة الليل إذ يترك النوم ويقوم لصلاة فتشرق نفوس هؤلاء فيقومون في الخلق داعين ولا أثر لهم في العقول إلا على مقدار ما أوتوا من قوة النور النفسى واشراق القلوب وبهجة النفوس ومستحيل أن يكون للإرشاد تأثير ولا العلم نور إلا بهذه الطريقة فيقوم الأنبياء في الناس داعين ويكون مقامهم محمدا لثناء الناس عليهم وهم أنفسهم حاملون لمقامهم وموقفهم الشريف لما يحسون في أنفسهم من السرور والقدرة والبهجة والرضا فهم يحملون مقامهم والناس من حولهم يحملونهم والله ولللائكة من فوقهم كذلك . ولا جرم أن هذا المقام المحمود بالإرشاد والارشاد يقبضه مقام الشفاعة كما قررناه في سورة البقرة إذ لشفاعة في الآخرة إلا على مقدار ما أوتى المشفوع له في الدنيا من علم ومن أخلاق فهذا تقرير المقام والله في الشفاعة ما يشاء من غفران واعلاء درجات . فإذا قال بعض المفسرين انه مطلق المقام أرقال آخره مقام الشفاعة كما دلت عليه الأخبار . وإذا قال غيرهم هو مقام يعطى فيه لواء الحمد فقد دخل ذلك كلامها في قررناه لك فهذه الصلوات تتأهبها ما بيناه هداية للناس أولا والشفاعة التابعة لها ثانيا وأى لواء سرغوم للحمد أكثر من هذا اللواء والشرف العظيم هداية في الدنيا ونجاة في الآخرة ومشهد شريف هانت ذا رأيت كفار مكة كيف بالقوا في ردة عن طريقه الشريف في الدين وكيف أرادوا إخراجهم من مكة ثم خرج وكيف أمره الله بالعبادة والتهجد . ولا جرم أن التهجد والصلوات الخمس ترقى النفس وتشرح الصدر وتقرب العبد الى ربه ويعطى مقاما محمدا ولذلك أعقبه بمقام من تلك المقامات المحمودة وهو الدعاء الذى هو مستجاب فقال (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) المراد هنا كل ادخال وكل اخراج كالادخال في القبر والاكسراج منه بالبعث كالادخال في المدينة للهجرة والاكسراج من مكة وكادخله مكة فاتحا واخراجها منها مهاجرا . كل ذلك داخل في الآية وكل مفسر اختار واحدا منها والحقيقة تم الجميع أى أدخلنى ادخلا مرضيا وأخرجنى اكسراجا محفوا بالكرامة والرضا في كل موطن من موطنهما (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) أى تسلطنا يصرنى بالجنة وبملك فأنتع المستمعين للدعوة بالجنة وبصر الاسلام على الكفر بالاسنيلاء والغلبة . وقد أجاب الله هذا الدعاء بقوله - فان حزب الله هم الغالبون - وبقوله - ليظهره على الدين كله - وبقوله - ليستخلصنهم في الأرض - فهذا الدعاء من المقامات المحمودة هو ومقام الشفاعة (وقل جاء الحق وزهق الباطل) جاء الاسلام وذهب وهلك الشرك . يقال زهق روحه اذا خرج (إن الباطل كان زهوقا) مضمعلا غير ثابت * روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثمانية وستون صنبا لجعل يطعنوا بهود في يده ويقول - جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا - جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد . ولما آتم الكلام على قسمي العمى والبصراء أخذ بيدي أولئك العمى الذين أرادوا أن يصرفوا النبي ﷺ عن سبيله الى سبيلهم وقالوا ألم يأتنا قبل أن تلمس الحجر فقال تعالى مينا أن القرآن شفاء (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من أمراض القلوب (ورحة) وتطهير للصوب وتكفير للذنوب (للمؤمنين ولا يزيد الظالمين) الكافرين (إلا خسارا) ضلالا لأنهم كما كذبوا بأية نزل بها الوحي ازدادوا بها كفرا فأما للمؤمنون فانه يشفيهم من العقائد الزائفة ومن الأخلاق المذمومة . ولما كان دعوتهم للنبي ﷺ أن يركن اليهم كفرا بنعمة القرآن التي هو شفاء قال (وإذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة وهكذا أنزال القرآن على أهل مكة (أعرض ونأى بجانبه) لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بأمره أى تكبر فلا يذكر الله ولا يبالى بالناس (ولذا منه الشر) كالقفر والمرض والنوازل التي نزلت عادة بنوع الانسان (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله . ولما آتم الكلام على تقرير هذه الحقائق الثابتة للعمى والمعتدين حتم القول بأن كلا يسير على مذهبه فقال تعالى (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) أى على مذهبه وطريقته التي تشاكله في الهدى والضلال وحال جوهر روحه وما يلابسها من البدن ومزاجه

فلم يقتضى هذين يكون العقل والعلم والصالح والجهل والطلاق فمن قال الشاكلة الطيبة أو الدين أو العادة فلم يخرج عما ذكرناه لأن جوهر الروح ومزاج الجسم يتبعهما كل ما يتعلق بهما من ذلك ونتيجة ذلك كله يعلمها الله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أسد طريقا وأبين منهجا . ولما كان هذا القول يستدعي السؤال عن تلك الشاكلة والجوهر الروحي الذى نشأ عنه كل هذا الاختلاف حتى رأينا أنبياء يهدون وعبادة يقلدون وكفارا يمانعون فما تلك الروح التى أسند إليها هذا كله وعلى مقتضاها ومقتضى مزاج الجسم صدرت هذه الامور بل إن هذا السؤال نفسه ورد فعلا . عن ابن مسعود رضى الله عنه قال مر رسول الله ﷺ بنفر من اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يسمعكم ما تكبرهون فقاموا إليه وقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر فعرفت انه يوحى إليه ثم قال (ويسألك عن الروح) الذى يحيا به بدن الانسان ويدبره (قل الروح من أمر ربي) مما أبدعه الله من غير مادة وقد استأثر بعلمه لا يعلمه سواه لأنكم لاتعلمون إلا آثاره حواسكم وتتصرف فيه عقولكم وحواسكم لاترى من المادة إلا بعض أوصافها كالألوان والحركات للبصر والأصوات للسمع والطعوم للذوق والمشموحات للشم والحرارة والبرودة لللمس وقد وصلت هذه الى ست وثلاثين نوعا من أحوال المادة وغاب عنكم فى المادة ما عداها فكيف تتركون ما هو غير مادي وهو الروح (وما أولئك من العلم إلا قليلا) أخرجه الشيخان والترمذى . وفى رواية أخرى للترمذى قالوا أولئك علماء كثيرا أولئك التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى علما كثيرا فنزلت - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي - الآية . وأما ما عدا هذا الحديث من حديث أن قرىنا بأغراء اليهود سألوهم عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح ما ذكره المفسرون فذلك لم يرد فى الأحاديث الصحاح فذلك ضربنا الله كره عنه صفحا ورجعنا الى التفسير . ولما فرغ من مسألة الروح وأن الانسان عاجز عن ادراكها وذلك له اتصال بمسألتى الهداية والعبي المتقدمتين وأن قرىنا حاولوا صرفه عن بعض مألوسى إليه . فلما أتم ذلك كله وأبان طريق المهديين بالصلاة والتجهد وطريقة الغافلين بالضلال رجع يخاطب نبينا ﷺ بمناسبة اغرائهم له ليبين لنا أن لا تغتر عن وجهتنا بأغراء المفرين ولا بإفساد المفسدين فقال مهتدا (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) أى والله لئن شئنا لنفصحن القرآن من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لاترى ما الكتاب ولا الايمان (ثم لا تعبد لك به علينا وكيفا) أى ثم لا تعبد لك بعد انقضاء به مانعا وكيفا يرجعه لك (إلا رحمة من ربك) لكن رحمة من ربك تركته غير مذموب به . امتن الله ببقاء الكتاب بعد المنع بالازوال وهذا تحذيرنا أن تنزك عن نعمة الهداية باضلال الضالين ولرجاف المرجفين . فلذا كان الله يقول لنبى ﷺ إياك أن يفتنوك وهو عاصمه من الفتنة ويقول لى ان شئت أذهب ما بقلبك من القرآن فكيف بأتباعه وهو لم يصمهم وهذا هو السبب فى ضلال كثير من أهل العلم فانهم متى ظاهروا العامة بأعد الله بينهم وبين العلم ثم قال تعالى (إن فضله كان عليك كبيرا) إذ أرسلت وأزل الكتاب عليك وأجاء فى حفظك وفى مصاحفك وحفظ أتباعك ومصاحفهم ثم وصف القرآن بأعظم وصف ليثبت قلبه ﷺ وقلوب تابعيه وكذلك ليرد على أولئك العبي الذين بالفوا فى طلب صرفه عن الحق فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) بلاغة وحسن معنى وتصرفا واحكاما وغير ذلك (لا يأتون بمثله) وفيهم العرب النصحاء وأرباب البيان والمحققون وهذه الجهة جواب القسم للمبدول عليه باللام وجواب الشرط محذوف دلالة عليه جواب القسم (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معنا . ثم ذكر بعض محاسن هذا القرآن فقال (ولقد صرنا فى هذا القرآن من كل مثل) أى ينافيه من كل وجه من وجوه العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) هجوموا وابتوا على الكفر أى لم يرضوا إلا كفورا . ولما أتم الكلام بوقام الاقتناع بالجهة وقطعت ألسنتهم ولم يبق لهم حجة أرادوا المراءغة باقتراح الآيات (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) عينا

غزيرة من شأنها أن ينبع الماء منها لا تقطع وهو على وزن يفعل من نبع (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب) أي بستان فيه ذلك (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) كقطع لفظا ومعنى (أو تأتي بالهة والثلاثة قبلا) أي زاهم مقابلة عيانا كالشبر بمعنى العاشر وفي آية أخرى - لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا - ثم قال تعالى (أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب (أو ترقى في السماء) في مطارجها (ولن تؤمن لرقيب حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) وفيه تصديقك (قل سبحان ربي) تنجبا من اقتراحتهم وتنزيها له من أن عليه ويشاركة أحد في القدرة (هل كنت إلا بشرا رسولا) فأننا كثر الرسل وليس للرسل أن يأتوا إلا بما يظهره الله على يديهم فليس لسبح الحجة * روى أن أشراف قریش سأله ﷺ انه ان أراد المال أعطوه حتى يكون أغناهم وإذا أراد السيادة سؤدوه عليهم وإن كان الذي أصابه من تابع من الجن غلبه حتى قال ما قال فان أموالهم يحبسونها عليه ويدفعونها للأطباء حتى يزول ما به من الداء فأبى وقال لهم انه رسول الله وما عليه إلا البلاغ فقالوا له اذا كانت هذه منزلتك من الله فأزل عنا جبال مكة وتكن لك جنة من نخيل وعنب وفيها العيون نابتة الخ . فلما قام من مجلسهم ومعه عبد الله بن أبي أمية ابن عمته عاتكة شدد عليه في القول وقال له عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبل فوالله لا أومن بك أبدا حتى ترق السماء الخ فرجع الى أهله ﷺ حزينا فنزلت هذه الآية وهذا هو الجواب الاجالي وهناك في آيات أخرى تفصيل لبعض ذلك كقوله تعالى - ولو فتحنا عليهم بابا من السماء - الخ . ثم أعقب الله ذلك بأن الناس دأبهم أن يقولوا كيف يرسل الله بشرا هلا أنزل ملائكة (وامنع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبث الله بشرا رسولا) أي إلا قولهم ذلك أي فلم يبق لهم شبهة إلا هذه (قل) جوابا لهم (لو كان في الأرض ملائكة يمشون) كما يمشي بنو آدم (مطمئنين) ساكنين فيها (لنزّلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) من جنسهم يفهمون عنه وملائكة السماء لأهل لها مع أهل الأرض في الهداية إلا الإلهام وأكثر الناس ليسوا أهلا للإلهام (قل) كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي رسوله اليكم باظهار المعجزات والبيان على يدي وهو الذي ينصرني لعله انكم معاندون وشهيدا تميز (انه كان بصاده خيرا بصيرا) فهو يعلم أحوالكم الظاهرة والباطنة فيجازيهم عليها وهذا تسلية للنبي ﷺ وتهديد للكفار (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) يهدونهم (وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم) يسحبون عليها أو يمشون * وفي البخاري ومسلم عن أنس أن رجلا قال لرسول الله قال الله - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله ﷺ أليس الذي أشاء على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة * وفي رواية الترمذي (ان الناس يكونون ثلاثة أصناف في الحشر مشاة وركبانا وعلى وجوههم) هذا ونحن نرى الحيوان منه طائر ومنه ماش ومنه زاحف كالحيات وهوام الأرض . فهذا القسم أقرب الى هيئة الزواحف بحيث يبق الوجه جهة الأرض وتحيط به زوائد كالأرجل الصغيرة الحيوانية وهو هام على وجهه وقوله (عيا وبكا وهم صفا) أي لا يصررون ولا ينطقون ولا يسمعون وذلك في مبدأ الأمر ثم تقاد لهم هذه الخواص فحاسبون (مأواهم جهنم كلما خبت) أي سكن لهيها (زدناهم سعيرا) توقدا (ذلك) العذاب (جزاؤهم) بسبب انهم (كفروا بآياتنا وقالوا أنذا كنا عظاما ورفا ما أننا لمبعوثون خلقا جديدا) ثم استدلل على البعث فقال سبحانه (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وهو القيامة (فأبى الظالمون إلا كفورا) سجودا مع وضوح الدليل وإذا طلبتم من محمد ﷺ ما طلبتم من بساتين وعيون تنبع وأن تروا الملائكة والله عيانا الخ فان الله تعالى لا يرضى بذلك لا بخلا منه ولكن الحكمة تقتض أن يكون هذا نظام الدنيا ولارقي لهذا الانسان إلا على هذا النوال بل هو يوسع الرقي ويضيق بالحكمة وعلى مقتضى المصلحة ولوانكم كنتم ملكتم خزائن السموات والأرض وأتمت على فطرتم

هذه لأسكتكم خيفة الاتفاق فأسألك الله للحكمة والمصلحة ولتلك لم ينزل ما اقترحتموه وإسألكم للشع واليحل وهذا قوله تعالى (قل لو أنتم تعلمون خزائن رحمة ربي) الى قوله (وكان الانسان قتورا) أى لو تعلمون أنتم فأنتم فاعل الفعل المضارع خزائن الرحمة الرزق وسائر النعم - إذن لأسكتكم خشية الاتفاق - أى لبخلتم خشية أن يفنيه الاتفاق - قتورا - بخيلا يعنى ان الله لم يمنع محمدا نبيه ﷺ الآيات التى اقترحوها هو ان لا فساد فسادهم قالوا ان محمدا إما أن يكون نبيا أولا فان لم يكن نبيا فالأمر واضح لأن الآيات التى اقترحناها لم يجب عنها ولم تنزل فاذن هو ليس بنبي وهذا ظاهر ولن كان نبيا وهو مقرب من ربه فلم لا ينزل الله ما اقترحناه والله يؤيد عبده عند خلقه فكان الجواب أن الله اذا أنزل ما اقترحتموه لكان ذلك خلافا في النظم وسوء عمل وهذه الطائفة الوافرة ربما كانت مصاب اذا أنزلت على غير وجهها وليس ذلك المنع لأن محمدا ليس نبيا بل المنع من جهة الحكمة ولا هو من جهة بخل الله فلا بخل من الله ولا كذب من نبيه ولم يبق إلا انه حكمه . فأما أنتم فنحنكم بجرى على طريقة البخل فلو سلم لكم السموات والأرض ولدرستوهما لم تفهموا إلا الامساك على قدر عقولكم ولن يطالعكم على ملكوته في الحال ولا في المسال إلا اذا ارتقت النفوس ضلزلت إلهية وزن الأشياء بمقدار فيسلم لكم الاطلاع على عجائبه وارتياد مواطن الكمال ولتلك متى كان في الأرض مستبديرون وقلوبهم صافية ونفوسهم عالية وتعالوا عن المادّة وزهدوا في الأرض فهم من أهلها صورة وهم بينكم فهو لا أولهم الى عالم قدسى يطعمون على عجائب مناسبة عقولهم لتلك العالم الشريف . فهنا الخزانة فتحت لأنهم عرفوا مقدارها وهكذا بينكم محمد ﷺ سألكم زمام الأمور لأنى علمت أنه سيعطى كلاً ما يستحقه في الدنيا فأسلمه بعض خزائن الأمم المحيطة بكم وسيقسما بين الناس فعلا بالقسط لأنى أفهمته نظم هذه العوالم وقد حذر الدنيا . فأما أنتم فاني لأسألكم مفاتيح أرضي ثلاثا تمسكون بها لأنفسكم ولا تنفخوا خلقا

فها أنا ذا أفتح خزائن العلم لمحمد فيوحى اليه ويلهم تابعوه من الله والملائكة وأعطيهم خزائني فيصرفونها في وجوهها ومتى زادت من الأمم عن تلك الجادة صرفت عنها رزقي فلم ألهم العلماء لفباوتهم ولم أسألكم زمام الناس لبخلهم وجنهم سواء كانوا من أتباع الأنبياء كأمة محمد ﷺ أم كانوا من غيرهم فأنا لا أعطى خزائني في الأرض ولا في غيرها إلا للصلحين . أقول وهاهنا آتينا لما طفت وبفت وجهت أحاطت بها أمم الفرجة من كل حذب يسألون واقرب الوعد الحق وشغفت الأبصار وذلت النفوس وستكون صرختا في هذا الكتاب وأمثله من كتب المسلمين فرقا للإصلاح ومقتضيات للرق وظهور أمة جديدة غير التي مضت في الأجيال المتأخرة . ولما قررنا ما تقدم شرع بهتداهم انهم ان لم يؤمنوا بعد ظهور الأمر والحجج الواضحة هلكوا كما هلكت فرعون بالفرق كأنه يقول أما الآيات التى اقترحتموها فلا فائدة في انزالها وكفاكم الآيات العلمية التى أنزلناها على محمد ﷺ كما أنزلنا على موسى عليه الصلاة والسلام تسع آيات واضحات دلالة فلما لم يؤمن فرعون أهلكتهم فالاهلاك لعلم اتباع الصلاح والعلم وهذا قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) دلالات واضحات (فأسأل بني اسرائيل) كعادته بن سلام وأصحابه (إذ جاءهم) موسى (فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحورا) مغلوب العقل مخدوعا (قال) موسى (لقد علمت) يفرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (إلا رب السموات والأرض) خالقهما حال كون هؤلاء الآيات (جاثرا) بينات (وانى لأظنك يفرعون مشبورا فأراد أن يستغفرهم) يستأصل موسى وقومه (من الأرض) كلها (فأغرقناه ومن مصجعا) بأن استغفر الله فرقا في البحر مع جنده (وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الأرض) أى أرض الشام التى وعدتم بها (فاذا جاء وعد الآخرة) القيامة (جثنا بكم لقيفا) جاعلت من قبائل شتى ثم تحكم بينكم ونجز الحديث من الطيب . هذا هو القصص الذى يبين ما حصل لموسى مع فرعون فانه آتاه تسع آيات قدر رواها الناس والترمذى فمن صفوان بن عسال رضى الله عنه أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه اذهب بنا الى هذا

التي نساها فأثيا النبي ﷺ فسألاه عن قوله - ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات - فقال رسول الله ﷺ لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحرُوا ولا تمشوا بغيره إلى سلطان فيقتله ولا تأكلوا لربا ولا تغدوا محصنة ولا تهرؤا من الزحف عليكم معشر اليهود خاصة أن لا تعملوا في السبت تقبلا بيديه ورجليه وقال تشهد أنك نبي قال فما بمنكما أن تسلما قالان داود عليه السلام دع الله أن لا يزال في ذريته نبي وأنا تخلف ان أسلمنا أن تقتلنا اليهود . والمراد بالزحف القتال وهو الجهاد في سبيل الله . هذه هي الآيات التسع التي سمعها فرعون ماعدا الآيات المشهورة فجحدوها كما جحد أهل مكة النبي ﷺ وأراد فرعون استنزاعهم من الأرض ففرق . هكذا أراد أهل مكة اخراج النبي ﷺ فقتل صناديدهم يوم بدر . فهذه القصة منطقية ولم يبق إلا انطباق الآيات على الآيات ولذلك أعقبه بقوله - وبالحق - الخ

لقد تبين في أول السورة أن النبي ﷺ أسرى به وعرج به إلى السماء وقابل موسى وبينه ومحاورات وأخذ وردة وانتهى الأمر بالصلاوات الخس وارتقى ﷺ إلى ما فوق السموات العللى ولم يرد أن موسى ليرقى هذا الارتقاء . ولقد رأيت أن موسى عليه السلام أنزل عليه التوراة وأن قومه أفسدوا في الأرض مرتين وأن هذا القرآن يهدي لتي هي أقوم . فهنا نحن الآن وصلنا إلى آخر السورة . ومن عادة القرآن أن يجعل آخر السورة منطقيا على أوّلها . فها هوذا يقول . أنزلنا الآيات التسع على موسى عليه السلام وجاء في الحديث زيادة واحدة فكأنها هي الوصايا العشر . وقد رأيت هناك عن ابن عباس أن الوصايا الخمسة والعشرين المتقدمة فيها الوصايا العشر أو نحو ذلك . فهنا وصلنا إلى المقصود من هذه الآيات . فها هوذا يبيد الكرة على أول السورة فيقول . أنزلنا الآيات التسع على موسى وأنزلنا إليك (٢٥) وهناك غيرها في هذه السورة فكأن عماد ماني التوراة هي التسع وعماد ماني هذه السورة (٢٥) ويقول هناك - إن هذا القرآن يهدي لتي هي أقوم - ويقول هنا مؤكداً ذلك (وبالحق- أنزلناه وبالحق- نزل) أي وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسا بالحكمة والحق فهو مشتمل على الهداية إلى كل . فاذا قلنا هناك انها (٢٥) حكمة فيقال هنا ان القرآن كله حكمة وهنا بيت القصيد . فاذا كانت تسع آيات لموسى كفر بها فرعون ففرقنا بالكم يا أهل مكة اذا كفرتم بما هو ملتبس بالحق والحكمة فلاجزم متعاقبون على كفركم فعوقبوا بموت الكافرين يوم بدر وغيره وانتهى الكفر من بلاد العرب (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) للطبع في الأول والعاصي في الثاني (و) فرقنا (قرأنا فرقناه) فرقنا فيه الحق من الباطل أي فرقنا فيه (لنقرأ على الناس على مكث) على مهل وقودة لأنه أيسر حفظا وأعون فهما (ونزلناه تنزيلا) منجما على حسب الحوادث في تضاعيف نحو عشرين ستة (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) هذا وعيد لهم وتهديد وأن القرآن لا يتوقف أمر اتشاره عليهم وعمله بقوله (إن الذين آمنوا العلم من قبله) من قبل القرآن (اذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للأذقان) يقعون على الوجوه (سجدا) تعظيما لأمر الله وشكرا له (ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الوعد (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أي انه كان وعده كائنا لاحالة . يقول الله أعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به فقد آمن من هم خير منهم وهم علماء الأمم السالفة الذين قرؤوا الكتب السماوية وعرفوا الحقائق الدينية وأن الله سيبعث نبيا يفرغوا سجدات الله وشكرا له على انجاز وعده بارسالك (ويخرون للأذقان يكون) لما أثر فيهم من المواظف بالسجود هناك لشكره على انجاز الوعد وتكراره هنا لتأثير الوعد ولما ذكره البكاء (ويزيدهم) سماع القرآن (خشوعا) كما يزيدهم علما . ولما كان أهم شيء في القرآن هو التوحيد وكرره فيه تأكيذا وقد تبين في هذه السورة أن القرآن آمن به أهل الكتاب وهو أفضل من التوراة لأنه آخر كتاب سماوي . وهناك سؤال فيقال كيف يكون ذلك وأن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات وقد سمعنا المشركون كاذبي جهل تقول يا الله يا رحمن وأي فرق بين آلهتنا وآلهتك . إذن نحن نعبد الأصنام وأنت تعبد الآلهة

فنزل قوله تعالى (قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أيا ما تدعوا) أى سمو الله أو سمو الرحمن أى هذين الاسمين
 ذكرتم وسميت فهو حسن وقد وضع موضع هذا الجواب (فله الأسماء الحسنى) وإذا كانت أسماء كلها حسنى
 فهذان الاسمان منها . وإنما كانت كل اسماء أحسن الأسماء لأنها فيها التحميد والتعظيم والتقديس لأعظم
 موجود خالق الوجود فشرف المسمى بقبته شرف الاسم فأسماء الله أحسن الأسماء كلها . قيل قال ابن عباس
 سجد رسول الله ﷺ ذات ليلة لجلل يقول يا لله يارحمن فقال أبو جهل ان عمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو
 إلهين فنزلت . ثم انه لم يترض أبو جهل والمشركون معه على الدعاء بالله والرحمن إلا لما سمعوا القراءة فنزل
 (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) أى بالقراءة في الصلاة (وايتغ بين ذلك سبيلا) وسطا بين الجهر والخافتة
 فلا تجهر حتى يسمع للمشركون ولا تخافت حتى لا يسمع من وراءك . وهذه من الاشارات العلة لعل الأخلاق .
 إن الأخلاق ترجع لأربعة أمور (العفة للشهوات . والحلم في الهفوات والبروات . والحكمة في المقولات .
 والعدل في نظم هذه المذكورات) فلاحقة إلا حيث يكون التوسط بين الشره وخود الشهوة ولاشجاعة إلا
 حيث يكون التوسط بين التهور والجبن ويتبع الشجاعة كثير من الأخلاق كالعلم انظره في آل عمران ولا حكمة إلا
 حيث يكون التوسط بين المتناقضات فلا يكون للمرء من الماعدين ولا هو من الجاهلين بل عليه يكون ميزان .
 فالتوسط بين الجهر والتخافت أحد هذه الأخلاق . ثم ختم هذه السورة بالثناء على الله لأنه لا ولد له ولو كان
 له ولد لحول نعمه اليه ودخل حب الاستئثار عنده بخلاف عباده الذين إذا أعطوا خزائن السموات والأرض
 فانهم يسكنونها فقيرا وضنا بها على الناس ويتقونها لأبنائهم . فليحمد الناس الله لأنه عدل يعطي على قدر
 الاستعداد والعمل فليس هو كما أتم عليه من العاقبة والحرص فالإنسان ناقص قصا مفرطا لان قلبه وان كان
 يود لو يملأ الأرض نهما على الناس ويجب أن يفت كل مضطر فان حليته وحلجته أبنائه من بعده تظطره
 أن يختص به ويخص أبنائه من بعده ولكن الأنبياء وأعظم الرجال لا يورثون إلا العلم ولا يعثرون المال
 ويكونون قائمين بالعدل . يقول ﷺ إنا معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة وقال الله تعالى لا يورث
 سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير . فهذه الاشارات تفيد أن أرق الناس من يتخلفون
 بأخلاق الله . فإذا كان الله لم يتخذ ولدا فهو عدل عام الوجود والناس لما حشروا في هذه الأرض والعالم
 المادى عالم ضيق اضطروا الى الامساك فقالوهم وأرواحهم من عالم أعلى من هذا العالم بل هم قبضة من نور
 جيل عال يخص به الانسان من نفسه ويود لو يكون منها على سائر الناس سيذا على هذا الوجود بعلمه وبماله
 ولكن غرسه في الطين الأرضى حكم عليه بالتقير ولا يسل من هذه الخصلة إلا أناس عرفوا الوجود وخالقه
 فتخلصوا كالأنبياء وجعلوا نفوسهم آية الشعوب لا آباء واحد أو اثنين . فهذه الآية ترجع لقوله تعالى . قل
 لو أنتم تملكون خزائن رحمتى . الى آخر ما قلتم ويقول هناك احدوا الله على هذه النعمة وعظموا فانه قد
 انصف بالرحمة المذكورة وهنالما يقصرها على أفراد خاصة . فإذا أرسل محمدا ﷺ فلم يخصه إلا لاستعداده فلا
 بنة ولا قرابة بل هو استعداد واستحقاق . فلتجتبوا أيها الناس فرجى وسعت كل شئ . فهذه الآية تنسحب
 على ذلك كله فليس الله مقترنا كما تقرون ولارجته محصورة كرجائكم بل هو يريد أن تتخلقوا بأخلاقه لأن
 من أحب أحدنا سار على منهجه وقد سار الأنبياء على ذلك المنهج فخدموا الأمم ولم يخصوا أحدا وانك أرسل
 محمد ﷺ رحمة للعالمين . فليكن العقلاء قدوة الأمم وسعادة الناس اتباعا لهم واقداء بكامله ونظرا لجانه
 ولما كان من النقص في الوجود أن يكون للملك شريك فانه يعطى أعماله ويقف له بالرصاد أوعدو
 لينأونه فيحتاج الى ناصر قال الله (ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن) أى لم يذل فيحتاج
 الى ناصر أول يوال أحدا من أجل منة به ليدفعها بموالاته بل أوليائه هم الذين استحقوا تلك الولاية بظهورهم
 وأعمالهم وكما لم يكن له ولد يعبس نعمه عليه لم يكن له شريك يقف أعماله في الملك ولا ناصر يدفع العدو المنزل

له . وهذه الثلاثة هي آفات هذه الحياة . فالعدو يمتنا والشريك يقاومنا والولد يحملنا جنباء جهلاء أشحاء . وإذا نثره الله من ذلك فقد أمن الناس فضوب مولده وأصبحت مفتحة أبوابها لكل قاصد . فعل هذا فليحمد الله . فإذا جد المصلى ربه على أنه مربي الملائين فليحمده تعالى على أن وجوده لا يمنه شريك ولا عدو ولا ولد . وهذا اغراء على اكتساب الفضائل والارتواء من تلك للنائل . ولعمري كم اغتر جهال المسلمين بالانكسار على شيوعهم أو على بعض أمور أو عبادات ثم هم يصرون أنه أو يقولون نحن أتباع النبي الفلاني كعيسى وموسى وعمر بن الخطاب . وعليهم لقد كذبوا فأنه تعالى ليس له ولد . وليس لشريك وليس له عدو فيحتاج الى نصر فأنه فتح أبواب الخير للعباد فلتتدبر أيها العبد من مناهله وتعلم أنه لا يهايك لأجل أهلك ولأنك ولاديتك ولو كنت ابن نبي من الأنبياء ولا شريف من الشرفاء ولا عظيم من العظماء بل أنت أيها العبد عبد من عبيد ربك فأحذر أن تتفكر بأنك من أبناء الولي الذي يزوره الناس واحذر أن يقال لك كما قيل لنوح عليه السلام - إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح -

أيها المسلمون . ملأني فات ولؤلؤ غيب ولكم الساعة التي أتم فيها . وضع الحق واستبان السبيل وتبدى في الوجود جلاله . يقول الله لكم أنا ليس لي ولد . إن المهاجرين من المسلمين واليهود وأكثر الأمم يعرفون أن الله لا يلد والمسلم موقن بهذا فكيف يحمده على أنه لا ولد له . إن المقام أعظم وأعظم . لماذا يكرر هذا القول ويقول اجنوني . وهل هذا يستحق الحد . نعم الحد هنا يراد به معنى عظيم

(الخطاب المفتوح من الله للمسلمين)

يقول الله . أيها المسلمون لا تتفكروا بأنكم أنزل عليكم آتوا الأديان وأن نبيكم خير الأنبياء فليس لي أبناء ولا شركاء . ها أنتم أولاد جهنم وكسبتم ونعم فهل تفهمكم اتسابكم لأعظم الأديان فالنسبة شيء والعمل شيء أنا لم أخلقكم لتكونوا علاقة على خلقي . أنا لا أله . فإذا تريدون . تقاعدتم أيها المسلمون فشردت عنكم المعالي . أميتشون في غرور . أيكسب الناس وأتم نأكلون . كلا . وعزتي وجلالي لا أجعل لأحد سلطانا على أحد . كلا ثم كلا . احسروا . اعملوا فإسأروا علمكم وكيف تتكلمون على النسبة الدينية أو النسبة الأبوية وأنا لانسب بيني وبينكم إنما أنتم عبيد مسخرون فإن اتبعتم سبيل نبي أعطيتكم . أنا أحمل فلم لا تقلدوني أنا الذي خلقت السموات والأرض . أنا الذي لا أنام . أنا الذي أعمم النعم على خلقي ولا أجعل فأنا الله ولا أعطي إلا من يسير على نهجي وينفع خلقي ويجعل مواهبه وقفا على عبادي ويواسيهم بماله أوجاهه أو علمه المنتشر بينهم . هذه أعمال فلنقلدوني ولتخلقوا بأخلاق . أيها المسلمون . ألم أنزل عليكم . يوم لا ينفع مال ولا بنون - فالنبوة والابوة وقتية لنظام الحياة - فاعتبروا يا أولى الأبصار -

ولندكر هنا (جوهره وزبرجدين) أما الجوهره ففي قوله تعالى - ربكم الذي يرزق لكم الفلك في البحر - الى قوله - ثم لا تعبدوا لكم علينا به نبيا - وأما (الزبرجدين) فهما في قوله تعالى - وما أوتيت من العلم إلا قليلا -

(جوهره في قوله تعالى - ربكم الذي يرزق لكم الفلك في البحر - الى قوله - علينا به نبيا -)

إن في هذه الآيات الكلام على البحر والبر وأن الله جل الاسمان فيهما . فاعلم أن البحر أوسع مساحة من البر . ذلك أن مساحة الكرة الأرضية كلها (١٩٧) ألف ألف ميل مربع وبحو ثلاثة أرباع هذه المساحة بحر أعني (١٤٠) ألف ألف ميل مربع . وفي هذه المسافات الشاسعة من البحار والتلال والأودية والسهول المختلفة والأراضي الخصبه مثل ماقى اليابسة والبحار أيضا تختلف في درجات حلوها باختلاف الأمكنة وفي أنواع حيوانها ونباتها التي تتوقف حياتها فيها على شروط خاصة كما في أمر سكان اليابسة سواء بسواء . واعلم أن العلماء في زماننا بحثوا في عمق البحار فترى أهم القواصين على (الاسفنج) في العالم وهم اليونان لم يصلوا

في غوصهم الا الى عمق (٤٠) قامة لاغير فلذلك لجأ العلماء الى آلات استعمالها لمرة الأحماق فوصلوا الى معرفة الأحماق المختلفة باختلاف الجهات . فترى العلامة (ويفل نلسون) يقول ان العمق وصل الى ٢٥٠٠ قامة أو ١٥٠٠ قدم وهذا باعتبار بعض البحار . وترى العمق في بحر البلطيق وبحر الشمال وهكذا لايزيد عن ١٨٧٧ قامة ومتوسط أعمق البحار في الدنيا إنما يكون في شمال المحيط الهادى للسمى (الباسفيك) فان المتوسط لذلك هناك وصل الى (٤٥٧٥) قامة وقد مسح بعض العلماء العمق في الجانب الشرقى من بلاد اليابان فلم يجد له آخر بعد أن وصل الى (٤٦٥٥) قامة . ومن أراد الزيادة فليراجع هذا المقال في كتاب (علوم الجميع) في المجلد الثالث تحت عنوان (قاع البحر) باللغة الانجليزية وما ذكره الآن كاف في هذا المقام . وأما اليابسة فاقرا الكلام عليها عند قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - في سورة الرعد في المجلد السابع . يقول الله - وجلنهم في البر والبحر - أليس من العجب أن يكون عمق البحرة يصل الى ما يقرب من (٤٦٠٠) قامة ثم نجد السفن تجري فوقه فهذه حيلة مستقرة على هاوية بعينة النور سحبة مهلكة فأى عاصمة قبلت السفينة لم يكن لها في البحر من قرار بل تسقط الى ذلك البعد السحيق . فاذا حفظ الله حياة الناس في هذه المهالك فذلك لرحمة ودقة صنعه وحكمته ثم تذكيره لبنى آدم الذين أراهم الجب فهم تارة يسافرون على الأرض وتارة يسبحون فوق الماء وآلوة يطيرون في الجوق فيصلون الى بعد معين بطيارتهم وقف عند ذلك الحد . ذلك هو أعظم التكريم بالنسبة لعلنا الأرضي والحمد لله رب العالمين

(زبرجدتان في قوله تعالى - وما أوتيتن من العلم إلا قليلا -)

(الزبرجدة الأولى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نظرت في السماء ليلة الجمعة (١٤) اكتوبر سنة ١٩٢٧ الساعة الرابعة بعد نصف الليل فقلت يا الله ما أحسن ما صنعت وما أجل ما أبدعت . خلقت تلك الكواكب العظيمة الناشئة الأبداء العظيمة المقادير فما منها من كوكب إلا وهو أكبر من الشمس غالبا جوا وأكثر منها ضوا وأبعد منها سرحى وأجل منها قدرا . ولقد حشرتنا في أرضنا هذه لأتأنا لسا أهلا بعد لأن نشاهد هذا الجلال الذى أبدعته وهذا الحسن الذى زينته وتلطفت وأبدعت فأحضرت هذه الشمس العظيمة وأتيت بها من أقطارها الناشئة وأصغرت أحجامها وقلت من نورها وقلت بها سعادتها ونظمتها في جوقنا القريب الأسود ليل الأتريق نهارا وجعلتها أشبه ببيض الطائر حجما وبهجة المرأة حسنا وببيض الآمال في قناتك رجاء . زينت سعادتنا بشمسك . تلك الشمس التى خلقتها خلقتى وأودعتها أما تسكن في سيارتها وأراضها تلطف بها فأسكتها جوقنا القريب ورصعتها بها وجعلتها حديقة جنة قتر بها أعيننا ليل . ذلك لأنك لطيف لما تشاء علم حكيم تغضى الطفل لبنا من أنه على قدر طاقتنا حتى اذا بلغ أشده فتحت له باب الرزق من العوالم المحيطة به . فها نحن أولاء الآن في الأرض كالأطفال لاقدرة لنا على مواجهة تلك الشمس الكبيرة غلقت عيوننا الأرضية مناسبة لعلنا وصغرت هذه الشمس لتراها تلك العيون وتطيق التحديق اليها . وهاهم أولاء لما رأوها مناسبة لعيونهم ومتزلة لظهورهم جعلوها على شاكعة ملهيم في الأرض فقالوا هذه المجموعة حل وهذه نور وهذه جوزاء وهذه سرطان وهذه أسد وهذه سنبله وهذه ميزان وهذا جدى وهذا دلو وهذا حوت . الله أكبر . هاهوذا الانسان درس نجوم السماء أى تلك الشمس العظيمة فلم يرها إلا دلو لا يستقي به الماء ولا سنبله في حقول الأرض وجلا من الضأن ونورا يحرث عليه الأرض وميزانا يزن به القاكهة والذهب والفضة وعقربا يقر منه وقوسا يرمى السهم عنه فحاربته العنق وجدي ينتفع بلحمه وحوتا يجرى في الماء . هاهوذا الانسان بفضل ربه أخذ عوالم الله التى لا حصر لها وأزهدا الى أرضه وجعلها عما يلاثم حله . الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا . اللهم إنك كبير

عظيم تعاليت وعظمت فلم تعط الأطفال علوم الحكماء ولم تسمع للدواب وحى الأنبياء فأنت متكبر ومن هذه الصفة أنك ترأى بالنم أن تعطى لمن لا يستحقها فتعجز في أرضنا لاستحق أن نرى هذه الحقائق بأعيننا فأزلتها إلينا في سائتة مصفرة وأبقيت حقائقها مخزونة عندك فلم تعطها إلا بمقدار بحيث لا يعرف بعض هذا أحد من الناس إلا بعد البحث والتتقيب . لماذا . لأنك متكبر ولأنك حكيم ولأنك عظيم . فهذه الكبرياء التي جاءت في كتابك . وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . قد تجلت في معاملة نوع الإنسان إذا شيعت فباينتهم وأذيت في مدارسهم أسماء البروج فرسمها قدماء المصريين على صناديق موتهم (كما تقدم في سورة يونس بالجلد السادس من رسم البروج على صندوق حتر من قدماء المصريين فانظر ذلك الرسم هناك مصورا بالتصوير الشمسي) أصبحت أسماء الجمل والثور الخ شائعة بين النوع الإنساني لا ينكرها أحد ولا يغيرها مغير مع انها صور خيالية لاحقائق لها ولكن هكذا نوع الإنسان في الأرض كالطفل والتأبون منه الذين درسوا حقائق الشمس والأضواء هم الذين عرفوا ما أكتبته في هذا التفسير ولكنهم لن يثيروا تلك المصطلحات العاتية للتعليم العام . الله أكبر . هكذا كل دين نزل من السماء فيه من ضرب الأمثال ما في منظر السماء من تصغير الشمس فصارت حيوانات خيالية . العلم واحد . علم البصرات وعلم السموات . نهر شموسا عظيمة فتجسطها حيوانات أوبونات تعيش بها ونسمع في الكتب السماوية جنة ونارا ونبيا وحييا فتخيلها بما نشاهده في الدنيا ثم نسمع الحديث النبوي أن في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وهذا بينه أشبه بما نراه إذ ظهر أن الكواكب التي جلتها جديدا ودلوا وسبلة هي شمس لم ترها عين ولم تسمعها أذن الفالسين ولم تخطر على قلب الجاهلين . أليس هذا الموضوع بينه هو قوله تعالى هنا - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - كيف لا وأتم لتعقلون الشمس العظيمة ولا تعرفون حسابها ومنزلها إلا إذا جلتها صغيرة في أعينكم ثم ألمت علماءكم فجعلوها صور مالدكم من المشاهدات في أرضكم . فهذا القليل من العلم في جانب الحقائق في كوكب السماء أشبه بما لديكم من العلوم التي أزلتها في الكتب السماوية والكتب العلمية عند نسبتها إلى الحقائق في ذاتها قال تعالى - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم - . ونظير هذا قول الخضر لموسى إذ جعل علمه وعلم موسى عليهما السلام وعلم الناس بالنسبة لعلم الله بما أخذه الطائر بمقاره من ماء البحر . انتهت الزجرجة الأولى

(الزجرجة الثانية في قوله تعالى أيضا - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا -)

اعلم أن العلم القليل المذكور كلما تعمقا فيه زدنا علما بقلته فالإنسان وهو على فطرته لا يعلم بقلته علمه إلا اجالا ولكنه إذا درس وتعمق أدرك أن هناك أبوابا من العلم مغلقة وكلما فتح مغلقة أدرك أن وراءها أبوابا لم تفتح فيتسع الشعور بالجهل بنسبة اتساع المادّة العلمية . وإذا أردت مثلا لذلك فهناك علم فلسفة الطبيعة . لأن هذا العلم يبحث في المادّة وصفاتها العاتية والخاصة وعند التعمق نرى أمانتا مالا ينهائى ونحن به جاهلون وهأنذا بمون الله ذا كبرياء نيلة صالحة تشرح صدرك وترى ذلك البرهان . اعلم أن المادّة كل ما تشربه بجواسننا وهي لما أن تحفظ حجمها وشكلها فهي الجامد ولما أن تحفظ حجمها ولا تحفظ شكلها فهو السائل أو الهواء . انظر إلى هذا التقسيم وإلى صنع القادر الحكيم . تراه أعطى المادّة كل ما يمكن في عقولنا وعقولنا لاتتموز إلا واحدا من ثلاثة لحفظ لجمهور صورة . غير حافظ لها . حافظ للحجم دون الصورة وهناك صور قراصة وهي ما يحفظ الصورة ولا يحفظ الحجم وذلك مثل كل نام من حيوان ونبات فليس كالجر ولا كالكاء ولا كالخار بل هو قسم رابع ولكنه ليس من الأقسام العاتية في المادّة بل هو داخل في قسم الجامد . هذه هي الأقسام التي يحصرها العقل وهي ذه قد وجدت فضلا في المادّة والإنسان إذا قرأ هذا يرى أنه عرف الاجال . فانظر ماذا

نرى . للمادة صفات عامة وصفات خاصة فالصفات العامة هي التي لا يتخلو منها جسم ما وأهم ذلك (ثمان صفات)

- (١) الامتداد وهو أن يشغل الجسم حيزا ومقدار الحيز الذي يملؤه الجسم يسمى حجما
- (٢) عدم التدخل وهو كون الجسم لا يشغل إلا حيزا واحدا في وقت واحد فإذا حل جسم في مكان لا يمكن أن يحل غيره في ذلك المكان
- (٣) التجزؤ وهو كون الجسم يقبل الانقسام فهما كان الجسم صغيرا فهو قابل للقسمة
- (٤) لكل جسم مسام كبيرة كما في الخبز والاسفنج أو صغيرة كالحديد والنهب
- (٥) الاستمرار ومعناه أن الجسم إذا حرك ولم يطرؤه ما يوقفه لم يقف . وإذا سكن ولم يجد له محركا يحركه لا يتحرك

- (٦) عدم فناء المادة إلا بأمر خالقها ونحن إنما نغيرها من حال إلى حال
 - (٧) قبول الضغط وهوان تنقيق المسام والغازات أقبل للضغط من الجومود وهذه أسهل ضغطا من السوائل
 - (٨) الثقل فكل جسم نراه منجذبا إلى مركز الكرة التي هو فيها
- هذه هي الصفات العامة للمادة بمعنى أن كل جسم متصف بهذه كلها . فالتعب مثلا يشغل حيزا وهذا الحيز لا يقبل غيره وهو يتجزأ وله منام منتشرها قريبا وإذا حرك على سطح أملس لخشونة فيه ألته لم يقف وهذا على سبيل الفرض . وإذا تركته في مكان لا يتحرك ألته . وإذا أذنباه في النار ذاب ولكنه لا ينشئ ويمكن ضغطه ولو قليلا وهو ثقيل ومثله الماء والهواء والبخار . أما الصفات الخاصة فهي ما يأتي
- (١) فهي كون الجسم يمكن سحبه شريطا وأكثر الأجسام قبولاً لتلك النهب والفضة والبلاتين أما مثل الزجاج والحجر فلا يمكن ذلك فهما فلذلك كانت هذه الصفة ليست عامة
 - (٢) قبول الطرق . وأشدّ للمعادن قبولاً للطرق النهب وذلك لا يمكن في نحول الزجاج والحجر لذلك كانت هذه صفة خاصة أيضا

- (٣) الصلابة بحيث يصير تفريق اتصاله أو قطعه وأصلب المعادن الحديد
 - (٤) المرونة وهي رجوع الجسم إلى حاله الأصلية بعد ما يكون مضغوطا أو ممتددا أو مفتولا
 - (٥) التساوة وهي كون الجسم لا ينعن للضغط إلا بصعوبة كالنهب والحديد
 - (٦) وقبول التقصف بحيث يسهل كسر الجسم كالزجاج
- فهذه هي الصفات الخاصة وكلها ترجع لجاذبية الملاصقة ونكيفية بكيفيات شتى . وهناك أحوال أخرى
- (١) مثل قوة الجذب والنفخ بين دقائق الجسم
 - (٢) والجاذبية العامة
 - (٣) ومثل أحوال الأجسام الساكنة ومركز الثقل وزوايا الساعة
 - (٣) والكلام على الحركة ونواميسها والسطوح المائلة التي يرفع الحمل عليها
 - (٤) والكلام على السوائل
 - (٥) وعلى الهواء وعلى الصوت
 - (٧) وعلى الضوء ونواميسه (٨) وعلى الحرارة (٩) وعلى الظواهر الجوفية
 - (١٠) وأشكال الماء ومنافسه (١١) والكهربائية (١٢) والمغناطيسية
- هذا هو مجمل أقسام الفلسفة الطبيعية التي يدرسها الناس في الشرق والغرب وهي من القليل الذي عرفناه ويدخل تحتها علوم وعلم وآلات وأعمال ينتفع بها الناس . هذا هو الجمل الذي أردت ذكره الآن
- فهاك بعض عجائبه فهو للقصود في هذا المقام لأننا لسا في مقام علم الطبيعة بل في بيان بأي طريق

نعرف اننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا . أنت تعلم ربك الله أن هذه المسائل التي ذكرتها لك قد علم بتعلمها جميع أهل الشرق والغرب في الأمم المتديتة وقد شغلت سائر الأمور فترعواعطيا آلاف المسائل والآلات الزراعية والصناعية والانتقالية والبصرية . وهلم أولاء يجتهدون ولانهاية للاختراع . فهذه المسائل المذكورة هنا أشبه بحروف اللجم أو بالأرقام البسيطة للحساب فهي عند تركيبها لا تتفق عند حد . فالحساب لا يمتدحى لأعدادها والكلام لا يمتدحى لتركيب كلماته . لحروف اللغة العربية هي (٢٩) والآنجليزية هي (٢٥) حرفا يمكن الانسان أن يركب من كل منهما مالا حده من الكلمات فهكذا هنا وهذا الذي ذكرته مجرد تنظير لتعريب المقام هذا ولأدرك هجينة من عجائب العلم ينظره الناس عادة وأكثرهم لا يعلمون

(١) قد ذكرنا في الصفات العشرة أن الجسم له مسام كبيرة وصغيرة كالاسفنج والفقار والذهب والحديد أقلأ أريك العجائب في هذا المقام . قد أسمعتك الآن رؤس مسائل وهي مجموع علم فلسفة الطبيعة ولكن لم تأخذ ببلبك ولم تكن مما يصرح المصدر لأنها أجال ولأنها أشبه بدروس التلاميذ تلقى اليهم وإن كانوا لا يفهمون بها ولاهم بها مجيبين . أخرى ماهذه العجائب . هي

(المسام)

كل الناس يشاهدون الأحجار والطين والزجاج والذهب والفضة والحديد والنحاس . يشاهدونها ولكن ليس يحضر لأحدهم أن تلك الجوامد ليست مفتحة الأبواب ليس دونها حجاب واسعة الطرقات كبيرة المحجرات هذا ولما وصلت الى هذا المقام حضر ذلك العالم الذي اعتاد أن يناقشني في عويمات المسائل . فقال حياك الله . ماهذه السجعات والطرقات . تقول مفتحة الأبواب ليس دونها حجاب . ماذا تريد بهذا . أريد أن تقول ان الحديد كالاسفنج . قلت كلا . قال فسكافرايل . قلت كلا . قال فهل أبزله الحديد مثلا بينها منسحات كشوارع المدينة . قلت أوسع . قال فسكافاصل بين البلدين . قلت كلا بل أوسع من ذلك . قال وهل هذا القول يقال في تفسير القرآن . أنفسر القرآن وتقول أيها المسلمون ان الحديد منفصل لا متصل وهكذا بقية الامعان وأن فيها فتحات وتلك الفتحات أوسع من الحقول التي بين القرى في البلاد المصرية . وإذا كان هذا يقال في التفسير تضع الثقة لأن هذا انكار للحسوس وهل بعد تكذيب الحس من ضلال . فقلت كم للحسن من غلط وقد غلط الحسن في قوله ليس هنا فتحات ومصدق في فتحات الخبز والسفنج فقال ربما كان ذلك ولكن هذه اللبائث التي تخاف العقول تذهب بثقة الناس بالمؤلفين . فقلت له قد برهنوا على هذه المسام بما يأتي

(١) غلا كاسا ماء وزيدته ملحاً ثم سكرنا فانا بعد هذا كله لا نرى الماء زاد ألبتة لأن دقائق السكر أصغر من دقائق الملح ودقائق الملح أصغر من دقائق الماء فدقائق الماء كالطبخ والملح كالليمون والسكر كحب القمح فالليمون يذهب بين الطبخ ولا يابى بحجمه وحج القمح يسه الليمون بين وحداته (٢) أخذ بعض أهل (فلورنسا) بإيطاليا كرة مجوفة من الذهب وملأها ماء ثم ستها سداً عموكا وحفظها من الخارج فستطحت قليلا وصغر حجمها فخرج الماء من مسامها وتجمع على سطحها كالندى (٣) ان الذين يجرّبون اللدافع الكبيرة يضفون الماء فيها حتى يرتشح من مسامها ويصير زبدا على سطحها ثم يجمع ويقطر عنها

(٤) الأعمدة الحجرية والقناطر تنضط أحيانا فتصغر اذا كانت تحت بناء عظيم لزيادة قله وقد تفتت في سورة آل عمران فهل كفاك هذا في أن لها مسام . قال هذا كافيني ولكن المبالغات المذكورة هي التي تخالف كل عقل . فقلت ان القوم بعثوا ودققوا كما رأيت أن دقائق السكر أصغر من دقائق الملح ودقائق الملح أصغر من دقائق الماء . فاذن دقائق الماء أكبر وقد رأيت أن دقائق الماء قد اخترقت دقائق الحديد والذهب

وهذا الاختراق معناه أن الفتحات تسع ذرات الماء وهذا الاتساع يحثوا فيه وفي الذرات المحيطة به فظهر لهم ما يأتي قالوا ﴿ لو تصورنا أن في السام حيوانا صغيرا جدا جدا بحيث يمش على جوهر من الجواهر كما يمش انسان منا على الأرض وفرضنا أن ذلك الجوهر واقع في وسط حجر لكان الحيوان للشارب به يرى أقرب الجواهر اليه بعيدة جدا عنه كما ترى نحن الشمس والقمر والنجوم وربما كان يحتاج لمعرفة تلك الجواهر الى مناظير كبيرة كما يحتاج نحن اليها لمعرفة الأجسام السماوية . فيظهر بهذا المثال اتساع السام بالنسبة للجواهر انتهى كلامهم . ثم قلت ان بعد الشمس للمتوسط عن الأرض يعادل تقريبا قطر الأرض (١١٦٥٠) مرة فقتضى كلامهم أن يكون بين الجوهر والجوهر في الحديد والذهب مسافة تبلغ مقدار أحدهما ١١٦٥٠ مرة هذا معنى كلام أولئك العلماء وقد قالوا ولم ينكر أحد منهم هذا بل أقروا والناس لا يقرّون مثل هذا إلا اذا كان واضحا لديهم أجمعين . هذا شأن جميع العلوم . فاذن هذا أشبه باليقينات لاجماع الأمم عليه . أفلمست بهذا ترى أن الأجرام الجامدة وغير الجامدة أمرها عجب وأن مآثرها مصمتة هو خال وكلها مسالك بل يكاد يكون أشبه بإغلاء الذي قلت الأجسام فيه وهذا مما يحير العقول ويدعش الأبواب فأمثال الحديد والذهب على هذا النوال فهذا أمر عجب وهو من أدل الدلائل أن العلم لانهاية له وأن علمنا قليل . فقال أريد بيانا أريد من هذا . قلت قد قمت بضمه في أول (آل عمران) . فقال أريد ما يقرب منه هنا . فقلت ان رأى العلماء اليوم أن المادّة مؤلفة من جواهر غاية في الصغر ولكل جوهر شكل ولون وتقل وانها تبقى على حالها فلا يلبثها تغير طبعي ولا كياوي وهذه الجواهر لم يرها أحد ولا يبرهان محسوسا على وجودها وانما هي توافق العلوم لاسيا الكيمياء ولذلك أجمع العلماء على قبولها ويستعان على تصورها بهذه الصفة

(١) ان بعض الحيوانات لشدة صغرها لا ترى بالعين المجردة وهناك آلاف الآلاف منها تعيش في قطعة واحدة صغيرة من الماء تعلق برأس الابرة مثلا وتقوم هناك وتتكاثر وتقوم كما تعيش حيوانات البر في القفار وحيوانات الماء في البحار ويسطر بعضها على بعض ويقاتل ويفترس بعضها بعضا كالكواسر والجوارح وهي في المستنقعات أيام الصيف وتصد في البحار بحرارة الشمس وتطير في الجوّ مع المياه ثم تعيش وتتكاثر حيثما نزلت ووافقتها الرطوبة والحرارة . وهناك في سورة (آل عمران) زيادة فارجع اليها وكفاك ما هنا أفليس هذا معناه - وما أوتيت من العلم إلا قليلا - وأي علم عندنا اذا كانت قطرة فيها آلاف الآلاف من المخلوقات ونحن لا نراها وكل حيوان منها له مصدّة أو أكثر لحضم طعامه والاغتذاء به وأن طعامه بعد أن يدخل معدته لا يذنبه إلا بعد ما يندور في قنوات كثيرة في جسمه وطعم الحيوان مؤلف من دقائق سائلة وأخرى جامدة مثل ما ترى في الحيوان المشاهد وكل دقيقة مؤلفة مما هو أصغر منها وهكذا فأصبحت تلك الحيوانات التي لا نراها عالما جديدا لا ندري ما وراءه وربما كان في باطنه حيوانات ذرية كما نشاهد في الحيوان الذي نراه هنا . ونحن في حيرة فلا نصير أدركنا صغره ولا الأجرام العظيمة من السموس والكواكب أدركنا نهائيتها هذا نصير قوله تعالى - وما أوتيت من العلم إلا قليلا - وقوله - لقد خلقنا الانسان في كبد - أي نصب ونصب لأنه بعد هذا النصب كله أصبح جاهلا جهلا حقا وقوله - وما ننزله إلا بقدر معلوم - فهو لا يستطيع العلم إلا على مقدار طاقتنا وقوله - ما شهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - انتهى والحمد لله رب العالمين

(حادثة عجيبية في الطيارات)

أنا أكتب هذا في صباح يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٤ ولما وصلت الى هذا المقام ذكرت ما اتفق لي أمس . ذلك أن بعض الشبان قتلوا رئيس الجيش الانجليزي والمصري وهو حاكم السودان من قبل الحكومة الانجليزية والمصرية . وقد ارتجت بلادنا من أقصاها الى أقصاها لوقوع هذا الحادث لأن بلادنا المصرية قد أعطت لها الاعجاز استقلالا ويراد تسوية الامور بيننا وبينهم . فلما وقع هذا الحادث

اختلطت الامور والناس في زخول عميق . فبينما أنا في الفرة إذ سمعت أصواتا في الجوق فقامت ووقفت خارجها اذا هناك طيارات تتلوه طيارات وهي محقة في الهواء على هيئة بطيور ذوات أجنحة وذبول ورؤس تقليدا لطيور السباع وطال الأمد على وقوفي وهي تمر متى وثلاث ورباع وخماس احتفالا بدفن ذلك الحاكم الكبير الذي أقام أنكتارا وأقصدها كما ألقى مصر وأخافها وأنا شاخص اليها أراقب حركاتها وأسمع أصواتها وهي تحلق فوق البيوت (لفرضين - الأول) الاحتفال بالجنائز (والثاني) يقولوا للصريين انظروا انظروا هذه طيارتنا قد ملكت السباع عليكم وسددناها في وجوهكم فالبحر من ورائكم فيه أساطيلنا والجوق فوقكم فيه طيارتنا فإلى أين تفترون . هذا مايقصرون

(لغة الطيارات التي فهمتها)

أما أنا فكنت أسمع غير هذا . كنت أسمع اني الآن أكتب في التفسير وهناك أناس مثل يكتبون لرقى المسلمين وكأن تلك الأصوات تقول بلسان فصيح سيكون في هذه الأمة الاسلامية رجال غيرماترون وسينشر هذا الكتاب ويكون من ورائه ووراء أمثاله مايرى هذه الأمة ويكسبها حركة عظيمة وسيعود الاسلام كما بدا أى ينشر انتشارا غربيا وليس الانتشار هو كثرة الأتباع فلا فائدة في اتباع أذلاء بل سيكون هذا الاسلام أمره غريب جدا وسيظهر فيه أناس بارعون في جميع الصناعات ويسلمون أعمالا يججز عنها الأوروبيون ولكنهم يكونون خدام الإنسانية . خدام الحضرة العلية . خدام الحق . خدام الحكمة يربون العالم تربية علمية ويكونون صلة بين الأمم المختلفة . هذا هو الذى فهمت من غرير الطيارات وأنا لا أقول تكلفا ولا أذكر إلا ماخبر قلبي وتقاه فؤادى . فالأمة الاسلامية سيكون بها أناس أربع في هذه الصناعات من جميع الأمم يؤدبون العاصمين ويرفعون المدنية الجاهلة الى أوج الكمال وتكون دعوتهم الدينية مبنية على الاقتناع ولا يستعملون السلاح إلا للفضيلة وتربية الأمم تربية علمية لأنهم يحبون الله حبا جافا فيعملون لمصلح عباده والخلق كلهم عباد الله . هذا هو الذى فهمت من الطيارات الطائرات الانجليزيات . وهذا هو الذى فهمت في قوله تعالى - وكل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا - وانما الامور بالاستعداد والعمل والحمد لله رب العالمين ولنذكر هنا (أربع لطائف)

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - إن قرآن الفجر كان مشهودا -)

أى يشهد معناه المصلى ويطالعه ويحضر فيه قلبه ونفسه إذ ذلك فارغة عقب النوم فهي مستعدة للفتح وتلقى المعاني لاسيا وقد تجل لله على الناس بالصبح منيع الأنوار للمشرقة الفائضة على الآفاق فتذكر النفس بالجمال والبهاء . وانما ذكر هذه الجملة لأنه لا معنى للصلاة إلا بحضور القلب ومطابقة القلب للسان وموافقة له كما قال في آية أخرى - إن ناشئ الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلا - أى أشد موافقة بحيث يوافق القلب اللسان موافقة أشد وأبين قولاً . فهذا هو المعنى المقصود من قوله تعالى - مشهودا - وأما الحديث فانه ذكر بعض لوازم حضور القلب من الاتباع بحضور الملائكة للإلهام فيلهمون العمل المعاني وترسم في نفسه عند صلاته

(اللطيفة الثانية - ويسألونك عن الروح -)

(اللطيفة الثالثة - قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين -)

(اللطيفة الرابعة زائدة مبحث في القسم الأول في قوله تعالى - اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا -) هذه اللطائف الثلاث يتجلى لك نبؤها وتشرق شمسها وتبهرك بحسنها وتزاهي عروسا حليت في حبر قد ازينت للناظرين وقالت هيت لك للعاشقين فهناك غداة هيفاء وكأعباء غيداء وعقيلة حوراء أرزها اليك باسمه الثمر حالية المنطق عذبة للمورد شارحة الصدر مرقية العقل جالبة الأنس بمنطقها الرخيم وبيانها الفصيح فلازنها اليك ساعية اليك لم تحبشك مبرا إلا قبولها ولا تنفك إلا وصلها وهي متهجة بجلالها وحلاها

تخالف في غلاتها السندية وأبولها البقرية

فأقول قلا من (كتاب الأرواح) الذي ألفته منذ بضع سنين ولا أحيلك عليه بل أذكر منه ما يناسب المقام لتري جمال الاسلام قد أوحى به الى الأنام ولتجب أيها النبي كيف أشرفت آتوار الله على عباده وأخذ نوره يتجلى على المخلوقات الانسانية فأظهر الأرواح وأقامها من برازها تصل السرى بالسرى لتقابل الأحياء قديهم أن وعد الله حق وانهم أحياء فعلا وأن الأبرار والنجار بعد الموت هم هم الذين كنا نراهم في الدنيا ولقد ذكرت لك بعضا من هذا الكتاب في سورة البقرة مما يناسب المقام هناك فلا زدك الحقيقة الناصحة لتري أن الحياة الأخرى موجودة فعلا وأن الناس لم يموتوا إلا أجسامهم وأن أرواحهم تطالع ما كسبت في حياتها وأن العذاب والنجم حاصلان فعلا في الدنيا وفي الآخرة وهنا يظهر لك سر هذه السورة وكيف تكرر فيها ذكر النفس وانها تطالع أعمالها ويكشف عنها غطاؤها وأن الملائكة لا يستطيعون المشي على الأرض . وبالجملة هذا الموضوع سقى فيه معجزات القرآن في آخر الزمان وهذه هي المعجزات الكبرى التي وعد بها الله إذ قال سبحانه - سريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم - أما آيات الله في الأفاق فهذا الكتاب معلمه منها وأما آياته في أنفسهم . فما أناذا أتولها عليك من الكتاب المذكور بعد أن ذكرت مسألة الروح في سورة البقرة ومباحث العلماء فيها ومباحثي أنا أيضا عند قصة العزيز وحلاره وإبراهيم وطيره التي فرتة على الجبال ثم دعاه فأقول جاء في هذا الكتاب ما يأتي وهو بيان الطبقة الثانية والثالثة

(فصل في طرق إحضار الأرواح)

قال شير محمد . قد فهمت تاريخ مناجاة الأرواح بأوروبا وقد شافني هذا إلى أن أعرف كيف أحضرت ولذا كانت العلوم الرياضية والطبيعية قد صدقها الجهال لعلهم أنهم إن سلكوا السبل التي سار عليها المهندسون وعلماء الحساب والطبيعة وصلوا الى النتائج التي وصل اليها أولئك الأعلام حق لنا أن نسأل عن الطرق التي سار عليها علماء الأرواح في أوروبا حتى لذا اعتورنا الشك فيما أخبرونا به مما لم نحط به علما سلكنا سبلهم ليحق الحق ويبطل الباطل عند المحققين . فقلت اعلم يا شير محمد أن الطرق التي اطلعت عليها في كتبهم ست وسأوضحها جهد طاقتي ولا أخرج عن دائرة النقل مما يكتبون (الطريقة الأولى) لابد من قرلة الفصل الآتي أولا في آداب المخبرين فخي عملت به فلتجلس أنت وأصحابك أو أهل منزلك حول مائدة ذات ثلاثة أرجل وقضوا أيديكم عليها غير متكئين بقوة وقد لامست يد كل واحد منكم يد الآخر واتصلت بها ثم يدوم ذلك لا يزيد عن ربع ساعة فإذا لم يتحرك فليعد الى العمل في اليوم الثاني وهكذا كما سيأتي في الفصل الآتي ومتى تحركت فلنسالوا الروح الحاضرة أن يرسل لكم من تريدون من أصدقاكم أو أساتذتكم ومتى حضر ففهمنا طرق تتفقون عليها معه لأنه إما أن يقال له أن الجواب نعم بضربة أو بضربتين وهكذا وإما أن يقال يكون الجواب كتابة فتكون الألف ضربة والباء ضربتين والثاء ثلاثة ولما أن تنطق حروف الهجاء (ا ب ت الخ) والحرف الذي تضرب للمائدة عنده يكتب ثم تكتب الحروف فتكون ذات معنى وهناك يحصل كثير من التهويش والتخليط عند المبتدئين كما في الفصل الآتي (الطريقة الثانية) تجلس أنت وأصحابك أو أهل منزلك وقد وضعت فنجانا فوق المائدة مثلا وقد كتبت حروف الهجاء واضحة جلية حسنة الخط في ورقة لطيفة وجعلت هذه الورقة محيطة بهذه المائدة ويكون الفنجان في وسط المائدة مقابلا وقد وضعت أصابعكم على قاعدته ويدوم ذلك ربع ساعة كما تقدم فإن لم يتحرك فليعد العمل وهكذا أسبوعا أو شهرا الى ستة شهور كما سيأتي في الفصل التالي ولتكن أنت رئيس القوم ولتفكروا جميعا في روح سالحة حاضرة في المكان أو تريدون إحضارها ومتى حضرت فاطلبوا منها أن تعرف اسمها فيتحرك الفنجان والأصابع موضوعة عليه بطريقي للملاسة بلا ضغط ويتجه الى الحروف حروفا فتكتب تلك الحروف وتقرأ وتكون مفهومة معقولة وقد يحصل

تهوئش وخط عند اللبتين لتداخل أرواح سفلية واذن تكف حالا عن العمل ثم بعد مرة أخرى ولا بد من الصبر والثبات **(الطريقة الثالثة)** أن الأرواح أنفسهم لما رأيت أن في تحريك المائدة واستخراج الحروف بطرقها صعبة وضاعا للزمن أشارت بما يأتي . وهي أن تأخذ قطعة صغيرة من الخشب مثله الزوليا تجعل لها ثلاث قوائم صغيرة منتهية بدواليب صغيرة وتربط بأحداها قلما من الرصاص وتضعها على صحيفة من الورق فلما ضاوا ذلك ووضع الوسيط يده على هذه المائدة الصغيرة أخذ القلم بقرصك نظا أحوافا ثم جلا وبعد ذلك أخذت المائدة تكتب بسرعة زائفة وتحرك رسائل مطولة **(الطريقة الرابعة)** أن يضع الوسيط يده على الورقة وهو عكس القلم فيستولى عليها الروح ويحركها بذاته ويسمى هذا كتابة آتية لأن الكاتب إذ ذاك لا يرى ما تخطه يده . ولقد جاءتهم كتابات ورسائل بلغات مختلفة وبجانب من التصويرو بدائع من النقش ومن العلوم المختلفة **(الطريقة الخامسة)** أن توضع الورقة في علبة مغطاة ويضع الوسيط يده خارج العلبة ولما فعلوا ذلك خرجت مشحونة بالكتابة والتماوير الجلية **(الطريقة السادسة)** أن تظهر الأشباح والأنوار وصور أيد بشرية نورية ووجوه مستيرة لامعة ويدعى القوم انهم لمسوا الأشباح أخبرا بأيديهم . ولا جرم أن هذا لا يكون إلا بطريقة الترويم المغناطيسي . قال شير محمد . أ أجريت بنفسك هذه الطرق الست أم هذا مجرد قتل . قلت بل مجرد قتل . قال أراك في هذا أشبه بمن يصف للناس علم الكيمياء القديم التي يزعم القوم انها تكون الذهب فتصر المسلمين بلائمة . فقلت إن الانسان قد يصف المزارع والأشجار والأنهر والبحار والأرض وهو لم يصنع شيئا من ذلك . فقال وهل شاهدت شيئا من هذا . قلت نعم قد شاهدت فقد فيض الله لي من عمل الطريقة الأولى والثانية وأنا جالس بالقرب منهم وهم قوم صالحون . وهذا كان عندي من العجب لأنه كان أثناء تأليف الكتاب فاتهم طلبوا أناسا منهم روح الاستاذ الامام الغزالي فتحرك الفئجان إلى الحروف بهذه العبارة **(مسكين شاب عرف الله ولم يهم شوقا لي جلاله)** ثم سأله مسائل أخرى لا يملها الحضور فأنت الأجوبة مطابقة فجيت أشد العجب . فقال شير محمد لعل أعصابهم تأثرت بما في ذهنك أو بما ضمه من الصلاح فجاءت العبارة على مقتضاه . فقلت يا شير محمد هذا هو الذي أريد من الناس أن يبحثوه ولست أقطع في العلم بل هذا يموزه جملات وقوم عندهم استعداد - وما على الرسول إلا البلاغ - انتهى

(أمثلة على ما تقدم)

(المثال الأول) وهاك حادثة مدهشة . وذلك أنه في سنة ١٨٧٣ ذكرت جرائد أوروبا وأمريكا حادنا مدهشا وهو أن المؤلف الانجليزي (ديكنس) فاجأته المنية في مدينة لندن سنة (١٨٧٠) م قبل تمة روايته الأخيرة للمعوية (أسرار اديون رود) فأتى بعد موته على يد الوسيط الأميركي (جيمس) في مدينة (بوسطن) وذلك أن (جيمس) كان غلاما صائغا قليل العلم يقضى ألبه في العلم واقتن حرفة لخضر في إحدى ليالي (تشرين الأول) سنة ١٨٧٢ جلسة روحانية تجلى فيها روح (ديكنس) وطلب أن يكون (جيمس) وسيطا يتم به روايته فقبل (جيمس) وصار يجلس في كل ليلة في نحو الساعة السابعة وتتحرك يده وهي تكتب في القراطيس أقوالا لا يملها ودام على ذلك سبعة أشهر أكل فيها الرواية بألف ومائتي قرطاس . ولقد شهد رجال الصحافة هموما أنه يستحيل على القارئ أن يميز بين ما كتبه (ديكنس) قبل موته وبين ما كتبه الوسيط (جيمس) بعد موته أقل اختلاف لاني الانشاء ولا في الخط ولا في نسق الرواية حتى ان الأغلاط الاملائية التي كان المؤلف في حياته يصادها بقيت كما هي . ولقد جاءت مقالات في الفلسفة والعلوم والفنون والتاريخ واللغات الأجنبية كتبها الأرواح على أيدي فتيان حديث السن أوفقيات ساذجات لا يحسن القراءة **(المثال الثاني)** قال . في المذهب الروحاني أن الأرواح قد أشارت إلى واسطة أسهل من المائدة لخبرتهم وهي أن يمكس الوسيط يده قلما ويضمها على قرطاس

فبحسب بعد ذلك يده قد تحركت من نفسها وأخذت ترقم تقطا وخطوطا ثم أحرفا تألف منها المقالة الروحانية
وهالك كيفية ممالك الدكتور (سريا كس) الألماني الوساطة الخطية بعد أن عزم على استجلاء الحوادث الروحانية
في بيته وما بين آله دفعا للاحتيال فبعد أن أقام تسع عشرة جلسة بدون نتيجة تذكر قال مارجنه (في هذه
الجلسة الأخيرة وهي العشرون شعرت فجأة وبالتوالي بأحاسيس غير مأوف من الحرارة والبرودة ثم برح باردة
مرت على وجهي ویدی فاعتري ذراعي الأيسر نوع من الخدر لا مناسبة بيته وبين التعب الذي كان يعتري
في الجلسة فكانت يدي غلظة على نوع القول لا أقوى إرادتي على تحريكها وبعد هنية شعرت بقوة أجنبية
تحركها بسرعة لم أكن أقوى على تثبيتها ثم أحضرت لي امرأتی ورقة وقلم رصاص ووضعتهما على المائدة
فوثبت يدي اليسرى على القلم وأسكنته وبدأت تخط في الفضاء اشارات لامعني لها وبسرعة عنيقة أجبرت
محاورى على التخلف الوراء وبعد ذلك انقضت يدي على الورق وضربت بعنف حتى انكسرا قلمي ثم انعطفت
على المائدة وهمت فتأكدت أنه ليس لإرادتي دخل لاني الحركة التي أحدثتها يدي ولاقى حالة السكون التي
صارت اليها فيما بعد وبعد أن برى القلم من جديد ووضع أمامي أسكنته يدي وأخذت تلتف أوراقا جمّة مألّة
إليها شطوطا وقاطيع الى أن هدأت بعد هنية ورأيانها تكتب تمرينات خطية يبدأ بها صبيان المدارس أى
خطوطا بسيطة في الأول ثم أحرفا هجائية وكل ذلك بسرعة عجيبية وبعدها هدأ اضطراب ذراعي وشعرت من
جديد برح باردة مرت على يدي فعادت الى أصلها وتبدد منها كل ضرر وتب فسرت جدّا بهذه الجلمة
لتأكدني فيها ظهور قوّة لا تعلق لها بإرادتي ولا في وسى مقاومتها . وفي الليلة الثانية فقام من جديد الى العمل
ومامت خمس دقائق حتى شعرت بالريح الباردة والاعراض ذاتها التي تمت في الجلسة السابقة فكانت يدي
اليسرى تهتز بعنف متزايد وتطرق أحيانا طرف المائدة طرقات شديدة مترددة حتى ظننت انها قد سلخت إلا
انني لم أرفها بعد الجلسة أدنى خشى ولا اعتراي فيها أقل وجع ثم تحرّرت وساطتي في الجلسات التالية وتكاملت
بسرعة حتى صارت يدي اليسرى تكتب مقالات شتى للأرواح وفي إحدى الليالي صورت ثمة من الزهور في
منتهى الاتقان ولا حاجة للقول اني لا أستطيع أن أستعمل يساري حتى في الأكل فكيف في الكتابة . وأما
التصوير فليس لي إلّام باصوله ولو يدي اليمنى وقد تأكدت تأكيذا لا ريب فيه أن القوّة التي كانت تستعين
بيساري للكتابة والتصوير كانت خارجة عني ولا تعلق لها بإرادتي وكنت في حال الكتابة على أتم الانتباه لا
أشعر من نفسي بغير خدر يدي وتسلط غريب عليها بمجزل عن اختياري . والدليل على ذلك انني كنت في
حال الكتابة أخطب رفقاى وأطرحهم الحديث دون أن تتوقف يدي عن الكتابة ولا أدري ما تخط
وقصد أحد الحضور في جلسة أن يوقف يدي فوضع عليها يديه وارتفع جسمه حتى وقع كل قفه عليها
فبقيت مع هذا تعثره للكتابة بقوة ونظام كأنها ليس عليها شئ وأنا لا أحس بالثقل الواقع عليها)
قال في الكتاب المذكور أحيانا الملاحظات التي نشرها الدكتور (سريا كس) لأنها تحتوي على الأعراض
التي تمرى كل وسيط كاتب في أوّل وساطته فضلا عما لصاحبها من الشهرة في العلم والكفاءة واهتمامه الى
الروحانية باختباره حوادثها في نفسه (المثال الثالث) قال في الكتاب المذكور قال العلامة (وليام كروكس)
في الوساطة الخطية (كثيرا ما شاهدت الآنسة (فوكس) وهي الوسيطة تكتب مقالة روحانية لأحد الحضور في
حين أن مقالة أخرى وفي موضوع آخر كان يتلقنها آخر بواسطة طرقات المائدة الواضحة الوسيطة يدها عليها .
وفي الوقت نفسه كانت الوسيطة تكلم انسانا ثالثا بكل سهولة وانتباه في موضوع مخالف للموضوعين الآخرين)
قال (ولا جرم أن الوساطة الخطية أكل وأسهل طريقة لمناجاة الأرواح ولنيلها يبذل البتدئون جهدهم
خصوصا لأنهم يمكنون بها من تمييز الأرواح واستجلاء بواطن أفكارهم وتقدير درجة ارتقاها)

(الأرواح تكتب بلا أقلام)
(المثال الرابع)

قال البارون (جيلد نستويه) في كتابه عن حقيقة الأرواح في أول شهر (آب) سنة ١٨٥٦ ما يأتي
(خطر لي أن أجرب كتابة الأرواح من غير يد الوسيط لما قرأت في كتاب موسى عن كتابة الوصايا
المعشروني سفر دانيال عن الكلمات السريّة التي خطتها يد غير منظورة في ولجة بلقشاصر وماقراته عن أسرار
(أستراقور) الأمريكّي في هذا الموضوع فوضعت ورقا أبيض وقلم رصاص في علبة أقفلتها ووضعت المفتاح معي
ولاعلم لأحد بما فعلت وفي اليوم الثالث عشر من شهر آب سنة ١٨٥٦ رأيت حروفا سريّة مكتوبة فدهشت
وهجبت أشدّ الهيب وكررت العمل في ذلك اليوم عشر مرات فكلل مساعي بالنجاح وفي اليوم الثاني كررته
عشرين مرة والعلبة مفتوحة أمامي وأرى الحروف والكلمات تسطر أمامي بلا قلم فصرت بعد ذلك أضع الورق
أمامي على المائدة فتسطر المقالات عليه بيد غير منظورة)

بهذا العمل نفسه حتى الكونت (أورش) برسالة من أمته المتوفاة بالخلط والامضاء نفسه الذي كان لها في
حياتها هل يد البارون المتقدم . وقد جوب مثل هذا العلامة (والاس) وكذا العلامة (أوكون) من جمعية
العلماء في (اكسفورد) والعلامة (زولنر) الألماني والدكتور (جيبه) الافرنسي والمعلم (أويت كويس)
الأمريكي في مؤلفاتهم بعد الاحتياط الشديد لرفع الريبة وفي الشبهة والاثبات واليقين (المثال الخامس) روى
المشترع الفقيه (سارجان كوكس) ما تربيته (كثيرا ما رأيت غلاما صربيا وهو وسيط عاشر من كل علم وتهذيب
يجادل عند استيلاء الروح عليه قوما من الفلاسفة في مسائل المنطق ومعرفة الغيب والارادة والقدره وغالبا
كان يفهمهم بأجوبة السديده وأما قضى أقيمت عليه يوما بعضا من محاضرات علم النفس فلما لي يراهين
قاطعة وألفاظ في منتهى الرقة والصفحة مع أنه في حاله الطبيعه لا يدري ما الفلسفه ولا يعيد ألفاظا يبربها عن
أفكاره الصغيره) . (المثال السادس) روى العلامة (والاس) في تكملة عن أعمال الحاكم (أدمون)
الأمريكي ما يأتي (ان ابنة الحاكم المدعو (لاورا) أصبحت فيها بعد وسيطة متكلمه وصارت تنطق بلغات
أجنبية لا تعرف هي منها شيئا وكثيرا ما ناخبط أصحاب الحاكم مواتهم على يدها وبلغاتهم الخصوصية . وافق
مرة أن نقلت بمشرفات في مدة ساعة فقط منها الاسبانية والافرنسية واليونانية والايطاليّة والبرتغالية والانجليزية
والهندية والانجليزية وغيرها من اللغات التي كان يجملها الحضور (المثال السابع) هو بعض ما تقدمت خاص
بالتنويم المغناطيسي وبعضها يتيسر لجميع الناس بلاتنويم على شرط المثابرة والصبر والاحترام والاتجاه الى الله
عز وجل فنختتم بهذا المثال فنقول . قال في المذهب الروحاني لابد لأهل الشك أن ينسبوا الى الأحداث
الخرافية كل الوقائع التي أتينا على ذكرها رغما من ثبوت همتها وصدق روايتها زاهمين أنه لابد أن يكون
للتخيل الوهمي والمبالغة النسيب الأوفر فيها ولكن هل يثبت شكهم ازاء حوادث من هذا النوع تحت في معمل
وحيد المعصروخيرة علماء انكلترا أعني به (ويليام كروكس) ان ضيق المقام لا يكتفينا من تفصيل الامتحانات التي
أقامها على يد الوسيط هوم والآسة (فلورنس كوك) فنكتفي بتلخيص بعض الأدب التي فيها تجسمت الروح
المدعو (كاثي كينج) وظهرت عيانا الحضور قال العلامة للذكور في كتابه المدعو (مباحث الروحانية)
كنت أقيم الجلسات في معبدي ذاته وللكتبة التي ينفذ اليها أجملها الحجرة السوداء التي تدخلها الوسيطة لاقائها
في السبات ومنها يظهر خيال الروح بعد اضافة النور . وقد قل في الكتاب المذكور كانت (كاثي كينج) هذه
روح هي من عالم الغيب تجلّت في البدء بهيئة بخار يظهر في الظلمة ولا يقوى على تحمل النور ولكنها تدريجت
شيئا فشيئا الى أن تجسّمت في وسط الأشعة الكهربية وفي معمل عالم كبير ترزّه عن الجهل والغش . ثم قال
العلامة المذكور لم تظهر (كاثي) قط ظهورا واضحا كهذا فانها لبثت زهاء ساعتين تمشي في الغرفة وتكلم

بدالة كلام من الحضور ثم أخذت مرارا بفرامى لتشمى معا . وتأهيك ماتولاني من التأثر عند معرفتي أنني أماشي
 زائرا من عالم الغيب لا امرأة حية ثم قالت (كافى) انها تستطيع في هذه المرة أن تجعل مع الآنسة (كوك)
 وهي الوسيطة فأطفأت نور الغاز وأخذت مصباحا من الزيت الفسفورى ودخلت الحجرة السوداء فوجدت الآنسة
 (كوك) ملقاة على المقعدة فاقدة الحراك جثوت بجانبها وأدنت المصباح منها فألقيتها لابسلة حلة من الخمل
 الاسود ثم رفعت المصباح ونظرت الى ماحولى فرايت (كافى) واقفة ازاء الوسيطة لابسلة حلة بيضاء ضافية الذيل
 ثم أسكت ثلاث مرات بد الآنسة (كوك) لأتحقق أنني ممسك يد امرأة حية ورفعت مصباحى ثلاث مرات
 نحو يد الآنسة (كافى) لأخضها بدقة وأنا كدلى أعين خالماى من كنت أتمشى معها ويدى فى يدها منذ
 بنع دقائق ثم تحركت قليلا الآنسة (كوك) فأوعزت (كافى) حالا الى بالذهب فخرجت من الحجرة وبعد
 قليل استيقظت الوسيطة بعد أن لوارى خيال (كافى) وأعدنا مصباح الغاز الى ما كان عليه . ثم أخذت العلامة
 المذكور بقرن ماين الآنسة (كوك) الوسيطة والآنسة (كافى) للتجلية فكان الفرق فى اللون واللمس
 والطول وقبب الأذن والنض والشعر والرتين . فالآنسة (كافى) كانت ذات شعر نضى ووجه أبيض ناصع
 وعنى ناعم اللمس وقوم أطول وأذن غير مثقوبة ونضاتها (٧٥) فى البقية والرتة أكثر اعتدالا . فأما
 الآنسة (كوك) فلها ذات شعر كأنه أسود ووجه أسمر وعنى فى بعضه خشونة وأذناها مثقوبتان وطولها
 أقصر قليلا ونضاتها ٩٠ فى البقية وفى رتتها زكلم . ثم وصف العلامة المذكور آخر جلسة للآنسة (كافى)
 وذكر فيها عجائب لا يستطيع الخيال فضلا عن العقل تصورها . فعلى من عندهم قوة على هذه الأعمال أن
 يجربوها فى بلادنا حتى نوقن بما يقولون . يقول ان الآنسة (كوك) وهي الوسيطة دخلت الحجرة الساعة
 السابعة والدقيقة ٣٣ مساء وفى الساعة السابعة والدقيقة ٢٨ سمعنا صوت (كافى) وفى الدقيقة ٣٠ تجلت
 وظهرت بحلة بيضاء قصيرة الأكمام وعنتها مكشوف وشعرها منسدل حتى خصرها ووجهها مبرقع بخمل طويل
 لم تنزعه الا قليلا ثم أخذت (كافى) تكلمهم عن رجليها القريب وقدم لها أحد الحضور باقة من الزهر
 فقبلتها ثم قصدت على الأرض وأقصدتنا حولها وأخذت تفرق الزهور علينا وحورت رسائل لأصحابها ومنها
 رسالة للآنسة (كوك) مطولة وذيلتها باسمها الحقيقى على الأرض (حنا مرجان) وقد زعمت انها عاشت فى
 عصر (كلروس) الأول ثم تمت مع هذا العلامة آخذة بفراعه فى الفرقة مليا ثم جلست وقصت قطعاشى
 من رداها وخارجها وقصتها لهم هدايات . قال العلامة المذكور فسالناها هل تستطيع أن تملأ الخروق التى فى
 ثوبها كما فعلت ذلك مرارا فأجابت نعم وأخذت يدها القسم المخروق وضربت عليه بيدها فعاد حالا الى ما
 كان عليه فسالناها حينئذ أن تأذن لى فى تحقيق الأمر فأذنت فلم أجد فى الرداء أقل أثر للفتق ثم دخلت الى
 الحجرة السوداء وأيقظت الآنسة (كوك) وقالت لها لقد أزمعت الرحيل فانتبعت الآنسة (كوك) وطلبت
 أن لاتأخرها فقالت لها لى رحلة الى عالم آخر غير الذى أنا فيه الآن . وما قالته لهم انها لاتقدر أن تجعل
 فيسمعوا صوتها اويروا شخصها وانما تأتى لهم بالوساطة الخفية على يد الآنسة (كوك) ولاتظهر لها إلا فى
 السبت المضطربى . انتهى

وهناك حوادث شديدة لتجسم الأرواح كالتى ظهرت من تجسم (اسفيل) قرية الصبرى الأمريكى
 ليفرمور فاتها تجلت بعد موتها لزوجها ٣٨٨ مرة ببيت محسوسة فى خلال خمس سنين كذلك العلامة (جيبه)
 الافرنسى شهد فى معمله كثيرا من هذا النوع على يد الوسيطة (مدلم سلمون) ونشرها مفصلة فى تأليفه وفى
 سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٢ ذكرت الصحافة الايطالية غرائب الامتعاات التى أقامها العلامة (لومب وزو) فى
 (جينا) مع العلماء (مورسل) و (برو) والكاتب النحوي (فاسالو) مدير جريدة الجبل التاسع عشر الايطالية
 وكانت الوسيطة (اوزايا بالادينو) وقد تجسم على يدها مرارا ابن (فاسالو) المتوفى وقد أطفأ بتجليه لوحة

أبيه وأبده صحة خلوه النفس . ثم قال في الكتاب المذكور وإن لنا حوادث أخرى عديدة من تجسم الأرواح على يد الوسطاء وظهورهم لأجسامهم لتعزيتهم وتبديد حزنهم فنضرب عن ذكرها لاكتفائنا بشهادات العلماء المنتقم ذكرهم . قال شيرمحمد وهل اطلمت على شيء مما يذكره جهلة المسلمين اليوم من قولهم إن الضريت لبس جنة فلانة أو فلان ويأتي شيخ يقرأ وي زم . أحق هذا أم ضلال . أفلا يمكن تبيان الحقيقة حتى لا يقع الناس في شباك الكذابين . قتلت يا شيرمحمد أتى قاتلت كثيرا من هؤلاء فأقنيتهم كذا بين غشكين للأمة ولطالما قاتلت متعلما فاضلا حاز الشهادات العالية وقد أحسن الظن بأحد هؤلاء فلذا قاتلته وجلدته أفرغ من فؤاد أم موسى وإلى الآن لم أسرواحا من هؤلاء وجدير بالأمة أن تنيق وتأت من مسابة هؤلاء لاسيما أنها دخلت باب العلم والترقى وقد اطلمت على نبذة يسيرة تناسب هذا من الكتاب المذكور . قال

(إن الاستيلاء الجسدي ليس صاحبه قوة كافية للتخلص من مضائق الروح فلماذا يشترط في الأمر تدخل شخص ثالث يفعل إما بقوة الغناطيسية وإما بسلطة إرادته . هذه السلطة أدوية محضة فلا يقوى على طرد الروح إلا من كان متعلبا عليها بالفضيلة والكمال) إلى أن قال (وليس للتجسم والتعزيم أقل فضل في طرد الروح المضائق) ثم قال (إن النقائص الأدبية أقوى جاذب للأرواح الشريرة ومن قصد التخلص منها فعليه أن يسعى في عمل الخير فيجتنب إليه الأرواح وبمجرد إرادتها فقط تكسح جاحها وتطردا إلا أن مساعدتها لا ينالها إلا المجتهدون في إصلاح أنفسهم الساعون وراء الكمال والفضيلة . أقول إن هذا القول أقرب إلى الصواب فعلى من يتولى أمر من يتخطه الشيطان من المس أن يصره بالأعمال الصالحة والاخلاص - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - وأن استيلاء الروح الشريرة على الجسد المذنب أشبه بما جاء في مجالسنا السابقة يا شيرمحمد إذ قالت الروح العالية فيما ذكرته لك في المجلس التاسع (ثم لولم تكونوا ناقصين ما وافاكم إلا أرواح صالحة فإذا مكر بكم أحد فلا تلوموا إلا ذواتكم وما أنسب هذا لقوله تعالى في سورة إبراهيم - وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبني فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرحكم وما أتى بمصرحي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم - وفي آية أخرى - كمل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين - والحكمة في ذلك ترويضنا على الثبات وصديق العزيمة وكأن الله عز وجل يريد بذلك ترويضنا على مصادمة الأهوال والثبات في سائر الأحوال فكل شر جسمي أو وسوسة عقلية تدعو حثيثا إلى الصبر والثبات فمن صبر وصار ذلك عادة فيه سعد ومن مال مع الهوى فرضى بالترف والنعم ولم يحتمل المشقات أو أطاع الوسوسة سقط في الهاوية . وقد تقم في المجلس التاسع قول الروح (إن الله يسمح بذلك حتى تروضوا على الصبر والثبات وتعلموا أن يتميزوا الخيث من الطيب فإن لم تفعلوا ذلك يكون هذا دليلا على قصركم)

(مطابقات للشرعة الإسلامية)

ثم قلت . أليس هذا يا شيرمحمد من العجب العجيب . أوليس حديث (ديكنس) السابق هذا يوجب إلى قوله عز وجل - ولوترى إذ وقفوا على النار فقالوا يالينا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون - وقوله - وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كآخفا كما جئناكم أول مرة - وقوله - اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - فقال شيرمحمد أما - حديث (ديكنس) فهو عجيب إن صح - بل هو أعجب ماسمعا وأما هذه الآيات فلا تدرى مأمورها وأي علاقة لمرض جهنم على الكفار يوم القيامة وعلى الله وقراءة الإنسان كتابه لما في حكاية (ديكنس) من نمط الانشاء وخطا الأملاء . قتلت اعلم يا شيرمحمد . إن هذه الآيات فيها دلالة واضحة أن كل عمل نعمة واعتدناه

يصبح فينا سحبة وغريزة ثابتة فلا ينزع منا الموت وأن (ديكنس) لم يقتل الموت منه خطأ الاملاء وأبقى عنده حسن الانشاء . ولاجرم أن كل ذنوبه وأعماله من الخير والشر بقيت في نفسه بحسب عليها ويقاب وهذا قوله تعالى - ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - لأن الغريزة لا تقارم كما لم يكن اصلاح الاملاء بعد الموت عند (ديكنس) وهكذا كل ذرة من الخير والشر حاضرة عندنا باقية في نفوسنا هي هكذا لم تتغير فلا يضافر صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا ولا يعزب عنه متقال ذرة في الأرض ولا في السماء وكفى بنفسنا حسيبا علينا وإذا قلنا - أرجعنا لنعمل صالحا غير الذي كنا نعمل - أجبنا - أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكركم وجاءكم النذير فذوقوا لما للظالمين من نصير - ويقول لوردتكم لعدتم لما نهيتكم عنه وأتمت تكذيبون كما كنتم تكذبون في الدنيا بنقض عهدي بعد مرض يصيبكم أوفاءة نتابكم أولئذلة تمحقكم فلا عهد لكم عندي . يا شريحنا غافلون عن نفوسنا في هذه الدنيا وقد أفلح المؤمنون ولأذكرك بالحديث الصحيح الشريف (يبيع العبد على ما مات عليه) وقال الشيخ محمد الزرقاني

ونحشر أطفال وسقط كتل ما • يكونون عند الموت ثم تكمل

وقال في شرحه للنظم - هل يحشر الطفل والسقط بصفته وقت الموت أم لا . جوابه قال الحافظ ابن حجر

كل واحد من أهل الموقف يكون على ما مات عليه

أقول . ألت ترى بك بر محمد أن كلام النبوة صريح في أن الانسان حافظ لأخلاقه وآدابه حتى يحشر عليها . أليس هذا بينه ما في حكاية (ديكنس) وأنه قد حفظ أخلاقه في أسباب الانشاء وخطأ الاملاء وهكذا يقاس عليها سائر أخلاقه التي يحشر عليها إلا أن هذه الأخلاق الثابتة فينا بعد الموت أعدل ناقد وأكبر شاهد كنت فينا فأظهرها الله ألا وإن العادات المفروسة فينا بالتكرار لن تزول بل تبقى خزبا علينا وعارا فضيحة يقرؤها الناس في صحائف أرواحنا ويكون عذاب الخزي . فليقلع المرء عن عاداته وليوطد النفس على منابذة الهوى ومحاربة العادات النجسة فانها برسوخها فينا تشهد علينا . أوليس الخطأ في املاء (ديكنس) شهد عليه بذلك . أليس ذلك مصداق لقوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - اليوم نختم على أفواههم ونكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون - وقوله - حتى إذا ملبأوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون • وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون • وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون -

(فصل في آداب من يحضرون الأرواح)

قال في كتاب (المذهب الروحاني) ملخصا من أخص شروطه ما يأتي

الاختلاء والسكينة والرغبة الصادقة والإرادة مع العزيمة والهدوء والتجرد من الاضطراب وقلة الصبر وليكن في مكان معتزل بعيد عن الضوضاء وتشيت الفكر وليلجأ للمرء الى الله تعالى وليحترم الأرواح . ولا ينبغي أن يطيل الامتحان أكثر من ١٥ دقيقة كل يوم وذلك مدة شهر أو شهرين أو أكثر إذا لزم ذلك فان من الناس من لا تتحرك أيديهم إلا بعد مرور ستة أشهر من التجربة وبعضهم تتحرك أيديهم لأول جلسة وهو نادر جدا . ومتى شعر الجرب بضعف في قوله أوضيق في صدره ناتج عن فقد كبريائه الصبية فليكلف حالا عن العمل ولا يستأنفه إلا بعد أن تكمل قواه . وإذا أطال الجلسة أكثر من (١٥) دقيقة فهو غير حسن وليكن العمل كل يوم أو يومين على قدر إمكانه وإن خالف ما ذكرناه اتابه أمراض ويلة . وليجلس مع أهل منزله على مائة همدوء ويمسك كل منهم قلما على قرطاس ففسي أن يكون لأحدهم استمداد سريع . وإذا جلس وحده أمر به . ومن جرب ولم يجد في نفسه استعدادا فليكلف . وإذا ظهرت فيه هذه القوة فليصرفها

في الأمور الشريفة لافي اللهو والحب والأمور الشهوية . وليختبر يوما في الأسبوع يحضر مع آله لتلك المحل والأرواح ليسوا تحت أمرنا بل يحضرون متى وكيفما شاءوا . وإذا كانت الكتابة غير مفهومة فليطلب من الروح إعادةتها وبض الأرواح لا يمكن حضورها فلا يمكن في صدر الطالب حرج من ذلك وكثرة الاستحضار قسرت المستحضر وقد يحدث الجنون لمن في دماغهم ضعف وهكذا كل ما يبيح العصب وهي ضارة بالعلمان إلا إذا كان طبيعيا فيهم وليست هذه القوة دليلا على الكمال ولا عدما دليلا على النقص إنما هي ترجع للاستعداد وسوء التصرف بهذه القوة يضرب أصحابها لأن من يعلم يهذب أكثر ممن لا يعلم على التصبر وكال صاحب هذه القوة وقته يرجع للامور النفسية من التواضع وحب الناس والكبر وكرهه الناس وما أشبه ذلك .

ألا وإن اجتماع الحاضرين في الفكر صالح لحضور الأرواح وضد ذلك تفرق الأهواء وغير المستحضرين يمين وقتا لأحبابه الذين يستحضرهم لأنهم ليسوا تحت أمره بل لهم أعمال غيبتك هم لها عاملون . ومن الأرواح من يسر بالحضور وهم أحببنا أومن يحبون الخير العام ويرون أننا نطلبهم لغاية جيدة بنا والروح العلوية قد يحضر مجالس كثيرة في آن واحد . أما الأرواح السفلية فلا تحضر إلا جالسا واحدا لأنهم أقرب إلى الأرض . أما الأرواح النقية وهي التي ارتفعت عن المادة فلاتنهي إلا قلوبا مغلقة لا يشوبها كبرياء ولا حب ذات . ومن أراد الفوز بتعليم الأرواح فليصنع الخير وليتجنب الكبرياء وحب الذات

(درجات الأرواح)

إن الأرواح على (ثلاث درجات) أرواح سفلية وأرواح علوية وأرواح نقية

(١) فالأرواح السفلية هي التي تقلبت عليها المادة فالت إلى الشر وهي إما نجسة وديدها الشر والقاء النجاسة . وإما طائفة تحب الملاعة والخفة والتلاعب . وإما متكبرة بمعارفها القليلة وعلومها الضئيلة فتعالي عن الحق . وإما عقيمة لا تصلح للخير ولا شر

(٢) وأما الأرواح العلوية فلها سلطان على المادة تحب الخير وتبعد عن الرذائل وهي

(١) إما صالحة توصف بالجلود وحب الصلاح وإلهام الناس أفكارا صالحة ومعارفها قليلة وترقيها العقلي دون رقيها الأدبي

(ب) وإما حكيمة وصفاتها الأدبية جيدة لا تقص فيها وعلومها أوفر اتساعا وأغزر مادة

(ج) وإما رفيعة جعت ما بين الحكمة والعلم والتفضيلة ولاتنقي تعاليمها إلا لمن طلب معرفة الحق بخلاوص نية وجرود قلبه من المطامع الدنيوية

(٣) وأما الأرواح النقية فهي التي بلغت ذروة الكمال وتجردت من كل قصص ولم يعد للادة أدنى تأثير فيها فأصبحت معانية لله مفتبطة به وليست تنامي إلا من كان ذا فضيلة سامية وقلبه مجرّد من كل ما هو دميم وعليه فلولت لا يبرطع الإنسان فالعالم بقي عالما والمتوحش متوحشا والشاعر شاعرا وأهل جوا كما ورد في الحديث (إن العبد يحشر على ما مات عليه) ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا .

وعلى ذلك تكون رسائل الأرواح غير مسلم بها ففيها الفتن والسمين فربما حضر للمستحضر روح طائفة أو نجسة أو متكبرة أو عقيمة فتذكر له حقائق ناقصة لجهلها أو لسوء خلقها . وكما أننا في الدنيا نرى طوائف الناس على أقسام . فهكذا ترى الأرواح فالآخرون من الأولين . فإذا شككت فيمن حضر من الأرواح فله عن اسمه وقلبه وعدد السنين التي عاش على الأرض والأماكن التي حل بها والظروف التي مكنته من التعرف بك إلى غير ذلك وتسأله أن يقسم لك بأنه الله هو حقار روح فلان فأكثرهم لا يجسرون على هذا الكذب وقليل منهم يقسمون وهم القاسقون . ومن الأئمة أيضا الامضاء ومضاهاته بالمشاهدة المعروفة في الأرض . وأهم الأدلة سيرة الانشاء وأسلوبه ومعانيه فغالبا لا يمكن الجاهل أن يظهر عليها ولا صاحب الرذيلة أن يزور الفضيلة فالأرواح

تتميز بالحدث . ألا وإن الرذائل تحيط بالروح بعد موته احاطة الهواء وأن العالم المتكبر أشد خطرا من الأرواح الشريرة لأن العالم جمع العلم والنباذة والكبرياء والمكر فيغري الجهال ويشر بهم مبادئه السخيفة الكاذبة والروح العاوى قد يحضر لطالبه وقد ينسب عنه من يعلم أنه كفو . على أن الأرواح كلما ازداد اتقاؤها ازدادت في وحدة الفكر وانضم بعضها الى بعض فابراه أحداهم يراه الآخرون وقد تنتحل بعض الأرواح السفلية أسماء الأرواح العلوية بغير ارادة الآخرين فتعاقب بعد تلك الجريمة ويكون ذلك امتحانا واختبارا للناس ليعلم الخبيث من الطيب . وقد تأتي الرسائل محشوة بأكاذيب تفرق ما بين الأسرة فلا ينبغي أن يصدق ما فيها كما قمنا . وللأرواح العلوية سلطة أدبية على السفلية فهي التي تمنعها عن اغواء من هم مخلصون صادقون قال تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - والأرواح في حال تمكنهم من فعل ما يريدون كما يتمكن الناس على الأرض ألا وإن الانسان قد يتأذى الأرواح بفكره وإن لم يكن وسيطا وهذا يسمى الاضرار الفكرى ولا يجوز له أن يحضر روحا شريرة اضرارا فكريا إذا كان وحده . والذي يصدر الروح عن اجابة محضره أمور كثيرة منها لرادته الخاصة به فله الحرية المطلقة . ومنها أن يكون في أعماله الخاصة فلا يتفرغ الى المحضر . ومنها أن لا يؤذن له في اجابة المحضر عقابا له أولم يحضره . ومنها أن يكون في عالم أدنى من العالم الأرضى وهو لا يدنى له الحضور هنا لتأتى للبدائن . فأما إذا كان علويا وقد أرسل الى العالم السفلى تكفيرا عن ذنبه أول رسالة يقوم بها فذلك لن يهجز حينئذ عن الحضور لاجابة أهل الأرض . ثم ان الفكر تحمله المادة الأثرية الى الروح كما يحمل الهواء الصوت والأول لاحد له والثانى محدود . وجميع الأرواح لها الحرية المطلقة في الحضور وعدمه ولكن الأرواح السفلية ترغمها الأرواح العلوية على الحضور إذا كان ذلك نافعا لها . والرجل الغافل تجاهه الأرواح السفلية فلا تقربه ولا يساها ان كانت تحب أرواح علوية والاطلاس لآثارها على الأرواح وانما ذلك في عقول السذج والعوام . والروح قد يحضر عند موته ولكنه يكون في حال اختلاط واختياط وتحضر روح الحى إذا كان نائما ولكن اجابته لا تكون سهلة وليس يتذكر عند اليقظة ما فعله وقت الاضرار في نومه والجنين لا يمكن اضراره البتة واضرار المريض والصغير والشيخ الضعيف يضر بهم كما تقدم أنه يضر بهم أيضا أن يكونوا وسطاء . ومن المقالات ما يكون من روح الوسيط الكلمة وعلومه الخفية التي علمها قبل وروده الى هذا العالم فلا نرى أمن التأم هذا أم من روح حاضرة . ولاجرم أن هذا مما يدهو الى التفكير والتبصر ليزول اللبس . والأرواح العلوية لا تحضر المجالس الروحية الخفية وانما تحضرها الأرواح الطائفة فتنتفى طرق الموائد ورفها وتلقى الاحاديث الخفية والا كاذب الفارغة إذ شبيه الشيء منجذب اليه وليس يؤذن للأرواح الطائفة أن تحضر المجالس الرزنية إلا إذا حضرت للاستفادة فلا تجسر أن ترفع أصواتها . والوسيط قد يفقد الوساطة مؤقتا إما لتصرفه بأن يجعلها بابا للرزق أو اللهو واللعب وإما لراحة الوسيط من التعب . ولا يسمح لآخر أن يحمل مكانه والفكرى يميز بين الأمرين . ثم ان المبتدئ يرغب في مناجاة آباءه وهم ربما لا يقدرين على مناجاته لجهلهم بطرق ذلك ولما لأنهم في عالم أقل من علنا فليستخذ الانسان روحا مرشدا من الأرواح العلوية ويسأله عن محضره من الأرواح وهو يجيبه (أذلك يمكن) وليستن المبتدئ إذا داخلة الأرواح الشريرة بالأرواح العلوية مع التوقف حالا عن الكتابة وقد أثبتت في هذا المقام أهمية الموضوع وليكون القارئ على بصيرة ونور وهدى وكتاب منير . هذه الاحكام كلها من محادثات الأرواح أنفسهم مع العلماء فيما تقدم قلا عن الآن كردك

(مذكورة في مقارنة ما بين هذا بالقرآن وكلام الامام الغزالي واخوان الصفاء)

قال شير محمد . إذن كل هذا الفصل قلته من كلام نفس الأرواح . قللت نعم . قال سبحانه الله إن في هذا لعجبا عجبا . قد قسمت الأرواح الى درجات من صالحة وقيمة وعلوية والصالحة جعلت أقل الجلب والقيمة

أرقاها . فهل له نظير عند علماء الاسلام . وإذا كانت الأرواح لها حياة بعد الموت وحرة فلم يكره الناس الموت وجهلوا حياتهم بعده وهو في الحقيقة الحرية التامة وأرجو أن تزيدني يقينا في أن أرواح الأموات لها اتصال بالأحياء تعلمها وتريها . فقلت أما درجات الأرواح فقد وردت في قوله عز وجل - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله - فلا أنبياء هم الأرواح النقية والصديقون والشهداء هم الأرواح العلوية ومنهم الصالحون وهم أقل الجميع درجات وقال الامام الغزالي في كتابه ﴿ بديع الحسنى ﴾ ما ملخصه ان العلم أفضل ما يتفقه الطالبون ويليهِ كل عمل عام للناس من المنافع المادية كغاية للملهم ودفع الضرر والأذى وآخر الدرجات أن ينقطع للعبادة وشرّ الدرجات له أن يكون شررا مؤذيا طماعا جعاعا . وأما كون الناس يكرهون الموت لجهلهم بالحياة بعده ولا يحبونه مع انهم بعده أحرار . فهناك أسعك ماقاله (اخوان الصفا)

إن علة كراهة الحيوانات الموت هو ما يلحقها من الآلام والأوجاع والفرج عند مفارقة الأحياء فان قيل فلم لا تحرى النفوس بأن لها وجودا خلوا من الأجسام قلنا لأنه لا يصلح لها أن تعلم هذه المعاني لأنها لو علمت لفارقت أجسادها قيل أن تم وتكمل . وإذا فارقت أجسادها قبل ذلك بقيت فارغة عطلا بلافضل ولاعمل وليس من الحكمة أن يكون كذلك إذا كان خالقها لم يغفل من تدير ليكون فارغا بلافضل بل كل يوم هو في شأن . وأما قولك كيف كانت الأرواح مهذبة ومرتبة للأحياء في الدنيا فقد ذكرنا في هذا الكتاب ماورد في النبوة أن إلهام الناس من الملائكة والوسوسة لهم من الشياطين كما جاء عن الأرواح في المجامع النفسية . وزيد بن بيان الآن فتقول قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الله تعالى وملائكته عليهم السلام وأهل السموات وأهل الأرض حتى الخلق في سمعها والحيثان في البحر يصلون على معلم الناس الخير ﴾ وقال ﷺ ﴿ إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ﴾ فانظر وتعجب . أليس ذكر الملائكة في هذا الحديث وانها تضع أجنحتها لطالب العلم دلالة على المناسبة والملازمة بين المعلم وبين الملائكة والأرواح العالية . أليس هذا نظير ما جاء في هذا المقال عن الأرواح ترجمة الآن كردك إذ يقول ان الأرواح العلوية لا تحضر المجالس المزلية وانما تحضرها الأرواح الطائفة ولا يؤذن للأرواح الطائفة أن تحضر المجالس الزينة . وتقول أيضا ان الأرواح العلوية قد تأمر الأرواح بالحضور في المجالس النافعة الروحية . فهناك إذن علاقة عليية . وترى مناسبة الملائكة لأهل العلم جاءت في السنة وفي كلام الأرواح ووردت في القرآن الشريف - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمات بالقياس - فجعل أولى العلم بعد الملائكة فان الأولين يعلمون الآخرين . وقال في (اخوان الصفا) في رسالة (الملل والمعلولات) صفحة ١٣٣ ما يأتي

ثم اعلم أن النفوس التامة الكاملة اذا فارقت أعباءها تكون مشغولة بتأييد النفوس الناقصة المجردة لكيما تتم هذه وتكمل تلك وتتخلص من حال النقص وتبلغ تلك الى حال الكمال وترتقي هذه المؤيدة أيضا الى حال هي أكمل وأشرف وأعلى - وان الى ربك المنتهى - والمثال في ذلك الأب الشفيق والاستاذ الزفيق وتعليمهما التلامذة والأولاد وإخراجهما لإياهم من ظلمات الجهالات الى فسحة العلوم وروح المعارف ليتم التلاميذ وليكمل الآباء والاستاذون بإخراج مافي قوة قوسهم من العلوم والمعارف والصنائع والحكم الى الفعل والظهور اقتداء بالله تعالى وتشبها به في حكمته إذ هو السبب الأول والمبدأ في إخراج الموجودات من القوة الى الفعل والظهور . وكل نفس هي أكثر علوما وأحكم صنائع وأجود عملا فهي أقرب تشبها برها وهذه هي مرتبة الملائكة الذين لا يصون الله ما أمرهم ويضعون ما يؤمرون ويتقون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب . ولما قالت الحكماء ﴿ الحكمة هي التشبه بالله بحسب طاقة البشر ﴾ معناه أن تكون علومه حقيقة وصناعته بحكمة وأعماله صالحة وأخلاقه جميلة وإرادته صحيحة ومعاملته نزيهة وجوده على غيره متصلا والله سبحانه

وتعالى كذلك . انتهى ما أردته من (أخوان الصفاء)

فتعجب أيها الذكي . أليس ما قالته الأرواح في الجمعيات النفسية في أوروبا هو كما في القرآن وفي الحديث وفي كلام (أخوان الصفاء) . ذلك اجماع من الغرب والشرق والعلم والدين أن أرواح الناس بعد الموت تكون متصلة بالأحياء تشبه الشياطين تارة والملائكة أخرى وأن الكاملة منها تعلم الأحياء وتهديهم الصراط المستقيم . أوليس هذا معجزة لسيدنا محمد ﷺ

ما كان ليجول في خاطري أن العلم يكشف عن وجه الحقيقة النقاب ويجليها عنراء بهية لأولى الألباب . إن في هذا لعبرة لقوم مفكرين . أوليس ذلك قوله تعالى - سرفهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ألا أنهم في مرة من لقاء ربهم ألا أنه بكل شئ محيط - ولقد تبين فيما مضى أن الانس لهم تأثير على الأرواح السفلية وهنا نجعل أن للأرواح السفلية والملائكة سلطانا على نفوس الأحياء وأن الفضلاء منا يتلقون عن الأرواح العالية والصفاة من الأرواح يتعلمون من الانس لاقتراب طبيعتهم السفلية من طبيعة الأحياء لانغماسهم في المادة . وكل هذا يستفاد من كلام الأرواح كما تقدم فانظر كيف صح هذا في ديننا . تعجب . أليس النبي ﷺ لما قرأ سورة الرجن وكرآية - فبأى آلاء ربكما تكذبان - أى بأى نعم ربكما يامعشر الجن والانس تكذبان . ذكر الصحابة رضوان الله عليهم أن الجن لما سمعوها قالوا (ولائى من نعمك ربنا نكذب فك الحمد) وكثيرا ما كنا نسمع أن النبي عليه الصلاة والسلام مرسل للانس والجن ونسعه في سورة الرجن يقول سبحانه وتعالى - يامعشر الجن والانس إن استغفتم أن تنفخوا من أنفار السموات والأرض فانفخوا لاتنفذون إلا بسلطان - وقال في سورة أخرى - يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى - فإذا سمع العاقل أمثال هذا قال في نفسه كيف يرسل للجن وهم مجرّدون عن المادة وبهذا الكتاب وضح الحق واسفيان السبيل وأن الأرواح التي ماتت ناقصة طبيعتها أقرب الى البشر فيفهمون عنهم أكثر مما يفهمون عن الأرواح العالية التي تفيض العلم على أفئدة العلماء في الدنيا . وقد تأذن الأرواح العلوية للسفلية أن تحضر مجالسنا لتستفيد منها علوما وبهذا نجعل لنا كيف كان ﷺ مرسلا للجن والانس . ما أجل العلم والحكمة

(فائدة)

ربما أشارت النبوة من طرف خفي الى بعض حوادث العصر الحاضر إذ جاء في السيرة الحلبية الجزء الأول صفحة ٢٠٦ قال قال رسول الله ﷺ (والنبي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوط بما فعل أهله) وشراك النعل أحد سيورها الذي يكون على وجهه وعذبة سوطه طرفه وقيل سيورها وهذا أشبه بشرط (المسره) التليفون ولعل في المستقبل مايبين معناه من هذا العلم أوغيره والله أعلم

(جوهرة في النفس وقواها)

بينما كنت في يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٦ قائما إذ وقعت ساعتى فكسرت زجاجتها ووقفت وكان معى صديقي هوللازى في الحضر والسفر فقال عقب ذلك . لماذا يألم الانسان مثل هذا . ولم كانت نفوسنا تتأثر تأثرا يطابق ما يحدث في المادة فإن وقعت ساعة أو اختل حائط أو سقط منزل أو حصل خطأ أو هجم عدو زانا تتأثر على مقدار الحادث . هكذا تألم للحرق وللبرد ولقلة المدل والملابس والأغذية كما تموت من الفرق والحرق والعطش والجوع وبالسيف وبالمدفع . يا محبا . لماذا هذا التلازم بين المادة والنفس اذا جزعنا على ما يصيب أجسامنا من جوع أو عطش أو مرض . فلماذا نجزع على المادة حولنا من قبح أو تخريب الخ هل المادة أم والنفس بنتها . أم النفس أم والمادة بنتها . أم هما ابتنان لأم واحدة . فقلت انك بهذا السؤال قد قهرمت لاصول علم المادة وعلم النفس وارتباطهما . إنك قد أبنت لللازمة بينهما إبانة تامة وأوقعتى

في حيرة لأني لا قوة لي على الاجابة الناقمة لأن العلماء الى الآن لم يهتدوا الى سبيل هذه الحقيقة هداية تامة بل هم في حيرة . وغاية الأمر أن كل يرجع ما يراه . إلى سأبحث هذا الموضوع بحثا علميا سيتضمن آراء العلماء وسأكون فيه حرا لا أتقيد برأى بل أوجه النفس الى مبدعها ليطلعها من العلم ما به يستثير وجه الحقيقة . فقال مع مشاركتي . قلت نعم . فقال (س) لم هذا الألم وهذا السرور صفهما (ج) إن المدة حولنا مرتبطة بمصلحتنا فنفرح ونفتم لكاملها ونقصها . إن الله لم يخلق في الأرض خلقا إلا لحكمة ويظهر أن هذه النفس لا تسعد إلا بظهور جيع ما يكن فيها وقد يكن فيها الألم واللذة وكأن هذا الألم مهماز يدفعها الى الرق كالجوع والعطش وكسر الساعة . نحن نحتاج الى الغذاء والشراب والهواء والملابس ومراقبة حركات الشمس وسير الكواكب ونظام أمننا والآلام والمسررات تتبع ذلك فلة وكثرة وذلك لارتقائنا ولو كان الألم لافائدة فيه ما خلقه الله فينا . إن ألم الألم لأجل ولها والأنبياء والحكماء للألم والانسان لجرحه ومرضه كل ذلك مرقق للانسانية (س) صف الانسان ومصاحبه للمادة (ج) الانسان والحيوان والنبات . كل هؤلاء ينمون في المادة أى في الماء والهواء والتراب بحيث يكون النقص بأجزاء مادية مكتونة من هذه العوالم المحيطة بنا (س) ثم ماذا (ج) فيكون الحر والبرد المفرطان والجوع والعطش وعدم اللباس لمن يحتاج اليه كبعض بني آدم . كل ذلك مضاف للحى وكل من هذه الأحياء نحو ثم يموت (س) إذن هذا دليل على أن المادة أصل والنفس فرع وما مثل النفس إلا اكتم اللون والشكل والصورة في المادة . إن كلا من هذه تضمحل على طول الزمان . فإذن هذه النفس تابعة للمادة . ألا ترى أن عقل الانسان يضعف بمعاينة كثرة التدخين وتعاظم الأفقون والحشيش . إن للمادة سلطانا على العقل . فالعقل نتيجة المادة لا أكثر ولا أقل . فأين الحساب والعقاب إذن (ج) اعلم أن هذه العوالم التي نعيش فيها لنز وهذا اللغز لا يحله إلا جميع العلوم . فإذا وقفت عند هذا فضاء مجارة العلة لأن ما أوضحت الآن يعلو الجهلاء والحكمة والعلم يترفعان عن مرتبة الجهلاء (س) فأبرز الحكمة إذن ولبن تبرزها اذا لم تسعها الى (ج) ليست نفس الانسان كالمادة التي نعيش فيها (س) بين ووضح (ج) إن للنفس قوى ظاهرة وقوى باطنة . والقوى الظاهرة هي الحواس الخمس (البصر والسمع والشم والذوق واللمس) وهذه الخمس أربعة منها في الرأس والخمسة في الجسد كله وهي حاسة البصر والأربعة الأولى هي السمع والبصر والشم والذوق في الأذن والعين والأنف واللسان مع سقف الحلق . هذه الحواس الخمس جواسيس لمن رئيس وهو المسمى (الحس المشترك) وما الحس المشترك إلا أمير خضعت له هذه الجنود إن هذه الحواس خاضعة لأرادته . جارية على نلموسه . يأمرها فتأمر . فتري حاسة البصر تحضر لهذا الأمير الألوان والأشكال والسطوح والأجسام والأنوار والظلمات والحركات والسكنات والقرب والبعد . وترى حاسة السمع تحضر له نغمات الموسيقى وأصوات الانسان والحيوان وأصوات الرياح لمن كل فج . وترى حاسة الشم تفرق بين الرائحة الذكية الطرية والرائحة النتنة المكروهة . وترى حاسة الذوق تميز بين الحلو والحامض والمالح والعفص والحريف والرز والمر والعذب وهكذا . وحاسة اللمس تميز بين الثقيل والخفيف والبارد والأملس والخشن واللين والصلب والريز وضده وقد عتها العلماء (٣٨) لهذه الحواس الخمس (س) ثم ماذا (ج) هذه الصور كلها تقتنصها الحواس الخمس وتطعها للحس المشترك (الحس) المشترك يسلمها بقوة سموها (الخيال) فهذا الخيال يحفظ فيه الصور . والملايل على ذلك اننا نرى الصورة أوفهم الرائحة أو نأكل التفاح أو نحس بالحر والبرد ونفعل عن ذلك سنين ثم اذا تذكرناه وجدنا هذه الصور مخزونة عندنا فتذكرها . فيأبى شعري من أين تذكرناها . فإذا كان عقلا مادة أى تابع لها كما يتبع اللون المتلون . فلماذا عكس الأمر لأننا نرى أن الأجسام لا تتحمل إلا صورة ضوئية وشكلا فشكلنا ولما رأينا هذا أن الانسان يكون شيخا وطفلا في آن واحد ولا لزراع ثمرة وغير مثمرة في آن واحد ولا الحجر مرصبا ومثمنا في آن واحد . إن المادة نظام ضيق

انها لا تقبل إلا صورة فصورة . أما العقل فانا نراه قد جمع هذه الصور كلها وخزنها عنده وله جواسيس وله أمير وله مخزن وهذا المخزن قد حفظ تلك الصور لافرق عنده بين السماء والأرض ولابين الشباب والشيب والقبح والجمال والحلو والحامض . إن الفنى فترقى على الحواس اجتمع في الخيال . جمع الخيال كل صورة رأيناها أو سمعناها أو شممنها أو ذقناها أو لسنها بل هناك ماهو أعجب (س) وماهو ذلك (ج) إن هذه الصور تحصل فيها أعمال عجبة (س) ماهى (ج) هناك قوة أخرى فرضها القدماء كما فرضوا خطوط الهندسة في المادة فقالوا ان عداوة الذئب للشاة وعجبة الاتهام للأبناء تلك معان جزئية ليست من الصور المحسة فلها قوة تسمى الروامة وهذه للمعاني مخزن في خزانة لها سموها الحافظة . فاذن هنا أربع قوى الحس المشترك والخيال والروامة والحافظة وهناك قوة تصرفنى أكثر من هذه وهى القوة للتصرف وهذه تصرف فى الصور للرسم فى الخيال والمعاني المخزونة فى الحافظة . ألا ترى اننا نرسم فى نفوسنا أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد اذا أردنا أن ننسبه الورد وقد لعبت به الرياح فهذه صور مبتكرة ابتكرتها القوة للتصرف وهى حينئذ تسمى متخيلة . وقد تبكر هذه القوة المتخيلة صورة ومعنى أو معنى ومعنى فالصورة والمعنى كياض صدقك وسخائه والمعنى مع المعنى كصورة الشاة أن الذئب منغور منه والولد معطوف عليه (س) هذه مباحث طويلة لاتناسب هذا التفسير فأوجز واثم بالنتيجة . ألا ترى اننا فى مقام الكلام على المادة والنفس الانسانية فاذنا يفيدنا من هذا كله . هل تريد أن تأتى بكل ما قرأته . ان التطويل عمل فالاختصار هو المفيد فالتقنا بما يفيد . ان النفس فيها مزايا ليست فى للمادة (ج) إنك بهذا القول أشبهت من يسمع قصة أبى زيد طول الليل فلما انصرم الليل قال الشاعر أسعنا قصة أبى زيد . إن هذا هو الجواب . إن النفس لما جعت الصور فيها وهجرت المادة عن هذا الجمع دل ذلك على أن النفس غير المادة . ومعنى هذا أن الخاطف من ذلك لم يحتمل إلا لونا واحدا (س) بل فيه ألوان (ج) إن البقعة الواحدة لا تحتمل إلا لونا واحدا وصورة واحدة والجسم أيا كان لا يقبل شكلين معا . قال ثم ماذا . قلت ونحن اخترعنا فى نفوسنا معاني وكليات فان القوة العاقلة فينا تأتى بقضايا كلية وتحل مشكلات وتحكم على المادة . أليس الانسان يحفظ قلب وجه البسيطة وتصرف فى المادة وهندس وزوق وبني وهدم وزرع وحصد وغلف وجه الأرض بالأسلاك الكهربية وحكم على المادة وأدرك انها كانت أثرا فصارت أجساما ثم ترجع أثرا ككرة أخرى والانسان يحفظ فصل الأعاجيب وحكم ويدبر . فهل خزنت للمادة الصور كما خزنها العقل . فهل تصورت للماضى وأدركت القضايا العقلية كما أدركها العقل . كلا . إن الانسان فى الدنيا أشبه بمسجون فى سجن تكون أطواره تابعة لحال السجن وخداه ولكن المسجون ربما كان حكيما عليا والسجان جاهل غر . إن الانسان حبس فى المادة وتقذى بها والتوى تبع التوائها ومات على مقتضى نظامها ولكنه ليس معنى موته انه فنى كما انه ليس معنى خروج المسجون من السجن انه مات . كلا . بل لا تظهر قائمة المسجون العالم إلا اذا خرج من السجن وليس احتياجه فى أثناء السجن للقوامين عليه فيطعمونه ويسقونه ويلبسونه بمناخ من فنه ورقبه وسعادته بعد خروجه من السجن . هكذا ليس تطور الانسان فى المادة صفرا وكبرا وضفا وحمة وحياة وموتا بحجة على أنه لاهية له بعد ذلك . تشابه المادة والنفس فى ظواهر الأحوال . كلاهما دائم الحركة ليلا ونهارا أمد الدهر . المادة لاقتنا تتحرك شمسها وقرها وليلها ونهارها وجيع ما فيها . هكذا نفوسنا فى حركة مستمرة حتى أثناء النوم . النفس متحركة والأرض متحركة فهما فى ظواهر أمرهما كأنهما شئ واحد تشابها حركت ونموا وذبولا . وهذا يشير له قوله تعالى - والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها * والنهار اذا جلاها * والليل اذا يشأها * والسماء وما بيناها * والأرض وما طعها .

علم الله قبل أن يخلق السموات أن الناس سيرون الشمس والقمر والنهار والليل والأرض كلها جاريات بلا

انتطاع وعلم أنهم سيعلمون أن النفس لا تنفك تحرك فصلتها على الأرض ولكن النفس فيها مزية أرقى قتال - ونفس وماسواها • فألمهما لجورها وقواها • - ذكر الله هذه ليبين لك كل ما ذكرناه الآن • فألمها الفجور والتقوى يجمع كل ما تقدم من القوى وهي الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة والعقل المنزوع فيه • فهكذا فافت النفس هذه العوالم • الله أكبر • إن النفس هي الواسطة بين المادة وبين العوالم العالية بل انه قيل ان المادة صنع النفس

(١) وهل أهلك نبأ الغذاء إذ يتحول فينا قوى كثيرة ومنها قوة الفكر فالفكر اشتق من المادة والمادة كانت أولاً ففكرها فعلت المادة ففكر متجسد والا فكيف رجعت فينا نحن ففكرنا

(٢) وأيضا الأعمال المادية لا تكون إلا بعد فكر ويتبع الفكر نية والنية تبعها العمل فلا عمل إلا بعد فكر • فالمادة بعد فكر والفكر في النفس فالعالم المادي من نفس كلية

(٣) وأيضا ان الانسان يعيش على الأرض فلا يقع واذا مشى على الحائط وقع لأن فكره أفهمه أنه يقع مع انه على الأرض لا يعيش على أوسع من الحائط • فهذه (ثلاثة براهين) رجوع الغذاء فينا الى فكر وأن أعمالنا بعد الفكر • وأن الانسان يسقط عن الحائط بفكره وخوفه وهو على الأرض لا يعيش في أوسع من الحائط

إن نفوسنا على الالهام والوسوسة • فبالالهام نصلح الأرض وبالوسوسة نفسدها ولا إلهام ولا وسوسة تقترنان أشياء غير ما ذكرناه مما أتى من الحواس الظاهرة والباطنة • ولما كانت النفس بهذه المثابة وانها واسطة لأنها لطيفة والمادة غليظة قال الله فيها في هذه السورة - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي • - ههنا إن معنى الآية • يقول الله • قل الروح من أمر ربي • أي الروح ليست من المادة بل من أمر الرب والرب فيه معنى الترية • إذن الروح مريمية للمادة لأن الرب لطيف والروح أقرب اليه من المادة وكلما كان المخلوق أظلم كان أفسد • ألا ترى الى الكهرباء كيف حركت الآلات بل ألم ترالى البخار كيف أدرك الآلات وحركت القطارات - إن ربي لطيف لما يشاء - والروح أقبل - لطفاً من الله والمادة أغلظ شكلاً والكهرباء والمغناطيس والبخار أقبل - لطفاً من أرواحنا فلذلك نجى أن البخار والكهرباء سلطت على المعادن وعلى المادة غلظت لها بالحركات والأعمال • ثم ان البخار والكهرباء والمغناطيس لم تسلط على المادة إلا بتسخير نفوسنا لها بدليل انها بقيت ساكنة لا حرك لها حتى حركها الانسان فاستيقظت • فأما عقولنا فما أجعلها وما أظفها وما أعلاها • ألم تر أنها سخرت هذه اللطائف لحكمة للمادة وسخرتها • ألم تر انها حكمت على الأفلاك حتى عرفت بالنظر من كواكب السماء نحو (بلونين) أى ألفى ألف ألف وهذا آخر كشف عند كتابة هذه السطور وعرفت أن هذا القدر قطرة من بحر وأدركت حركات كثير منها وأحجامها وأبعادها وأضواءها وعناصرها المركبة هي منها بواسطة ألوان الطيف هل تقدر المادة على هذا أو يقدر الضوء والكهرباء والمغناطيس على هذا • كلا • بل العقل الانساني فوق هذا كله ولقد ميزه الله عن الأرض فقال - فألمها لجورها وقواها • وأبان المقام أعظم إثباته في هذه السورة فقال - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي • - أظن أن المقام وضع وأن قوله - من أمر ربي - ظهر بوضوح في هذا الزمان

(عجب عجاب)

عجب لهذه النفس • انها قد خبئت فيها قانس ومحائب (س) بين ذلك (ج) ان عجائب النفس لم تقتصر على قلب وجه البسيطة بل فوق ذلك أدركت مستقبلها وانها خالصة لا غنى (س) أما هذا فسقط لا يقبله (ج) انظر الى العنكبوت • ألم نجد في جسمه مصنعا يصنع فيه الخيوط • قال بلى • قلت ألم تره يفهم كيف يجعله خيوطا ويوتا وشبكات ميد كما ستره موضحا في سورة العنكبوت • قال بلى • قلت فجهب كل العجب

إن كل نفس تعطي من العلم على مقدار استعدادها . استعنت حشرة العنكبوت الى النسيج وبناء البيوت فوضع مصنع في جسمها وقوة فاعمة في غمها تدبر أمر هذا الغزل وتنتفع به . هكذا يرى الطيور والحيوانات الأرضية جميعا خلق فيها بيبض وأجنة في البطون وعلى مقدار ذلك نلهم نفوسها إلهامات مطابقة تعلم المطابقة لما فيها فلا طير ولا حيوانا أرضيا إلا ولها غرلهم بعض يبضها وتربية ولها وارضاعه وحفظه . يا محبا كل الهب . أجسام تظهر فيها مخلوقات صغيرة ونفوس ترسم فيها ما يوافق هذه المخلوقات . أنظر الى الانسان . نراه يعيش ويمشي أن لا يموت . هذه فكرة علة . فشيخه وشبانة كل يحب أن لا يموت وهما أنذا في هذا التفسير أقول أنا لأحب أن أموت إلا بعد تمام طبع هذا التفسير فأكون قد أدبت ماعلى وأنا شيخ ولكنى لا أدري اذا تم ماذا يحدث في نفسى بعد ذلك فنفوس الناس جميعا تحب الخلود والبقاء الأبدى

إن هذا الحب وحده قياس اقناعى دال على بقاء النفس . وأتى فرق بين بقاء الانسان وغرائز الحيوانات كلها . ان غرائز الحيوان كلها صادقة كما عرفت فلم توضع في نفوسها معان إلا لأغراض صالحة . فاذا كانت غرائز الحيوان صادقة هكذا الانسان . فلماذا نستثنى منها مسألة واحدة وهي حب البقاء . أحب الانسان الولد فرأه وأحب الطعام والشراب واللباس والفاكهة والماء والهواء والازينة والشجر والنجم والقول فوجد ذلك كله وأحب النفات فلات السهل والجبل والماء وأعطاه فوق ذلك علما به يأتى بنفث أجل فلماذا تحول إن غريزة البقاء كاذبة . الانصاف يقتضى أن تكون حقيقة كبقية الغرائز . إن هذا العالم موضوع على لى جيبيل وحكمة (س) قد أبنت تفسير قوله تعالى . ويسألونك عن الروح . وأبنت لماذا ذكر الله النفس بعد الأرض ولم تأت بالنتيجة التى تناسب الآية هنا (ج) إن ما تقدمت به جاء مقدمة لتفسيرها بل تفسيرها يؤخذ ضمنا . ألم تر أن النفس تحزن فيها الصور . قال بل . قلت فهذا الخزن يدوم فيها ثم يظهر بعد الموت بصفة أبلى . قال فبين هذا القلم . قلت قد تقدم في هذا التفسير أن نفوس أحوالا حال البقعة وحال التنويم في الدرجة الأولى ثم في الثانية ثم في الثالثة وفى كل حال يظهر للانسان عوالم لم تظهر فيها قبله . اقرأ في سورة البقرة عند اصباح الكلام على السحر فانك اذا قرأت هذا للقلم هناك تبين لك أحوال الآخرة من نفس علم التنويم وبذلك تعرف قوله تعالى هنا . إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

(س) قد مضى ما في سورة البقرة وحقيقة هو يفيد ذلك ولكن زدنا شيا بعده فلعلك اطلعت على زيادة فائدة (ج)

(جرت حوادث)

(١) عالم سويسرى يسمى (هايم) سقط من أعلى جبل فأخذ يدرس ما حصل للناس من الامور المختلفة وجعلها محاضرة ألقاها في نادى (زوريج) سنة ١٨٩٥

يقول لى عند ملازمت قدى وأخذت أسقط فقدت حاسة اللمس وظهرت أمامي جميع الحوادث الماضية أسرع من البرق بحيث طالعتها كلها مرتبة مع انها تحتاج الى زمان طويل . فهذه اللحظة برز فيها هذا كله لجميع الصور التى مرت على والحوادث ظهرت مرتبة . فهمى في ثانية واحدة ظهرت مرتبة كأنها في ساعات كثيرة ترتيبا ونظما ووضوحا . وهكذا وجد كل الحوادث التى جمعها من غيره تشابه هذه سرعة ووضوحا وقد حاسة اللمس سواء أ كان ذلك سقوطا أم حرقا أم غرقا

(٢) السيو (جون لامونت) كان رئيسا للجمعية النفسية في (ليفربول) فانه غرق في البحر وأحس بأنه رأى جميع الصور والحوادث الماضية رآه بعد ذلك انزل عن الجسم وعاشت روحه وحدها . ولكن لما انتشلوه طاح ذلك كله مرة واحدة فكتب ذلك للناس . وهانحن أولاء لمنعه في تفسير قوله تعالى . إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

(٣) ومثل ذلك ما حدث لطبيبة انها عملت لها عملية جراحية ورجعت لصحتها بعد قطع الأطباء الأمل

من نجاتها . قالت ان جميع حوادثي وذنوبي مرتت على وقد استحضرت أقرني القسيس وهو يلقني كلمات
وسمعت كأن قائلا يقول أرجى الى حرك فلما انتهت قلت للقسيس قم فاني لا أموت اليوم فقام
هذه بعض الأحوال التي مرتت على الناس . وهما تلك الأحوال المذكورة في سورة البقرة . انظر
الى حوادث الدنيا واعجب من هذا الانسان وقواه . اعجب من نظام هذه الأرض . رأيت الحيوان تساعده
غرائزه على ما خلق له كالغسل للنحل والغزل للعنكبوت وحسن الطيريهض وارضاع الأم ولها . ورأينا هذا
الانسان مغرما بالبقاء يربى ولحمه كأنه يظن أنه بقاء له ولو جاء صوريا ويؤلف العلم ويشيد المباني كالاهرام ويكتب
اسمه عليها تخليدا له ويبذل المال للشراء ليحيوا اسمه . أليس ذلك كفر بركة الغزل المخلوق في جسم
العنكبوت لا بد من فائدته . انظر انظر كيف خزن الصوري عقله . بل انظر انظر كيف جاء التنويم المغناطيسي
فأبان أن الحوادث كلها كلمة وأن الانسان يكشف عوالم أخرى حينما تصنف رابطة بالجد . ولنا الآن
نذكر الصالحين وأهل الذكر وأهل الرياضة لأننا في مقام خطاب الجمهور . انظر الى الأم جميعها كلها لها
ديانات واممن دين إلا وهو يذكر الخلود . لماذا . أليس قبول الأم للديانات معناه انهم يحبون حياة خالدة
ويحبون أن يكون لهم إله والا فلماذا يصدقون ويؤمنون . لم يخلق الله أمته إلا ولها دين . إذن هذا ليس
أقص من غريزة النحلة والتملة والفرائز صادقات . إن الفرائز الانسانية والأميال قد ظهر صدقها بالبيانات
والبيانات ظهر صدقها في حوادث التنويم المغناطيسي وحوادث الفرق والسقوط من شاطئ جبل . إن معنى
قوله تعالى - اقرأ كتابك كني بنفسك اليوم عليك حسيبا - قد وضع في الفرائز التنويم المغناطيسي
وفي حوادث الفرق والسقوط . إن المسلمين هم المقصرون في العالم والأم كلها عرفت من العلم ماهو سر
كتابتنا وكتابتنا لم نعرف منه إلا حفظ الكلمات وعلم الأحكام الشرعية ونحن عن علومه معرضون . اللهم
ألم الأئمة الاسلامية علما وحكمة والحمد لله رب العالمين

﴿ يا قوتة في الحياة بعد الموت ﴾

كنت كتبتها في مجلة ﴿ نور الاسلام ﴾ منذ سنين وهي التي كانت تصدر بلزقازقي
من العجب أن جميع الجرائد والمجلات العلمية العربية لم تبحث بحثا يعتد به في الحياة بعد الموت إلا ما ينقله
بعض من نسبوا أنفسهم لترجمة المقالات العلمية عن فلاسفة الافرنج أولئك هم الباحثون . فياسبحان الله
كأن أهل الشرق لما رأوا أنفسهم خسروا الماديات أنبعوها بالأدييات والعقليات فتركوا للفريقين العلميين
وقروا - ثم أرجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خائلا وهو حير - وراهم كل يوم يندبون الاتحاد وهم
الى الآن ما اتحدوا في الاعتقاد فهم الفساد في كل ناد . كيف وهذا البحث طالما كان الشغل الشاغل لفلاسفة
الشرق بل هو موضوع أبحاث كل ملة في مشارق الأرض ومغاربها وهاك ما اختلج في صدري . فما أحوج
الأئمة الى الخوض في هذا الموضوع في هذه الفشة اللدنية التي التبس فيها الحق بالباطل حتى ان الناس يخوضون
في كل موضوع فاذا وصلوا الى هذا فلا تسمع منهم إلا همسا كأنهم ظنوا أنه من القضاء التي لم نعم حولها
الفلاسفة والكتاب مع انها أول خاطر يخطر للتفكير المتبصر وتنجعل مدار بحثنا على ﴿ ستة أوجه ﴾

﴿ الوجه الأول ﴾

من نظر الى الفترة الانسانية وجدها تأتي أن تعمل عملا بلا فائدة وتجب أن يكون مآلها تاما . وانظر
لورأيت أيها الانسان رجلا أوقد شمعة في ضوء الشمس لحسنت عليه أول وهلة أن موهبة الانسانية وغريزته
الفطرية انتزعت منه وقلت هذا فعل الأطفال الذين لا يعقلون والفطرينا كلها صادقة قد اندمجت فيها الخلق
والبيئات على أميالها الفريزية . والحجة ههنا أن يقال هذا الفعل لا بد له من فائدة إما للفعل أو للفعول أو
لغيرها وغير ذلك لا يكون . فأما فائدة المفعول وهو الشمعة ههنا فالعلم المحض وبُست الفائدة ولا فائدة

للفاعل ولا لتفسير لشروق الشمس التي لا أثر للصباح في ضوئها فلتنظر الى أرقى من هذا ألا وهو هذه العوالم بأجمعها التي أشرقت بأنوار الحياة السارية في كلياتها وجزئياتها - الله نور السموات والأرض - نرى نجوما طالعة وأقمارا لامعة وشمساً ساطعة فشروقها بنظام وغروبها باحكام - فليفكر الانسان - الشمس والقمر بحسبان - والنجم والشجر يسجدان - أي يخضعان لما يراد منهما - يوبخ الليل في النهار ويوبخ النهار في الليل - فعوالم السموات وقوالب الأرض كذكر والآتي وأنت أيها الانسان نتيجتهما ففضل التفصيل السابق في مثال الشمعة وقل ما الفائدة في خلقك إذن - فاما أن تكون للخالق ومعلوم أنه غني واما أن تكون لك أنت ونحن نعم انك في هذه الدار تسعد يوماً وتشتي أياماً - وهب انك ملكك مقاليد السعادة - أفلا يكون مصيرها الى الفناء فالتصور قصور والخيور بور

أشدّ الغم عندى في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقلا

واما أن تكون لضربك من المخلوقات وقد علمت أن فائدته من نفسه لا قيمة لها فكيف بفائدته منك فنتج انه اذا كان مصير هذا العالم الى الفناء المطلق كان عبثاً وباطلاً - واذا كنت أنت أيها العاقل تأبى نفسك أن تفعل العبث وتتكبر عن اللغو والباطل فهل يتصف بذلك الذي أودع تلك الفطرة السامية فيك كيف وقد ورد في القرآن ما يطابق الوجدان قال تعالى - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار - وقال أيضاً - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق - وإن الساعة لآتية - وقال - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاصين • وما خلقناهما إلا بالحق - ولكن أكثرهم لا يعلمون أن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين • فانظروا أيها العقلاء كيف أعقب خلق السموات والأرض بالحق بذكر قيام الساعة واقلاب هذا العالم الى نشأة أخرى كأنه يقول ان لم يكن لهذا العالم نشأة غير هذه بأن هدمناه وأعدمناه كان خلقه بغير حق ولا حكمة فلا بد أن يأخذ دوراً جديداً بل نشأة أخرى أرقى من هذه كما هو شأن نظامنا العالى الذى تشاهدونه في الانسان والحيوان والنبات وجيع العوالم فقيروا ما غاب على ما شوهد • ولما كان الدليل واضحاً ظاهراً ظهور الشمس في رابعة النهار من طريق الاعتبار - أنكر الله على من لم يتفطن لذلك فقال تعالى - ألهيتم أنما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون • فعلى الله الملك الحق - كأنه يقول ألم تنظروا فيما ترونه من حكم هذه العوالم وانها تأخذ في الترقى خبيث من أن خلقكم عبث وانكم لاترجعون أفلاتسقون - وكأن من آتقى السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - فثبت بالدلائل العقلية والنتيجة أن اعدام العالم بلانشأة أخرى أرقى من هذه عبث والعبث مستحيل على الله تعالى فلا بد إذن من نشأة أخرى لهذه العوالم - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا كبيرا - فوق ما تشاهده في هذه النشأة الضئيلة ولولا خوف اللال لأطلت للقال

﴿ الوجه الثاني ﴾

ابتنا نرى فطرنا الصادقة فيها داعية عجيبة وهى حبة الأخذ بناصر الضعيف على القوى فهو لاء الحكم والقضاء وأرباب المنازل يجدون في أنفسهم قهراً وشوقاً باعثاً على مكافأة المحسنين على الاحسان والمسيئين على الاساءة وهو أمر يقع بالاضطرار من دواعى النفوس قبالة ما هذا الوجدان العجيب - أليس هو من العدل المنبعت أشعت من الحكمة الالهية العالية في نفس هذا الانسان الذى أشرقت عليه أنوار الكمال من الحضرة الالهية - فكل انسان من الملوك الى الصعول ومن أعلم عالم الى أجهل جاهل اذا رأوا ذا روح اعتدى على غيره من انسان أو حيوان دعتهم أنفسهم الى المدافعة عنه بل ربما خاطروا بها مخاطرة وتعدوا بذلك حتى عد هذا من فروع الشجاعة التي هى أحد أركان كمال الفطرة الانسانية كما أوضحه علماء الأخلاق - فهذه فطرنا الصادقة التي تشف من وراء ستر رقيق عن حكمة عالية وعدل تام في صودرها وهو القائم على كل نفس بما

كسبت وهو القاهر فوق عباده . أفنكون أنت أيها الانسان مفطورا على الصل والجزاء والقيام بالقسط حتى ان فطرته السامية كتبت على صفحات ضميرها للستر - هل جزاء الاحسان إلا الاحسان - ومع هذا كله لا ترقى في الفكر قليلا الى فاطر هذه الفطرة وموجد هذه الفكرة - وما ربك بظلام للعبيد -

فساء ما يحكم الجاعلون . كيف ونحن لم نر جزاء في هذه الدار التي استوى فيها الحسن والسيء - كلا نجد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا -

فالأرزاق في هذه الدار جعل الخالق موردها الحياة ولم يفرق فيها بين الخليل والطيب والبر والفاجر حتى قال - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - فبالله رعاك الله أين ما يوجد من الفرق بين ذوى النفوس الفاضلة والنفوس الناقصة . وإذا ثبت أنه لا جزاء هنا فليجزأه إذن في دار أخرى وهي به أخرى - وما ربك بظافل عما تصلون - وهل يستوى هذه الأخيار والأشرار - أفجعل الذين آمنوا وهموا الصالحات كالفاسدين في الأرض أم نجعل للمتقين كالفجار - وهل كل عندة متساوون - أفجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون - فانظروا أيها العقلاء في هذا التوبيخ وتأملوا هذه الآية مع ما قدمنا سابقا نجدوا انطباقا تاما بين المعقول والمنقول

﴿ الوجه الثالث ﴾

إن فطرة الانسان لا تكاد تتفق بالخاصيات من المال ولا بالكاليات من الجبال والحدود الحسان ولا بالعلاقات من العلوم والعارف ولا بالحياة القانية فهي أبدا تحب الفنى والجبال والجاه وسعة العلم ودوام البقاء فلو أوتيت ما أوتى قارون وهو ذوالخبط العظيم في المال وحكمة لقمان وملك سليمان وحظيت بأجل أهل دهرها من بنات الانسان . بل لو ملكت البسطة وما حوت والسماء وما وعت لقات - هل من مزيد - فكأنها تنادى معربة عما خط فيها بالقلم الإلهي . إن هذا الملك لا يكون إلا في عالم أرقى من هذا ونشأة تناسب شوقى وتكون منتهى لفتى - وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا - والا فبالله أين العلم الذى لا جهل معه وأين الفنى الذى لا فتر بعده وأين الحياة التى لا موت بعدها وأين مقتضى الفطرة من حبا دوام البقاء ونفوسنا مستشرة بذلك فهل يجب أحدنا إلا الحياة الدائمة . ولما أيس منها في هذه الدار وخيل له الوهم يادى به أنه لا حياة في غيرها وانحصرت أمانه فيها إذ لاسر في الخيال لدار غيرها أخذ يخترع صوراً شتى تصور البقاء بأنواع من الخيالات وضروب من الأوهام التى لاحقيقة لها فلو كنا وعظمتنا بل وعاقبتنا يحبون تخليد أسمائهم في بطون التواريخ وعلى المباني الباقية وأن يلدوا من يبنى لهم شبه الحياة . كل هذا شهادة من الفطرة بالبقاء . ولا ننظر أنت الفطرة ليست من الأدلة فان جيع الفطر المنقرضة فينا لها حكم باهرة وكلها صادقة . وان كنت في شك مما رمزنا اليك فسل قوة الشهوة والغضب وما فينا من كبر ونواضع ورحمة وشجاعة وجبن وحياء وعفة وهكذا فكل منها له نبأ - ولكل نبأ مستقر - وسوف تعلمون - فلم تكون هذه الفطرة وحدها بقاء وبقية الفطر صادقة . انتهى الوجه الثالث

﴿ الوجه الرابع ﴾

من المشاهد أن لا فنة في الدنيا إلا وهي ناقصة ولا ألم إلا وهو زائل فهما كالليل والنهار يعمو أحدهما الآخر . ومن المسلم أن لكل شئ غاية يصل اليها . فأين غاية الذات . وأين نهاية الآلام في هذه الحياة التى امتزج فيها الخير بالشر والخير بالطيب بل كل من الفنة والآلم ينتج الآخر فهما فرسا رهاق فلابد من دار أخرى تكمل فيها الذات لقوم والآلام لقوم آخرين - ليعز الله الخليل من الطيب ويجعل الخليل بضه هل بعض فيركه جيعا فيجعله في جهنم - ويجعل أهل السكال على سرر في جنات النعيم حتى تتحقق نهاية كل من الفنة والآلم والا كانتا ناقصتين ليرسلا لغايتيهما وذلك بخلاف القياس فنتهى الألم في دار يقال فيها - وسيل

بينهم وبين ما يشتهون - ومتهى اللذات في دار يقال فيها - ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون -

(الوجه الخامس)

قد ثبت في الاستكشافات الحديثة في الجغرافيا الدينية أن جميع سكان الكرة الأرضية في مشارق الأرض ومغاربها متوحشين ومتمدنين يذعنون بجزاء على الخير والشر بعد الموت . فبالت شعري كيف انخرست الفكرة في جميع الأذهان . وباللهب ان سكان المحيط الأعظم مع تباعد جزائرهم وتفرقها في أقاصي المحيط وأدانيه عندهم هذا الاعتقاد ولا تواصل بينهم في محيطهم ولا بينهم وبين الأمم التي في القارات . فبالت شعري ما الذي أثبت تلك الفكرة في الأذهان من قديم الزمان . ولعمري ما هي إلا فطرة سارية في جميع النوع الانساني . اللهم إلا من شذ من قليل من المتمدنين الذين خرجوا عن الفطرة الأصلية ولم يصلوا الى الكمال في العلم فهؤلاء بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء * قال الشاعر

ولم أر في عيوب الناس عيباً * كعيب القادرين على الخلق

وإذا كانت هذه الفطرة عاقلة فلا يجب اذا اتخذناها دليلاً وحدها . ولعمري لا يعلم بهذا الدليل إلا من كانت له قدم راسخة في العلوم وعرف صدق جميع الفطر المنخرسة فينا وأن شهادتها لا تقبل الرشا وهذا يحتاج الى بصيرة ونظر تام في جميع العلوم لاسيما علم النفس والتشريح ونظير هذه شهادة جميع الفطر أيضاً بأن لها رباً صانعاً ونوعته بحسب ما يناسب فكرها في كافة أنحاء الأرض . وقد أشار الله سبحانه وتعالى لذلك بقوله - فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

(الوجه السادس)

أردت بهذا الوجه تقريب حال الآخرة بأمثلة الظواهر الطبيعية قريباً فائق يقول نحن لا نعقل لبيت نشأة وكيف يذب أو يثاب قبل أن يأتي اليوم الموعود . قلت أنت في كل يوم وليلة تموت وتحيا فالنوم أخو الموت قال تعالى - الله يتوفى الأنفس حين موتها - ويتوفى - التي لم تمت في منامها - وكشيرا ما نرى اثنين في لحاف واحد قد أعكمت عليهما الحجر وغلقت الأبواب فقام هذا يقول واحسرتاه على لذة ذهبت قد كنت في بستان مع الغزلان والندمان اقتطف الرمان وأجنى الثمار ويقول الآخر الحمد لله الذي أيقظني من النوم ولم يكن الحلم واقفاً قد أخذوا بمخنتي الى رجال الشرطة وحكم علي بما يسىء واشتد الأمر فهذا في النعم وهذا في العذاب الأليم مع ان ظاهرهما ساكن قد ضرب على آذانها وأطبقت أجنانها وخسعت أصواتها وهالك مثلاً أقرب وهو التنويم المغناطيسي فان النوم يسمع من النوم كل غريبة * حكى أنه نوم بعضهم فتاة فقالت أثناء الهادئة أظن أنك أنت اليقظان وأنا النائمة لا فالأمر بالعكس فاني أرى وأسمع من بعد ما أترى ولا نسمع وسوف يأتي وقت فصل فيه لهذه الحال جميعا . وكان هذه الفتاة تشير لمنى الحديث (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) وتشير الى الآية وهي قوله تعالى - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - أي قوى ثابت . فباللهب لهذا الزمان الذي ظهرت فيه العلوم العقلية والنقلية للبيان بعد أن عرفها الأقدمون بالبرهان العقلي حيث أثبتوا أن الجسم متى ضعف واضمحل قويت حالة النفس ورأت المستقرات ولا أفتح على هذا الباب ثلاثاً يطول المقال ويخرج من حدة الاعتدال . ولكن أقول كلمة . قد ورد في بعض الأخبار ما يشير الى أن هذه الأزمنة المتأخرة مصدر الجباب وظهور الغرائب . ومن أراد أن يطلع على كل جبال وكال ويرى مافي العالم الاوروبي والأمريكي من المستكشافات التي بهرت العقول بما يدل على بقاتنا بسلالم فضيلة بعلوم الأرواح فانها أتت من سبأ بنياً يقين وأظهرت للعالم الاسلامي غرائب يجب على كل متتو أن يطلع عليها لاسيما متخرجي المدارس . وهذا ومثل النشأة الأخرى بالنسبة الى الدنيا كمثل الحياة الدنيا بالنسبة لحياة الانسان

في الرحم فلا يزال الانسان في ريق من ظهر أبيه الى بطن أمه الى عالم الدنيا الى البرزخ . وكلما كان في حالة لا يكاد يصدق بغيرها ولا يجب الانتقال منها فلو قيل للطفل في بطن أمه بفرض أنه يعقل انك ستزل الى فضاء واسع سماء قدر المشيمة التي أنت فيها ملايين كثيرة وفيها قوم ملك وأشياء تأكلها وتركها ولا تقتصر على طعام واحد والأطعمة هناك أحسن من دم أمك الذي يذيقك وستأكل بفمك لا بلسانك بل هذا الدم الذي يذيقك الآن ستستغفره هناك . ويحبه طبعك ولا تؤذ الرجوع الى هذا الرحم فلا ذكر بهذا كله لأحله واستبدعه كما نستبعد نحن حال الآخرة لولا البصائر والأخبار . ولترجع الى ما نحن بصدده أولاً فنقول رب قائل يقول كيف مثلت بالنوم وهو أمر بسيط عادي . قلنا على رسلك أيها الأخ فأضاعنا إلا الجهل بما بين أيدينا فالأم الغريبة من حولنا ماتت إلا بنظرها حتى النظر في الأمور البسيطة . من كان بالله قبل اليوم يظن أن الكهرمان الذي كنا نضحك من جنبه للأشياء الصغيرة عند فكره يضيء الأمكنة ويجري الانتقال ويولد الحرارة ومن بالله قبل اليوم كان يظن أن البخار الذي يشاهد كل يوم في كل منزل بحيث يراه العاتية يحدث انقلاباً عظيماً في عالم الدنيا ومن ذا الذي كان يظن أن المغناطيس بجذبه تقطع الحديد يساعد في إيصال الأخبار إلى ما بعد من الأقطار مع الكهرباء . إذا كان هذا كله في الآفاق ونشأت منه هذه العجائب فكيف تركنا النظر في نفوسنا ومجائبها أظهر وأبهر من عجائب البخار والكهرباء والمغناطيس . ففتح كنزاً كثر أيضاً بالعراء ومبسة يضيء أخرى جناباً . أولئك الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم . وقال تعالى - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - النوم الحقيقي والصناعي هي حالة أخرى للانسان ضربت لك مثلاً وتكررت كل يوم تمثل حالتك بعد الموت وإن كانت نسبتها الى الموت كنسبة ضوء الصباح الى الشمس . ويضرب الله الأمم للناس والله بكل شيء عليم . وقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر الهمزة . وقال الحكماء ﴿ إن لذّة النوم لا فرق بينها وبين لذّة اليقظة إلا أن لذّة اليقظة يمكن استبقاؤها بخلاف لذّة النوم فمن رأى وجهاً جليلاً وتمتع بمشاهدته في نومه كانت لذته به كذلك في يقظته لا فرق بينهما ولودام النوم إذا ذكركم امت الذاكرات ﴾ ومن فهم هذه المقدمات عرف معنى قوله تعالى - ولأعصين الذين قتلا في سبيل الله أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وقوله ﷺ للذين قتلا يوم بدر يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فقيل يارسول الله أتأديهم وهم أموات فقال ﷺ والذي نفسي بيده أنهم لأسمع بهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرين على الجواب . وما ورد أيضاً ﴿ القبر أول منزل من منازل الآخرة وأنه إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ﴾ وغير ذلك مما لا يحصى . وبالجملة فأمر الانسان في حياته وبعد موته يدهش العقول ولولا خوف اللال لأطلت للقال وفي هذا بلاغ والله أعلم

وسأني في سورة الكهف زيادة على هذا في مسألة الروح بمناسبة البعث وقصة أهل الكهف

﴿ بهجة الطيف الثانية والثالثة في قوله تعالى - ويسألك عن الروح قل الروح من أمر ربي - ﴾

اعلم أن الروح كانت قديماً ولم تزل حديثاً مناط مباحث العلماء والحكماء أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو ومن نحوهم من علماء الاسكندرية الذين لحقوا فلسفة اليونان واستخلصوا زبدتها وأخرجوها للناس صافية في القرون الأولى للتاريخ المسيحي . ومن هؤلاء في نحو القرن الثاني لليلاد حكميم يقال له (أفلوطين) فكل هؤلاء بحثوا في النفس ودققوا فيها وجمهور هؤلاء أنها نور إلهي تنزل من الله الى هذه الأشخاص الانسانية . ومعلوم أن هذا اللفظ مجاز لأن النور لا يحس وهذه نفس ثم رتبوا على نسبة أرواحنا الى ربنا عالم الأخلاق جميعه فتدعى (الرواقيين) منهم يحرصون الحرس كله كما يحرس متبوعهم (سقراط) على التخلق بالأخلاق الجلية من الصبر والحلم والشجاعة والصدق والحكمة لأن هذه هي التي تنقي هذه النفس وترفعها الى خالقها فتدفع له تقية . لا تكاد تقرأ كتاباً من كتب هؤلاء الحكماء ولا من حكماء الاسلام ولا كبار الصوفية إلا وجدت

نسبة الروح الى الله ويسمونها تارة (الجزء الالهى) وتارة نورا والنور مجاز . فانظر للقرآن كيف يقول - من أمر ربى - وهذا هو التعبير الصحيح الخالى من المجاز بخلاف النور . ومجد (سقراط) فى الاستدلال على أن طبيعة النفس غير طبيعة الجسد يقول (إن النفس أتمرة والجسم مأمور ومن شأن الأمور الالهية أن تكون أتمرة الخ)

فانسان لك من ذلك أن نفوسنا لها شأن من الشؤون الالهية (وبعبارة أخرى) هذه النفس فى صفاتها وتعلقاتها وتفكرها تكون أقرب للعالم المجردة التى هى أقرب الى الله من عالم الأجساد . فانظر الى أفعال هذه النفس فى علنا الذى نعيش فيه لاسيا فى هذا الزمان . لعل أنى اطلعت على كتاب يسمى (راجا يوقا) باللغة الانجليزية كما ذكرته مرارتي هذا التفسير وهذا الكتاب مترجم من اللغة الهندية فعرفت منه عجائب النفس وأن القوم لهم طرق يستعملونها لتقدر أرواحهم أن تحكم أجسامهم فيجتون فى التسلط على أنفسهم بحيث يكون الشهييق والزفير أطول من المتداد شيأ الى دقيقة غفيس دقائق وهكذا . وبهذه الطريقة أمكنهم حبس النفس مدة طويلة . ومعنى هذا أن حركة الدم تكون ضعيفة وقد تقف وليس هذا الوقوف الاختيارى موتا . كلا . ويقولون انهم متى حكموا هذا النفس الذى (بواسطه حكموا الدورة النبوية) فقد تسلطوا على القوى العقلية بحيث لا يدخل فى عقله إلا ما ينفع نفسه فلا يلحقه هم ولا غم لأنه متى أراد شيأ حصل له وهو لا يريد أنتم فلا ينتم وهكذا . وهناك فروع كثيرة وكتب مؤلفة ظهرت حديثا بلغات مختلفة فى هذا الباب . وعلى ذلك قدر بعضهم أن ينام فى الصندوق ستة أشهر بارادته

هذا ما كنت قرأته فى هذا الكتاب ثم مضى زمن بعد ذلك فقرأت عن حوادث حصلت فى أوروبا وفى مصر تشابه ما قرأته فى ذلك الكتاب وهى (ثلاث حوادث • الحادثة الأولى) حادثة الفقير الألماني (ديبلر) الآفى تفصيل حوادثه هنا . فهذا لما وقع أسيرا قطع (عرق الوريد) من رقبته ثم أحب الحياة فاجتهد أن يقوى لرادته حتى انقطع الدم وكان هذا مبدءا لحصول القوة عند الرجل فصار يفعل بجسمه ما يشاء ويريد من غير ألم . (الحادثة الثانية) الفتاة (تريزنيومان) هذه التى كانت فى ليلة الجمعة من كل أسبوع تظهر عليها أعراض تشبه الأعراض التى تسعها فى الكتب الدينية وهى علامات آلام السيد المسيح . ولعمري إن ذلك لم يحصل لها إلا بكثرة تأملها فى أمر السيد المسيح عليه السلام فأصبحت تظهر عليها الأعراض التى سمعت انه اصف بها (الحادثة الثالثة) هى حادثة الدكتور (طهرا بك) الذى جاء الى مصر أثناء طبع هذه السورة وفعل مثل ما قرأته عن علماء الهند تماما فى أوروبا وفى مصر . وقد أن أن أسمعت هذه الأخبار الثلاثة ثم أحدثك بعد ذلك عن هذه المناظر ما يليق بالمقام من الجلال والجلال والحكمة والنور الالهى والسعادة الأبدية والسر العظيم (الحادثة الأولى والثانية)

أرسل مكاتب جريدة (البنى باريزيان) فى (برساو) البرقية الآتية الى جريدته تكلمت الجرائد الألمانية والأجنبية فى المدة الأخيرة عن المظاهر الغريبة التى بدت مؤخرا على الفتاة (تريزنيومان) البافارية التى كان يرى على جسمها فى يوم الجمعة من كل أسبوع علامات آلام السيد المسيح وقد تألفت لجنة من الأطباء هى الآن محجة فى البحث لمعرفة كنه هذه الوقائع . ويظهر أن الاستفراق الدينى لم يكن وحده السبب لهذه المظاهر وحدوث هذه العلامات فقد قام مؤخرا رجل من العمال فى (برساو) اسمه (ديبلر) وجهر أمام الأطباء ورجال العلم والصحافة فى تلك المدينة بأنه قادر بمجرد إرادته فقط أن يحدث على جسمه ويدون أى ألم كل الظواهر (الفسيولوجية) التى بدت على جسم الفتاة (تريزنيومان) وفصلا كان ظهور (ديبلر) هذا حادثا خارقا للطبيعة اهتم بشأنه رجال العلم لأنه يضاهاى فى غرابته الأعمال التى يقوم بها فقراء الهند . عرف (ديبلر) لفاية الآن بأنه رجل لا يشعر بأى ألم من الآلام الطبيعية ولأنك تبه مواطنوه

(بالفاقد الألم) وقد ظهر على جبهة مسارح جمهورية وسر مرارا على صليب بواسطة دق مسامير كبيرة في يديه ورجليه وطعن أيضا في جنبه بحربة اخترقته . ومن الدهش أن كل جراحاته هذه لم تكن قط لتزف دما وكان يصرح وهو في هذه الحالات بأنه لا يشعر قط بأى ألم . ولما بلغت أسلح (ديبلر) أخبار (ترينومان) طلب أن تعقد لجنة مؤلفة من الأطباء ورجال العلم والصحافة في مدينة (برساو) ليعرض أمامها مشاهد غريبة من نوع جديد . وفلا أمام هذه اللجنة أظهر (ديبلر) على يديه ورجليه وجنبه لطخا جراحا بشكل صليب كما كانت تظهر على (ترينومان) وجعل هذه اللطخ تزف دما ويرهن (ديبلر) على أنه بمجرد إرادته فقط يستطيع أحداث هذه المظاهر في أى قسم من جسده وذلك بدون أى ألم . وقد يكون من المفيد أن نروى للقراء كيف توصل (ديبلر) المذكور إلى هذه القدرة الفارقة لأحداث هذه المظاهر الخارقة للعادة

في بدء الحرب العالمية كان (ديبلر) هذا جنديا في آلاي (الموسار) بمدينة أوهاو ثم أخذ أسيرا واعتقل في (بولونيا) حيث تعلم سريعا اللغة الروسية وساعده ذلك على الفرار غتفيا بملابس ضابط لكن ألقى القبض عليه وحوكم وحكم عليه بالإعدام بتهمة التجسس . وفي الليلة السابقة لليوم المعلن موعدا لتنفيذ الحكم حاول الانتحار بأن قطع من عتقه الشريان المعروف (عجل الوريد) ولكنه قبل أن يسلم الروح عاوده فجأة شوق شديد إلى الحياة وتمكن بقوة إرادة خارقة للعادة من توقيف النزيف الدموي ثم أغشى عليه ولما أفاق من إغمائه وجد نفسه منظرعا على حافة حفرة كانت بدون شك معدة لأن تكون قبرا ولا يعلم إلا أن لآى سبب لم يطرح في داخلها . ولما ذالم يهل عليه التراب . وقد كان ذلك سببا لنجاته وتمكنه من الفرار ثانية . وبعد رجوعه لألمانيا أخذ يقص على مواطنيه الحوادث الغريبة التي طرأت عليه . ولما لاحظ أنهم كانوا يدهشون لها ولا يكادون يصدقونها آلى على نفسه أن يجتهد لكي يقوى لدرجة هيبية . تلك الإرادة التي أحساها في داخله أثناء ظروف غير عادية وهكذا كان فإن النتائج للدهشة التي حصل عليها لا تجعل بحال لآى شك . ونحن نسامل ألا تكون هذه النتائج ردا عليها بضر ما خضع من مظاهر (ترينومان)

(الحادثة الثالثة حوادث روحية في مصر)

ظهر رجل يقال له (طهرا بك) في أوروبا وفي الشرق وحضر إلى مصر واجتمع به عدد من راغبي مشاهدة التجارب الغريبة ليلة ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٧ وكان بين الحاضرين كثيرون من الأطباء ورجال الصحافة العربية والأجنبية . ومع أن صاحب الحفلة كان قد نبه على استحسان عدم حضور السيدات لأن منظر تجاربه قد يؤثر في مزاجهن قد حضر هذه الحفلة كثيرات منهم . وقبل الساعة العاشرة بدقائق رفع الستار عن الدكتور (طهرا بك) في لباسه العربي الأبيض وعلى رأسه العقاب وعن منضدة غرزت فيها خناجر ودبابيس طويلة وعن سائر أدوات تجاربه عما سنذكره في خلال وصف هذه التجارب وقد تصاعدت رائحة البخور في المسرح ووقف أحد أصدقاء الدكتور (طهرا بك) فأخذ يتناول باللغة الفرنسية شرحا لنظريات الدكتور ثم أكل هو هذا الشرح وبسط جانبا من برنامج الحفلة . وقبل أن يشرع في تجاربه طلب من الأطباء ورجال الصحافة أن يسعدوا إلى المسرح فعدد عدد كبير منهم فأعلن لهم أنه سيبتدى بتجربة وقوعه في غيبوبة أوتيس وطلب من الأطباء أن يفحصوا نبضه فنحسوه ووجدوا أنه ١١٠ في الدقيقة ثم زاد النبض حتى بلغ ١٤٠ فأعلنوا ذلك للجمهور . وعندئذ وضع يديه على صدغه وضغط بأصابعه على الوريدين للموصلين للدم إلى رأسه ضغطا شديدا فغاب عن صوابه وصار في حالة تخشب خفلة اثنان ووضعوه على نصال من القولاذ محمولة على حاملين ولكنها غير محمّدة ثم رفعوا عن الأرض حجرا ثقيلًا كالخجارة التي تستعمل في أفريز الشوارع ووضعوه على بطنه وهوى شخص بمطرقة على هذا الحجر فكسره نصفين . وعلى أثر ذلك أفاق الدكتور (طهرا بك) من غيبوبته دون أن يصاب بسوء . ثم طلب من الحاضرين من الأطباء ورجال

المحافة أن يفحصوا الخناجر واللبائيس ففحصوها وأعلن انه أصبح فاقدًا الاحساس بالألم وتناول خنجرًا كبيرًا وأدخله بمقدار (٥) سنتيمترات في الجزء الأسفل من عنقه وطلب من أحد الأطباء الواقفين أن يولج ديبوسين في سطح جلد ساعديه ففعل وأولج هو كذلك ديبوسين في شديقه وديوسين في تنويريه فقال دم من هذه الجروح لوث ثوبه الأبيض ولكنه لم يتألم ونزل الي البهو وطاف بين الحاضرين يريهم هذه اللبائيس المولجة في جسمه وعاد ففعل الى السرح وأخرجها منه . وكان قد أعد له لوح من الخشب ثبت فيه مسامير حلزة طول كل منها أكثر من ١٠ سنتيمترات فاستلقى على ظهره فوق هذا اللوح وجاء بعض الأطباء ولخصوا الأمر فقال طبيب منهم إن المسامير لم تمسه وأنه فيما بين أعلى نخذه قد وضع قطعًا من الكاوتشوك . وقال أطباء آخرون بل إن جانبًا من المسامير اخترق لحمه ولاسيما في الجانب العلوي من الظهر وحدث خلاف في هذا الشأن وأصر كل من الفريقين على رأيه وكان الطبيب الخائف يود أن يرى المسامير تخترق السلسلة الفقرية أو المقاتل الأخرى . وأخيرا ثبت انه وإن كانت المسامير لم تخترق موضعا قاتلا فقد اخترقت مواضع أخرى وأنه قام من فوق هذا اللوح دون أن يتألم . وإلى هنا انتهى الفصل الأول . ولما رفع الستار في الفصل الثاني أعلن الدكتور (طهرا بك) أنه مستعد لقراءة الأفكار عن الماضي والحاضر فقط وطلب من أحدهم أن يفكر في أي شخص كان في القاعة ففكر في صديق له جزء في أحد اللوجات العليا فقرأ ففكر موقاهه الى صديقه ثم طلب منه أن يفكر في بعض أشياء صديقه ففكر في منديله فأخرجه من جيبه

على أنه لم ينجح فلما في قراءة أفكار آخرين . وعلم ذلك بتدهمهم في الفكر . وانتقل الى تجربة مقرته على تنويم الحيوانات تنويمًا مغناطيسيا لحيه . ولديكن وأرب كبير فتوقهما بمجرد لسه لإيها وختم تجاربه بتجربة دفنه في صندوق وكان قد أعد هذا الصندوق فوق المسرح وإلى جانبه كومة كبيرة من الرمل وجاء كثيرون ففحصوا قاع الصندوق وجوانبه وبعد ما شرح نظريته هذه وتعليها العلمي قال إن هذه النظرية منقولة عن المصريين القدماء ثم سأل الحاضرين كم من الوقت يريدون أن يظل مدفونًا فآثروا أن تكون المدة ١٠ دقائق ثم جاء له بقطن سد به أنفه وأوقع نفسه في غيبوبة كما في المرة الأولى وحل الى الصندوق وأهيل عليه التراب وسد الصندوق بغطائه وأحكم سدّه من الخارج بالرمل وعند ما انقضت الدقائق العشر كشف التراب عن الصندوق في الحال وأخرج منه فإذا هو حي وقف على حافة للمسرح وفي يده أوراق صغيرة وازدحم الجمهور حوله وتخلطفوها من يده وهي كما قال (طلاس) مفيدة وكان الحاضرون يصفقون له وقد سئل طبيب كبير مشهور من أطباء الامراض الباطنية في العاصمة وكان من جلة الحاضرين . بماذا يعل عدم احساس الدكتور (طهرا بك) بالألم في تجربة الخناجر واللبائيس . فأجاب بأن ذلك نتيجة تشنج في الأعوية . ولعل تجربة الوقوع في الغيبوبة بأنها نتيجة تمرين المخ تمرينًا مستمرًا على ذلك وقال انه يوجد أساس يستطيعون أن يوقفوا حركة القلب مدة معينة دون أن يموتوا . أما هو فيقول إن هذه الاعمال ترجع الى أصل علمي أي انها ليست سحرا ولا شعوذة . ثم انه قد افتتحت به أوروبا في الصائين الماضيين عند ما طاف عواصمها وهو يدهش الناس بأعماله الخارقة للطبيعة ويجعل الصحف الغربية تعجب بتجاربه العلمية الساحرة وقد اهتم الأطباء بأمره وعقدوا الجلسات لفحصه ودراسة عجائبه فقرروا أنه ذو مقدرة عجيبة تسلط بها روحه على جسده فيأتى بالهجاب وطيرت التفرافات في العلم الماضي عجائبه فروثها للجرائد في مصر . ولما سئل قال إن هذا العلم اسمه علم (الفيرزم) وقال إن الإنسان مركب من (ثلاثة عناصر) الجسم والنفس والروح . والنفس (قوتان) أحدهما متصل بالجسم تدير حركاته والاخرى متملة بقوة خفية عظيمة هي التي يبرفها أهل الأديان باسم (الله) والفرض من (الفيرزم) البعث عن هذه القوة النفسية وإيمانها والتوصل الى الانتفاع بها في جعل الحياة سعيدة هائلة . وقد ولد الدكتور (طهرا بك) في الإسكندرية وتخرج من كليتها

الطية وشفت بالفتريزم فبرسه على شيخ مصرى يدعى الشيخ الفلكى واستطاع أن يتبحر فى هذا العلم ويقوم بتجاربه البهيبة ومنها أن يملن نفسه بالمدى والخنجر ويسلط على السورة الدموية فلا تسيل السماء من جروحه ثم تلتحم فى الحال وأن يسيطر على نفسه وعلى دورته الدموية فيدفعن نفسه فى صناديق مفرقة من الهواء ويظل مدفونا ساعات وأياما ثم ينهض حيا . وقد قضى ١٨ يوما مدفونا فى بطن الأرض فى بلاد اليونان ويستطيع أن يصلب جسمه فلا يتأثر من الوحز ويغرز فى جسمه المسامير والداييس فلا تترك أثرا . وقال ان فى استطاعة كل انسان أن يقوم بهذه التجارب اذا مرن ارادته على التحكم فى جسده بقوة روحه . انتهى الكلام على (طهرى بك)

انظر أيتها الذكي الى العلم قديما وحديثا وانظر الى تعاريف القدماء إذ يقولون انها نور من الله أو شعاع منه . ثم انظر الى قول (سقراط) كيف استدلل على أنها مخالفة للأجسام بعلامة وهى انها آصرة والجسم مأمور والأمر انما يكون من الله . فهمى إذن مشوبة اليه مستمدة منه . ثم انظر كيف جاء القرآن وقال - من أمر ربى - فبربما هو أدق . ثم تهجأ ألف مرة من هذا النوع الانسانى ذلك النوع اللشط المفكر فانظر أولا الى (ديبلر) الألماني . ألم ترى أن تسلطه على قوى جسمه انما جاء بطريقى المصادفة بحيث انه لما قطع العرق ونزف الدم واقترب الموت وجد فى نفسه نزوعا الى المغالبة فظلت لرادته العلم وقوى عليه . أفلم ترى أن هذه الحادثة التى جرت فى أوروبا با تلك الأمم المادية التى أصبحت تعبد المادة عبادة قد جرت قبلها قديما عند الهنود فى مدنياتهم القديمة فأخذوا يذكرون فيها به يحكمون أجسامهم فوجدوا أن النفس الخارج الداخلى موصل لذلك بحيث يعبسونه داخلا وأخرجا بنظام خاص . وأيضار بما ان بعضهم فى العصر القديمة حصل له ما حصل الى (ترينزيومان) الباطنية من ألمانيا أيضا فعلوا أن الأفكار الدينية لها تأثير على الجسم فأخذوا يذكرون حتى فعلوا ذلك علما . واصل مسألة التنفس عندهم أقرب الى مسألة (ديبلر) المتقدمة إن الله لتوفى فضل على وعلى الناس بالعلم ولسأل الله أن يلهمنا شكر هذه النعمة العظيمة

﴿ بجانب العلم ﴾

فانظر كيف يحصل هذا العلم طبع هذا التصبر ونشره بين الناس واتجه بالعلم الذى سنده فسترى من آيات الله عجبا . فانظر الى هذا الانسان إذ عرف روحه الفلاسفة وألمح القرآن تعريفيهم ثم جاء العصر الحاضر فاطلنا على أسرار الروح جادت على أيدي أقوام قبل الهجرة بألاف السنين ثم اقترب العلم منا وظهر لنا ووضح وأصبح ما كان اجتهادا وفلسفة عملا ظاهرا مكشوف للناس ورأينا أن هذه النفس نافذة العمل فى الجسم بالتصرف فيه تصرفا تاما كأنها تقول أنا نور الله وإن لم تستقوا فانظروا آتلى القاهرة البهيبة فيه . الأهم من ذلك

﴿ ثمرة هذا المقال وبهجته ﴾

اللهم إنك أنت الممجد على العلم والحكمة . اللهم أنت للملم . أنت الحكيم بلم الحكمة المرشد لنفوسنا للسعد لها . أنت الذى أنزلت العبادات على الأمم جميعها . وأنت الذى أمرتهم أن يصلوا ويقولوا - اهدنا الصراط المستقيم - فهانحن الآن فهمنا قاعدة الصلاة . إن المصلى والذاكر لله كلاهما يحضر فى قلبه عظمة مولاه فيفاض عليه حل من أنوار ذى الجلال والاكرام من جنس ما فكر فيه . فإذا كانت الفتاة الباطنية فكرت فى أن المسيح مصلوب فقد ظهرت أعراض الصلب على جسمها وهكذا النفس الألمانية وهكذا طهرا بك الله أكبر . جل العلم وجل الله . إذن عقلنا حقا من أمر الله أو نور من الله ولولم يكن من الله لم يؤثر هذه الآثار الهائلة عند الاستعداد لها بالملمسة بالتنفس أو بقوة الإرادة أو بالمكر الدينى . أليس هذا بينه هو قوله عليه السلام فى الحديث المشهور (أنا عند ظن عبدي بى) ولسنا نهم بكون الحديث بسند ضعيف أو صحيح لأن المعنى صحيح . وأظهر من هذا قوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - . لقد استبان

بهذا المقام كيف وصل قوم الى معاني تظهر على أنفسهم وتؤثر في عقول الناس بواسطة طرق واحدة وهي استئالة الذكر فيذكرون اسماء الله تعالى أو يلزمون الصمت والجوع والسهر وما أشبه ذلك فيحصل لهم أمور هيبية . فهذا حقاً من هذا الباب لأن النفس الانسانية تتجه الى الأغراض السامية اذا وجهت اليها والى الدينية كذلك . ولما كان الذكر حبسا للنفس الانسانية عن أمور الدنيا اتجهت النفس الى ماطلب منها وهذا أمر أوجعت عليه أم الأرض . ولقد قرأته في كتاب « رلجا يوقا » مترجماً الى الإنجليزية عن الهندية . فهؤلاء الوثنيون بعد أن ذكروا نظام الجسم وفقرات الظهر وانها في وسطها فراغ يوصل الى المخ وفي نهايتها من أسفل مثلث يحكم السدّ يشتمل على عجب الذنب . قالوا وهذا له سر لا يعلمه الناس . وبكثرة المجاهدة يحصل اتصال مجهول بين هذا المثلث وبين المخ به ففاض العلوم على الانسان جميعها وان لم يتعلمها . هذا كلامهم وهذه النعمة هي التي يرددها الصوفية وليس لهذا أهمية في هذا المقام إلا أنهم يقولون ان عجب الذنب موضع العلوم والأسرار والتهذيب والعبادة يفتح سدّ مجهول بينه وبين المخ فيعرف الانسان العلوم كلها . هذا القول يذكركنا بقول العلماء ان عجب الذنب باق كالروح كما جاء في كتب التوحيد إذ قال صاحب الجوهرة

(عجب الذنب كالروح الخ)

نعم إن المسألة فيها خلاف ولكن كيف يرد في ديننا مسألة عجب الذنب وبقائه وكيف يكون هذا القول حاصلاً عند البراهمة قبل آلاف السنين وأن العلم في ذلك المخزن واذاً يكون الباقي هو العلم لا نفس العجب . إذن عجب الذنب رمز الى العلوم والعلوم في النفس تبقى معها . فالروح باقية وعلومها باقية واذاً يكون علم الهند في هذا سر هذه المسألة ويزول الخلاف . وعندى أن هذه وحدها أعجب المعجزات فهذا القول لم يسمح به المسلمون في الصور الأولى ولا للتأخرة . وقد عثرت عليه مصادقة وأنا أقرؤه في الكتاب وجاء في هذا الكتاب أيضاً أن ذكر اسم الله وتكراره في النفس يؤثر في الأعصاب فتتملئ بالأنوار يحكم المجاورة فترتقي النفس وتعرف ربها . ولكن هم يقولون إن كبح جراح الشهوات لا بد منه لأن كثيراً من الناس بالذكر يصلون الى الله ولكن الوصول ناقص لأنهم يحبون الدنيا فلا بد من احتقار الدنيا وحصر الحب في الله وحده . ههنا ظهرت صفوة العلم في هذه الدنيا

(صفوة العلم في هذا المقام)

إن النفس الانسانية بالتهذيب والذكر وحصر الفكر والنفس وقوة الإرادة المكتسبة قد تصل الى الله أو تتحكم في الجسم كما تشاء أو تنفع الناس بعلومها ومواهبها . يظهر أن الله قد أعطانا هذه القوة وقال لنا سأنظر ماذا تصنعون ونحن منا من جعل ذلك سبباً لرفع نفسه ورفع الانسانية ومنا من جعلها لذاته وشهواته هذا هو حل المشاكل التي كانت أمامي فلقد سألتني شبيب مهذب ذكي من مدينة (تيطوان) من بلاد مراکش قائلاً . لقد شهدت جماعة ببلادنا لهم رئيس كبير وهو وأتباعه وأشياعه يجتمعون في مكان خاص ويوجهون همهم الى أمر واحد فلا يلبثون حتى يروا واحداً منهم لترفع الى أعلى المنزل وهؤلاء لاصلاة لهم ولا زكاة ولا حج ولا طهارة . واذا أهداهم أحد كبشاً من الضأن أو نيساً من المعز لم يذبحوه بل يخرقون بطنه بسكين ثم يتلقفونه ويأكلونه . ثم قال فهذه القوة اختلقة للعادة ليست عندنا نحن الصليين فلا أدري أئمن على الحق أم هم . لهذا أطلت في هذا المقام وأتيت بزيادة علوم الأم قديماً وحديثاً هنا قائلاً للمسلمين وجميع المتعلمين ان روح الانسان فيها قوة إلهية كما رأيت بالبرهان في هذا المقام وهذه القوة بحصرها فعل الأعاجيب ولاتوقف على دين بل هذه القوة كلمنة في النفس تظهر في الوثني وللمتدين بل ربما ظهرت في الوثنيين أكثر ذلك لأن الدين جاء لمنع أخراج هذه القوة وبثرتها فيما لا يفيد وماذا يفيد الانسانية من أمور مثل هذه وما هذا إلا ضرب من السحر لأن السحر يرجع اهمه الى تأثير النفس تأثيراً سافلاً . فهنا انصرفت النفس

الى تعطيل قواها وملكانها في هذه الحياة فانبعث قوتها الى الشعونة والشعنة وهذه نفس معذبة في هذه الحياة وبعد الموت لأنها عالة على الأمم صالة . فهذه القوة التي ارتفع بها أحد المجتبعين هي نفسها التي صرفها المؤلفون والمدرسون والصانعون والمهندسون في منفعة الأمم ولهذا جاء الدين . الله أرسل الأنبياء للناس بروح وقوة مقدسية وقال للناس فكروا واعقلوا وإياكم أن تتبعوا الكهانة لأن الكهان يوجهون مهمهم الى الاخبار بالغيب واعلام الناس بحوادث نافهة منها الصادقة والكاذبة ومن هذه الكهانة ما يرد على السنة بعض الناكزين الذين اتبعوا طريقا من طرق الصوفية فهؤلاء ربما يرد بخواطهم ويظهر على ألسنتهم بعض حوادث الناس فيظنون هذا وصولا لله وما هو بوصول ولكن هذه قوى كانت كلمة فظهرت لتقويهم على العبادة لا لتكون آفة للشهوات فإذا اتخذوها صناعة وصاروا على الناس عالة أصبحوا شياطين ضالين كما نص عليه أكابر الصوفية وتراه ظاهرا في كتبهم وبهذا ظهر الأمر واتضح وتحقق والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . فالأنبياء جلوا لاثاقذ الناس من أمثال هذا ووجهوا الناس الى كشف قواهم التي بها يساعد بعضهم بعضا وهي العلوم والصناعات . فأما أمثال هذا فهو المسي سحرا أو شعوذة أو شعينة

إن في نفوسنا قوة كلمته يظهرها مؤثرات عليها كما نرى في التنويم المغناطيسى وكيف يصبح الانسان عند تنويمه في البرجة الأولى عالما بأمور يجعلها في اليقظة وفي البرجة الثانية عالما بأمور يجعلها في البرجة الثالثة يخاطب الأرواح ويكلمهم ويتصرف في جسمه كأنه غريب عنه ويساعد الأطباء في قطع عضو من أعضائه وهو ضاحك مستبشر . كل ذلك تقدم في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر - فهذه القوة النفسية ظهرت بالتنويم المغناطيسى وهو نوع من السحر ولم يخلفنا الله في الأرض لنفعل ذلك بل خلقنا لتقوى إرادتنا وندرس العالم الذي نحن فيه لتزيد قوتنا المتخوة العظيمة . ومن هذه القوة ما ذكره العلامة الرئيس ابن سينا أن القوة الروحية في الانسان قد تظهر فيخبر بأمور غائبة أو يقوى على أعمال جسمية . أتول وهذا حق كما تبين لك في مسألة (طهرا بك) المذكورة فيما تقدم . وقد ذكر هو أيضا أن الترك إذا أرادوا أن يستخبروا عن الحوادث للمستقبل يضعون رجلا معروفا عندهم باستعداده لتلك ويشدون بهبل ويذهب ويحيى وهو كالتفتيح به وزفيره وشبهه مرتفعان حتى يضى عليه فيخبرهم ببعض الحوادث . وقد يضعون قطعة حبر أسود في كوب ماء ويأمرون صبيًا مثلا أن يحدق فيه بصره مدة طويلة فيخبرهم ببعض الحوادث . أقول وهذا هو (المندل) المعروف . وكل هذا نوع من التنويم المغناطيسى . ومن هذه القوة ما ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمته قال (والمغرب صنف من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحرية يعرفون (بالعاجين) وهم الذين ذكرت أولا أنهم يشيرون الى الكساء أولجلد فينخروا ويشيرون الى بطون الغنم بالعج فتنبعج ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم العجاج لأن أكثر ما يتنحل من السحر بجمع الأغنام يهرب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها وهم منسة ون بذلك في الغاية خوفا على أنفسهم من الحكام . فليت متهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه وأخبروني أن لهم وجهة رياضية بدعوات كفرية واشراك لروحانية الجن والكواكب سطرت فيها حقيقة عندهم تسمى (الخزيرية) يتدارسونها) ثم قال (وأما أفضلهم فظاهرة موجودة وقنا على الكثير منها وعائناها من غير رية . هذا شأن السحر والطلسات في العالم) انتهى ما قاله ابن خلدون

أقول وهذه الطاقة بعينها التي تقدم ذكرها في مقال الشاب الراكشي المتقدم فان هؤلاء يجلسون ويبيجون الغنم ويتكلمون على الأتمة في احضارها بطريق انهم أولياء أو عندهم سر . فالرجع في هذا كله للنفس الانسانية فيها قوة كلمة إلهية ان حركناها بعد استخراجها للخير فتمت بالعلوم والصناعات وان حركناها بعد استخراجها للشر فتمت كما يفعل الناس اليوم في التنويم المغناطيسى إذ يأمرون المنزوم (بالفتح) أن يقتل

زيدا في وقت معين فاذا استيقظ وجد في نفسه الميل للقتل في نفس الوقت وهذا أمر معلوم مشاهد . ولا فرق بين هؤلاء الباعثين بالخبرين ببعض الغيب كل عنده قوة حركها الى مالاخبريه . ولكن العلم في عصرنا الحاضر استخرج قوات الطبيعة فبدل أن يبيع بقوة الروحانية بطن الغنم أهلكتها بقوة السلاح الأمم فالقوة الخفية يجب توجيهها الى العلوم المعروفة الآن لأنها ترقى الأشخاص والأمم . فأما فعل السحرة وصغار الصوفية فهو فسق وجهل بين وقد وقعت الأمم فيه . ومعلوم أن الخوارق للعادات إما مجهزة لنبي أو كرامة لولي أو استدراج لفاسق أو معونة لمص ولذلك قال تعالى - وما رسل بالآيات إلا نخوضا -

ومماثل القوى المتقدمة إلا كمثل الحرارة والحركة والمغناطيس والكهرباء اللاتي اتضح شرحها في سورة الرعد فهذه ينقلب بعضها الى بعض فالحرارة تنقلب حركة والحركة كهرباء وهكذا وهي شيء واحد هكذا قوة النفس إن وجهت الى للتنفعة أعطاه الله مجهزة لنبي أو كرامة لولي . وبالعكس المعونة لمص والاستدراج لفاسق كما تقدم . وقد وقعت الأمم الاسلامية المتأخرة في هذه الورطة وصار الناس فرقا متشاكسين لأنهم جهلوا أصول العلوم ولم يفرقوا بين التصوف الصحيح والتصوف المزيف الكاذب . وههنا سأثني بعض الأصدقاء هذا السؤال قائلا . أيها الحبيب أريد أن تذكر شيئا مما دخل من البع في علوم المسلمين من الباطنية ونحوهم حتى تنتور ونجبر الفث من السنين . فقلت أنا سأذكر لك (ثلاث مسائل) من أفعال المضلين (المسألة الأولى) مذهب الباطنية التي تغفل في بلاد الاسلام وأصل من الصور الأولى الى الآن (المسألة الثانية) الكلام على نظم الملك والوزير وعمر الخيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطني توضيحا للمسألة الأولى (المسألة الثالثة) زهد أكثر الأمم الاسلامية اليوم في فهم القرآن والاهتداء به مكتفين بشيوخهم وان هذا مسبب عن المسألتين السابقتين . وسترى الكلام على هذه المسائل في سورة الكهف عند قوله تعالى - وما كنت متخذ المضلين عضدا - انتهى الكلام على العليقتين الثانية والثالثة

(الطيفه الرابعة الجبال والبهاء والحسن والسحر الحلال في قوله تعالى - ولذا قرأت القرآن

جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا -)

اعلم أن الحجاب (خمسة أنواع) حجاب جسي . وحجاب خلقى . وحجاب عقلى . وحجاب علمى . وحجاب دنى . أما الحجاب الجسمى فان الانسان اذا كان ضعيف الجسم خائر القوة مريضا لم يفقه العلم بل تبعه قواه لاعمال ما تنص من قوة الجسم فلا تنفرغ لعمل ولا تنص لم ولا تستلذ بالحكمة ولا تنش ولا نبش للحكماء وهذا يفهم من قوله تعالى - وزاده بسطة في العلم والجسم - فكان في اشارة الى أن بسطة الجسم قد توافق بسطة العلم . وأما الحجاب الخلقى فهو ما يمتري الناس من الشهوات وأنواع العداوات فتشغل النفس عن العلوم وتصد عن سبيل المعارف بما ملئت به من الحسرات على ما فات ومن التمس والألم وهكذا الآمال الكثيرة التي تستغرق أمر النفس وتوقفها في اللبس وتمسكها وتخرجها عن دائرة الحكمة وسواء السبيل وهذا قوله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - . وأما الحجاب العقلى فهو ذلك النقص الذي يخلق مع الانسان في مبدل حياته وأول نشأته بحيث يكون قليل التمييز ضعيف الفكر فخل هذا لانفعه تعليم المعلمين ولا يرفه تهذيب المهذبين ولكن هذا النوع نادر أو قليل وهذا معنى قوله تعالى - فانها لاصمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور - . وأما الحجاب العلمى فهو ما يغتر به الانسان من الشهادات السراعية والمناصب العلمية والاجازات الفنية ومعنى الناس وثناؤهم عليه والتصد للفتوى ونحو ذلك فيظن انه قد كملت نفسه وفاق الأقران علمه . فهناك لا تكاد تقبل نفسه علم العلماء ولا حكمة الحكماء وهؤلاء يقول الله فيهم - فرحوا بملعنهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون -

فيا حسرة على من طبع الجهل على قلبه وختم الغرور على سمعه وبصره فمضى عن حقيقة نفسه فصار من

الجاهلین المالكین والله تعالى يقول : سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ولن يروا كل آية لا يؤمنوا بها - فانن أكبر مصيبة وأجل رزية تقتال النفوس وتخصد الرجال الشهادات الهراسية من المعاهد العلمية والمدارس النظامية فهي حجاب بين العقول وارتقاء العلوم وقد يفتقر المرء بعلم من العلوم كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبدیع كالانشاء والتاريخ وكالفقه والطلب والخدمة فيشتمخ أحدهم بما حواه من العلم فيكون في ذلك مصرع نفسه وذهاب أمته

فأما الحجاب الديني فهو ما يصور القلوب من الصمي بالاعتراض بمنح من المذاهب الدينية فيظن الجهول أن دين الله إنما هو في هذا للذهب فيصصر عقله فيه تقليدا لاستاذ ضيق العطن قليل الفطن فيقول مادمت أقرأ مذهب الشافعية أو الحنفية أو الزيدية أو الشيعة أو غيرهم فاني قد قضيت واجبي وأطعت خالقي . وما عرف المسكين أن ما قرأه إنما هو بعض الدين لا كله وإن أصل الدين الوقوف على جمال هذا العالم ونظامه إذ ذلك به زيادة التوحيد وبه اليقين وبه شكر الله تعالى فلا شكر إلا بعلم وأجل العلوم معرفة هذه الدنيا ومدروس اللغات جميعها من عربية وفروصها الاثني عشر ونحوها ومن فارسية وتركية وأوردية وانجليزية وألمانية ويونانية إلا مقتضات للعلوم . فعلم اللسان مقتضات لعلوم الجنان . وعلوم الجنان هي علوم نظام هذه الدنيا من السموات والأرضين . ومدروس الفقه إلا لنظام القضاء بين العباد لنظام هذه الدنيا فمن جعل حياته وقفا عليه فقد باء بآتم عظيم اذا كان عنده استعداد للعلوم . فهذه كلها حجب أسدلت على عقول طوائف من المسلمين منذ تسعة قرون فكان ما كان وهذا أو ان اشراق شمس المعارف في بلاد الشرق . انتهى تفسير سورة نبي اسرائيل



﴿ سورة الكهف مكية وهي مائة وأحدى عشرة آية ﴾

(المناسبة بين سورة الاسراء والكهف)

اعلم أن قوله تعالى - الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب - متصل بالجد في آخر سورة الاسراء .
يقول هناك - وقل الحمد لله الذي - لم ينخله ولد من اسداء النعم ولم يعارضه شريك ولم يعوزه ناصر فهناك
يحمد على أنه لا صرف له يصرفه عن القيام بشؤون خلقه وهنا أخذ يتم صفاته تعالى . فهناك صفات الجلال التي
يكون بها التنزيه وهنا صفات الجلال وهي ازال الكتاب الموصوف بوصفين وصف سلبى ووصف ايجابى على
الترتيب السابق . ومن الجب أن الحمد في آخر الاسراء مناسب للتنزيه في أولها والجد في أول الكهف جاء
متما . فافقه كمال في نفسه مكدل لغيره . وهكذا الانسان يجب أن يشبه بالله فيكون كاملا مكمل لغيره
وهذه صفات الأنبياء والحكماء والعلماء . وانظر الى الاسراء فأولها تسييح والى الكهف أولها تحميدوا التسييح
مقتم على التحميد كما قتم في قوله تعالى في الاسراء - وان من شئ إلا يسبح بحمده - انتهى

والسورة (قسمان . القسم الأول) في قصة أهل الكهف وما يناسبها من أمر البعث وبقاء الأرواح
(القسم الثانى) في قصة الحضرة موسى عليهما الصلاة والسلام وذى القرنين

القِسْمُ الْأَوَّلُ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَلِيلًا يُنْذِرُ بَأْسًا
شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيَنْشُرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَا كَيْفَ
فِيهِ أَبَدًا . وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِكْذَابًا . قُلْتَ لَكَ بَاطِلٌ فَنَسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنَّ
لَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا . إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا . وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا . أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ
كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا مَجْهُبًا . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رِزْقًا وَهَبْ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَشَّرْنَا لِلَّذِينَ
أُتُوا الْحَزْنَ بَيْنَ أَيْحَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا . نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ
وَزَدْنَا لَهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن
نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا . هُوَ لَاءَ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا
يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَنَرَاهُمْ غَمًّا عَمَّا أَتَتْهُمْ آلِهَةُ كَذِبًا وَإِذْ أَفْتَرْتُمُوهُمْ وَمَا يَتَّبِعُونَ

الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا • أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
مُتَشَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَبِمْ الثُّرُوبَ وَحُشِّنَتْ مُرْتَقًا • وَأَضْرِبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا • كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ
آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تُظْلَمْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَزَا نَحْلًا خَلَا لَهَا نَهْرًا • وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَهْرًا • وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن
تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا • وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا •
قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفْثَةٍ ثُمَّ مِنْ سَوَاءِ
رَجُلًا • لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا • وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا
شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَبُّنًا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَلَوْلَا • فَتَنَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا • أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غَورًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا • وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأُصْبِحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَفْتَقَ فِيهَا وَهِيَ خَالِوَةٌ
عَلَىٰ عُرْوَتِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا • وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا • هَٰذَا الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا • وَأَضْرِبَ
لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَتْرَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأُصْبِحَ هَشِيمًا
تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا • الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ
الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا • وَيَوْمَ نُسَبِّحُ الْمُبَالِكَ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ بَارِزَةً
وَحَشَرَ نَافِثَتَهُمْ فَلَمْ يُنَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا • وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِشْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا • وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَدَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ
مُسْتَفِيقِينَ غَمَامِهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صِفِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَعْمَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَافِرًا وَلَا يَنْظُرُونَ رَبَّهُمْ أَحَدًا • وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا * مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا * وَيَوْمَ يَقُولُ تَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
رَزَعْتُمْ فَلَاحِمْهُمْ قَلَمٌ يَسْتَحْسِبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا * وَرَأَى الْجُرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا
أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا
رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا * وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا
أُنْذِرُوا هُمُورًا * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ
يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَتَبُوا لَجَعَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ
بَلَنَّهُمْ مَوْعِدَ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا * وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا
لِجُلُوكِهِمْ مَوْعِدًا *

(تفسير بعض الألفاظ)

قال تعالى (عوجا) شياً من العوج والعوج بوزن عنب في المعاني كالعوج بوزن سبب في الاعيان فتقول
في رأيه عوج وفي عصاه عوج (قبيا) أى وجهه قبيها مستقيماً معتدلاً أوقياً يصلح للعباد (لينزر) الذين كفروا
(بأسا شديدا) عذابا شديدا (من لونه) من عنده (أجرا حسنا) الجنة (ما كثر فيه) مقيمين فيه (ما لم
به) بالولد وبأخذه أى ان قره لم يصدر عن علم بل هم جهلاء لا يعرفون الأدلة التى توصلهم الى العلم بنفيه
(كبرت كلمة) نسب كلمة على الفيز وفيه معنى التعجب أى عظمت مقاتلهم هذه في الكفر وهى قولهم اتخذ الله
ولدا وسببت كلمة كما يسمون القصيدة بها والمخصوص بالنم محذوف وصف بقوله (تخرج من أفواههم) استعظاما
لفعل وفصل كبرت كبش وقاعله مضمرة بالنكرة (إن يقولون إلا كذبا) أى ما يقولون ذلك إلا كذبا
(فلملك باعع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أى آثار الكفار فكأنك رجل فارقه أحبته فهو هالع
القلب يتسرو وينساقط حسرات على آثارهم وهو يبيع نفسه وجدا عليهم وتلهفا فكأنه يتحسر أسفا عليهم
(إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن (أسفا) أى لفرط الحزن والأسف (إننا جعلنا ماعلى الأرض) من نبات
وشجر وأنهار وعلماء وصلحاء وكل ماعلى الأرض فهو زينة لها بعضها معروف عند العالم والخاص والجميع
معروف عند الخواص كالحيات والمقارب والحشرات (زينة لها) ولأهلها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) فى
فهم مقاصد تلك الزينة وخالقها والآثار للترتبة عليها وهل هناك لها نتيجة فى الوجود فيكون الناس عاسيين
عليها وهل هى مثقطة حقا وصدقا وفى فهم جميع دروسها وهل يأخفون منها ما يكفهم ويواسون غيرهم بالباقي

وهل يعرفون نعمة الله أم هم ينكرونها (صعيدا جزا) الصعيد وجه الأرض والجرز الأملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء (أم حسبت) بل أحسبت (أن أصحاب الكهف والرقم) الكهف الغار الواسع في الجبل والرقم لوح حجرى رقت فيه أسماؤهم كالألواح الحجرية المصرية المشهورة التي يذكر فيها تاريخ الحوادث وتراجم العظماء (كانوا من أيكنا عجا) أى لا تعجب يا محمد أن قصة أصحاب الكهف والرقم المذكورة في كتب الأمم السالفة وإبقاء حياتهم أمدا طويلا عجا بالاضافة الى ما جعلناه على الأرض من زيتها عجا فليست هى عجا من بين أيكنا فقط بل زينة الأرض وعجائبها أبعد وأعظم من قصة أصحاب الكهف فإذا وقف علماء الأديان الأخرى على أمثالها فأنادعوك وأنتك الى ما هو أعظم منها والنظر في هذا العالم الذي تعيشون فيه تفوزوا في الدنيا والآخرة بالملء والجنة . فأما الوقوف على القصص وغرائبها فذلك ليس يكفى الانسانية في مستقبل الزمان وإنما يقف عندها العاتية والحامة يقرؤن ما تحته في الطبيعة وهو الموصل الى خبري الدنيا والآخرة والوصول الى الله . لقد تقدمت في سورة الاسراء أن الحديث المشهور وهوانهم سألوه ﷺ عن الروح وعن ذى القربين وعن أصحاب الكهف لم يرد في الصحيح فلا يقول عليه . ولذكرك نبذة صغيرة بما ذكره المفسرون على انه من غير الصحيح لتقف على ما قاله العلماء لعمرك المعركة . يقال ان النضر بن الحارث كان يؤذى رسول الله ﷺ ومتى جلس ﷺ مجلسا ليبلغ الرسالة يخلفه النضر ويقول بعد أن يقوم أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه ويحدثهم عن ملوك فارس ثم ان قريشا بعثوه ومعه آخر الى اليهود ليسألوهم في أمر النبي ﷺ فلما وصلا الى المدينة قال الأخبار سألوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا في البحر الأول ما كان من أمرهم فان حديثهم عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسأله عن الروح وما هو فان أخبركم فهو نبى والافهم مقتول فلما قدم النضر وصاحبه مكة سألا النبي ﷺ قال أخبركم بما سألتكم عنه غدا ولم يستأنفان فأنصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ فيما يذكرون خمس عشرة ليلة حتى أرفج أهل مكة به وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة فشق عليه ذلك ثم جاءه جبريل من عنده الله بسورة أصحاب الكهف وفيها معاتبه الله إياه على حزنه عليهم وفيه خبر أولئك الفتية وخبر الرجل الطواف وهو ذوق القربين

﴿ قصة أهل الكهف ملخصة ﴾

روى أن أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطفعت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكروها على عبادتها الناس فشدد أكثر من الجوع في ذلك (دقيانوس) الملك فأراد فتية من أشرف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الدين فزع ثيابهم وحلهم وتوعدهم ولكنه رحم شبابه فأمهلهم حتى يرجعوا الى رشدهم وانطلق (دقيانوس) الى مدن أخرى ليأمرهم بعبادة الأصنام أوليقتلوا . أما الفتية فانهم انطلقوا الى كهف قريب من مدينتهم المسماة (أفسوس) وهذا الجبل يسمى (ينحايوس) وأخذوا يصيدون الله فيه حتى اذا هجم عليهم (دقيانوس) وقتلهم ماتوا طامعين عابدين وقد كانوا سبعة فلما صروا في الطريق الى الكهف تبعهم راع ومعه كلبه فجلسوا هناك على العبادة والتسبيح وكان أحدهم المسمى (غليخا) هو الذى يبتاع لهم أرزاقهم ويوصل لهم أخبار (دقيانوس) وهو عجة في طلبهم وقبوا كذلك أياما حتى رجع دقيانوس الى بلدتهم وبحث عن عابدي الله يذبحهم أو فليسجدوا للأصنام فسمع بذلك (شمليخا) وهو يشتري الطعام في اختفاء فأخبرهم فبكوا ثم ضرب الله على آذانهم فناموا وتذكروهم (دقيانوس) فهتد آباءهم ان لم يحضروهم فدلوه عليهم في الكهف فتوجه الى الكهف فشد عليهم فلبثوا واتمى الأمر على ذلك . ثم انه كان هناك رجلان مؤمنان في حاشية الملك (دقيانوس) يكتمان إيمانهما وهما (بيدروس) و (يونان) فكتبنا قصة هؤلاء الفتية سرا في لوحين من حجر وجعلناهما في تابوت من نحاس وجعلنا التابوت في البنيان ليكون ذلك عبرة وتاريخا فيها بعد . ثم مضت قرون تبعها قرون ولم يبق لدقيانوس ذكر ولا أثر وملك

البلاد ملك صالح يقال له (ييروس) وبقي ملكه ٨٨ سنة واقسم الناس في أمر البعث فرقتين كافرة ومؤمنة
فخزن الملك حزنا شديدا وتضرع الى الله تعالى أن يرى الناس آية حتى يعلموا أن الساعة لا رب فيها . وافق
إذ ذاك أن راعيا اسمه (أولياس) خطر له أن يهدم باب هذا الكهف ويبني به حظيرة لنفسه ولكن الله لم يمكنه
من رؤيتهم فلما فتح الكهف استيقظوا جميعا جلسوا مستبشرين وقاموا للصلاة ثم قال بعضهم لبعض كم لبثتم
نيلما - قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابشروا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها
أزكى طعما الخ - فذهب تلميذا على عادته يشتري الطعام ويتلفف في السؤال متخفيا حزنا من (دقيانوس)
فلما خرج تلميذا من باب الكهف عجب من الحجارة التي حوله وذهب الى المدينة فرأى جميع معالمها متغيرة
أما الخيل فأنها تكليمهم * وأرى رجال الخي غير رجالها

وسمع اسم المسيح ينادى به في كل مكان فقال عجا لم يذبح (دقيانوس) هؤلاء المؤمنين ولما تعجب
قال ربما كنت نائما ولعل هذه ليست مدينتنا فسأل رجلا ما اسم هذه المدينة فقال (افسوس) وأخيرا تقدم
الى رجل فأعطاه الورق ليشتري به طعما فدهش الرجل وأخذ قلبها ويطعها الى جيرانه وهم يعجبون
ويقولون هذا كنز عثرت عليه فان هذه المراهم عليها اسم (دقيانوس) وذلك من زمان بيد فسحوه
حتى دخلوا على رجلين يقومان بأحكام المدينة فظن تلميذا انهم أخذوه الى (دقيانوس) فلما عرف انه لم
يؤت به الى (دقيانوس) سرى عنه القمّ وذهب البكاء فسأله الحاكمان وهما (أريوس) و (طنطوبوس)
أين الكنز الذي وجدت ياخي . وبعد أخذ وردّ ذكر لها خبر الفتية (ودقيانوس) وأن أمرهما كان أسوأ
ولكنه متعجب في أمره وانكم ان شئتم فها هوذا الكهف فاذهبوا معي فانظروا فيه أصحابنا فقاموا معه حتى
وصالوا الى باب الكهف وقتبهم تلميذا فأخبرهم الخبر فركبوا فخرجوا وعرفوا انهم ناموا ثلثمائة وتسع سنين وانهم
أوقظوا ليكونوا آية للناس ثم دخل (أريوس) فرأى تابوتا من نحاس مكتوبا غثوما بختام وفيه قصتهم في
اللوحين المذكورين وملخصها انهم فتية هربوا من (دقيانوس) خوفا على دينهم فسند عليهم بالحجارة . وقد
كتبنا هذه القصة ليعرفها من بعدنا غفر (أريوس) ومن معه سجدا لله وأرسلوا بريدا الى ملكهم الذي
تضرع لله (ييروس) أن يجعل واحضر ليرى آية الله في أمر البعث فهؤلاء فتية ناموا منذ (٧٠٠) سنة الخ
خمد الملك الله وركب معه أهل مدينته حتى أتوا مدينة (افسوس) وكان يوما مشهودا . ولما رأى
الفتية (ييروس) خزا ساجدا لله ثم اعتقمهم وبكى وهم لا يزالون يسبحون الله تعالى . ثم قال الفتية له
نستودعك الله ونفيدك من شرّ الانس والجنّ فرجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فأمر الملك أن يجعل
كل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام رآهم في المنام يقولون له اتركنا كما كنا في الكهف على القرب
حتى يبعثنا الله فأمر الملك أن يكونوا في تابوت من ساج فجعلوا فيه ولم يقدر أحد بعد ذلك أن يدخل عليهم
وأمر الملك أن يتخذ على باب الكهف مسجدا يصل الناس فيه وجعل لهم عيدا عظيما انتهى

هذا ملخص القصة ذكرتها لك حتى يسهل عليك فهم الآيات الآتية ولم يبق إلا تفسير ألفاظها . فهذه
هي القصة التي كان النصارى يجعلونها دليلا على البعث . فأما القرآن فان الله يقول فيه إن آياتي على البعث
وعلى بقاء أرواحكم ورجوعها بعد الموت وعلى وجودي ليست قاصرة على هذه القصة فآتي لا تسد
والأقلام لا تحصى فلا تقفوا على هذا بل اقرأوا قروش هذا الوجود لا قروش أهل الكهف والرقم وحدها فأتتم
خبر أمة أخرجت للناس ونظرتم علم في الكائنات لافي مجرد القصص والحكايات وإن كانت فيها دلائل ولكن
دلائلها أوسع . يقول الله تعالى لذكر يا محمد (إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة)
أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء (وهي لنا من أمرنا) الذي نحن عليه من
مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين (فضر بنا على آذانهم) أي ضربنا عليهم سمها

يمنع السماع بمعنى انا آتئناهم ائمة لانهم فيها الأصوات لحذف الفصول الذي هو الحجاب (في الكهف سنين)
ظرفان لضربنا (عددا) أي ذوات عدد (ثم بمتاهم) أيقظناهم (لنعلم أي الحزبين) الطائفتين للثنا عتين
في مدة لبثهم منهم ومن غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) أي لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده
انه سيوجد (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (لأنهم فتيه) شبان جمع فتي كصبيته جمع صبي (آمنوا
بربهم وزدناهم هدى) بالثبوت (وربطنا على قلوبهم) قلوبنا بالصدر لمعبر الوطن والحلال والجرأة على
إظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار (إذ قاموا) بين يديه في مدينة افسوس (فقالوا ربنا رب السموات
والأرض) إلى قوله (شططا) أي والله لقد قلنا إذن قولنا ذا شطط أي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم ثم قال
(هؤلاء قومنا) مبتدأ وعطف بيان عليه وخبره (انفخنا من دونه آلهة لولا) هلا (يأتون عليهم سلطان
بين) على عبادتهم بحجة بينة (فن أظلم عن أفترى على الله كذبا) بنسبة الشريك إليه . ثم خاطب بعضهم
بصنا لما رحم الملك شباهم وأرجأ أمرهم (واذا اعتزلتوهم وما يعبدون إلا الله) أي واذا اعتزلتم القوم ومعبودهم
إلا الله لأنهم كانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام (فأووا إلى الكهف) في الجبل الذي هو بالقرب من افسوس
(بشر) ييسر (لكم ربكم من رحته) في الدارين (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أي ما ترغفون به أي
تتفقون وذلك لوثوقهم بأن الله معهم لخلاصهم وقد فعل الله ذلك بهم إذا أقل دقيانوس عليهم فم الكهف
ليكون ذلك آية (وترى الشمس) أيها الانسان (إذا طلعت تزور عن كهفهم ذات اليمين) أي تميل جهة
اليمين أي الجهة صاحبة اسم اليمين . وقرئ - تزاور - بالتشديد وأصلها تزاور فأدغمت التاء في الزاى
(وإذا غربت تقرضهم) تقطعهم وتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) أي في منسج من
الكهف أي انهم في ظل نهارهم لاتصميم الشمس في طواصها ولاغروبها وكان باب الكهف في مقابلة نبات
فحش فهو إلى الجهة الشمالية والشمس لاتسامت ذلك أبدا لأنها لاتصل إلى أبعد من خط السرطان وكل بلاد
بعده إلى جهة الشمال تكون من ورائها لا أمامها فيكون الظل مائلا جهة الشمال طول السنة كما يعرفه من له
أدنى إلمام بعلم الفلك (ذلك من آيات الله) أي شأنهم وإيواؤهم إلى كهف بهذه الصفة وإخبارك بقصتهم ووضعهم
في موضع بحيث تزاور الشمس عنهم طاعة وتقرضهم غاربه . كل ذلك من آيات الله (من يهده الله فهو المهتد)
أي من يوفقه الله بالأمثل في آياته الكثيرة هذه وغيرها فهو الذي يصيب الفلاح (ومن يضلل) ومن يضله الله
ولم يرشده (فلن نجد له وليا مرشدا) معينا يرشده (وتحسبهم أبقاوا وهم رقود) وتحسبهم أيها الانسان
منبهين لأن أعينهم مفتحة وهم نيام (وقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تأكل الأرض لحومهم (وكلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد) أي فناء الكهف أو عتبة الباب (واطلعت عليهم) بالحمد (وليت . ثم فرارا) لما
ألبسهم الله من الهيبة (ولمئذ منهم رعبا) خوفا بلا صدرك وكما آتئناهم آية بمتاهم آية على كمال قدرتنا وهذا
قوله تعالى (وكذلك بمتاهم ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا وليتفوا بالبحث (قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابشروا أحدكم بوركتم) فضتكم (أيها أركي طعما) أي
أي أهل المدينة أحل طعاما لأن منهم مؤمنين يخفون لإيمانهم فلما كل من ذابحهم أو أجود (برزق) من قوت
وطعام تأكلونه (وليتلطفت) يترقى في الطريق وفي المدينة (ولا يشرعن) يلمن (بكم أحدا) من غير المؤمنين (لأنهم
إن يظهروا عليكم) يملؤا بكماءكم (يرجوكم) يتلوكم بالجملة وهو أخبث القتل أو يعذبوك (أو يعذبوك في ملتهم)
كما قسم في أعمال دقيانوس الذي أرجأ أمرهم (ولن تفلحوا إذن أبدا) أي إن عدتم اليهم (وكذلك أعثرا
عليهم) أي وكما آتئناهم وبمتاهم اطلعنا عليهم (ليعلموا) أي ليعلم الذين اطلعناهم على حالم (أن وعد الله)
بالبحث (حق) فنوهمس كمال الأموات واستيقاظهم كمال البعث (وأن الساعة لا ريب فيها) وأن القيامة لا
ريب في إمكانها فمن حفظ أجسامهم مدة ثلثة سنة ولم تنفن ثم أيقظهم قادر أن يحفظ الأرواح أمدا طويلا

يردها الى أبدانها (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) متعلق بأثرنا أى أطلعنا عليهم يديروس وقومه حين ينازع بعضهم بعضا بعد ما فرحوا وفرح الملك بأية الله تعالى على البعث وذهب ما بينهم من الشقاق فى أمر القيامة وحدوا الله تعالى الى آخر ما فى القصة . ففرق يقول بنى عليهم قرية نسكنها . وفرق يقول نبي مسجدا يصلى فيه الناس فقل هذا الفريق الفريق الآخر فى الرأى وبنوا عليهم مسجدا وهذا قوله تعالى (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم) الى قوله (مسجدا) وقوله - ربهم أعلم بهم - جملة اعتراضية من الله . ولما فرغ من الكلام على القصة وعلى نزاع المتخاصمين فيما بينى عليهم أخذ الله يقص علينا ما دار فى زمن النبي ﷺ بعد ما قص ما دار فى زمن يديروس الذى بنى المسجد إذ اختلف الناس فى عدد أهل الكهف فقال السيد وهو نصراني يعقوبى من نجران انهم ثلاثة ورابعهم كلهم وقال العاقب منهم وكان نسطور يا هم خمسة وسادسهم كلهم وقال أصحاب الملك وهم الملائكة سبعة وثامنهم كلهم قطير وهذا قوله تعالى (سيقولون ثلاثة) الى قوله (ما يعلمهم إلا قليل) وقوله - رجاء بالغيب - ظنا بالغيب بغير علم * وروى أن ابن عباس رضى الله عنهما قال أنا من القليل هم ثمانية سوى الكلب ولم يرد فى الصحيح عن النبي ﷺ شئ فى هذا دلالة على أن أمر العدد لا بهم والمهم الاعتبار بمجموع القصة وما يكون نافعاً لمقولنا وارتقائنا فى حياتنا الدنيا وفى الآخرة . هذا هو القصص الذى طلبوه (فلا تمارفهم إلا مرء ظاهراً) أى لا تجادل فى شأن الفتنة إلا جاداً ظاهراً غير متعمق فيه فتقص عليهم ما فى القرآن من غير تهجيل لهم ولا رد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم أحداً) أى لا تستفت فى أصحاب الكهف من أهل الكتاب أحداً أى لا ترجع الى قول أحد منهم بعد ما أخبرتك وإنما كان التعمق غير مرغوب فيه لأن المقام مقام عظات واعتبار فالبحث عن العدد مثلاً هل كان (٣) أو (٥) أو (٧) لا فائدة من تحقيقه ولا غرض فى معرفته . وإذا كانت القصة كلها ليست بالنسبة لآيات الله إلا أمراً قليلاً فكيف يكون البحث عن مفصلاتها . إن القصص لم يكن الفرض منها سوى الوعظ وهذه القصة قصد منها أمر البعث وأمر البعث يعرف بأمور من العوالم المحيطة بكم لاتنتهى كما سيأتى بيانه من علم الطبيعة فى العلوم الحديثة فكيف تضيعون الوقت فى ذلك والوقت يجب أن يوفى للعلوم الطبيعية التى دخلت فى ضمن - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - ثم قال (ولا تقولوا الحق) * يقول العلماء رحمهم الله تعالى إن هذا تأديب من الله لنبيه ﷺ حين قالت العرب بإشارة اليهود ما قصم من طلب الامور الثلاثة فقال إيتونى غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله أى ولا تقولوا لأجل شئ تعزم عليه إلى فاعل ذلك الشئ غدا إلا حال كونك متلبساً بنسبة الله أى قالوا إن شاء الله (واذكر ربك) أى مشيت وقل إن شاء الله (إذا نسيت) أى إذا فرط منك نسيان لذلك أى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تذكرتها فتداركها بالذكر كرامدنى فى المجلس عن الحسن و بعد سنة عن ابن عباس وفى أقرب زمن عند بعضهم والأحكام الفقهية مبنية على أن يكون الاستثناء متصلاً

(حكاية)

حكى انه بلغ المنصور أن أبا حنيفة رجه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما فى الاستثناء المنفصل فاستخضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستأوا فيخرجوا عليك هذا هو الذى يقصده هذا الذى وشى فى اليك فاستحسن كلامه وأمر أن يخرج الطاعن فى الامام من عنده . انتهت الحكاية

(وجوه أخرى فى الآية)

(١) واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء

(٢) وصل صلاة نسيتها إذا ذكرتها

(٣) إذا نسيت شيئاً فذكره ليدركك المنسى

أقول وهذه الأخيرة جرت بها فتذكرت مانسبت وكان الذكر بلفظ يارب . واعلم أن هذه القصة المذكورة
جاء بها كما تقدم على أنها ليس العجب خاصا بها بل أعجب منها عجائب الله في الأرض والسماء فما على الأرض
من نبات وحيوان الخ أعجب . وما في الفلك من بهجة أجمل وأبهى وأسمى من خوارق العادات في هذه القصة
أوفى غيرها ولذلك أتبعه بما بعده فأمره ﷺ أن يسأله تعالى فقال (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا
رشدا) أى لأظهر دلالة على أتى نبي من نبأ أصحاب الكهف الذى هو عبارة عن حديث جرى لأهم النصارى
مع ان آيات الله لا تنبأ في أرضه وسجلته فهو قادر أن يعطينى منها ما يشاء ولذلك أجاب دعاءه حالا وأنزل عليه
(ولبثوا في كهفهم ثلاث مت) وأبدل منها لفظ (سنين) وقرئ بالإضافة على وضع سنين موضع سنة التى هي
الأصل في تمييز المائة . يقول الله اخبارا من عنده ولث أهل الكهف الى يوم النبوة المحمدية ثلثائة سنة
وتسع سنين . ولما سمع أهل الكتاب وهم نصارى نجران ذلك قالوا أما الثلثائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم
لنا بها فقال الله له (قل الله أعلم بما لبثوا) كما قلنا لك من قبل - فلما عرفهم إلا مرأى ظاهرا - الخ لأن
المقام مقام اعتبار وحكم والمشاغبة والجدال يضع المقصود من الرسالة ومن العلم . ثم اعلم أيها الفطن أن هذه
مجزئة أهم من ذكر قصة أهل الكهف لأن الله يقول أيها الناس هذا النبي الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب ولم
يدرس علم الحساب ولا الهندسة ولا الفلك من أين جاء له أن كل ثلثائة سنة تزداد تسع سنين (و بعبارة أخرى)
من أين عرف أن كل مائة سنة شمسية تزيد ثلاث سنين قمرية وكل ثلاث وثلاثين سنة شمسية تزيد ستة قمرية
وكل سنة شمسية تزيد نحو (١١) يوما . من أين جاء له ذلك وهو لم يدرس ذلك وكيف ينزل عليه لفظ
- وازدادوا - ليفصل بين الزيادة في القمرية والمزيد عليه في الشمسية . هل هذه رمية من غير رام . وإذا
وقف أهل نجران وقالوا لا نعرف التسع ونعرف الثلثائة أفلا يتفطن الناس لهذا القول ويعرفوا أن هناك معاني
وأن أهل عصر النبوة عجزوا عن فهم مثل هذه الامور . وإذا كان حبر عظيم من أكبر علماء الاسلام كالعلامة
الرازى رحمه الله يقول ان الحساب لا يوافق هذا القول فكيف بغيره من الذين لا علم لهم . فإذا كان فلاسفة
الاسلام وحكامهم يترددون في هذا القول من حيث السنين الشمسية والقمرية ويقولون ليس ذلك حقيقة
فكيف بغيرهم ممن لا علم لهم بحساب ولا فلك . ولقد أريتك الحقيقة ناصحة كما أثبتتها المحققون وقرأناه في الفلك
وأصبح معلوما مشهورا عند علماء . أفلا تعجب من حكمة عالية وآيات ظاهرة وعجائب باهرة . إذن عرفت
كيف هداه الله لأقرب من هذا رشدا وكيف لفت الأنظار الى علم ماعلى الأرض من زينة لها كنزوه الشمس
المشرق على وجهها وحسابه وزينته وماتج عن الضوء من بهجة الأرض وزينتها لأنه لولا اختلاف الفصول
لم تكن للأرض زينة ولا اختلاف للفصول إلا بتقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تسمى وتقلبها في البروج
فهذا التقلب هو الذي يعطي الأرض زينتها فما من دابة ولا حيوان ولا جبال إلا وكان أسه ضوء الشمس الذي
أرسله الله الى الأرض كما يرسل نبينا ﷺ ليهدينا للعلم ويقول لنا ان النظر فيها على الأرض من زينة الناجم
من ضوء الكواكب أقرب رشدا من قصص الأولين وحكايات الفايدين وان ما ترونه في هذه الأرض أبهر
وأجل من كل ما يصدر من خوارق العادات فكيف في العوالم المحيطة بكم من خوارق فأيكم أن تدروها ابتغاء
ما يقع على يدي أنبيائكم وأوليائكم فاني أرسلت الأنبياء ليرشدوكم الى ملكي حتى اني لم أشغلكم بما جاء على
يدي المختارين منكم لأن ذلك يسير بالإضافة الى عجائبي في خلقي وما الأنبياء والأولياء إلا بعض خلقي . خلقي
السموات والأرضين أكبر من خلقي الناس . فانظروا فيها هو أكبر والأنبياء مابلوا لكم إلا ليرشدوكم الى والى
نظامي وعجائبي فإذا قسرتهم عقولكم على بعض ما يقع لهم كتم غافلين عما هو أقرب رشدا . وسيأتى اصباح
هذا اللقمة فانتظر سيرا ترا العجب العجيب . واعلم أن هذا ينافي لملاءة في القصة وهو أن ثلثائة سنة كان آثرها
الغثور عليهم وقت أن بنوا المسجد ولكن القصة فيها تساهل والحكايات يدخلها التحريف فالقول أن للدة

الى زمن النبوة أقرب الى التاريخ وهي المنقولة عن كثير من العلماء ورعجوها ثم قال تعالى (له غيب السموات والأرض) أى ما غاب ونفى فيها ومن ذلك الغائب على كثير من العقول حساب السنين الشمسية والقمرية غيبه الله عن بعض الناس حتى يطلع عليه العارفون بحساب الفلك فيجربون من أمر نبيهم ويصلون أن هذا مبدأ زينة الأرض وزخرفها ويتعجبون ويدرسون العلوم للمتعلقة بهذا التي مبدؤها العلوم الرياضية ونهايتها العلوم الطبيعية أى انى أعلم غيب السموات والأرض وغيبها هو ما غاب عن العقول وسأطعن لها الأجيال المقبلة حتى يدرسوا الرياضة التي أشرت لها بالسنين المذكورة ونتيجة الأضواء والشموس زينة الأرض وهي علوم الطبيعة (أبصره وأسمع) أى ما أبصر الله وما أسمع صيغة تعجب من أن الله يسمع ويعصر ما أعلم لنا به وهو خارج عن ادراكنا (ما لهم) لأهل السموات والأرض (من دونه من ولى) من يتولى أمورهم (ولا يشرك في حكمه) في قضائه (أحدا) منهم ولا يجعل له فيه مسخلا . ومثل هذا القول لا يذكر عادة في القرآن إلا عند الأمور العظيمة لتقريبه على ما فيها من خفايا وقد أرشدك الله اليها في هذا التفسير كأنه يقول انظروا في جمال الفلك وحسابه ونتائج الاشراق وجمال زينة الأرض التي جعلتها لكم ابتلاء واختبارا لعقولكم وأعمالكم فلتعجبوا في العلوم لتعرفوني وتكونوا أقوياء في الأرض

أيها المسلمون . هذا أوانه وهذا أوان ظهور مقاصد القرآن وعلومه وقد أرشد الله كتاب الاسلام أن يظهر الله على أيديهم غرائب القرآن لتجهوا الى عجائب ربكم في أرضه وسنائه والله ولى حيد . وإعلم أن الكلام على ما زينت به الأرض المذكور في أول السورة جاء في (خمس فصول)

(الفصل الأول) قصة أهل الكهف وانما أقل حجبا من زينة الأرض وما عليها

(الفصل الثاني) حساب السنين الشمسية والقمرية وجمالها وبدائتها وهذا أول قطرة من بحر الزينة الفائض وهي بحجة وقدمت لأنها أصل ما على الأرض كما تقتض من أن النيل والفرات جا من الحركات السماوية

(الفصل الثالث) إباحة القمام بذكر أن القلوب (قسيمات) قسم غافل وقسم مستبصر فالمستبصرون يفكرون والنافلون يطلبون الزينة المذكورة في أول السورة للشهوات والحياة الدنيا الى قوله - وسادت مرتفقا -

(الفصل الرابع) دخول في المقصود فعلا وإيضاحه بضرب مثل رجلين فأحدهما له بستان والآخر لا بستان له واشتار الأول وتبصر الثاني . فهذا بيان لمن غفل قلبه فتملئ بظواهر الزينة ومن فكر قلبه فصرف حقائقها وفناءها الى قوله - وخير عقبا -

(الفصل الخامس) في استخراج النتيجة كما هي والرجوع لأول السورة إذ ضرب مثل الدنيا بمثل النبات فيحضر ثم يصير هنيئا فتزهر الرياح وأن المال والبنين كالنبات كلالها متاع الحياة الدنيا ذاهب أيضا كما ينهب النبات فالمدار على الحقائق لا المظاهر . ثم أتبع ذلك بذكر خراب الأرض وذهاب الجبال وقرارة الناس كتبهم وذكر إبليس وعصيانته الذي هو أصل هذه الأخلاق وأن هؤلاء الضالين المضلين ومن تبعهم لا يعرفون حقائق الأشياء في السموات والأرض الى آخر ما سياتى

(تفسير كلمات الفصل الثالث)

قال تعالى (من كتاب ربك) القرآن (لا مبديل لكلماته) لا أحد يقدر على تغييرها (ملتجعا) ملتجئا تعدل اليه ان همت به (واصبر نفسك) احبسا وثبينا (بالفداء والعشى) أى في جميع أوقاتهم أوفى طرف النهار (يريدون وجهه) رضا الله تعالى (ولا تصد عينك عنهم) أى لا تجاوزهم عينك . يقال عداه جاوزه ولكن عدى هنا بمن تضمن معنى نبا يقال نبث عنه عينه اذا تبصره (يريد زينة الحياة الدنيا) في موضع الحال (من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر كما مية بن خلف لما دعاك الى طرد الفقراء من مجلسك ليحل محلهم مناديد قريش (واتبع هواه) في طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) مجاوزا الحق

عقاله (وقل) يا محمد (الحق من ربكم) الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى (فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) لا أبالي بإيمان من آمن ولا بكفر من كفر (أعنتنا) هيأنا (سرادقها) فسطاطها فقد شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق أو السرادق لئلا يظن أنه محيط بالنار وبهم فيها فهو كالسطاط من وجه الشمول والاحاطة (وان يستغيثوا) من العطش (كللول) هودردى الزيت أو الماذيب من الجواهر المعدنية كالزجاج والنحاس (يشوى الوجوه) أى ينضج الوجوه من حره (يشى الشراب وسامت) فسلان للنم والمقصود بالشم للمل والنار (مرتققا) متكأ بجى به لمشاة قوله - وحسنت مرتققا - فى الجنة (إنا لانضج أجر من أحسن عملا) أى لا نترك أعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم بأعمالهم الصالحة (أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار) خبر - إن الذين آمنوا - وجلة - إنا لانضج أجر من أحسن عملا - اعتراضية وقوله (يحلون فيها من أساور من ذهب) خبر ثان من الأولى ابتدائية والثانية للبيان بين الأساور بأنها من الذهب أى أساور كانت من ذهب وهى جمع أسورة جمع سوار (ويلبسون ثيابا خضرا) لأن الخضرة أوفى للإبصار ولأنك جعلها الله علة فى النبات وزين بها الأشجار كما تزين السماء بالزرة وهما معا مقبولان ناضجان لاصار الحيوان (من سنس واستبرق) ملرق من اللهبياج وما غلط منه (متكئين فيها على الأرائك) السرر (نم الثواب) الجنة (وحسنت) الأرائك (مرتققا) متكأ . انتهى الفصل الثالث

(الفصل الرابع . ضرب المثل)

قال تعالى (واضرب لهم مثلا) للكافرين والمؤمنين والتبصر والفاضل أى وبين لهم الخ صفة (رجلين) أخوين فى بنى اسرائيل أومن مكة (جعلنا لأحدهما جنتين) بستانين (من أعناب) من كروم (وحفظناهما بنخل) أى وجعلنا للنخل محيطا بهما • يقال حفوه إذا طافوا به وحفظته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو تمتد إلى مفعول واحد وتزیده الباء مفعولا ثانيا (وجعلنا بينهما زروعا) أى جعلناهما أرضا جعت القوت والفاكهة وهى متواصلة متشابهة فليس هناك ما يقطع شكلها الحسن الجليل البهيج (كلتا الجنتين آتت) أعطت وجاء الخبر على لفظ - كلتا - وهو مفرد ويصح أن يراهى المعنى فى اللغة (أكلها) ثمراها (ولم تظلم منه شيئا) ولم تنقص من أكلها شيئا • ثم ذكر ما هو أصل هذا الخبر والبهجة فقال (وخرجا خلالها نهرا) ليديم شربهما ولتظهر بهجتهما ووجود النهر مما يجعل الفخر لا ينقص (وكان له ثمر) أى وكان لصاحب الجنتين مال سوى مائى الجنتين • يقال ثمراه إذا كثرت فهو الأموال الكثيرة المثمرة من الذهب والفضة وغيرهما (فقال له صاحبه وهو يحاوره) يراجعه الكلام يقال حلر يحور إذا رجع • يقال إن هذين الرجلين هما فطروس وهوكافر ويهوذا وهو مؤمن وروثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاشترايا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل أمرهما إلى ما حكاها الله أوها أخوان من بنى عزموز ولا يهمننا شئ من ذلك لأن الآية تسرى على كل اثنين هذه صفتها وهذه حال علة والناس فى كل جيل يحسون بهذه المعاني ويتعالى الفنى على القبر غرورا وجهالة ولو كانا مؤمنين على سبيل العقلة والمؤمن قد تكون له جهالة تنسب الآخرة وإيمانه لا يهمنه من العقلة • فقال صاحب الجنة لصاحبه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) حسنا وأعوانا وأولادا ذكورا لأن هؤلاء ينفرون معه (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بعجه وبكبره وكفره (قال ما أظن أن تبديد) تنفى (هذه) الجنة (أبدا) لطول ألمه وتمعدي العقلة (وما أظن الساعة قائمة) ولئن رددت إلى ربى) بالبعث كما زعمت (لأجدن خيرا منها) أى يعطينى هناك خيرا منها وهو لم يعطينى هنا إلا لأنه يعطينى هناك (منقلبا) مرجعا (قال له صاحبه) المؤمن (وهو يحاوره) كيف تقول - وما أظن الساعة قائمة - (أكفرت بالذى خلقك من تراب) وذلك التراب تقضى به وبلقاء النيات والحيوان فأفكه أبوك فولدك وأكلت أنت فكان منه اللحم فصرت بشرا سويا وهو قادر أن يخلقك مرة أخرى

كما خلقك هذه المرة بهذا النظام وهذا قوله (ثم من نطفة ثم سوّك رجلا لكننا) أى لكن أنا خلقت الهمة بنقل حركتها الى ماقبلها وحصل الادغام * وقرئ - لكن أنا - على الأصل (هو الله ربى) الضمير للشأن (ولا أشرك بربى أحدا * ولولا) هلا (إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) أى الأمر ماشاء الله مبتدأ وخبر أو ماشاء الله كان على انها شرطية (لا قوة إلا بالله) اقرارا بأن عمارتها لم تكن قوتك بل بقوة الله (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) ولذلك تكبرت على - (فصسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) فى الدنيا والآخرة (ويرسل عليها) على جنتك (حسابنا) جمع حسابة أى صاعقة (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها (أو يصبح ماؤها غورا) أى غائرا فى الأرض فهو مصدرا وصف به (فلن تستطيع له طلبا) أى لئلا الفائر . فلخص المحاورات ﴿ ثلاث ﴾ الافتخار بالمال والأعوان والأمل الطويل ببقائها وانكار الساعة . هذه هى المقالات التى قالها الكافر والاجباب ثلاث على نظام عكسى إذ قال صاحبه - أكفرت بالذى خلقك - الخ ردّا على الثالث وقوله - ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله - ردّا على الثانى وهو - قال ما أظن أن تبدي هذه أبدا - وقوله - إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا - ردّا على قوله - أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفرا يقول له هذا لا يدوم وزخرف الحياة ذاهب لا بقاء له وكل هذا تطبيق على القاعدة التى فى أوّل السورة . ثم تمّ مقال له صاحبه إذ هلك ثمرة قال تعالى (وأحيط بقره) أى أهلك أمواله أى أحاط الهلاك بقر جنته فوقعت عليها نار من السماء وغار الماء (فأصبح قلب كفيه) أى يصفى بكف على كف أو يقلب كفيه ظهرا لبطن نأسفا وتلهفا (على ما أظن فيها) أى فأصبح يندم على ما أخطئ فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) أى ان عروشها سقطت على الأرض وسقطت الكروم عليها وهو يقلب كفيه (ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) هناك تذكّر موعظة أخيه (ولم تكن له فتحة) جحاة (ينصرونه من دون الله) ينصرون على نصرته فيدفعون عنه الهلاك (وما كان منتصرا) أى تمتعا بقوته من انتقام الله (هناك) فى ذلك المقام (الولاية لله الحق) الولاية بالفتح النصر والتولى وبالكسر السلطان والملك فهناك التصريد الله فلا فتة ناصرة أو السلطان والملك له فهو الغالب فنه النصر له السلطان وحده (هو خير ثوابا) أى أفضل جزاء (وخير عقبا) أى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره . وهذا نهاية

﴿ الفصل الخامس ﴾

التصل الرابع

قال تعالى (واضرب لهم) أى بين لهم (مثل الحياة الدنيا) أى صفها الغريبة أو بين ما تشبهه الحياة الدنيا فى زهرتها وسرعة زوالها . مثلها كائن (كما أنزلناه من السماء فاشتلت به نبات الأرض) فاشتلت بضمه وبعض ونكاثف بسبب الماء (فأصبح هشيا) يابسا متكسرا واحده هشمة (فنفوه الريح) أى تنسفه وتطيره (وكان الله على كل شئ مقتدرا) فهو قادر على الافناء والانشاء . شبه الدنيا فى نصرتها وهيجتها ثم تصير الى الزوال بحال النبات اخضر وانف وأزهر ثم صار هشيا فنفوه الريح . ثم أخذ بين المقصود من ضرب المثل فقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) لا تنفع فى القبر ولا يوم القيامة . وهنا أوضح المقصود من هذا كله فقال (والباقيات الصالحات) أعمال الخيرات التى تبقى ثمرتها للإنسان كالصالحات والصدقات والجهاد والحج وفعل البرّ ومساعدة المسلمين جميعا . ومن الباقيات الصالحات (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) وغيرها وكل كلمة طيبة (خير عند ربك) من المال والبنين (ثوابا) جزاء (وخير أملا) ما يؤمله الإنسان . فانظر كيف يقول فى أوّل السورة - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - ويثم هنا المال والولد لأنهما من تلك الزينة فالكلام مرتبط بضمه ببعض أربما ارتباط . ثم أخذ سبحانه يزيد المقام إيضا فقال (و) اذكر (يوم نسير الجبال) نذهب بها فنجعلها هباء منثورا (وترى الأرض بارزة) ليس عليها ما يسرّها مما كان عليها من الجبال والأشجار (وحشرناهم) أى اللقى (فلم تغادر منهم أحدا) أى فلم تترك أحدا

يقال غادره فكره (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين لا يحجب أحد أحدا خلفهم أشبهت حل الجند الذين يمرضون على السلطان وقد قلنا لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) عراة حفاة لاشئ معكم من المال والولد (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يقول ذلك يوم القيامة لشكرى البيت . فهنا سبرت الجبال وبرزت الأرض وحشر الناس عراة بعد ما استبان أن الدنيا لا قيمة لها وذلك على الترتيب الطيبى ولم يبق إلا عرض الأعمال ولذلك قال (ووضع الكتاب) محاتف الأعمال في إيمان قوم وشاغل آخرين (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (عما فيه) من الذنوب (ويقولون يويلتنا) يهلكنا كما هوشأن من وقع في الهلاك (ما لهذا الكتاب) يتعجبون من شأنه (لا يفلد صغيرة ولا كبيرة) أى أى هنة صغيرة أو كبيرة من ذنوبنا (إلا أحصاها) إلا عتها وأحاط بها لأننا قمنا أن النفس أشبه بالزجاجة التى يضعها المصور في صندوق الآلة المصورة فكل صورة تقع عليها تحفظها . فهكذا قوسنا لتقطع كل شئ تحصل عليه من ضار ونافع فإذا كشف الغطاء أبصرنا كل ماعملنا ورأينا صورنا بحالها فظهر لنا جميع المحاسن وجيع الرذائل فنضل في عقولنا فقلها بلا كلام ولا كتابة وكل امرئ يقرأ هذه الكتابة والناس فيها سواء (ووجدوا ماعملوا حاضرا) كيف لا وهو مرسوم واضح (ولا يظلم ربك أحدا) ومن أين يأتى الظلم إذا كانت المسألة صورا مرسومة في قوالب حافظة لها فليس يمكن الانسان دفعها ولا ظلم في ذلك كما لانفذ التخمعة بمدا كل الكثير علما ولا المرض بمدا الشرب من ماء آسن يملؤه أدراغا فلما بل نرى ذلك أسبابا ومسببات . وهنا انتهى مبحث الانسان في دنياه وآخرونه ولما كان ذلك تابعا لعالم الألف من علنا وكان للشياطين مدخل في كل ما نقتم أعقبه بذكر ابليس وعصيانته الذى هو قسوة هؤلاء . فقال (و) اذكر (إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس) لأنه (كان من الجن فسقى عن أمر ربه) فخرج عن أمر ربه بترك السجود ولو كان من الملائكة لسجد وقد شرحنا هذا الكلام مرارا في سورة البقرة وفي غيرها فارجع اليها إن شئت . وإذا كانت هذه حاله وقد عصى أن يسجد لأبيكم آدم كما رأيتم الآساد والفور والحيوانات المهددة للطاعون خلقت لا يذناكم . فحبا لكم كيف تتخونونه وذريته أولياء توالونهم وهذا قوله تعالى (أفتتخونونه وذريته أولياء من دوني) أى أفتفانون ونجملون فتبدلونهم في (وهم لكم عدو) أى أعداء والجللة حاله (بئس للظالمين بدلا) أى بئس ما استبدلوا ولاية الله بولاية الشيطان . ولا جرم أن عالم الأرواح فيه الأخيار والأشرار والأشرار يلحقون بعالم الجن والأخيار بعالم الملائكة وسرى بضه قريبا كما نقتم غير مرة فالأرواح الطيبة كالأنبياء والحكماء والملائكة يطلعهم الله على بعض أسرار خلقه والأرواح الشريرة من الناس الذين هم أحياء والذين ماتوا ومن نحا نحوهم من أرواح الشياطين يحببون عن تلك العوالم وهذا المقام أوضحنه في سورة البقرة أى مقام الملائكة والشياطين ونحوها وهذا قوله (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) فهم لاعلم عندهم والذى لاعلم عنده بالحقائق كيف تبعونه وتعلمون بما يوسوس به اليكم وللتبوع يجب أن يكون ذا بصيرة ولا بصيرة هؤلاء كما نرى ذلك عيانا في الدنيا . فالشياطين الجسة تراهم لا يعرفون شئ من هذا الوجود إلا طعامهم وشراهم هكذا ابليس وجنوده فليس لهم علم إلا بالامور التى تحوم حول الاضلال والخراف (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى أهوانا وأضارا وهم الشياطين فكيف اتبعوهم أو عبدوا الأصنام على مقتضى وسوستهم (و) اذكر (يوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم) انهم شركائى (فدعوهم) فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أى فلم يفيثوهم (وجعلنا بينهم موقعا) أى جعلنا بينهم وبين آلهتهم مهلكا يهلكون فيه وهو النار (ورأى المجرمون النار فظنوا) أيقنوا (أنهم مواقعوها) داخلوها وواقفون فيها (ولم يجدوا عنها ممرا) أى مدلا لأنها أطلت بهم من كل جانب . وهنا وصل القول الى آخر الأحوال الانسانية . غرور بالحياة وزوال وموت وزوال الجبال وبرزت الأرض وحشروا عرض وهم حفاة عراة وكتب يقرؤنه وحرق الجرم وحضور جميع الأعمال ووسوسة

الشياطين وتوبيخ على اتبعهم وجههم ونجس يدهم من العلم ودخول النار والهلاك فيها . وهنا قد تم كل ما يتعلق بالإنسان وأصل هذا كله - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - وهنا أخذ يصف القرآن وآثاره لأن هذه الفصول المتتابعة حوت علما جاسا وبثك بيضه فيأبأنى فكانت جذيرا أن يوصف القرآن بقوله تعالى (ولقد صرنا في هذا القرآن لقاس من كل مثل) أى يينا فيه من كل وجه من وجوه العبر والعلم والمثل هو وصف فيه غرابية (وكان الإنسان أكثر شئ جدلا) خصومة بالباطل وجدلا تميز (ومانع الناس أن يؤمنوا) أى من الإيمان (إذ جاءهم الهدى) وهو الرسول والقرآن (ويستغفروا ربهم) من الكفر والذنوب (إلا) طلب أو انتظار (أن تأتيهم سنة الأولين) أى سنتنا في إهلاك الأولين أن لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال وابتدئهم (أولاً بهم العذاب قبل) أى عيانا أوجع قبيل أى أنواعا . ولما كانت الهداية بالقرآن والرسول هو الذى أنزله الله عليه قال بعد أن وصف القرآن (وإرسال المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) للمؤمنين والكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بسد ظهور المعجزات كأن يسألوا عن أصحاب الكهف ونحوهم نعمتنا مع أن الأنبياء لم يرسلوا لهذا أى لم يرسلوا للبحث عن غرائب التاريخ ولا غيرها ولكنهم لجؤا ليعبروا الناس على العلم من طرق وطرقه النظر فى التى فوق هذه الأرض من عجائب فليدروها ولا يتخذوها شهوات لحسب ثم ليتزودوا من الدنيا ليسافروا الى الآخرة . هذا هو المقصود وقد تقدم ذلك . فهو لاء الكافرون يجادلون بالباطل (ليدحضوا به) أى ليزيلوا الجدل (الحق) وانحسروا آياتى وما أقصروا) أى وانظروهم (هزوا) أى استهزأ (ومن أظلم من ذكر بآيات ربه) بالقرآن (فأعرض عنها) فلم يتدبرها ولم يتدكرها (ونسى ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصى ولم يفكر فى عاقبة ذلك أى لا أحد أظلم منه ثم بين سبب ذلك فقال (إنا جعلنا على قلوبهم أكمة) أغشية (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) أى قلا وصما (وان قصهم) يا محمد (إلى الهدى) فى الدين (فلن يهتدوا إذن أبدا) وذلك فيمن علم الله أنهم لا يؤمنون (وربك الغفور) البليغ للنفرة (ذوالرحمة) الموصوف بها (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) كما فعل مع قريش إذ أمهلهم مع كفرهم (بل لهم موعد) هو يوم القيامة (إن يجنوا من دونه موثلا) ملجأ (وتلك القرى) أى قرى قوم نوح وعاد وثمود الخ (أهلكناهم لما ظلموا) كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى أجلا لاهلاكهم . انتهى التفسير اللفظى للقسم الأول مع بعض تحقيق وهنا لطائف

(الطبعة الأولى فى ملخص هذا القسم وبعض مباحثه)

لقد علمت أن هذا القسم من السورة أصل وخسة فصول . أما الأصل فهو - الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب - الى قوله - أسفا - . وأما الفصول الخمسة فقد بينا أنها (١) قصة أهل الكهف (٢) وحساب السنين (٣) وبيان القلوب الفاضلة وغيرها (٤) ومثل الرجلين المتحاورين (٥) ومثل الحياة الدنيا وقد تقدم ذلك فلنبدا الكلام على الأصل الذى بنيت عليه تلك الفصول فأقول

ليكن الكلام عليه من وجوه

- (١) وجه اتصال السورة بما قبلها فوق ما تقدم فى أول السورة
- (٢) وبيان الحمد فيها والسور التى فى أولها الحمد وما قصد من ذلك
- (٣) وبيان أن ماعلى الأرض زينة لها

(الوجه الأول اتصال السورة بما قبلها)

(١) لقد تبين فيما تقدم أن سورة الامراء بدئت بملخص أكبر قصص بشرية من علائق المادة حال كونها فى عالمنا ولرقت طبعا عن طبق تدريجيا حتى جاوزت الأضلاك والسبع الطباق وذلك راجع لصفاء النفس وخلوصها

من كثافتها سواء أكان الجسم يسرى ليلامع الروح أم لا فالأمر واضح إن المقام مقام تجرد النفوس عن العلائق المادية وقد جاء فيها الكلام على الأرواح وانها من أمر ربى فهي من عالم الأمر لامن عالم الخلق الذى له طول وعرض وعمق وفيها - قل كونوا حجارة أو حديد الخ - وملخص ذلك أن السورة فى أولها وفى آخرها تمجد وتبرهن على البعث وانتقال الأرواح من هذا العالم الى عالم غيره نعيم أو عذاب

(٧) وهذا القسم من هذه السورة مباحث كلها فى مسألة البعث وانتقال الروح الى ذلك العالم فان قصة أصحاب الكهف ماقتضى فى القرآن ولاجأت فى الكتب السابقة عند الأمم الخالية إلا للبرهنة على بقاء أرواحنا وبشها ولقد علمت كيف كانت الفصول الخمسة متلاحقة لاثبات ذلك

(٣) وأيضاه فى سورة الاسراء السابقة انهم قالوا - لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا - الخ وهكذا هنا طلبوا قصص أهل الكهف فنفتا فأراهم فى كتابنا الخالين أن هذا غير المطلوب والمهم العلم بالنظام والجهان فيه

(٤) الوجه الثانى والثالث قوله - الحمد لله - وما بعده . ابتدأ الله هذه السورة بالحمد لله وهذا الفاتحة وسورة الأنعام . يقول فى الفاتحة الله يستحق الحمد لأنه ربى العالم كله من نبات وحيوان وإنسان وقد شرحناه هناك ومعناه لتكونوا دارسين للثروة التى نظمها فى هذه الكائنات حتى يكون الحمد على نعم عرفتموها وتكون قلوبكم مملوءة بحبه وحسده واعظامه لا يعجزد اللفظ . وقال فى سورة الأنعام ليكن حمدكم على آتى خلقت السموات والأرض وجعلت الظلمات والنور فلتكونوا دارسين لنظامهما وجلالهما وآثارهما ونواميسهما حتى يكون الحمد على علم . وقال هنا لتحمدونى على القرآن وانزله على محمد ﷺ وهذا الكتاب فيه الانذار والتبشير وفيه ذكر أن ماعلى الأرض زينة لها . فإذا كان ماعلى الأرض زينة لها ثم يكون معدوما فهو ﴿ لغرئين ﴾ (الغرة الأولى) أن لا تحزن يا محمد فان كل شئ هالك وسيزل عنك هذا الألم بفارقة هذه الدنيا فلا تحزن على عدم إيمانهم ﴿ والغرة الثانية ﴾ أن كل ذلك عجب فأسأل الأمر الى أن الحمد على أنزال القرآن يدخل فيه الحمد على عجائب هذه الدنيا وغرائبها العلمية فأصبحت الفاتحة والأنعام والكهف من حيث الحمد فى أوائلها ترجع الى أن السلم محمد . الله على هذه الكائنات وتربيتها وأورارها وظلماتها وعجائبها وعلى القرآن ومعانيه فأسأل الأمر الى أن القرآن يوجه المهم الى درس هذه الدنيا وعجائبها . وهى ﴿ فريدتان ﴾ الفريدة الأولى ﴿ فى قوله تعالى - الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ﴾ قيا - ﴿ الفريدة الثانية ﴾ فى قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جزا ﴾ أم حسبت - الخ

﴿ الفريدة الأولى ﴾

وصف الله الكتاب بأنه لا هوج فيه فلا لفظ مختل ولا معانيه متنافية ولا دعواته منحرفة عن جناب الحق وفوق ذلك هو معتدل لا إفراط فيه ولا تفریط وقائم بمصالح العباد . فإذا كان كلاما بالوصف الأول فهو مكمل بالوصف الثانى . فهنا أقول اللهم إن هذا وصف كتابك فكتابك لا تنقص فيه فهو كامل وهو مكمل وهو معتدل . ولقد حوت فى أمرى حينما نظرت فى هذه الدنيا . ولما دخلت الجامع الأزهر وأخذت عن شيوخ الفضلاء عجت يارب من نظام هذه الدنيا ورأيت نظم التعليم فى الأمم الإسلامية عموما لا يوافق كتابك ولا نظام حقوقك ومنارحك التى أنعمت بها على الناس جميعا فقد كنت حينما أذهب الى بلاد الريف والقرى أفكر بنفسى فى هذه الدنيا وأبحث عن خالقها ومديرها ذلك للتكبر المتعال القهار الذى لا يرينا ذاته وقد استعجب هنا فكنت لا أدر زهرا ولا ثمرا ولا فاكهة ولا أبا ولولا تلك لنبات ولا رائحة لأمثال الورد إلا فكرت فى أمرها ودرستها دراسة نظرية بلا مرشد ولا معلم وكنت أقول من هذا فليدرس الإنسان ومن هذا فليكن العلم

ونارة أنظر في السحاب المسخرين السماء والأرض وما ينزل من المطر . وآونة أفكر في سير الشمس وكيف
اختلفت الفصول باختلاف قربها وبعدنا عنها . وكيف كان هذا الزرع والحر ينبع ضوء الشمس وهكذا بما
كتبته في كتابي ﴿ التاج المرصع ﴾ ثم نظرت في أحوال الأمم الاسلامية كما ذكرته كثيرا في هذا التفسير
فوجدتهم مختلفين اختلافا بينا فما تركت صوفيا يمر ببلادنا إلا جلست أمامه طالبا اليقين ولا علما لدينا إلا
سألت عن الحقائق وهكذا كانت هذه حالي مدة الشباب فقد رأيت اختلافا بينا فأما كثر الصوفية فهم ينتهون
العلوم الشرعية ويقولون العلم حجاب ويظهرون بهيمة الوقر والخشوع ويقولون ان عندهم أسرارا وهكذا
رجال الدين أكثرهم يقولون ان أكثر هؤلاء جهال . ثم أتى بعد هذه الحيرة قرأت العلوم التي تدرس في الأمم
المحيطة بنا وذلك في (دارالعلوم) وهذا دأبى الى الآن . وقد كتبت في سورة (آل عمران) ما فتحت به على
عند آية - ألم ترالى الذين أتوا نصيبا من الكتاب - إذ ينبت بما شرحت به مصرى أن علماء الدين وعلماء
الصوفية والعباد والأغنياء جميعا مقصرون قلا عن الامم الغزالي رحمه الله تعالى لأن الأمة اقسمت وصارت
فرقا وشيعا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم أجد سبيلا لاأخذ الأمة من هذا التفرق إلا بأمر واحد وهو الذى
كنت عليه أيام الشباب أى البحث في نظام العالم الذى نعيش فيه . فالصوفى والفقير والعباد والفقير بالمال
كل هؤلاء لامتدوحة لهم عن دراسة العلوم التي تدرس في المدارس الثانوية في الأمم المحيطة بنا وهذه هي الطريقة
المثلث التي بها تعتدل العقول الاسلامية في العالم الذى نعيش فيه ويشاركون غيرهم . فكتاب الله لاجوج فيه
وهو مكمل لأتباعه قائم بمصالحهم في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة . ومن أراد المزيد فليقرأ هذا المقام هناك
ثم انى أقول الآن . قد نظرت نظرا عاما في أمر الأمم الاسلامية بعد ما تقدمت فكتبت أقول باليت شعري
لماذا أرى رسول الله ﷺ وأصحابه في القرون الثلاثة لانسمع عنهم ما تروونه عن المتأخرين من الصوفية بعد
الصدر الأول . أرى رسول الله ﷺ يأكل ويشرب ويتزوج وهكذا أصحابه والتابعون فلماذا أرى المسلمين بعد
الصدر الأول قد اختطوا خطة أخرى فهم من يأمر بتلاميذه بالجويع تهريجا حتى يأكل كل أربعين يوما مرة
واحدة ويترك بعضهم المال فلا يقننه . وبعضهم يصير عالة على الناس وهكذا بما هو ظاهر معلوم بل بعضهم
يرقصون رقصا دينيا وهم الملوية وقد وصلت لهم الأوقاف في مصر حتى ان ناظر الأوقاف أخبرني بأن لهم
(٧٠) جنينا كل شهر من الأوقاف . ثم فكرت في هذا الأمر فوجدت المسيحيين سبقونا بأمر يشبه هذا
وذلك هو الذى ستره في سورة الحديد من معجزات القرآن الكريم إذ يقول تعالى - ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم - والرهبانية من الرهبة والخوف إذ كان رجال الدين المسيحي يخافون من الملوك الوثنيين
فكانوا يزهدون ويتركون التزوج ويستكفون في الجبال ويننون هناك الصوامع فهؤلاء الرهبان لم تعلموا
ذلك من المسيح وانما ابتدعوها ابتداء اضطروا اليه اضطرارا والله يقول - ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء
رضوان الله - وهذا هو الذى جاء به الكشف حديثا فأنك ستري ما أسأله هناك من كتاب (الخريدة
النفيسة في تاريخ الكنيسة) الذى ألفت في عصرنا الحاضر من أن علما دينيا مصريا في القرن الثالث المسيحي
هو الذى خاف من جهره أن يقول للحكومة المصرية إذ ذاك انه من أتباع المسيح فترده وترك النساء وعبد
الله في الجبال فنجأ . ثم ان هذه البدعة صارت من قواعد الدين . ويقول المسيحيون القبط بمصر انهم لم
يعرفوا هذه الحقيقة إلا في أيامنا هذه ونحن نقول ان هذه من أكبر المعجزات في الاسلام فان هذا الابتداء
لم يعرفه الناس إلا في هذه الأيام مصداقا للقرآن . وللهم في هذا المقام أن أقول فعل ابتداء تقليل الأكل
واعترال الناس وترك المال بعد القرون الثلاثة الأولى في الاسلام كان أشبه بما ابتدعت النصارى من الرهبة
فأولئك ابتدعوا الرهبة للفرار من ظلم الملوك فصارت من الدين وهؤلاء ابتدعوا تقليل الطعام والاعتزال عن
الناس والبحث عن الأسرار إذ وجدوا الشهوات قد اغتالت الأمم الاسلامية . وإذا قال الله تعالى في الرهبان

- فإرعوها حق رعايتها - فهل المسلمون راعوا التصوف حق رعايته . المسلمون ابتدعوا طرائق جديدة في التصوف غير طرائق أكابرهم الذين ذكرهم القشيري في القرن الرابع في رسالته . فهل هذه الطرائق التي ابتدعوها راعوها حق رعايتها . ألم تنعرف انحرافا قليلا أو كثيرا بعد القرون الأولى بل ألم يكن أكثر العاطلين والجاهلين وعباد المال والمنصب والمرشدين للفرجة أن يحتلوا البلاد منهم . نعم هذا هو الذي حصل في أم الاسلام حقا وصدا . إن كثيرا من الصوفية قد تنعموا وعاشوا في رغد من العيش وأغدق الناس عليهم المال من كل جانب وجبت اليهم الثرات . وهوت اليهم القلوب . لما ركز في النفوس من قربهم الى الله . فلما راوا الفرجة أحاطوا بالمسلمين لم يسعهم إلا أن يسلموا لهم القياد ليعيشوا في أمن وسلام وهذا هو الذي حصل في أيامنا وذكره الفرنسيون في جرائدهم قبل الهجوم على مراكش وقرأناه نحن فيها إذ صرحوا بأن للمسلمين خاضعون لمشايخ الطرق وأن الشرفاء القائمين بالملك في تلك البلاد ورجال الصوفية هم الذين يسلموننا بضاعة فعلى رجال السياسة أن يصدقوا النعم على مشايخ الطرق وعلى الشريف الذي يملك السلطة في البلاد . وقالوا هكذا بصريح العبارة (إن هؤلاء جميعا متمتعون بالعيش الهنيء ورغد للعيشة في ظلال جهل المسلمين وغفلتهم حتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم فهم يكونون معنا ويشاركوننا في جر المخم وبصريح العبارة يكونون أشبه بالفرسان والنسور والعقبات التي تأكل ما فضل من فرائس الآساد والنور) . ولقد مررت بهذا في سورة البقرة ولكن الكلام هنا أوضح لاسيما ما استراه في نفس هذه السورة عند قوله تعالى - وما كنت متخذ المضلين عضدا - فسترى هناك مسألة حسن بن الصباح وتعالجه ومنه الناس من قراءة العلوم وأن طريقته لا تزال متبعة الى الآن في الهند . أقول هذا هو الذي كتبوه في جرائدهم وقرأناه في زمن الشباب ولقد فندهم الفرنسيون بالدقة وملكوا البلاد وتعاونت أم الفرجة على ابتلاع تلك الممالك . حجة الله لا تزال قائمة على عباده فهل تحب أيها القارئ أن أسمعتك بعض ما طلعت عليه بعد ذلك . لقد ذكرت لك في سورة الاسراء عند قوله تعالى - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - أن صاحب كتاب (الأبريز) الفاضل الشيخ أحمد بن المبارك تلقى عن شيخه الأمامي علوما وذكرت بعضها هناك . فملكك تسر إذا رأيت ما ذكرناه هنا بطريق الاستنتاج قد صرح به ذلك الصالح الأمامي . الله تعالى هو الذي أرسل نور الشمس والمطر والهواء والظنور دائم والهواء محيط بنا . إن النعم تحيط بالناس ومن اطلع على هذا التفسير أيقن أن الله لم ينز غلا ولا حشرات ولا حيوانا ذريا لآراه العيون إلا دبر أمره تديرا خاصا . فإذا كان الله عز وجل حاضرا عند كل حيوان صغير فهو لاجرم راعي أمته الاسلام في كل زمان ومكان . علم الله أن الجهل فشا في الاسلام وقل العلماء بعد ذهاب السولة العباسية وأخذ الناس العلوم عن جهال المجاذيب ومشايخ الطرق فألقوا اليهم الأكاذيب والأساطير والغرافات باسم الدين . فإذا فعل الله تعالى لقاء هذا . ألمهم رجلا لاعلم عنده بالدين أن يعلم أكبر كبار علماء الاسلام في ذلك الوقت وأفاض عليه العلم حتى يأخذ المسلمون عنه العلم وذلك في القرن الثاني عشر الهجري وذلك ليس أمرا بدعا فان علم الأرواح أثبت اتصال الناس بالأرواح . وقد اشتهر في أمريكا وأوروبا هذا العلم فآقرأه في كتاب (الأرواح) تأليفه فينك ترى غلاما صغيرا جاهلا أكل رواية مات مؤلفها قبل انعامها في جلسات روحية بحيث يسكت القلم وروح المؤلف التي ماتت فتمسكت عليها وكتبت فوق ألف صفحة وانتشرت تلك الرواية وذلك كثير مشهور . علم الله أن بلاد الاسلام خلت من الحكمة والتأنيب من المسلمين كالعلامة أحمد بن المبارك بما كشف قد درسوا كتب الفلسفة القديمة وتمصلوا من العلوم الشرعية فألمهم الله ذلك الأمامي الشيخ عبد العزيز الدباغ علوما تظهر بعض الحقائق والتي يهنا في هذا المقام أن نذكر ما جاء عنه في أمر الصوفية وتاريخهم . ومماثل هذا الشيخ في ظهور العلم على يدية بلانعلم في الأمة الاسلامية إلا بكل الدين الاسلامي في البيانات مع الفرق بينهما وإنما هو تنظير لا غير فان الكشف الحديث قد أظهر أن أدیان الأمم

مقتبسة بعضها من بعض وأن التلث متوارث ينقله كابر عن كابر كما تقسم في آخر سورة (المائدة) وكما سأتى في سورة (مريم) فالتى في (المائدة) أن التلث دين هندى والذى في سورة (مريم) أن التلث دين بابلى آشورى وفى الوصفين إيضاح تام منقول من الآثار التى عرفت حديثا فاقراءه تر الجب الجباب
هناك أرسل الله نبيا أنيا لم يقرأ تلك الديانات لتلا تعلق بذنه فتفتح عنه قبول الوحي فصدح بالحق وقال أيها الناس الله واحد . فهكذا هذه الأمة الإسلامية علم الله أن كل عالم اسلامي لا يقرأ إلا كتب أسلافه المصنفة فى الأصول والفقه وبعض شذرات من الفلسفة القديمة المضادة للدين . هناك أفاض بعض العلوم على قلب هذا الشيخ النبى لم يتعلم فأدهش علماء الاسلام . وسأقل فى هذا الكتاب بعض مما قاله عالم يكن معروفا إذ ذاك وظهر فى الكشف الحديث ان شاء الله تعالى . وأهل هنا ما يناسب ما نحن فيه وهو ملجاء فى صفحة ١٩٣ من الكتاب

سأل (الشيخ النبى) بعض الفقهاء عما قاله الشيخ (زروق) أن الترية انقطعت بالاملاح ولم يبق إلا الترية بالهمة والحال فضلكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان الخ . فأجابه بما ملخصه ان مقصود الترية تطهير الذات بزالة الظلام منها وقطع علائق الباطل عنها ثم قسم الطرق لقطع علائق الباطل الى (ثلاثة أقسام) القسم الأول (طريق السلف الصالح قد كانوا فى القرون الثلاثة الأولى لا يصرفون وقتا تطهير نفوس تلاميذهم قال وإنما يلقى الشيخ مريده وصاحب سره ووارث نوره فيكلمه فى أذنه الخ (القسم الثانى) ما كان بعد القرون الثلاثة الأولى إذ فسدت النيات وعمت الشهوات الخ فأمرهم بالخلوة والذكر وبقليل الأكل لينقطع بالخلوة عن المبتلين الذين هم فى عداد الموتى وبذكر يزول الكلام الباطل واللهو والغفوة بقلة الأكل قل الشهوة فيرجع العقل الى التعلق بالله ورسوله الخ (القسم الثالث) قال لما استخلص الحق بالباطل صار أهل الباطل يربون من يأتيهم بادخال الخلوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق . وقد يضيفون الى ذلك عزائم واستعدادات تفضى الى مكرائه واستدراجاته . ثم قال إن الشيخ (زروق) لما رأى هذا نصح بالرجوع الى الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقص . قال وهذا خرج مخرج الاحتياط والا فالبركة باقية الى يوم القيامة الخ . انتهى باختصار جملع لما فيه من المعاني

(سؤال آخر من هذا الفقيه)

وجاء فى صفحة (١٩٦) أن هذا الفقيه سأله أيضا قائلا (أيهما أفضل لطريقى الشكر أم طريق المجاهدة والأولى طريقة الشاذلى إذ يأمر بالشكر والفرح والثانية طريق أبى حامد محمد الغزالى وهذه الطريقة تحت على الرياضة والتعب والمشقة والسهر والجوع) فأجابه بأن كلا من هاتين الطريقتين لها فضل ولكنه فضل طريقة الشكر على طريقة المجاهدة . وجعل ان المجاهد بالسهر والجوع وقلة الطعام يعانى ما يعانى ليعنى نفسه قاصدا أن يرضخ الله عليه فيطلع على ما لا يعرف غيره . أما طريقة الشكر ففى التسليم لله وذكره فى كل لحظة فلا يحول عنه كل حين . وهذه الطريقة لا يقصد سالكها إلا حب الله لا شئ سواه فلا هو طالب الاطلاع على أسرار كالمجاهد ولا هو متوان فى ملاحظة جناب الحق . وما حمل المجاهد إلا باب من أبواب الحفظ النفسى إذ كشف الحجاب لئلا يصرف المرید أوقاته لئلا يلهيها . فأما الشاكر فان كشف له الحجاب فانه لم يعمل لأجله بل عبد الله حبا فيه لا طلبا لئى سواه . ومتى كشف الحجاب عن نفس المجاهد ربما انقلب على عقبيه وفرح بما نال من الفتح واغتر بما يشاهد من العوالم ويرى أن ذلك هو الغاية وهذا من - الأخسرين أعمالا الذين ضلّ سبيهم فى الحياة الدنيا - . ثم قال ومنهم من تنبّل نيته بعد الفتح بفرجه الله ويأخذ بيده وهذه الحالة التى حصلت لهذا بعد الفتح هى التى كانت البداية فى طريق الشكر . ثم قال فيا بعد ماين الطريقين وتبين ماين المطلبين . فطريق الشكر سبب القلوب وطريق المجاهدة سبب الأبدان

وأعرب بعد ذلك عن أن هذا القول لم يقصد به إلا التعليم العام ، وأما العلم الشرعي فهو العلم الخاص بالدين

قال وطريقي الشكر لا ينال الفتح فيه إلا المؤمن العارف الحبيب القريب بخلاف الفتح في طريق المجاهدة فإنه يكون للرهبان وأجبر اليهود فإن لهم رياضات يتوصلون بها إلى شيء من الاستراحت . ومن قوله أيضا (إن النية في طريق الرياضة مشوبة وفي طريق الشكر خالصة والفتح في الأولى إنما ينال بحيلة وسبب والفتح في الثانية يكون هجوبيا . قال وما هذه الطريقة إلا تطبيق القلب بالله عز وجل والموافاة على ذلك وإن كان في الظاهر غير متلبس بكبير عبادة ولذا كان صاحبها يصوم ويحذر ويقوم وينام ويقلب النساء ويأتي بسائر وظائف الشرع التي تضاد رياضة الأبدان . وقال مرة أخرى والمهجرة في طريقة رياضة الأبدان قصد بها الفتح ونيل للراتب ثم بعد الفتح منهم من يبقى على نيته الأولى فيقطع قلبه مع الأمور التي يشاهدها في العوالم ويفرح بما يرى من الكشف الخ ما تقتضيه . انتهى

وهذا جيب مجاب . ثم انظر كيف أعلن الوهاية في زماننا أنهم يقتنون طرق الصوفية بلا استثناء ويرون أنها حادثة عن الصواب كما شرحه العلامة ابن تيمية واعترض على الامام الغزالي وعلى ابن الفارض

(فتاوى الشيخ الخوفاص للشيخ الشرعاني)

الآن ذهب مذهب أبيه الذي كيف تكون هذه الآراء في أم الاسلام وتبقى مدفونة في الكتب يقرؤها الناس ولكنهم لا يدعون إلى ما فيها من الآراء وتجد رجال الصوفية يجوبون البلاد ويهيمون على العقول ويستون المسالك أمام المسلمين ويمنعونهم من العلم الصحيح إلا قليلا منهم والله عليم بالفسدين . فانظر كيف كانت فتاوى ذلك الشيخ الذي لم يتعلم علما ثم وازن هذا القول بما حكاه الشيخ الشرعاني قبل تاريخ الشيخ السباع عن شيخه الخوفاص الذي لم يقرأ ولم يكتب

جاء في كتاب الشيخ الشرعاني المسمى (درر الخوفاص) على فتاوى سيدي علي الخوفاص (ما يأتي سألني عن قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا قال (رأيت ربي عز وجل فقلت له : بم يتقرب إليك المتقربون قال يا أحمد بكلامي فقلت يارب فهم وبغير فهم فقال تعالى فهم وبغير فهم) انتهى

فأجابه ان الفهم خاص بعلماء الشريعة المطهرة وأما غير الفهم فذلك هو الكشف للعارفين وعلماء الحقيقة لأن العلم يفاض عليهم بالنور وليس ذلك ككشف الصور إلى أن قال واعلم أن الله تعالى قد أخبرني في كتابه عن أقوام فقال - إنهم إلا كالأنام بل هم أضل سبيلا - وأخبرني عن أقوام من أمته يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فكيف تكون هذه الأقوام متقربين إليه وكيف يتقربون بسم العلم الذي هو الجهل هذا عجيب والله أعلم انتهى

قال ثم سأله عن مقام المجاذيب في الجنة . فأجاب ان المجاذيب ليس لهم مقام هملي فليس لهم في الجنة الأعمال نصيب ولكن لهم نوع من التمتع فيجنون به . ثم قال بل أقول ان السوقة وأرباب الحرف والصنائع أعظم نفعاً من المجاذيب لقيامهم في الأسباب النافعة لغيرهم ولكثرة خوفهم من الله تعالى إذا وقعوا في ذنب ولا يرون لهم عملاً يكفر ذلك الذنب أبداً مع احتقارهم نفوسهم وعدم رؤيتهم لها على أحد من الخلق فضلاً وهذه الصفات عزيزة في أهل الجبال الخ

ثم قال وسأله عن قول بعضهم ان الفقير إذا عرف الله لا يؤثر فيه لأقل من طعام الناس نقصا . قال ان المدد يتلون بحسب القلب والقلب يتلون بحسب الطعمة وفسادها . ثم قال ان الله لينطق على لسان عبده بحسب مضته فإن كان طاهر القلب من سائر الرذائل كان كلامه شبيهاً بالوحي وإن كان ملطخاً بالقاذورات نطق بما يشبه كلام الشياطين ومنعه من أخذ الهدية إلا بمقابل لها ولو بالهدايا في أوقات الاجابة وسأله عن الأنبياء هل يتخذون واسطة . فأجابة قائلا لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبداً من نبي أو غيره

لأن الرسول إنما هو واسطة بين العبد وبين الرب في الدعوة إلى الله لا إلى نفسه فإذا وقع الإيمان بالنبي هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله ولم يبق للرسول إلا حكم الإفاضة على العبد من جانب التشريع والاتباع كما في حال المناجاة في السجود فنفس الرسول يشار أن يقفوا معه دون الله فإنه تعالى يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ كما حصل له الأجر على ذلك كما أشار له ﷺ بقوله (من سنّ سنت حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها) الحديث وانظر إليها الأخ إلى غيرة الحق تعالى على عباده لقوله لسيدنا محمد ﷺ - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - فأعلمنا الله بأنه أقرب إلينا من أنفسنا ومن رسولنا الذي جعله تعالى واسطة لنا في كل خير علم أنه تعالى بالغ في مدحه ﷺ حتى كاد يصريح بأنه هو لكثرة ما وصفه بالكمال في نحو قوله تعالى - من يبلغ الرسول فقد أبلغ الله - وبقوله - إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله - ومع ذلك قال له - ليس لك من الأمر شيء أو يتوب أو يعتد بهم فانهم ظالمون - الخ

وعما يناسب هذا ما ذكره الشيخ أحمد بن المبارك في كتاب (الابريز) المتقدم ذكره أنه سأله قائلا لم استغاث الناس بالصالحين دون الله ويحلفون بهم . فأجابه بأن الناس انقطعوا بطنا عن ربهم وأظلمت قلوبهم وأظلم في ذلك . ثم قال وعما بذلك على كثرة للتقطيع وزيادة الظلام في ذواتهم أنك ترى الواحد منهم يؤذي الغرام إلى ضريح الأولياء ولا يعطي فقيرا من الفقراء الذين يقابلونه حاجة وهذا أقبح ما يكون وسبب ذلك أن الصدقة لم تخرج لله وإنما قصد أن يخص بها الولي ليقضى حاجته . ثم أفاد أسباب انقطاع هذه الأمة عن الله عز وجل وأبان الذنوب الشاغلة للناس حتى نسوا ربهم . انتهى

أقول وماذا أذكر كركبها الذكر بما قسم في سورة (المائدة) إذ ذكرت هناك محادثة المسيح عليه السلام مع الحواريين ومواقفه عليهم من ذلك النبي الذي سبقه وأنكر على الأعمى حبه له . فكلما ألقى الأعمى في السؤال عنه وهو لا يعلم أنه هو أجابه بأن من سأل عنه سجد بينك وبين الله فأرجع إليه هناك فإنه هو روح ما ذكره الشيخ الخواص . وأنا أقول ما كنت أظن قبل هذا اليوم أن أحدا من علماء الإسلام صرح بذلك قبل ابن تيمية والرواية وعجبت كل العجب أن يكون من علماء الصوفية من يقول هذا القول . واعلم أيها الذكر أن الله عز وجل قد جعل هذا التفسير في هذا الزمان الذي ظهرت فيه مفاسد ومصالح وعلوم لم تكن فيما مضى . فالخواص والشعراة وابن المبارك والباغ كل هؤلاء في القرون المتأخرة وهذه نعمة من الله على هذا التفسير فله الحمد على التوفيق . وانظر كيف يفضل الخواص الصناع على المجاذيب ويجعل أرباب الصنعة أفضل منهم وهذا هو عين ما جاء هذا التفسير لأجله . ولذا أحسن مصطفى باشا كمال صنعا إذ أقفل التكالبا وأخرج من فيها لينفوا أمتهم بأعمالهم

إن الله عز وجل ألهم هؤلاء الصالحين أن يلتقوا هذه العلوم على أتباعهم وبقي ذلك في الكتب حتى اطلعنا عليه ولكن ثمرة أفكارهم ستظهر في زماننا هذا وستكون هذه النهضة الحقيقية بعد انتشار هذا التفسير إن شاء الله تعالى فهو الذي جمع زينة آراء العلماء وأتم على وشرح صدرى بنقلها لعله عز وجل أن المسلمين لا يقتنعون غالبا إلا بأن يسموا كلام الأكراب وهذا في العامة . أما الخاصة فلا يسمعون إلا آراء الفلاسفة لاسيا علماء أوروبا . وهذا الكتاب والحمد لله قد أعطى النعمتين ليرضى الفريقين وأن طريقة الشكر يقرب منها هذا التفسير والله عز وجل هو الملهم للخير وهو الجواد الكريم والحمد لله رب العالمين . انتهت هذه الفريدة يوم الخميس ٣٠ رمضان سنة ١٣٤٦ هـ

(فوائد الفريدة الأولى)

(القائمة الأولى) أن الطرق التي انتشرت في الإسلام بعد الصدر الأول جاءت لتصفية النفوس ولكن

هذا السواد انقلب داه فليرجع الناس الى نفس القرآن والسنة كالصدر الأول

(الفائدة الثانية) ان الحلو والسهر وترك الطعام أصل التصدي بها الاطلاع على ما وراء الحس وهذا منموم بل يصرف القلب عن الله وطريق الشكر أفضل منها لأن التصدي منها كمال النفس وحب الله لاحب الاطلاع على الغيب الذي هو شأن الكهان والعرافين وصغار النفوس . وأذكرك بما تقدم في سورة الأنفال عند قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - فقد أوضحت هذا المقال هناك بما فتح الله به وهاهنا كلام الصالحين قد أبدع تأييدا فأقرأه فيسند شرح صدرك بما ترى من الموازنة الثابتة فالجدة التي وفق وشرح الصدر هو الحكيم العليم وهدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

(الفائدة الثالثة) ان قراءة القرآن بلا عقل منمومة والرواية للمروية عن أحد بن حنبل إمام باطلة وإمام مؤولة (الفائدة الرابعة) ان الصانع لهم مقام في الجنة أعلى من نصب المجاذيب لأنهم ينفعون الناس بأعمالهم وهذا هو الذي حث عليه هذا التفسير كثيرا وبه ظهر بطلان الفكرة العاتية في بلاد الاسلام وهي أن الاقطاع عن الناس أو الاعتكاف على العبادة هما المقصودان من الاسلام

(الفائدة الخامسة) ان تعلق القلب بالناس في أمر الرزق صارف للقلب عن الله وعن العلم (الفائدة السادسة) ان المسلم يجب عليه بعد الايمان برسول الله ﷺ أن لا يجعل بينه وبين الله واسطة بل يكون القلب معطفا بربه لا يصرف عنه صارف وهو أقرب اليه من جبل الوريد فيقول - إياك نعبد - ويقول (اللهم لك سجدت) وأيضا النبي ﷺ لا يرضى من المسلم أن يجعل واسطة بينه وبين الله في العبادة لأنه دله على الله وهو عبده رأسا والفضل في ذلك له ﷺ

هذه (النوادر الست) لم يكن يضطر بفكر أكثر المتعلمين في ديار الاسلام أنها في دين الاسلام بل هذه قلب أفكار أهل العلم جميعا لأنها صادرة عن معتقدتهم أكثر المسلمين . وأنا أعجب أن تكون هذه الصراحة عند رجال الصوفية والناس عنها غافلون . وليس يزيل الخرافات من بلاد الاسلام إلا الاطلاع على تاريخ العلوم ومنها التصوف

(علماء الألمان يعرفون حقائق التصوف وتاريخه والمسلمون نائمون)

من عجائب الحكم الالهية أن خمسة علماء آواضيوا في بلاد مصر وأما كتب هذا الموضوع . ثلاثة منهم يعملون الفلسفة الشرقية في جامعات ألمانيا واثنان من الانجليز يعملان تلك الفلسفة . أحدهما في انكلترا . والثاني في (اسكوتلانده) فحدثهم أحد مكاتب الصحف المصرية وهذا نص المحادثة

ظننت في أول الأمر أنهم قنعوا بمشاهدة بعض الطرق وقد عرفتهم النشئ الكثير عنها فإذا بهم يريدون أن يشهدوا جميعها وأن يعرفوا كل شيء عنها وقد تم لهم ذلك أو كاد . وقد أدهشني منهم ما علمت أثناء الحديث من أنهم درسوا كل شيء عن التصوف والصوفية في الصدر الأول بل الأدهى من ذلك أن أحدهم يحفظ من كتاب (أحياء علوم الدين) للامام الغزالي أضعاف ما يحفظ مدمنو قراءته منا وآخر منهم يعلم كل شيء عن آثار الحسن البصري والجنييد والامام جعفر الصادق . والبعض الآخر يعلم من أمر السيد أحمد الرفاعي والسيد عبد القادر الجيلاني والسيد أحمد البدوي وسيدى ابراهيم النسوق أكثر مما تعلم نحن المسلمين بل طرق التفهم مع الثقة في الاستقراء والاستقصاء . سألت أحدهم هلا يقصد شيخو الصوفية لتلاميذهم دروسا في التصوف ونشأته وتاريخ أطواره في الاسلام . فأجبت بأنهم يعلمونهم بقدر ما يعلمون . وقال آخر هل يدرس التصوف في الأزهر . قلت نعم ولكن مع عدم اعتباره علما أساسيا . قال وهل يدرس في الجامعة المصرية قلت نعم تدرس الفلسفة الاسلامية . قال وهلا يحاضر عن غير الامام الغزالي من فلاسفة الاسلام . قلت قد يكون ذلك بعد هذا العام بحيث يفرد بكل عام فيلسوف مسلم . قال وابن رشد . قلت وجعفر بن الطليل

قد يكون لها نصيب من عناية أستاذ الجامعة . وهنا قال . هل تستطيع أن تطلعني على مقدار ما وصل إليه درس الاستاذ في فلسفة الامام الغزالي . قلت لا أستطيع لأن دروسه لم تقع بعد . قال يؤخذ من مجمل إجابتك أنك لا تفهم بدرس الفلسفة الاسلامية مع انها تروى عظيمة من ثروات تعاليم الاسلام . قلت سمعني ان شاء الله ولكن جملتنا حديثة النشأة وستؤي آكلها بصددين وأسأل الله أن يكون شيئا حتى اذا وفدت استطعت أن تجد من يجد ذلك عن الفلسفة الاسلامية والتصوف الاسلامي ومبلغ علاقتهما بالفلسفة الحديثة . ثم اطلعني أحد العلماء الألمان على سبع كراسات مطبوعة احتوت مباحث في فلسفة الغزالي قفلت في نفسي ليتها تعرب ليدرسها الطلبة والعلماء ما داموا قد أضربوا عن إحياء كتاب (إحياء علوم الدين) وغيره

أما بقية فلاسفة الاسلام فعل فلسفتهم في مصر الغفاء ما دام لا يضي بها أحد ولا حول ولا قوة إلا بالله ومن يجب أن يحضر هؤلاء العلماء على دراسة تاريخ التصوف فان ذلك هو الذي يزيل المفارقات كما جاء في هذه الفريدة عن الشيخ (الشيخ) الذي أجمل تاريخ التصوف . انتهى

(الفريدة الثانية في قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنباوهم أياهم أحسن عملا •

وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جزا • أم حبت - الخ مع قوله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وقوله تعالى - ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها

لنناظرين • وحفظناها من كل شيطان رجيم -)

ولأجل الكلام في هذه الفريدة في (ستة فصول • الفصل الأول) في بهجة الجبال في قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - وبيان حكمة التأكيد بان اللام من جبال علوم الطبيعة السارة

لنناظرين (الفصل الثاني) في قوله تعالى - وجعلناها رجوما للشياطين - (الفصل الثالث) في بيان قوله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده - الخ (الفصل الرابع) في قوله تعالى في هذه السورة - لنباوهم أياهم أحسن عملا -

(الفصل الخامس) في قوله تعالى - وزيناها للنظرين - (الفصل السادس) في قوله تعالى بعدها - أم حبت - الخ وبيان الصلة بين الآيتين

(الفصل الأول في بهجة الجبال في قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها -)

اعلم أن ماعلى الأرض من العجايب لاحصره ولتقتصر في هذا المقام على (صنفين) من الجبال وعجايب المخلوقات (أولهما) عجائب الجبال في الماء (ثانيهما) عجائب الجبال في الهواء

(الصنف الأول عجائب الجبال في الماء وغرائب)

قد تقدم في سورة الأنعام عند قوله تعالى - هو الذي أنزل من السماء ماء - عجائب الثلج القطبي وأن هناك جبالا من الثلج تعوم على سطح الماء وهناك في بلاد (لابونيا) و (المسكوف) و بلاد (الاسويجيين)

الثلج المصقول السميك الصلب المسهل للسير وأن الثلج يكون عند القطبين على الأرض ثم يرفع يسيرا يسيرا حتى يبر على ارتفاع (١٣) ألف متر عند قرب خط الاستواء وهكذا يأخذ ذلك الخط في الانحطاط حتى يبلغ القطب الجنوبي وهناك ذكرت لك ألوان ماء البحر وانها تكون ذات ألوان بهجة فبا بين المدارين وهكذا

ذكرت المياه للمدينة النامية من الأرض واختلاف أوصافها . فهناك اليوم عجبا عجبا لم يذكر هناك . أذكر لك اليوم من جمال الله عز وجل الذي اختره وأزله الى هذه الأرض واختص به وقال انظروا وفي هذه

السورة يقول (إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - . فلذا قلنا فيما تقدم في الأنعام ان الثلج يكون في الجوف دائما فكما يدوم في القطبين على وجه الأرض يدوم في الارتفاعات المختلفة المذكورة هناك . قول هنا ان

الثلج المرتفع لا تؤثر فيه حرارة الشمس في خط الاستواء إلا قليلا كما ذكر العلامة (برت) فهو الذي يقاله فتح لي الباب على مصراعيه هنا وقلت للصومنة . وقد قال لاشئ من الأعمال العجيبة الطبيعية تلفت النظر وتدعش اللب وتحدث المسرة بالفكر الجليل أكثر من مظهرين فآخرين وهما (١) ينابيع الماء الحار

(٢) والمقادير المأخوذة من الجليد . فينايح الماء الحار نعيم في (١) الأقطار الثلجية بأبدع منظر وأبهج
سناه وفي (٧) (زيلندا الجديدة) (٣) وفي أمريكا الشمالية كمثل أرض الاحجار الصفراء فيها (شكل ١)



(شكل ١ رسم الينابيع الحبيب الحار الفاخر في أرض الجبلرة الصفراء في أمريكا الشمالية)

فأما المقادير الهائلة من أجواف الجليد فهي عبارة عن أنهار عظيمة عملاقة بالتليج بدل الماء وهذا التليج يشعرك بالتدريج حوالى جوانب الجبل ثم يأخذ بالتدريج فى التوطين بالحرارة التى تتخلله أثناء سقوطه فى الوادى كما يمتد بالتدريج من تلك للمملكة الثلجية فى الجوف على الجبل . وهذه الأنهر الثلجية تكون فى (سويسرلند) أوفى (نرويج) وهذا أصغر وأقلّ جدًا من تلك المقادير الهائلة من التليج التى تم داخل أرض (الجزيرة الخضراء) ومن التى كانت قديما قد غطت أرض الجزائر البريطانية وغطت أرض قارة أوروبا بأكملها وليس الجبال فى ذلك والبهجة فصرين على محاسن المناظر الحسية . كلابل أن العقل ليقتف أمام تلك المناظر مسعورا . وكيف لا يسعر العقل وقد رأى حادثين غريبين (أحدهما) أن القطع الثلجية نزلت من أعلى الجوف وأضواء الشمس المحرقة تتخلل تلك القطع الهائلة ولا تذيبها . فكيف مرّت تلك الجروف الباردة وسط الحرارة المحرقة فى خط الاستواء التى دلّنا على ممالك واسعة النطاق ثلجية . وكيف اجتمع القيضان حار وبارد وما أفر الأول على الثانى . وسترى صورة تلك التلوج المنزلة من أعلى الجبال فى سورة النور عند قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ (ثانها) تلك الينابيع الحارة التى نبتت من بين التلوج المتراكمة على الأرض . فهناك صورة الينابيع الحارة فى الأقطار الثلجية (شكل ٢)



(شكل ٢ - رسم الينابيع الحارة فى الأقطار الثلجية)

فهذه هى الغرائب التى تسعر العقل وتبهجه . هذان نهرا نهر حارّ نبع وسط البارد وتليج بارد نزل وسط الحرارة . إذن تلك الينابيع الحارة الهائلة لها مخزن عظيم تحت وجه الأرض لا يبرده . وهذه الينابيع لقوتها اختزنت التليج كما يخزن العالم طبقات الجبل فى أمته ويليقي اليهم العلم فى نبع جوفهم البارد وذلك لأن البواطن أساس الظواهر ففى اتقاد الباطن بالحكمة أثارت الظواهر فأدّفتها قال تعالى - ولقد صرفناه بينهم ليزكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا - ويقول تعالى أيضا - وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج

وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - فإذا كان الله لم يخلط البحر الملح بالخلو وهما متباوران فها هو هنام يخلط البحر الحار في باطن الأرض الذي لم نعرفه إلا من تلك الينابيع الحارة التي شاهدناها بالثلج التي فوق سطح الأرض بل اخترق الحار البارد ولم يختلط به وطار إلى الجوق حارا كما هو وهذا من العجب . إذن ذكر الملح والعذب في الآية تنبيه على التمييز وجعل كل واحد منهما مستقلا عن الآخر إذ جعل الله بينهما حجرا محجورا . وهذه الينابيع نابعة صاعدة في الجوق رها الانسان كأنها الألباس البديع اللون الحسن الشكل لما تخلل الماء من المواد التي لذا قابلت الشمس عكست لونا بديعا فذلك ذكرنا هذه هنا إذ صارت حلية للأرض وزينة لها وبهجة فأرضنا كمروس زينها الله لنا وقال يعقوبى انظروا هذه الحسناء الجميلة وانظروا أقرائها من اللبس قد تدلى وظهر يبهاء وسناه وهذا القرط دائم لينظره العاشقون . وإلى هنا انتهى الكلام على الصنف الأول

(الصنف الثاني في عجائب الجبال في الحيوان)

أذكر ك أبا النكي بما تقدم في سورة الرعد إذ ذكرت هناك عند قوله تعالى - ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله - الخ الصوت والحركة والنور وماسبب تكون الحرارة وأن الضوء مكون من سبعة ألوان أدها الحرارة وأعلاها البنفسجية . وهناك أيضا بعض الألوان وعدد اهتزازات الضوء فيها وهنا أريد أن أشرح لك شرحا مستفيضا في جبال هذه الدنيا وكيف رأينا الله عز وجل جعل شمس أشبه بريشة المصور فكما يرسم المصور بريشته ويصنع بفكر وعقل ويخرج صور بديعة . هكذا رأينا - وفيه المثل الأعلى - لله هذه الشمس التي يطلعها صباحا ويضيئها عنا مساء فتجدها قد أبدع الله بها التصوير والنقش الغريب والجبال والبهاء والحسن في الإبداع . لقد ذكرت في هذا التفسير سابقا أن الله هو الذي أنزل القرآن وهو نفسه الذي أبدع العقول . فبينما نسمعه يقول في القرآن - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - الخ نراه قد فسر هذه الآية في أوروبا أي أنه ألهم قلوبا وقلوبا فدرسوا بعض هذا النظم وجاله . وقد اطلعت الآن في كلام (وليم اكرويد) تحت عنوان (مظاهر ما شيدته العلوم) على بهجة الجبال في نظام النبات والحيوان وأن الناس اليوم جميعا لا زالون أطفالا في معرفة أسرار الجبال في الحيوان والنبات وأن ما عرفوه اليوم وإن كان قليلا سيهرك أن تقرأ وترى رسمه وتعرف بعض سرّ قوله تعالى هنا - إنا جعلنا - بالتأكيد بأن واللام والتعيير ضمير العظمة في موضعين من الآية

لقد ابتدأ مقاله بالقاعدة المشهورة في الضوء وأنه مركب من (سبعة ألوان) وهي الأحمر والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي وأخذ يوضح أصر الألوان كما هو معروف . ذلك أن الناس فرضوا أن سطوح الأجسام على الأرض تنمى ألوانا من هذه السبعة وما فضل من امتصاصها تعكسه فتراه العيون . وضرب مثلا لتلك بالأجر الذي تبني به البيوت فإن عيوننا ترى لون الحرارة مع اللون البرتقالى قليلا فهذان اللونان هما اللذان نشاهدهما من الأجر الذي بنيت به بيوتنا . ومعنى هذا أن ضوء الشمس قد ابتلع الأجر منه خمسة ألوان وهي الأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي وعكس لونين اثنين الأحمر والبرتقالى فارتدا إلى أعيننا فقلنا هذا أجر برتقالى . وفي الحقيقة لالون للأجسام وإنما هي أضواء الشمس عكست عن الجسم . وأقول كأن هذه الظاهرة تفهمنا نظام هذا الوجود كله فأنك ستقرأ في سورة النور أن قطرة الماء مركبة من (٥٠٠) مليون مليون مليون مليون مليون جوهرفرد من الماء وأن هذه الجواهر كلها التي كوّنت منها قطرة الماء إذا حلت رجعت إلى (عشرين) أحدها) هو الاكسوجين (ثانيهما) هو الهيدروجين وكلاهما مركب من كهرباء مضية بحيث ترى الكهرباء السالبة في كل منهما تجري حول الكهرباء الموجبة دورات تمتد بمئات آلاف في الثانية الواحدة . إذن أصبحت المادة

كلها سواء كانت مده لم هواء أم مجلدة وحديدا مجلدة عن عناصر تبلغ نحو (٩٠) الآن . وهذه العناصر بتصليلها ترجع الى ضوء . إذن العوالم كلها نور في الواقع ونحن محجوبون عنه وانما ظهر لنا جوده وسيوكة وكونه جسما غازيا (كالجبر والماء والهواء) بتركيبنا ووضعنا في عوالم متأخرة . فما يقوله العلماء هنا من أن لون الأجسام لاحقيقة له وانما هو ضوء الشمس لاغير . هكذا يقول نظيره هنا عظماء الفلاسفة ان المادة لا وجود لها وانما الموجود هو نور تنوع فصار جواهر فردية وهذه بتنوع تركيبها صارت عناصر مختلفة والعناصر المختلفة كوتت منها هذه المخالقات في الأرض والسماء والنور ماهو الاحركات في الأثير . إذن المادة قوة فرجعت العوالم الى قوة وهي الحركة . واذن قول القدماء ان للمادة لادليل على وجودها هو عين قول علماء العصر الحاضر انها قوة . فاذا قال الناس بحسب الظاهر هنا مادة وهنا قوة فالحقيقة لاوجود إلا القوة وهذه القوة صارت حركة والحركة تنوعت فصار كبرياء ونورا والنور باجتماعه صار عناصر . ومن الأنوار ما يمكن بصدده من الألوان في كلام العلامة (وليم) الذي هو أصل كلامنا في ترجمة مائة في مجال هذا الوجود إذ قال (ليست دراسة الألوان في الحيوان سهلة بل لابد من أن يتدنى في البساطة قبل المركبات فاذا أحكمنا البساطة وفهمناها أدركنا سر المركبات فلندرس ألوان العناصر فاذا عرفناها أدركنا ألوان ماركب منها من حيوان ونبات . قال وهاك مثلا . إن المعادن المصدة مع الاكسوجين تحصل لها حال نسميها نحن (صدا) فهذا الصدا ماهو إلا اكسوجين الهواء اتحد مع معدن من المعادن كالرصاص والزنك ويقال لذلك المتحد اكسيد الرصاص واكسيد الزنك ولا اكسيد الزنك . ثم ان ألوان ذلك المركب وهو الاوكسيد تكون تابعة لدرجة الحرارة فنجد (أكسيد الزنك) لونه على الدرجة المعتادة برتقاليا مع الصفرة . ثم كلما ازدادت الحرارة يزداد تغير اللون تبعا لما فيصير أولا برتقاليا ثم أحمر ثم أسود بالتتابع والتدرج . ويصير ذلك قانونا مستويا ونظاما ثابتا تغير في الحرارة يتجه تغير في اللون . فهذا قانون لايتغير (الاسود . الأسمر . الأحمر . البرتقالى . الأصفر) وهكذا الى الأبيض . فالاسود أكثر حرارة وما يصد أقل والأبيض نهاية القوة في الحرارة فلايتشرب الألوان وبقية الألوان بين السواد والبياض على هذه القاعدة . نظر علماء الحيوان في أمره فقالوا هل ندرس الحيوان المتنلى . كلا ثم كلا . إن الحيوان المتنلى تحت سيطرتنا وتأثيرنا فلانبث إلا في الحيوان المتوحش فانه تحت التأثير الطبيعى فدراسته تبين لنا القانون الحقيقى وقد انضم الى ذلك ما نمت سيطرتنا من الحيوان اذا لم يكن لنا عليه تأثير أو كان التأثير قليلا . فلترقب ذوات الأربع اللاتي ترضع أولادها ولها على جلودها شعر . وقد وضعوا هذه القواعد بعد البحث والاستقراء . أولا ما انكشف للهواء من أجسام ذوات الأربع يكون أزهى لونا من ظهورها . ذلك لأن ظهر الحيوان أشد تعرضا للشمس من بطنه مثلا . ولاجرم أن ذلك تبع القاعدة المتقدمة فلون السمرة والسواد ناجم من شدة الحرارة والبياض وما يقاربه من الصفرة والحرارة ناجم من ضعف الحرارة على تفاوت في ذلك فلذلك يكون لون الظهر أقرب الى السواد الذى هو الغاية العظمى للحرارة . وضربوا المثال مثلا بحيوان (السنجاب) فظهره أسمر وبطنه وصدره أحمران والحرارة ابتعدت عن السواد درجة الى البياض الذى هو النهاية الصغرى للحرارة . ومثل هذا يشاهد في الجمار المعتاد الذى أجزاء ظهره أشد سوادا من بقية ظاهر جسمه . قال العلامة (وليم) وهكذا يشاهد في بقربنا المعتاد . قال ومن أراد أن يتحقق هذا القانون فلينز دلى الآثار فانه يجد هذه القاعدة تامة إلا قليلا يشذ عنها . ثم أخذ الكاتب يذكر ما زووقت يد القدرة وما أبدعت من الصور الهندسية في جلود الحيوان . قاعدة وضعها انتفى للمعادن التى صدمت أن يختلف لونها باختلاف الحرارة ومثلها ذوات الأربع فيكون ما تعرض للشمس من ظهورها أقرب الى السواد مما بعد عنها كبطونها . هذا ظاهر ولكن هنا ظهرت بهجة الهجاب إذ ظهرت فقط وخطوط هندسية متناسبة الأجزاء تناسبها تاما منتظما . فهذه خارجة عن القاعدة أبدعت على

شكل يهيج الناظرين . ولقد يقول العلامة (وليم) إن هذا العلم لا يزال في طفولته لم تنظم دراسته ولم تعرف حقائقه . فمن ذلك تلك الخطوط في رأس (عمرالبنغال) في بلاد الهند انها تقترب اقترابا بينا من النموذج الهندسي من حيث تناسب الأجزاء وأن الخطوط على أحد الجانبين جعلت لها نظائرها بهيئة جميلة من الجانب الآخر . ومثل هذا التناسب الجليل يشاهد في حمار الحبشة وفي حيوان آخر في الهند اسمه (تبر) وبعض المهر المزيلى . إن ذراعى ذوات الأربع للذكورة وربطها وذيلها معروضات الشمس لاسباب الذيل فهذه أكثر امتصاصا للضوء فتكون أقرب للسواد من بقية أجزاء الجسم والذيل أكثرها امتصاصا وسوادا (انظر شكل ٣)



(شكل ٣ صورة حمار الحبشة)

الآ ترى الى (السنجاب) المتقدم ذكره فانه اذا كان بطنه أحر وظهره أسمر فلن ذيله أسود . إذن الذيل يمتاز عن بقية الأجزاء . وقد وجدوا بالاختبار أن (٩٤) في المائة من الحيل السمركون ذيلها سوداء وهذا تنبؤ لقاعدة الذيل المتقدمة . وقد وجدوا أيضا أن لون الفكر أوضح من ألوان الاناث والقاعدة التي ذكرناها في ذوات الأربع موضحة سارية أيضا في الطيور والزواحف وفي بعض أدنى الحيوان أى التي ليس لها ظهر عظمى . فهذه ترى فيها الأجزاء المتناسبة والخطوط المنتظمة من الجانبين التي تشبه النماذج الهندسية وذلك كالحشرات . خذ مثلا تلك حشرة (أبى دقيق الطاووسية) . قال الكاتب (وليم) بحث

هذه الحشرة وانظر بمجانب ألوانها فكل جزء منها على سبعة الخلى والجمال البهيج من أحد الجانبين قد ازدان بنظيره الموازن له في الجانب الآخر . وهذه صورتها (شكل ٤)



(شكل ٤ صورة حشرة أبي دقيق الطاووسية)

ثم أخذ الكاتب (وليم) يصف الطيور قائلا إن ظهر الطيور يكون أشد سوادا من بقية أجسامها مثل ذوات الأربع ويظهر هذا ظهورا آتَم في الطيور المائية المنسوجة أصابعها . انتهى

فالظن كيف كان قانون الألوان ساريا في المعدن وذوات الأربع والطيور . فكل هذه نرى الأعضاء التي هي أكثر تعرضا للشمس كالظفر وكالتبيل تكون أشد اسمرارا وسوادا وبالعكس ما كانت أسفل البطن مثلا فهذه تكون أكثر ظهورا في ألوانها لبعدها عن السواد . ولكن البقى سقا له هذا للقال هو تلك القوش المدعة التي رأيتها في حمار الحبشة وفي حشرة أبي دقيق الطاووسى . فانظر الى السوار البديعة المتوارنة في الجانبين على وزن الحبل الهندسى الذى شرحناه سابقا في المجلد السابع في التفسير . فاذا كانت الحرة والسواد جارية على تلموس عرقته . فاهو التلموس الذى به أبدعت هذه القوش وزين هذا الحيوان المروى كما يزوق الطاووس . هذه هي الزينة التي أشار لها الله فقال - إناجلنا - فها هو ذا سبحانه يقول . ها أنتم أولاء يا أهل الأرض قد اعترفتم أن علم الألوان عندكم لا يزال في حال الطفولة بدليل أنكم لم تعرفوا من أين أتت هذه القوش فانه لو كانت الألوان راجعة الى تأثير الشمس كما في ذوات الأربع والطيور فلماذا يكون التزيين المختلف الأشكال البهيج في (غمر النغال) وفي هذه الحشرة . أيها الناس . إني أنا الذى وضعت القاعدة المعلقة لضوء الشمس وأردت تخالفة القاعدة في هذه الحيوانات لتعلموا أنني أألفنى صورتي هذه الصور وحليتها تلك الخلى ليتذكر أولوا الألباب . واعلم انه انما اختير هذا النوع لأن جماله أظهر وأبهى من جمال غيره من أنواع (أبي دقيق) وفي كل جمال . ولنعلم رسم حشرة (أبي دقيق) التي تقتسم في سورة التحل عند الكلام على اختلاف الألوان لتتفرع عجائب ربك وتفهيم حكمت وتجب عما ذكرهناك وذكرها فهناك قد ذكرت لك أن الحشرة الواحدة في جاسيا ألف ألف وخمسة آلاف بيت وكل بيت منها معلومة مادة ملونة في ذرات الفبار التي فوق أجنتها . ولما أن يكون علوا هواء وهذا الهواء متى وقعت الشمس عليه انعكس



(شكل ٥ صورة أخرى لحشرة أبي دقيق)

الفرشة العليا سبب اللون فيها مادة ملونة في تلك الآلاف من البيوت . والفرشة السفلى في بيوتها هواء
يمتلك النور كما علمت . فانظر لأنواع الجبال والتفنن في الحشرة وكيف كانت أولاها من أجلهم فهي كالطوارس
وكانت الثانية فيها مواد ملونة والثالثة ليس فيها إلا الهواء والنيجة الجبال وهذا بعض تفسيراتنا كيد في الآلة
يقول الله أيها الناس . إني جعلت للنور ناموسا وهذا الناموس يقتضي أنه كلما كانت قوة الحيوان أضعف
كان لونه أميل إلى البياض وكلما كانت قوته أشد كان أميل إلى السواد وهو هكذا بالترتيب (أبيض . أزرق
أخضر . أصفر . برتقالي . أحمر . أسمر . أسود) . فالرجل أيام قوته شعره أسود ومنى شاب أبيض شعره
والقام لا يحتمل التفصيل وقد علمت بعض التفصيل فيما مر آنفا . فإذا يقول الحكماء في تزويج حمار
الوحش وحشرات أبي دقيق المرسومات هنا وما هذا الإبداع في أجنحتها . الله أكبر . الأجنحة كما تقفم
مكشوفة للشمس معرضة لها . وقد تقفم أن هذه تكون أميل إلى السمرة والسواد فما هذه الحرة وما هذا
البياض . أين القاعدة إذن . ما هذا التزويج . الله أكبر . هنا ظهر الاختراع والإبداع . القاعدة
كانت تقتضي أن يكون الجناح لونا واحدا . ولكن الحكمة قضت أن تضع فيه مخازن وغلاء مواد ملونة أو هواء
والنتيجة النظام الجليل . هذا هو السبب في التوكيد . يقولون في علم البلاغة

جاء شقيق عارضا رحمه * إن بني عمك فيهم رماح

فشقيق لما ورد على بني عمه ورد عليهم غير مكثرت بهم وجعل رحمه بهية من لا يكثرث يبنى عمه كأنه
يمتدح لاسلاح معهم وكأنهم عزل من السلاح فهو يعلم أن عندهم سلاحا ولكنه لما لم يكثرث بهم نزل منزلة
من ينكر سلاحهم وقوتهم فلذلك قالوا * إن بني عمك فيهم رماح * هكذا هنا يقول الله للناس
قاطبة سواء أكانوا من الجهلة أم من علماء الطبيعة . أيها الناس . ما لكم لاتتجهبون من صنئ فأتهم
(قسما) إما معرضون لا يفكرون لجهلهم . ولما مفكرون ولكنهم مقصرون . فلا تولونهم العاتية
والآخرون هم علماء الطبيعة الذين يقولون كما ذكرنا أننا أطفال في علم ألوان الحيوان فيقول الله للطرفين ما لكم

تعرضون عن هذا الجبال . إذن أتم كللتكرين فلذلك قال - إنا جعلنا - فأكد لازال الطافتين منزلة المتكرين فانهم يشاهدون تنوع الألوان في مثل هذه الحشرة . ومن يجب أن يقول - جعلنا - ففيها معنى التحويل كأنه حوّل وصرف هذه النواويس فلم يجعلها جامدة بل لون وأبدع وزوّق عند الحاجة . ذلك أن الجبال العادي لم يولنه بألوان مزخرفة وكذلك كثير من الحيوان . ولكن هذه الحشرة لما زلزم الأمر لتزيينها لم يجعل قاعدة اللون مطردة على وتيرة واحدة بل حوّلها ونوعها وصرفها وزوّقها . هذا هو المعنى الذي يؤخذ من لفظ - إنا جعلنا - . ألسنا بهذا نفهم قوله تعالى - الذي أحسن كل شئ خلقه - انتهى الفصل الأول

(الفصل الثاني في قوله تعالى - وجعلناها رجوماً للشياطين -)

الله عز وجل جعل الجبال في هذا العالم ليتذكر به أولو الألباب . فأما غيرهم فإن الجبال يكون لهم فتنه فإذا بهرهم الجبال في الأشكال الحيوانية والمدنية والانسانية أخذوا يحرمون عليه ويكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ويحرمون على المال وجهه غراماً به ويستقون عن حكم هذه الدنيا ويضلون عنها ولا يفقهون من جبال هذا العالم إلا إمبرأة يشتهونها أو صوراً يفرمون بها . فأما جبال هذا العالم من سجاواته وأرضه فلا يعرفونه فأصبح الجبال لهؤلاء رجوماً يرجون به وكأنما هم يريدون الصعود فبرهقهم هذا الجبال فيقتصد من النهوض إلى العلا وهذا قوله ﷺ (إن الدنيا خضرة حلوة وأن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون) خلاصة الدنيا هذه هي التي تعد بهم أكثر الناس عن العالم والمعارف فهي رجوم للشياطين

الانس والجن الذين لا يعقلون

(إضاح هذا المقام)

لقد تبين في هذا المقام وفي غيره من هذا التفسير أن الضوء ينزل على الأرض فتكون منه نفس الألوان إذن لالون في الأرض إلا من الضوء . فاللون الشمس السبعة هي الألوان التي نشاهدها في الأرض . إذن جبال الوجوه وبهجة الحدائق ومحاسن الناس والحيوان كلها أصباغ من لون الشمس وهذه الأصباغ يكسف عليها الجهال فهم لا يعرفون إلا الجبال الظاهري المثير للشهوة التي يشاركون فيها الحيوان في الأرض . أما جبال الحكمة وبهجة العلم ورقى العقل فهم محرومون منها فصح إذن أن المشرقات من الكواكب تقذفهم من كل جانب بما يشبه شهواتهم التي تصتهم عن العقل . ولا فرق بين شهب قتل قتلاً حقيقياً وبين صور تصد عن العلم فتميت القلب . قال الشاعر

ليس من ملت فاستراح بميت • إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كشياً • كلسفاً به قليل الرجاء

(الفصل الثالث في قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - الخ)

هذه الآية وردت لأمانة الزينة والجبال من كبرياء وحدائق وبساتين جبلية وحقول زينة ومساكن لطيفة . فكل هذا من اللباس والحرير في اللباس . ومن ذلك الحلى المختلفة الأشكال البديعة الأوصاف ولززال الناس قديماً وحديثاً يقتنون الأحجار الكريمة . وقد شاهد الناس ما خلفه الأوثان من تلك التحف الجسيمة فقد كشف الناس في عصرنا حل كثيرة قدماء المصريين مثل (توت عنخ آمون) وهكذا ورد عند كتابه هذا الموضوع أنه قد كشفت آثار في العراق هذا وصفها يوم الأربعاء (٢١) مارس سنة ١٩٢٨ م إذ زار منسوب الأوقاف البغدادية المتحف العراقي وشاهد الآثار النفيسة التي أضيفت حديثاً إلى المتحف والتي اكتشفتها بعثة المستر (رولي) في هذه السنة فكتب عن تلك الآثار ما يلي

(تقدم عهد الحضارة)

كما تواتت الحفريات في العراق ظهرت لنا آثار جديدة تدل على حضارة السلف ومعظم الآثار من حضارة

العراق القديمة لا يزال مدفوناً تحت طباق التراب متوارداً عن الأنظار . وكل ما كان يحكى عن الاشوريين والكلدانيين والبابليين لم يكن يخرج عن حدود ماورد في بعض فصول التوراة وما نقل عن سياحات (هيرودوتس واكنوفون واسترابون) ولم يكن اسم الشعب الشومرى معلوماً إلا قبل بضع سنوات لذلك لم يكن هناك من يحصر على القول بأن حضارة العراق تضارع حضارة مصر في قدمها . أما اليوم فلم يبق شك في أن حضارة العراق القديمة لم تكن متأخرة عن حضارة مصر في شئ إن لم تكن هي السابقة لها في القدم وأن الكنوز الأثرية لازال مطمورة في جميع أنحاء العراق لم تحسبها آلة الحفارين والنقبين بعد . وهنا نذكر كلمة البروفسور (بلى) العالم الأثرى الأمريكى الذى كان قد قسم العراق وألقى على المصلين محاضرة في المدرسة الثانوية في شتاء سنة ١٩٢٥ فقد قال (لوانت عشرات البعثات الأثرية الى هذه البلاد واستمرت في العمل ٢٠٠ سنة لاستطيع أن تكشف جميع الكنوز الأثرية التى فى أرضها) فلا يلم والحالة هذه المدى الذى يرجع اليه مبدأ الحضارة في العراق بعد أن اكتشفت في (أور) آثار حضارة زاهية وبقايا قصور مشيدة يرجع عهدها الى ٤٦٠٠ سنة قبل الميلاد أى قبل عصر (الاهرام) بقرون كثيرة

(١٧ قرناً قبل نوت عنخ أمون)

ليست الاكتشافات الحديثة التى عثر عليها المستر (وولى) في الشهر الماضى أقل قيمة من الوجهة العلمية والتاريخية من الاكتشافات التى عثر عليها المستر (هوارد أرت) منذ أربع سنين في وادى الملوك . فإذا كانت آثار (نوت عنخ أمون) تمثل الحضارة المصرية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد فإن المتحف التى ظهرت في قبر الملكة (شوباد) ملكة (شومر) على يد المستر (وولى) في الشهر الماضى تمثل حضارة (الشومريين) الى ما قبل القرن الثلاثين قبل الميلاد أى انها سابقة لعهد (نوت عنخ أمون) بنحو سبعة عشر قرناً

(العظمة الحرية الثالثة)

يرى لنا التاريخ العربى أن أمير البصرة (معين زائدة الشيبانى) كان يصبغ فصول سباه من الذهب وذلك محل شراء عصره على التفتى بطلته والاشادة بمدحه وإطراء سلطانه . ولم يكن يحكم أحد بأن ملوك العراق أو أمراءه قبل خمسة آلاف سنة أو أكثر كانوا يلبسون الخوذة الذهبية ويمتنطقون بالخنجر المرمعة بالمخارجة الكريمة ولكن ذلك ثابت لنا الآثار التى أودعت في المتحف العراقى قبل بضة أيام . ومن أهم الآثار التى وقعت في حوزة المتحف العراقى وشاهدناها خوذة ذهبية كبيرة تلبس على الرأس وتغطيه حتى أسفل الأذنين وتجعل دقة الصنعة في هندامها وتقسها وإتقانها ولها عقدة كبيرة لطيفة تشبه عقدة العقال في مؤخرة الرأس وللاذنين فيها محل نائى مصنوع على قدر الأذن والقسم الواقع أمام الأذن ومحتة بكفى لأن يسر الصدغين والوجه ويحاطب الخوذة للأسلحة الذهبية الأخرى وهى عبارة عن خناجر وحجاب ذهبية وضعت في المتحف وشكلها بديع يدل على عناية الشعب الشومرى بأسلحته الحربية وجميع ذلك قد ظهر في الحفريات الأخيرة التى نحن بصدد ذكرها

(حسن التوق)

لقد ألفنا في عصرنا هذا أصوات الزينة العتيقة للرجال والنساء وشاهدنا أنواعها المختلفة ومع ذلك لاننا لم نبدأ تهيئنا عند مآثرى قوطاً جيلاً أو ناعماً أو دبوس صدر يوضع على رباط الرقبة أو ما شاكل ذلك ولكن الأعجب من جميع ذلك أن نجد من هذا القبيل ما كان مألوفاً في العراقى قبل خمسة آلاف سنة . ففي المتحف العراقى اليوم دبوس فضى ملتوى الرأس وعلى قمته تمثال (قرد) ذهبى صغير لا يزيد ارتفاعه عن ثلث قيراط فيه من دقة الصنعة وجمال المنظر ما يدهش الناظر . إن مثل هذا (الدبوس) كان يحل صائب النساء في ذلك العهد أكثر مما كان يحل مدور الرجال . وعلى كل حال فهو دليل على حسن ذوق الأسلاف وتفننهم في أساليب

الزينة . وهناك دبوس آخر يشبه رأس بحجر كريم (لازوردى) ودبابيس أخرى مجرّدة

{ الثمانيات }

من أجل الثمانيات التي ظهرت في الحفريات الأخيرة والتي أودعت (المتحف العراقي) رأس أسد ورأس نور وكلاهما من (البونز) إلا أن رأس الأسد يضرب إلى اللون النحاسي والذي يدهش الناظر أن الثمانيات عيناها الصناعيان اللتان قد قلدت الطبيعة في صنعها أجل تقليد وقد وجدنا كثيرا من الثمانيات المصرية والأفريقية والرومانية وشاهدنا صورها فلم نجد إلا عينا من مادة التمثال نفسه . وقلما شوهدت ثمانيات لها أعين تحاكي العين الطبيعية وتقلدها . أما في هذه الثمانيات فالأعين تكاد تجعل التمثال حيا يحدق في وجه الناظر إليه

{ الحلى والمصوغ }

• يظهر من القلائد النحبية التي أودعت المتحف أن الشومريين كانوا يميلون جدا إلى تقليد الطبيعة في معظم مصنوعاتهم وأدوات الزينة عندهم . فهذه القلائد النحبية عوضا عن أن تكون على شكل عقود الخرز كما ظهرت بين آثار الأكليديين والاشوريين وفي (بابل) نجد هذه القلائد منظمة من قطع ذهبية ومطروقة ومسنة على هيئة أوراق الأشجار وكانت هذه القلائد تحلى صدور الأوانس والسيدات قبل خسة آلاف سنة انتهى . وإنما ذكرت هذا لئلا نعلم أن الله الذي أنزل القرآن وأبدع الجبال في تلك الحيوانات وضيها هو الذي أودع في قلوب الناس حب الجبال . فطائفة فتنت به فهلكت وطائفة أبيع لها فاعتدلت وماطفت وقد ظهر هنا أن الناس قديما وحديثا مفرمون بالتحلى بكل جبل وهذا التحلى مباح . انتهى

الفصل الثالث

{ الفصل الرابع في قوله تعالى في هذه السورة - لنبلوهم أيهم أحسن عملا - }

اعلم أن الصناعات كلها فرض كفاية كما تقدم في أكثر هذا التفسير ومنها صناعة الحلى التي رأيتها فهي مباحة للباسين وواجبة وجوباً كفايياً على الصانعين . ويبيانه أن هذه الحلى وإن كان لبسها مباحاً ولمندوبا لم تخرج عن كونها إحدى الصناعات والصناعات إذا لم يتم بها طائفة من الأمانة ولو كانت للزينة كهذه الحلى لاضطر الأغنياء إذا أرادوا أن يستعملوا الحلى أن يجلبوها من البلاد الأخرى وهذا من أهم أسباب خراب الأمم كما هو الحاصل الآن في بلاد الشرق كصر وغيرها ففرق ما بين اللابسين والصانعين بل الأمر فوق ذلك لو أن امرأة وجدت فيه قابلية أكثر من غيره لثمل هذه الصناعة وجب على رجال الدولة أن يخصوه بهذه الصناعة تعلموا وتعلموا فيكون فرض عين عليه . وإن كان هو في ذاته فرض كفاية والأمة كلها تذهب إذا تركته كلها والله هو الولي الجيد . انتهى الفصل الرابع

{ الفصل الخامس في قوله تعالى - وزيناها للناظرين - }

اعلم أن الله عز وجل لم يخلق المخلوق عينا ومن أعجب خلقه الجبال والنقش والتصوير الذي رأيت في نحو الصورتين السابقتين . أما العاتقة وسائر الجبال بل مثلهم أكثر للتصنيف في ديار الإسلام لا يهتمون بهذا الجبال لأنهم غالبا محرومون من تذكريات المذكرين به وفائد الشيء لا يسطيع . إذن هذا الجبال لطائفة خاصة من الناس وهم المفكرون . تعجب ثم تعجب من نظم القرآن لم يقل الله وزيناها للباسين ولا زيناها للعاملين بل جعل هذه الزينة خاصة بالناظرين وهؤلاء الناظرون الذين زين لهم السماء وهم المفكرون في خلق السموات والأرض . فأما بقية الناس بالنسبة لهم فهم أشبه بالخدم والعبيد مسوقون للنظام العام ولا ملوك لهؤلاء إلا حكامهم المفكرون فهم الذين زين الله لهم السماء

{ حكمة باهرة في خرافة ظاهرة }

لقد كنت في زمن السبا أسع في قرينتنا الناس إذا رأوا في السماء سحابا متعلما زمن الشتاء لامطر فيه

يقولون ان السماء ازيلت فهذا اليوم مات فيه عالم فهم يظنون أن العالم اذا مات زين الله السماء . أقول وهذه الخرافة من الحقائق لأن الله هنا يقول - وزيناها للنظرين - ولا ينظر إلا المفكر العالم . إذن زينة السماء لن تكون إلا لمن يفرح بلزينة ويقبها . فانظر كيف كان هذا الجبال مصائب على مصغار النفوس الذين هم كالشياطين وحللا للابسين وعملوا واجبا على العاملين وزينة للفكرين والجددة رب العالمين

﴿ الفصل السادس في قوله تعالى بعدها - أم حسبت أن أصحاب الكهف - الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية أشبه بآية يوسف عليه السلام إذ ذكرى القصة بتمامها ثم أفهم القارئ أن هذه القصة من آيات الله وهي كثيرة . وإذا كانوا لا يقاتلونهم فكم تركوا آيات في السماء والأرض فلم يقبلوها فهذه عادتهم هكذا هنا يقول سبحانه - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - وهذه الزينة إنما أبدعها لينظرها ويقبها المفكرون . إذن ليست قصة الفتية في الكهف أعجب آياتنا . فكم لنا من آيات ومنها صور الحيوانات والنباتات البديعة البنية السارة للنظرين . ولكن هذه الحجاب والجبال والزينة ليست مقصودة لذاتها بل أنا سأقبلها - صعيدا جزا - وأزيلها من الأرض . فإياكم أيها الناس أن تجعلوها قبتكم وتؤمونها مقصدكم فها ذلك الجبال إلا صور من العوالم زوتها لتدرسوها . كتبها بيدي كما تكتبون في الألواح للصبيان فإذا قرأتموها محوت ما كتبت وبتدت غيره . وما هذه الصور الثلاثة إلا دلالة على جبال أعلى فاهتزوا الفرصة واخزنوا هذه الصور الجبلية في خيالكم وادرسوها في عقولكم حتى ترجعوا إلى وقد علمتم نموذج أعلى وجبال حكمتي - وما يقبها إلا العالمون - بكسر اللام . انتهى ليلة الأحد الثالث من شهر شوال سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ شمس عقد الزينة في هبة الجبال ﴾

ألا يارحمي الله العلم وحيا أهله وأنا رسول الهدى بنوره . الجاهل لا يقبل الجبال . ليس الجبال كل الجبال ما يفهمه ذكران الناس والأنعام والنفث والبقر والأساد والخفافيش من محاسن إنائها ولما يفهمه الاناث من قوة ذكورها وجالهم . هذا جبال حيواني شهوى تساوى فيه الانسان والحيوان قد أعدت لفرض خاص وهو التناسل . ألا إنما الجبال كل الجبال ما خبأته يد الأقدار عن عيون الجاهلين وأبرزته لبصائر الحكماء والعلماء والفهماء . أول الجبال جبال البصر . وثانيها جبال البصيرة . أبصار الجبال كأبصار الخفافيش لا ترى الصور والسبيل إلا حيث يكون الظلام . وبصائر الحكماء والعلماء أشبه بأبصار سائر الحيوان ترى بنور الشمس من الصور والجبال وأنواع المحاسن ما أعظم على أعين الخفافيش في وضوح النهار . أكثر أهل الأرض الجاهلون وأقلهم الحكماء والمستبصرون والله عز وجل لم يدع طريقا لفتح البصائر حتى يبلغ منه الجهال إلى حظائر الجبال في العلوم والمعارف إلا أوضحه وجلا ولا سبيلا من سبل الهداية لإسئنها وسهلها . ألا انعام مثل عقول الناس بالنسبة لجبال هذا الوجود كمثل الأرض ومثل العلم كمثل الماء والله تعالى يقول في الأولى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الله أحياءها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير - وهذا أمر مشاهد فالناس يرون الأرض وهي ساكنة خاشعة لا يرمي فيها ولا نبات ولا شجر ولا حيوان إذا طر أصابها ففراها أخذت تفتنخ وتنفلق عن مضيق الحشائش والشجر وأنواع النبات فتزهو وتمو وتصبرعروسا جبلة شابة مقبلة بعد أن كانت مجوزا شوهاء مدبرة . الله أكبر هكذا العقول فانك اليوم ترى أكثر العقول في بلاد الشرق نائمة خاملة خاملة هالمة . ولكن انظر انظر . انظر إلى غيث العالم وفنون الحكم والصناعات أفلمت ترى سحائبها أخذت تخطر عليها صيبا . فها هو ذا يحببها ويخرجها من جهاتها وينيرها ويقضي على ظلمتها . أأنت ترى أن أهل الشرق الآن أخذوا يقرؤون العلوم ويحبونها ومنهم بل أكثرهم المسلمون ومن هذه النهضة الحديثة هذا التفسير الذي بشرح الله قلبه له وزينه فيه وجعلني أكتب بشوق وحب عظيمين وسترى في هذا المقام من الجبال والهبطة ما يشرح صدرك وصدور المؤمنين لحوز العلم على اختلاف أنواعها

وفتونها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . إن قياس العقول الانسانية على الأرض وقياس العلم على الماء جاء في نفس القرآن فليس هذا بدعا قلته يقول - أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل - الخ جعل الله القرآن والعلم أشبه بالماء والعقول أشبه بالأودية . وجاء في حديث البخاري لله **يعلم** قال **(مثل ما بعث الله به من العلم والهدى كمثل النيث الكثير أصاب أرضا الخ)** فاذن هذا التشبيه معروف مقبول وإنما أوضحت لأرتب عليه ما ترى من الجبال

(حصر أهم الطرق التي بها تنثر العقول لادراك الجبال وفهم زينة هذه العوالم)

(١) خوارق العادات على أيدي الأنبياء (٢) ظهور غرائب من العلم على ألسنة قوم لم يتعلموا وهم صلحاء في أمة الاسلام (٣) غرائب من العلم يتجها الخيال الانساني فيثير في النفوس حبة للمعرفة فتترك الجبال (٤) الجذب والنصب في معرفة العلوم وذلك **(بطريقتين)** طريق التمراسة المعروفة . وطريق السير في الأرض لمشاهدة الجبابب الطبيعية . فهذه خمس طرق (١) طريق الأنبياء (٢) طريق الأولياء (٣) طريق وضع القصص والأخبار لأجل الحكمة (٤) طريق التعليم في المدارس (٥) طريق السير في الأرض كالسفر إلى القطبين مثلا كما سيأتي بيانه **(الطريق الأول)** طريق الأنبياء ومبجزاتهم . قلت لك إن أكثر العقول في هذا النوع الانساني خادمة جامدة خجود الأرض وجودها وقد ابتلاها الله جميعا بالسير في الأرض لطلب المعاش ومدافعة الأعداء حتى سد عليها طرقها وعميت عليها مسالكها فأرسل أنبياء جلاؤا بمجيزات فرأوا أو سمعوا أن العصا قلبت حية واللبث قد حي وأن أقوالا نزلت على لسان انسان لم يتعلم غفر له المتعلمون من الأمم سجدا وبخضوعه . سمعت ذلك الأمم أوراثه فقالوا أيلم موسى كيف تقبب العصا حية فقال قوم هذا يدل على أن هناك قوة فوق قوتنا وهذه القوة بها صار هذا نيبا فأخذوا يفكرون في العالم وفي صانعه وقال آخرون . كلا . هذا سحر فنحن لانصتقه . فاذن يكون الناس **(فريقين)** مصتق ومكذب وهناك يكون جدال وضال وأخذ ورد وهذا فتح لباب العلوم والمعارف ومعرفة الجبال في هذا الوجود . إن الله قد جعل هذا العالم كله قائما على الاعطاء بعد المنح **(وبعبارة أخرى)** على الشوق . فأما شوق أحد الصنفين للآخر فهو طبيعي والجبال فيه لا يعوزه كبير عناء . أما الشوق لمعرفة جبال هذه الدنيا وماعلى الأرض من الزينة فانه لا يحصل إلا بمقتدات تقدمته ومنهاورة الفكر بحرب أو ظهور ربي يتحدث حوله جدال . وبالجملة فشكل ما يؤلم النفوس أو يبعثها يفتح لها بابا من أبواب المعرفة جبال هذه الدنيا وماعلى الأرض من الأفكار كلها صاقلات للعقول منيرات لسبل العلوم وإدراك الجبال . هنالك ينقسم المؤمنون **(فريقين)** فريق لا يتمتعون الايمان بالأنبياء وفريق يقولون اتنا اذا رأينا أوسعنا أن العصا قلبت حية أو أن ميتا رجع حيا على يد نبي أو أن نيبا قرأ للناس قرآنا فاتبعته أم وأم من دول شتى ولغات مختلفة وهولم يتعلم حرفا واحدا فغنى هذا أن هذا الوجود فيه عجائب غبوة هنا وجبال مستتر فلتنفض قلما في العلم وتنبه حتى تعرف قصة هذا الوجود الذي نعيش فيه وقصة العصا والحية تفتح لنا بابا لبروس علوم الجبابب وهي الكيمياء والطبيعة وأمثالها من كل ما يمرتنا جبال هذه الدنيا وقصة الميت الذي حي على يد المسيح كذلك تشبيرا أن ندرس مناهج عجائب الحيوان والنبات كما سيأتي في سورة مريم . هذا أجمال الكلام على الطريق الأول وهو طريق مجيزات الأنبياء الموقظات عقول الناس لادراك ماعلى الأرض من زينة وجبال

(الطريق الثاني الجبابب التي تظهر على أيدي الصلحاء)

أما الآن **(كتابان * أحدهما)** كتاب **(الاريز)** الله نجم العرفان الحافظ الشيخ أحد بن المبارك وهذا الكتاب يشهد بأن هذا المؤلف قرأ علوم الأوائل الفلسفية وعلوم الدين الاسلامي وقد كان في القرن الثاني عشر الهجري . ولكن هذا العلامة النحرير يجلس أمام الشيخ عبد العزيز النبلغ الذي لم يتعلم علما

ولادينا فيجد الرجل حكيا في كل علم ديني أو فلسفي فصار الشيخ ابن المبارك تلميذه يتلقى عنه العلم وهذا عجب أن يكون من لاعلم عنده أعلم من علماء الاسلام جميعا بعلومهم وغيرها . ومعنى هذا أن الله عز وجل يخلق في هذا العالم خوارق لقوانينهم تفرق أسباعهم وتوقفهم الى التعقل والتفهم وانما فعل ذلك الله في ذلك الزمن لأنه زمان جهالة والمسلمون قد أدبرت دولهم ونهبت ريعهم وكثرت خرافاتهم بجاهلهم بالعلوم من طريق ما يستقدون وهم لما أدبرت دولهم وغابت شمس علومهم كانوا قد عكفوا على قبور الصالحين وتقربوا اليهم وطلبوا منهم المعونة فأرسل الله لهم في ذلك الزمن علوما على ألسنة بعض الصالحين ليرشدوهم ويقولوا لهم أيها المسلمون أتم في ضلال فارجعوا عنه وافهموا بقولكم ولا تسلكوا إلا على ربكم والصالحون والأنبياء ما هم إلا عبيد امتزأوا عنكم والله ربكم وربهم . هذه بعض الحكم في خلق هذه النفوس النادرة الوجود في أمة الاسلام . هذا أحد الكتائين . أما الكتاب الثاني فهو كتاب (درر الغواص) على فتاوى سيدى على الخواص (ومعه كتاب آخر وهو كتاب (الجواهر والدرر) عما استفاده الشيخ عبد الوهاب الشعراني من شيخه على الخواص وكلا الكتائين للشعراني وكان ذلك في القرن العاشر الهجرى أى قبل ابن المبارك بقرنين . إذن الموقوفات للأمة الاسلامية ترى عليهم من حيث لا يشعرون فيكون ظهور الحكمة على ألسنة بعض الصالحين في فترات لتوقفهم . ولكن يظهر أن هذا الزمان هو الذى سيكون فيه أجل ظهور العلم وأبهج السبل وبدائع العرفان . فانظر الى مجاهد في الكتاب الأول فقد سأل الشيخ ابن المبارك شيعة السباغ قائلا ما ملخصه أن الناس يستشيئون بالصالحين دون الله عز وجل ولا يحلفون إلا بهم ولا يخافون إلا منهم فأجابهم بما يفيد أن هناك أسبابا أوجبت انقطاع الناس عن الله عز وجل طرأت على هذه الأمة من غير أن تشعربها . وهذه الأسباب هي التي أوجبت ارتباط قلوبهم بالصالحين وانقطاعها عن الله عز وجل وذكر منها

- (١) الهدية للصالحين ليشتعروا لهم عند الله لوجه الله
- (٢) والتوسل للصالحين بالله عز وجل ليقتضوا حاجتهم
- (٣) أن يترك المسلم فرض الصلوات ويؤثر الصالحين
- (٤) أن يخاف الانسان من الظالمين على العبر والزرق مع ان المرء اذا قوى علمه بتصرف الله وحده في ذلك قرب منه بقدر ذلك العلم
- (٥) التقرب للظالم لينال منه رزقا
- (٦) عدم النصيحة للمسلمين إذ يرى مايضرهم ولا يأمرهم بالتحريم منه ويرى مايمنعهم ولا يأمرهم بالتأهب له
- (٧) أن يعبد الانسان ربه ليرجعه وينفعه مع ان الأفضل أن يقصد وجهه مرة واحدة لاحاط الدنيا ولا الآخرة . انتهى

وجاء في كتاب الشعراني حكم مثل ان الشعراني رضى الله عنه سأل شيخه الخواص عن الأوراد التي يقرؤها المريدون التي لم ترد في الشرع مثل ما فعله البوني . فأجاب شيخه المذكور بما يفيد أن عباد الأوثان أحسن حالا من هؤلاء لأن هؤلاء اتخذوا هذه الأوراد لأجل النصر والجاه والرزق واقتياد الخلق لهم وعباد الأوثان قالوا انما نصيبتهم ليقربونا الى الله زلفى . وقال له في موضع آخر من آخر الكتاب الثاني ان الشيخ يلحق ألف تلميذ أذكرا وأورادا فلا ينتج له مرید واحد . وعلى ذلك لا يعقل على هؤلاء الأشياخ في هذا الزمان ولا على أورادهم وأقول ان هذا مبالغه ولكن فيه حقائق

واعلم أيها الذكر أن هذه الكتب وأمثالها قد عثرت في أمة الاسلام في القرون المتأخرة وفيها حكم كثيرة جدا وعلوم جمة ومنها علوم لم تكن معروفة وظهر بعضها في الكشف الحديث ولكن فيها هناك أمور أخرى

غامضة وبضها لا يوافق الحقائق . أتدري لم هذا . لأن الله يأتي بالمتناقضين في هذه كلها ليوجب علينا البحث والتقصي ولا يجعلنا متكئين على أحد لأعلى الأولياء ولا على غيرهم بل لا تسكن إلا على الله والله هو الذي أعطانا العقول والأنبياء أيقظونا لاستمها . فغرام أن نترك عقولنا ونشكل على أحد ولذلك جاء هذا التنبيه وأمثاله من كتب المعاصرين لنا لتجذ في بحث العلوم والحكمة بأسرها لتعرف الجبال فالعلم جبال ومأقبح وصف الجهال

﴿ الطريق الثالث غرائب العلم التي ينتجها الخيال الانساني فيثير في النفوس حب المعرفة فتترك الجبال ﴾ ان العقول الانسانية التي ليست بأنبياء ولا أولياء هي نور مستمد من نور الله عز وجل . فشكل نور فهو مستمتمن نوره . ولو خلا الانسان بنفسه وفكر فيها لعش من هذا العقل والخيال اللذين يسموان به الى الأفلاك ويقطعان فيافي وموابي ومجاهل تخترق السبع الطبايق وتهم في تلك الخارق الفسيحة ولا تقف عند حد ثم هي تخرج في مجاهل بعد مجاهل تعرف ماشاء الله من الكواكب الثابتة طبقا عن طبق ودائرة وراء دائرة الى أن ينقطع الفكر - وما يمل جنود بك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر - ثم زارها يرجعان الى الأرض أي الخيال والعقل فيخترقنها ويجوسان خلالها ويدرسان معادنها ونفها ثم يفوسان على جواهر علومها فيقولان ان هناك مجرا من نار في داخلها بحسب ما يفضيل المتخيلون . فهذا العقل وهذا الخيال الجبلان المرسلان من الله عز وجل لنا الذي أطلنا بالأنوار الحسية والأنوار المعنوية هما اللذان بهما اخترعنا أنواع النقش والتصوير والنحت والشعر والموسيقى وأنواع صور الجبال والياه في هذه الدنيا . ومن ذلك الاختراع ما أنتجت العقول في علم البيان والبديع من الصور الجبلية الخيالية مثل تشبيه معركة حربية واختلاف السيوف فيها بهيئة لينة انتشرت نجومها فهي مضيئة في وسط الظلام وتقول

كأن مثار النقع فوق رؤسنا • وأسافنا ليل تهادي كواكب

ولاريب أن الشعر وبدائه أمر مشهور معروف فلا نطيل به . وأبدع من ذلك ما رآه من ضروب الخيال والسكر الخلال الذي يسميه الناس خرافات في أمثال كتاب ﴿ آفة لينة وليسة ﴾ وكتاب ﴿ كلبية ودمنة ﴾ وفي الثاني محاورات بين أنواع الحيوان فيها ضروب الحكم والعلوم والسياسات . وفي الأول اختراع أقاصيص تصور الامور المستحيلة فتشوق العقول للاعتراف من بحر العلم . فهذه أكاذيب جعلت وسيلة للصديق في العلوم لقوم يقولون . وأذكر لك منها الآن ﴿ قصتين اثنتين ﴾ قصة مدينة النحاس وقصة أبي قير وأبي صير

﴿ الأولى قصة مدينة النحاس ﴾

ان المؤلف اختراع قصة خيالية ملخصها أن موسى بن نوح المعروف في التاريخ أنه هو وطارق بن زياد فتحا الأندلس كان معه رجل يقال له الشيخ عبد الصمد وقد كان أمامهما جنى من الجن التي حبسها سليمان عليه السلام في عمود ولما خرج من العمود حكى لها عن تاريخ حبسه وعن كل ما جرى له من أيام سليمان الى أيام عبد الملك بن مروان وموسى بن نصير وبعد ذلك رأيا مدينة من النحاس التي طاف حولها رجل على خيولهم يومين كاملين وفي ثالث يوم رجعا الى اخوانهم فأدهشتهم المدينة لعظمتها وارتفاع أسوارها ثم اجتهدوا حتى عثروا على مفاتيحها ففتحوها ووجدوا فيها من الجواهر والذهب والنقشة ما لا يحصره والقوم فيها صرعى جميعا والأسواق مفتحة والبضائع كثيرة وهي خلية إلا من جثث الموتى وانهم عثروا على فتاة جيلة بينين تنظران فسما فلم ترد فعرفوا أن هذه ميتة ولكن عيناها تتحرك بالحكمة فالحركة صناعية . ولما قرب واحد منها تحرك سيفافان واقفان حولها بنصير بالحكمة فضرباه بالسيف فقتلاه وقد كانت محلاة بأربع الحلي التي لانظير لها في المدينة ففكروها ثم وجدوا لوحا مكتوبا فيه ما ملخصه

﴿ ان ترمز بن بنت عمالة الملوك قد حبس المطر عن مملكته سبع سنين ولم يبق شئ يأكلونه بعدا كل

الدواب والجيف فأرسل بالمال من طاف الأقطار فلم يجد قوتا يشتريه فأغلقتنا حصوننا ومتنا وهذه أموالنا لم نفدنا ﴿

ولما رجع الأمير موسى ومن معه الى عبد الملك بن مروان أخبره بما حصل وأراه اثني عشر رقما من القمام التي زعموا أن فيها جنا وكما فتح عبد الملك رقما خرج له شيطان صارخ يقول التوبة لله يا بني الله وما تعود لذلك أبدا . هذا ملخص القصة والقارئ لها أحد رجلين إما جاهل يعتقد صحة هذه الخرافات التي لا توافق الحقائق ولا التاريخ ولكنه قد خرج بعلم وحكمة وأشعار كلها حكم زهد في الدنيا وتصرفها في عينه ولما علم أدرك أن هذا مجرد خيال وقد خرج بحكم شعروجال . ولا جرم أن أمثال هذا من الزينة التي زين الله بها أرضنا فقال - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - فهذه زينة لم تكن زهر البساتين ولا نور النجوم وانما هي أتوار العقول برزت فبهرت قوما وهذنتهم وأضلت آسرين فأغوتهم . انتهت القصة الأولى

(القصة الثانية قصة أبي قير وأبي صير)

و ملخصها أن الاسكندرية كان فيها رجلان صباغ وحلاق . فأما الصباغ فانه كان رجلا كاذبا خادعا يبيع ما يعطى له ليصيفه . وأما الحلاق فكان رجلا صادقا غلظا وقد عضهما الفقر بنابه نظريا معا في بلاد الله يطلبان الرزق فصار الحلاق يعول الصباغ أسابيع وأسابيع . ثم إن الحلاق أصابه مرض وأغشى عليه فسرق الصباغ البراهم من جيبه وأقل على المحبرة وسافر المدينة التي هما فيها يتجول فيها وقابل الصباغين فوجداهم لا يعرفون إلا قليلا من فن الصباغة فتوجه للثالث وأخبره قائلا ﴿ أنا أصبغ ألوانا كثيرة مثلا الأحمر منه الوردى والبناني والأخضر منه الفستقي والزيتي وجناح البرة والأسود منه الفحامي والكحلي والأصفر ألوان مختلفة من النارنجي والليموني وهكذا ﴾ فأمدته الملك بالمال وفتح له مصبغة صبغ بها جميع الألوان وأقبلت الدنيا عليه من كل حذب وصوب . ثم إن الحلاق بعد أن هرب الصباغ بقي ثلاثة أيام وهو في القبوبة وفي اليوم الرابع أفاق فلم أن صاحبه هرب ومعه قوده فصار يتبعه جيرانه . ولما صبح جسمه خرج في المدينة فوصل الى المصبغة المذكورة فوجد صاحبه فيها فلما رآه أمر بضربه ضربا شديدا فخرج حزينا بالثأ ثم خطر له أن يستحم في الحمام فلم يجد في البلاد حماما فتوجه الى الملك فواساه بمال كثير جدا وصنع الحمام واستحم فيه الملك وجنوده ومن أراد من الناس ومنهم الصباغ فجاء اليه فعرف أن الحلاق هو الذي فتحه فأخبره بأنه لما ضربه لم يعرف انه هو وحلف له على ذلك فتصافيا وتصادقا ثانيا لأن الحلاق صدقه ثم إن الصباغ قال للحلاق صاحب الحمام ضع الزرنيخ على الجير وأزل به شعر الملك حينما يدخل الى الحمام ثم ذهب الى الملك فقال له انه يريد قتلك بدواء قتال فلما دخل الملك الحمام دلته الحلاق كعادته ولما أظهر اللواء الذي ينظف الشعر أمر بأن يحسكه ولما خرج من الحمام أعطاه لرجل ليرمي في البحر فأخذ الرجل وتوجه به الى جزيرة وقال لا أتفك بل خذ شبكة واصطد سمكا فوقعت سمكة في الشبكة فرأى فيها خاتم الملك الذي سقط منه وهو يأمر بأن يرمى الحلاق في البحر فليس الخاتم وصار كلما أشار على انسان يده قتل وهو لا يشعر فدهش أشد الدهش وهذا الخاتم هو الذي لا يحكم الملك إلا به فلما سقط منه بقي ضعيفا والقوة انتقلت الى الحلاق فلما عرف هذه الخاصية في الخاتم حفظه معه وتوجه الى الملك فقال له أنا أمرت بقتلك فكيف جئت حيا فأخبر الخبر وأن هذا الخاتم خاتمك وإني أخاف أن أشير به فيقتلك أو يقتل أحدا من حاشيتك فتقبله الملك منه وشكره شكرا جزيلا وطلب الصباغ وحقق أمر هذه السعاية فعرف بعد التحقيق بينهما أن هذا اللواء ليس سببا وانه يريد قتل الحلاق الذي أحسن اليه بعد أن عرف قصتهما فأمر الملك بأن يفضحوه في البلد ويضحوه في زكية ويرموه في البحر . وأما الحلاق فانه استأذن من الملك بعد أن عرض عليه أن يكون وزيره فرفض فأذن له في السفر وأعطاه

ملا وفيها كثيرا لاحصر له فرجع الى الاسكندرية بحشمه وخلمه ورأى بعض خدمه أن هناك زكية بجوار الاسكندرية فأخرجوها فإذا هي جثة (الصباغ) فأمر الحلاق بدفنها وأوقف عليها أوقافا كثيرة وعمل لها مزارا وكتب على الضريح أبياتا منها

المرد يعرف في الأنام بفعله • وفعاقل الحرّ الكريم كأمله

الى أن قال

وتجنب الفحشاء لاتنطق بها • ملدتم في هزل الكلام وجته

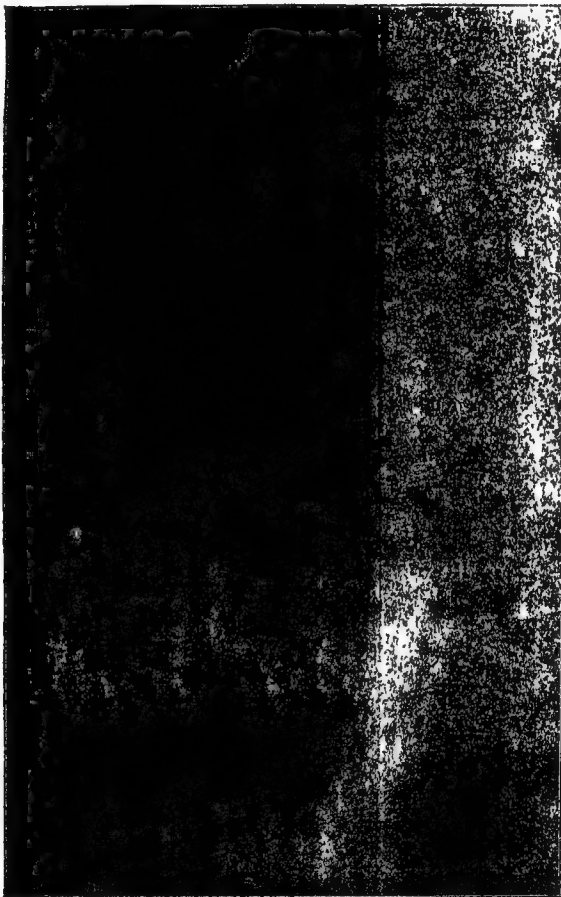
ثم عاش الحلاق ماعاش في هناء وسرور • ولما توفى دفنوه بجانب قبر (الصباغ) فالصباغ اسمه أبو قير والحلاق اسمه أبو صير • فأبو قير هو القادر للذكر الذي أحسن اليه أبو صير في حياته وبعد موته والمكان الذي بقرب الاسكندرية كان يسمى باسم (أبي قير وأبي صير) وصار الآن يسمى (أبا قير) لاغير • انتهى
فهذه الحكاية التي انتجها العقل الانساني خرافة • ولكن الخرافة فيها وعظة حسنة والموعظة هي أن فاعل الخير عاقبته السلامة والقادر الخائن عاقبته الندامة فأبو قير خائن فأت مقتولا وأبو صير صادق فعاش في نعمة وحبور • وللأم الاوروبية حكايات مثل هذه ألفوا لها الكتب وقرؤها صغارهم وجهالهم فيها صور من الخيال يتنفع بها الجهال والأطفال كما في حكاية البنت المستنقعة المتواضعة التي ذهبت الى البحر لثقل منها فقايلتها هجوز فطلبت منها الماء فسقتها فدعت الله لها أن يخرج من فيها كلما نطقت جواهر وورد فلما رجعت أدهشت امرأة أبيها بالورد والجواهر فأرسلت امرأة أبيها ابنتها الى البحر فأظهرت الكبر على السيدة الجبيلة التي قايلتها هناك فدعت عليها أن يخرج من فيها عند الكلام الحيات وأنواع التعابين فلما رجعت الى أمها ورأت ذلك طردتها من البيت ثم خربت فماتت • أما البنت الأولى فلما رآها ابن الملك تزوجها
وهناك حكايات أخرى كثيرة تمثل الصدق والكذب والخيانة والأمانة وهكذا وفيها ذكرناه كفاية • انتهى الكلام على الطريق الثالث للعلوم التي ينتجها الخيال

(الطريق الرابع • طريق التليم في المدارس)

وهذا معلوم مشهور وهذا يرجع الأشياء الى حقائقها كما رأيت من دراسة الألوان بارجاعها الى ألوان الشمس السبعة

(الطريق الخامس طريق السير في الأرض)

وهذا هو الذي زيد الافاضة فيه ولقد ذكرنا فيها سبق قريبا عجائب ألوان الحيوان من حيث كونها زينة وهكذا أنواع الماء الجبيلة التي تنبع من الأرض وهي حارّة وسط التلوج أو من مواضع حجرية وهذا يعرف بالسير في الأرض ومشاهدة هذه العجائب فلا ذكر الآن عجائب عما على الأرض من الزينة التي تشترك فيها غرائب الأرض وبدائع النور في السموات • فلا ذكر ما دبره براع الكاتب التقدير (جورج ويليم) تحت عنوان (النور الشمالي) • (انظر شكل ٦)



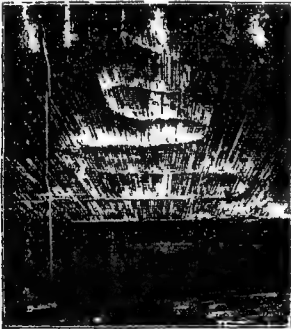
(شكل ٦ - صورة الضوء الشبالي من كتاب (علوم للجميع) ملونة بالجرم والخضرة والصفرة الخ في الأصل)
 هذا (الضوء الشبالي) كنت في شوق إلى معرفته لما كنت أسمعه دائماً ونحن نتعلم في مدرسة (دار العلوم)
 من أستاذنا المرحوم إسماعيل بك رأفت إذ كان يقول لنا هناك أتولججية تسمى (النجم الشبالي) فهأى ذه
 الآن احذرك منها من قلم العلامة (ديليم) في كتاب (علوم للجميع) قال

إن بعض الناس في بلادنا (بلاد الانجليز) قد يرى (قبابا) جيلة بهجة المنظر حسنة الشكل من النور
تعترض ممتدة في الأفق بسرعة شديدة وتأخذ صورتها وألوانها تتغيران بما يعرض لها من الأشعة والأنوار
التي تكون عمودية عليها . ومن أراد أن يحظى بمحاسن هذه المناظر في أبهى جلالها واسطع أنوارها
وأعجب أشكالها فيلتوجه الى خطوط العرض العليا مثل عرض (٨٧) درجة و (٢٧) دقيقة شمالا فقد شوهد
ذلك للنظر الجليل هناك سنة ١٨٧٥ وسنة ١٨٧٦ م وبعض هذه المناظر تكون ذات ألوان بهيجة قبابلما عا
مشرقة متلاثة ممتدة من أفق من آفاق السماء الى أفق آخر منها محلاة بلون أحمر وبآخر أصفر مشرقين
بهجين . وهذه الأنوار تسمى (النوء الشمالي) أو (الشفق الشمالي) وأما سميت بهذا الاسم لأن خطوط
العرض الشمالية التي تظهر فيها هذه الأنوار يؤتمها الزائرون ويسافرها محبو الاطلاع أكثر من خطوط العرض
الجنوبية العليا . إن مناظر هذه الأنوار ترمى في الجهات الجنوبية في خطوط عرضها العليا كما ترى في خطوط
الشمال ويسمى النور هناك (شفقا جنوبيا) . ثم قال ونحن قد اصطفينا له اسم (النور الشمالي) وهذا الاسم
مقبول عند الجمهور وإن كانت التسمية المستعملة له عادة (الشفق القطبي) . قال وإذا كان بعض قراء هذا
الكتاب ربما لاتتاح لهم الفرص لارتداد النور الشمالي في الأقطار الشمالية أو النور القطبي الجنوبي في الأقطار
الجنوبية . فلنفرض أننا في الفصول القصيرة من السنة أي الحريف والشتاء وقد ركبا سفينة وسارت بنا
بسم الله هراها ورساها الى الجهات الشمالية القطبية وليكن ذلك في أوائل فصل الحريف قبل أن يقترب منا الليل
الطويل القطبي . أقول وإيضاح هذا أن الليل يكون ستة أشهر في السنة في الجهات القطبية من أوّل فصل
الحريف الى آخر فصل الشتاء فتكون الزيارة في أوّل الليل أي أوّل الحريف ليكون ضوء الشفق هناك كافيا
لرؤية الأجسام . ثم قال فهناك نلاحظ أن كل ماحولنا في برد شديد وهو عرضة للرياح الشديدة وإن هناك
من الأنوار ما يكتفي لترى في كل مكان تلك الصور السحرية الهجبة المناظر من جبال تلجئة عائمة على الماء
في الظلام وهناك نسمع أصواتا هائلة تصادم تلك الجبال الثلجية وتعارضها وارطامها فلا يمكننا أن ندفع عن
أنفسنا الملح والفرع والحوف من أن تقع سفينتنا بين جزيرتين من جزائر الجليد العائمة فيكون هلاكنا .
إننا نشاهد المناظر حولنا أشبه بما يظهه السحرة والمشعوذون بخضابهم وصوالجهم إذ تخيل لنا تلك المناظر
أننا في قصور من خفة محلاة بأنواع الحلل والجواهر في (ألف ليلة وليلة) وهذه صورة (الشفق الشمالي)
التي شوهدت في ٢٤ فبراير سنة ١٨٧٢ عند (أورلين) (شكل ٨٧٧)



(شكل ٨٧٧ - صورة الشفق الشمالي التي شوهدت عند (أورلين) في ٤ فبراير سنة ١٨٧٤ م)

إننا نرى هنا (قباباً) من النور المتلألئ البهيج ممتدة منسحقاً كثاف السماء من الشرق الى الغرب وهي تارة تكون واقفة وآونة تسير المطينا نحو الشمال . ثم نرى ألواناً أخرى تأتي عمودية على تلك القباب المذكورة وإذا كانت القباب تحت قانا نرى تلك الأشعة وإن كانت متوازية غالباً تنحى الى أن تكون على هيئة خطوط متجهات الى نقطة سمت الرأس . وهذه الأشعة الضوئية في النادر جداً أنها تكون متجهة الى جهة سمت الرأس في السماء وكثيراً ما تنولى وجهها شطر الشرق بحيث حركة الثعبان التواء وانعطافاً من طرف الى طرف وقد يضئ هذا النور أكناف السماء . هذا نظراً في السماء فإذا حولنا وجهنا نظراً الى مباحج المناظر فيما يحيط بنا من الجبال الثلجية وهي مظلمة معتمة ساكنة قاننا لا نتق بنبات هذا المنظر فإن هذه الجبال الهائلة تعكس علينا في سفينتنا ضوءاً مكوناً من ألف لون آتيا لها من الجوف فوقها . فلو رأيت ثم رأيت قم تلك الجبال الثلجية الهائلة قد حليت بأنواع من الألوان كأنما هي محلاة بأنواع من الجواهر المختلفة الألوان وباهر الألوان الساطعة التي تكاد تذهب بالأبصار . هذه الأشعة تظهر في صور مختلفة متنوعة ونماذج من أبهج الجبال . وهذه الأشعة قد تسنين كأنها مدلاة من السماء مشية كهيئة الرداء . (انظر شكل ٩ و ١٠)



(صورة الشفق الشمالى مشاهداً عند (الاسكا) (صورة الشفق الشمالى الذى شوهد عند (بريطون)

في ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٦٥ (شكل ٩) في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٣١ (شكل ١٠)

هنا ما أردت شرحه في آية - إنا جعلنا ماء على الأرض زينة لها - ولما كتبت هذا نقل سألني صاحب الذي اعتاد أن يبحث معي في هذا التفسير . فقال هل هذه الآية يدخل فيها هذا الكلام . إن الزينة إذا صحت في الجبال الثلجية وفي النباتات المأبسة من الأرض لما فيها من جمال المناظر وفي مناظر الحيوان لا يصح أن تكون في آراء الصوفية التي قلتها ولا في خواصات (ألف لية ولية) و (كلمة ودمتم) وإما لها . قلت إن الزينة لا تختص بما يرى بالعين وهي (ثلاثة أنواع) زينة تعرف بالبصر . وزينة تعرف بالبصيرة والبصر وزينة تعرف بالسمع . فأما الأوليان فهما كل زينة رأيناها أو عرفناها كما تقدم والأخيرة هي التي نسمعها عن الأنبياء والصالحين أو ما تخيله أصحاب الروايات . فقال هذا الأخير لا يسمى زينة . قلت قال الله تعالى - ولكن الله يحب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم - . إذن الزينة تكون مرئية بالبصر ومرتبة بالبصيرة . ولا جرم أن المجالس زدان بزينة العلم سواء أكلن دينياً أم دنيوياً . قال أما الآن فاني قد كتبت قلت الحمد لله . انتهى صباح الخميس ١٤ شوال سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ الكلام على الفصل الأول في قصة أصحاب الكهف وهو (وجهان • الوجه الأول) في

قوله تعالى - أم حسبت - الخ (الوجه الثاني) في مقصود القصة ﴾

﴿ الوجه الأول والثاني معا ﴾

اعلم أن قوله تعالى - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا - دالٌ كما تقدم على أن آيات الله في السموات والأرض لانهاية لها وأن أمثال هذه القصة ليست كل شيء وهذا في الحقيقة غريب جدا وعجيب بل إن هذه الآراء وإن كانت حقة وقائما للفسر ببيت غيبوبة عن العقول مبعدة عن ذكرها في المنقول • فليسمع المسلمون في أقاصي المعمورة كيف يقول علماؤنا رحمهم الله أن آيات الله في السموات والأرض أعجب من هذه القصة التي طلبوها نعتنا وأن الله يقول إذا كان ولا بد من البحث عن أمر البعث فليكن في علوم الطبيعة وآياتها البديعة فعلينا إذن أن نشرح ذلك في كلمات فنقول

(١) انظر • أليس الناس ينامون كل ليلة ويستيقظون وهذا نفسه وإن كان معلوما أشبه بأمر البعث ولعمري أي فرق بين نوم الآلاف المؤلفة من الناس ليلة وبين نوم سبعة أنفاس مئات من السنين ألا إن الغرابه هناك هي التي ذهبت يقول الناس فقط والا فالبرهان واحد حتى ثبت نوم وإيقاظ لحظات كان ذلك كالسنوات ولكن عادة الناس ألا ينعصوا إلا للغراب

﴿ عادة قنماء المصريين ﴾

كان الكهنة المصريون يستخدمون هذه الطريقة في عباداتهم الوثنية ويجعلون غرابه الجهل وكونه على هيئة مخصوصة نادرة جانبية لقول العاتقة فهم كانوا مطلعين على أسرار الكون وقد حجبوا العاتقة عن تلك الأسرار بالغراب والجهانب • ألا ترى أنهم إذا مات الجهل أخذوا يبعثون عن عجل غيره وهو المسمى (أييس) ولا يزالون يبعثون حتى يبعثوه فيفرح الكهنة بذلك وتخدمه سيدات خاصات أربعين يوما ثم يضعونه في زورق ويذهبون به إلى الهيكل بمدينة (منفيس) مصحوبا بالكهنة وسراة القوم وجواهر عظيمة من طبقات الأمة ويستعملون لهذا الاحتفال ألف آلة موسيقية يوقعون عليها بمختلف الأنغام ثم تختمون الاحتفال بأنواع الرقص المدهش وهو رقص ديني • فما الذي أفرح المصريين القدماء بذلك • لاشئ إلا الغرابه • فالغرابه هي الباب الواحد لما يراه من الناس • ولكن لا ظن أني أجعل هؤلاء كأولئك ولكن القرآن وإن كان يذكر القصة على أنها وعظما ديني مرشدة للبحث فهو من جهة أخرى يقول كيف يقف الناس عند هذا الحد أي كيف يكون المسلم عاكفا على قراءة قصص الأولين • كلا • بل اقرأ ما خطه الله على لوح الوجود فإن أراد ما هو أعجب من نوم أهل الكهف فما كـ

(٢) لقد ذكرنا نوم الناس وقلنا لا فرق بينه وبين نوم أهل الكهف ولكن أيها الذي إن هذا القول غير مؤلف وأنت وأكثر الناس لا يرى فيه وضوحا • فاسمع ما هو أعجب الخمل وكثير من الحشرات تنام طول الشتاء كأنها أموات فإذا جاء فصل الربيع دب فيها الحياة وعاشت كما كانت

(٣) السمك إذا أنجم الماء الذي هو فيه أصبح كالثلج فلو كسرت الثلج أو قطعتة قطعاً قطع السمك معه لأنه صار ثلجا ويبقى هكذا أمدا طويلا • فإذا أدبته من النار تحرك السمك وذاب الثلج

(٤) أذكر كرم بما مضى في هذا التفسير أن حبة القمح التي أمصاه مرض في سنبله وهو في الحقل قد وجد العلماء فيها عشرات الألوف من الحيوانات الحية ومتى يبست الحبة وزالت الرطوبة ماتت تلك الحيوانات ولقد جرب العلماء في ذلك تجارب ففهم من أخذ تلك الحيوانات ووضعها في الشمس أياما ثم بلها في الماء فحييت كما كانت • ومنهم من وضعها في الشمس كذلك ثم فرغ الهواء حولها مدة طويلة ثم بلها بالماء ثانيا

فتمحركت وعاشت كما كانت . ومنهم من أبجأها عنده فوق العشرين سنة وهي يابسة فلما أنزل عليها الماء تمحركت وعاشت . فالحجاب التي قال الله فيها أنها أكثر من أية أهل الكهف قد ظهرت لنا حقيقة واضحة وأصبحت حبة القمح الواحدة فيها آلاف مؤلفة تموت ونحيا فعلا بعد عشرات السنين ويقولون أنها لو كانت حية في حياتها العادية لم تتحمل كل هذا . فالله تعالى يسوقنا في القرآن الى أن نأخذ الأدلة في هذا وأمثاله من الطبيعة ولا يريد منا إلا التوغل والترقى فيها هذا هو الذي يطلبه القرآن

(أصحاب الكهف ومقترحات أهل مكة)

طلب أهل مكة أن يزعم جبالها وأن يجعلها جنات وطلبوا كما قيل نبأ أهل الكهف فلم يعجبهم في الأولى مع أخواتها وأجابههم في الثانية مفضلاً آيات الطبيعة عليها كأنه يقول تعالى وما مكنكم وما جبالها وإذا أرضعناهم أما كنتم فاعلمون . إلى أبحت لكم حجاب الطبيعة فانظروها . ألا ترون أنى أجعل البرّ بحراً والبحر براً في مئات الآلاف من السنين . ألا ترون أن بحراً هناك (هو الذي ذكرته في قصة نوح) جهة بلاد الروس والترك لحصل زلزلة عظيمة فذهب ماء البحر واتجه الى البحار الأخرى وأصبح الآن بلاداً عامرة (انظروه في سورة هود في قصة نوح) . أنا لا أقول الجبال إلا بالزلازل فيكون الهلاك . فانظروا في حجاب هذا الكون فيه ما تقولون وأما التعتت فليس يفيدكم علماً . فلاقصة أهل الكهف بمنية عن نظركم في الطبيعة والعلوم ولا الاجابة على مقترحاتكم بمنية فتبلا إذا أجبناكم . فلينظر في ذلك المفكرون

(الكلام في خوارق العادات وفي الكرامات والأولياء)

خوارق العادات الجزئية توجد في الدنيا . أما الخوارق الكلية مثل ما في الطبيعة أى مثل الأحوال والاقطاعات الطبيعية فلاوجود له إذ لم تقطع يد انسان ثم رجعت كرة أخرى ولم تقطع عين ورجعت على يد ولي مثلاً أو ساحر أو كاهن . ولكن هناك غرائب تظهر وقد أوضحناها في سورة البقرة في مقامين عند الكلام على حجاب الأرواح وعند الكلام على السحر فلاحاجة لإعادة فهم الأرواح قد انتشر في المعمورة وعلم السحر أصبح بضعة صنائع في أيدي الناس بعد أن كانت أموراً مكتومة مخبوءة فانظروه في سورة البقرة

بقي أن نتطرق في أمور الأولياء ومن هو الولي . هو فاعيل بمعنى مفعول أو فاعيل بمعنى فاعل أى تولاها الله أو هو تولى الله بالطاعة

(صفته)

لاصفه له إلا أن يكون في الظاهر متخلفاً بالشرع وفي باطنه مستغرقاً في الله وآياته وذكره

(كراماته)

ربما ظهرت خوارق على يديه وهذه الخوارق لا تعد وما يظهر على يد محضرى الأرواح فقد تصدر على أيديهم بعض لمحات مما في نفوس من حولهم ومنهم من شاهدتهم بنفسى وهم جهلاء ولكن عند الذكر ووجود شيخ أمامه له أتباع كثيرون ترى هذا التلميذ الجاهل قد أخذ يشرح مواضع علمية فلسفية تعلو على مدارك من حوله . ولقد دهشت إذ اطلعت على هذا في بعض المجالس ورأيت من ذلك الذي ينشد في الذكر من العلم ما لا يقدر عليه أكبر العلماء والفلاسفة فإذا رجع الى حاله الأولى رأيت كما كان لا يدري شيئاً مما كان يقوله وقد أقر مراراً بهذا

(نظير هذا في أوروبا والهند)

قد ذكرت لك في سورة (النحل) الفلام المبرق الجاهل الذي كان يتكلم في الفلسفة وهو منموم مع فصاحة ودلالة حتى إذا رجع الى حاله الأولى لم يدرك شيئاً وكذلك ابنة الحاكم المسماة (لاورا) كانت تتلقى بلغات لا تعرف منها شيئاً وتخطب الأموات الذين يطلبهم أصحاب ذاك الحاكم الأمريكى المسمى (ادمون) وقد نلقت بعشرات لغات في مدة ساعة (الإسبانية والفرنسية واليونانية والإيطالية والبرتغالية واللاتينية والهندية

والانجليزية) وغيرها من اللغات التي كان يجهلها الحضور . وهكذا في بلاد الهند يحصل عجائب وغرائب على يد الشيوخ المنقطعين في الغابات من هذا وأمثلة كثيرا بل عند عباد الأوثان من الغرائب ما يغير الألباب كما روي أن قومهم أوقدوا نارا على حجر أياها ثم قالوا للضابط الانجليزي مر معنا عليه على شريطة أن لا تنظر خلفك والا استقرت حالا ففعل فلم يخفق وأخبر ذلك كثيرة

(آثار ذلك في الاسلام وما يجب أن يكون)

المسلمون نظروا في أمر الشيوخ فرأوا الصالحين منهم لم يعض كرامات من هذا النوع وهنا بيت القصيد فإذا قول . قول ان الأمر موقوف على صاحب هذه الكرامة فان كان حقيقة مستقرا في جلال الله فهذه الكرامة يجب أن تزيد تواضعا ويجب على مرئيه أن لا يظنوا أن هذا مقصود الاسلام بل مقصود الاسلام ارتقاء العقول والبحث والفكر فلو عكف الناس على تلك الخوارق لأضاعت أفعالهم وغسروا وضاع الاسلام إن الشيخ الذي منح هذه الكرامة اذا ظن أن الله اصطفاه بها وأنه سعيد وأنه مرموق من حضرة الحق وقد أصبح آمنا فانه يصبح أبعد من الله وتكون الكرامات شرا ويلا ويكون مثله كمثل الذي له جنتان - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا - إلخ فالفارق بين تلك الكرامة وبين المال فليس اكرم الله الصالح ببعض الخوارق ولتسهيل مصالح الانسان واعطاه الفتي وسعة الرزق من أيدي سائر الناس بدليل على أنه من المكثرين فقد يلبس الطيبة كما يلبس المال وانما رضا الله على مقتضى الاخلاص وكمن رجل دخل الخلوه وصلى فيه وأعطى بعض الخوارق ثم خرج منها وأخذ الناس يقبلون يديه وقد أصبح شيطانا رجيا لانه رجع لطلب الدنيا والشهرة والمال ومن أكرمه الله ببعض الخوارق من الصالحين أو ببعض اليسار والفتي منهم ومن غيرهم ثم فرح بالكرامة وفرح بالمال . فليعلم ذلك الصالح وذلك الفتي انهما قد استدرجهما الله والاستدراج استبعاد عن الكمال واقترب من النقص . فالفرح بالكرامة والفرح بالمال يحيان النفس في الدنيا ومحبة الدنيا بعد عن الله فلاصلاح ينفع ولامال يشفع . وكلا اقترب العبد من الدنيا بهما ابتعد عن الله وهذا هو الطرد بينه . وقد رأيت في كتاب (الروض المستطاب) لبعض تلاميذ الشيخ خالد رحمه الله تعالى ما يوضح هذا المقام ايضا فلما

(فكم من ذاكرته وقلبه ملقى بالدنيا ولتلك ترى كثيرا من شيوخ الطرق في الاسلام صاروا أعظم نكبة على الأئمة وهم جشعون فرحون بالمال مغمورون بالدنيا لاسيا أعقاب أولئك الأولياء الذين لم يسبوا على طرقهم فتصبح العبادة مصيدة للدنيا مبعدة عن الآخرة)

(الصوفية ودول أوروبا)

وما يناسب هذا ما عرفناه في زماننا أن فرنسا لما نظرت فوجدت أن المسلمين تحت أمر الشيوخ أعلنت في جرائدها أنها ستخذ كل طريق لفتح مراكش وذلك باعطاء شريف مراكش أموالا طائلة . وكذلك شيوخ الطرق وبعد ذلك نجحت فعلا وقد قالوا ان هؤلاء الشيوخ يخضع لهم الناس متى أغدقنا عليهم النعم والمال كان الناس تابعين لهم . وهؤلاء الشيوخ متى نالوا النعم والراحة أحبوا بقاء الحالة على ما هي عليه

(قصة أهل الكهف)

علم الله عز وجل أن المسلمين سيقيمون في هذه اليلايا والنكبات وأنهم اذا هم للجهل ر بوعهم سيكون الصلاح وما يتبعه من بعض الكرامات يستعملها قوم من الذين لا يخلق لهم في جلب المال ونصب المكائد للأمة وأنهم سيكون فيهم كذابون مخترعون لتلك ليصيدوا به القلوب . وعلم أن أوروبا ستخذ من هؤلاء شبكات الصيد فأنزل الله هذه السورة ولم يزل ما اقترحه أهل مكة في سورة الاسراء بل اصطفى هذه القصة وما بعدها وبدأها بقوله - أم - حيث أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من أيتنا عجبا - لجعل عجائب الملك أرقى

من هذه الجهاب وحث الناس على النظر في الكائنات لتعقل عقولهم بالمواهب وأن أمثال هذا يكتبني به الأصاغر من الرجال (واجب المسلمين في المستقبل)

لا جرم أن الأم تبدأ بتعليمها بتوسيع الخيال من الجهاب القصية فإذا ارتقى التلميذ في التعليم أروه حقائق الأشياء في الرياضة والطبيعة . هذا هو الصراط المستقيم في أوروبا الآن . فهذه القصص يجب أن تعلى للتلميذ في أول نشأتهم ولكن حرام أن تترك العقول فلا يدرس لها نظام الطبيعة والفلك وقولي حرام أى على من قدر بالمال والعقل وانما كان حراما لتركه لأن ذلك فرض كفاية ولا كفاية إلا بتعميم التعليم تقريبا في هذا الزمان إذ كيف يقول الله إن عجائب السموات والأرض أعجب من هذه القصة وكيف يقول في سورة يوسف عليه السلام بعد أن ألقوا بها - وكأين من آية في السموات والأرض يمررون عليها وهم عنها معرضون - وبخمس على جهلهم ما حوهم وقال إذا لم تعتبروا بسورة يوسف ولم تؤمنوا فأتم قوم جهلهم ما هو أعظم . عجب للقرآن يذكر السورة بتمامها ويقول هناك ما هو أعظم بلانهاية وهنا يقول عجائبي أعظم اللهم إني كتبت في هذا المقام ما أعلم فلا تؤاخذني فيما لا أعلم . فليرشد العلماء أئمتهم فانها أصبحت في حاجة الى الرشدين وليعلم الناس من قدر فهذا ما في طاقتي . وقد حاولت هذا الموضوع مدة حياتي ولكن هذا منتهى جهدي وطاقتي والله وليّ جيد . انتهى الفصل الأول

(الفصل الثاني في حساب السنين وفي معنى (٣٠٩) في الآية)

السنه العربية قد ذكرت في كتاب (نظام العالم والأمم) ما يأتي في صفحة ٢٣٣
أنا الآن في يوم الأربعاء خامس يوم من شهر المحرم سنة ١٣١٩ هجرية أى قبل الآن بأربع وعشرين سنة فوجب إذن أن أجعل التمثيل بهذه السنه فأقول

إذا أردت معرفة أول يوم من السنه العربية فاقسم عدد السنين الهجرية على (٢١٠) واقسم الباقي على (٣٠) وما بقى فاقصه واحدا ثم اضرب البسيط في (٤) والكييس في (٥) واضرب الخارج من قسمة الباقي في (٥) أيضا وأضف (٥) أخرى فهذه حواصل أربعة فاجمعها واقسمها على (٧) وما بقى فأجره على أيام الاسبوع من يوم الأحد فالיום الذى يدل عليه العدد هو أول تلك السنه من زمن الهجرة

ففي مثالنا هذا باقى قسمة سنة ١٣١٩ على (٢١٠) هو (٥٩) وبقسمته على (٣٠) يكون خارج القسمة (١) والباقى (٢٩) و بطرح واحد منه يكون (٢٨) والسنين الكييسية في كل سنة هي (٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩) ويضرب الكييسية في مثالنا في (٥) يكون (٥٠) والبسيطة في (٤) يكون (٧٢) والباقى عندنا (١) نضربه في (٥) ونضيف (٥) وهذه الحواصل الأربعة (١٣٢) وبقسمتها على (٧) يكون الباقى (٦) فيكون أول السنه على هذا يوم الجمعة ولكن الهلال لم يبر إلا ليلة السبت فأول السنه الشرعية يوم السبت وقد مكث الهلال نحو ٤٣ دقيقة بعد الغروب فدل على أن الاجتماع سبق بمدة طويلة . ولمعرفة أول الشهر اضرب عدد الأشهر السابقة على الشهر المطلوب على حساب أن المحرم (٣٠) وصفر (٢٩) وهكذا شهر كامل وشهر ناقص فاضرب التام في (٢) ويضاف اليه عدد الناقصة ويضاف الى مجموعها العدد الدال على أول يوم من السنه ويقسم الكل على (٧) فلعمرة أول شهر ربيع الأول من هذه السنه نأخذ واحدا لناقص ٢٠ لتام فهن (٣) ويجمعها على (٦) وهو الذى كان ابتداء السنه يحصل (٩) فنسقط (٧) فالباقى (٢) ويكون أول شهر ربيع الأول من هذه السنه يوم الاثنين ولكن على حسب القاعدة نفسها لاعلى حساب الهلال . فهذا ملخص مذكره سعادة مختار باشا الفلكى في كتابه (علم الهيئة) فتأمل كيف دارت الأفلاك دورات منتظمة . وكيف كانت الأدوار كل دور (٢١٠) وهذه فيها (٧) أدوار لعدد (٣٠) المشتمل على الكييسية والبسيطة بحيث يكون الكييس والبسط في كل (٣٠) منها ممثلا

تماما ثلاثين بعدها ثم إن أوائل الشهور والسنين في كل دور من الأدوار الكبيرة وهي (٢١٠) هي بينها تماما أوائل السنين والشهور في الدور الآخر بحيث إن السنة الثانية من الدور الأول تكون أوائل شهورها مثل أوائل نظيرتها في الدور الثاني . هذه هي السنة الشمسية والقمرية التي ذكرتها الآية قلا ملخصا من كتابي ﴿ نظام العالم والأسم ﴾

اعلم أن علماء المصريين وأهل أوروبا نظروا في أحوال الأرض من حيث الحرق والبرد فوجدوا ذلك تابعا لقرب الشمس وبعدها وانها تقطع في كل دورة بحسب الظاهر ٣٦٥٢٤٢٢١٧ يوما شمسيا بمعنى انها تحدث قريبا منا وبعدها ينتج عنهما الصيف والخريف والشتاء والربيع ومدة هذه الأربع تسمى سنة شمسية إذ النظر فيها الى سير الشمس ٣٦٥٢٥ يوما وهذه السنة تسمى الاقلامية أيضا لأنها عبارة عن مدة تنقضي ما بين مرورين متتاليين للشمس بنقطة اعتدال واحد كاعتدال الربيعي . وأما السنة القمرية فانها تتربك من ٣٦٥٢٤٢٢١٧ يوما لأثر كل شهر ٢٩ يوما و١٢ ساعة و٢٤ دقيقة واثنيان وتسعة أجزاء من عشرة من الثانية أو ٣٥٤٣٨٥٨٩٠ يوما أي ٢٩ يوما وماينوف عن نصف اليوم . وهذا الحساب مأخوذ من ملاحظة للذة بين كل كسوفين متواليين فيحسبون عدد النورات الاقلامية المصاة (الحركات المدارية) أيضا ويقسمون تلك المدة الكلية على عدد تلك النورات وقد تم المطالب . فاذا طرحنا السنة القمرية من السنة الشمسية كان الفرق بينهما ١٠٨٧٧٥١٤٩ أيام وهذا الصدد يكون في كل ٣٣ سنة ٣٥٥٥٧٩٩١٧ أي ٣٥٥ يوما ونحو ٥٨ جزءا من مائة من اليوم وهذا نحو ستة فتكون كل ٩٩ سنة شمسية زائدة ثلاث سنين اذا اعتبرت قمرية وبالتقريب تزيد كل مائة سنة ثلاث سنين فثلاثمائة تكون (٣٠٩) فهذا هو الذي ذكره القرآن . فاجب واعلم والحمد لله رب العالمين

هذا هو الذي ذكره الله بقوله - وقل عسى أن يهدين ربّي لأقرب من هذا رشداً - . ولعمري كم بين الفرق بين هذا الحساب الدال على النظام الالهي وعلى حكمة الله وعنايته وبين قصة أهل الكهف التي ليست على طراز علم كافل للصحة العاقبة وإنما هو خوارق جرت على أيدي أقوام شرفاء لتذكير الناس بربهم حتى اذا اتقوا رجعوا الى ربهم فقرأوا قصته وصناعته . إن الله أفهمنا أن هذه الهجاء أشبه بلين الأم بوضع الطفل صغيرا فاذا كبر فما أجده أن يجد بنفسه لا يتكلم عليها . فلنقرأ ذلك ولنقرأ بعده العلوم الكونية . ولقد فتح الله الباب في مثل هذا التفسير فليجبه المسلمون . أقول وسيلجونه وسيكونون - خير أمة أخرجت للناس - وسيتم قول الله وسيتم للمسلمون وسيكون هذا التفسير من أسباب امتعاش العقول وذهاب الجفالة - ولتعلن نبأ بعد حين - . وكان أمر الله قلرا مقفورا - وسيقرأ هذا من بعدنا وسيروه حقا والحمد لله . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث في قوله تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا - الخ ﴾

لما ذكر الله عز وجل حساب السنة القمرية والسنة الشمسية وكان هذا حقا مبصرة واضحة بينه ولكنه جعل أخذ سبحانه عهد للأموال الطبيعية الآتية بذكر القلوب المغافلة والمبصرة وأمر نبيه ﷺ أن يكون مع الذين قلوبهم مستبصرة ليهدي السبيل الى ذكر الجنتين وهما من زينة الحياة الدنيا . فانظر كيف ذكر الزينة في أول السورة ثم قال هنا - ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - وكأنه بهذا يفهم الناس ما المقصود من زينة ماعلى الأرض فقال ليس المقصود زينة الحياة الدنيا بل تزيين العقول بأفكارها بعد استكمال الانتفاع بها انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع في مسألة الجنتين وأن أحد الأخوين اغتفر بهما والآخر عرف الحقائق وقاله كل ذلك لا يقامه ﴾
إن هذه المحاورة التي بين الأخوين ضرب مثل للناس جميعا . انها حاصلة في كل مجتمع فالناس جميعا على هذه

الحال فكل من أوفى مالا أو جها أو قوة يتفخر بما أعطيه بل من أوفى علما يتفخر على الجاهل بل أرباب الكرامات من الأولياء بعضهم تكون هذه الكرامات من أسباب تكبره فلكل هنا شامل كامل وإن هذا الذي يتفخر به العالم والغنى والصلح بما آتاه الله من المال أو الأقبال يكون وبالاعليم جميعا ولا يقيه . فكيف يتفخر هؤلاء والدنيا دار انتقال ولكن الغفلة متى استحكمت على القلوب تركتها فارغة لا رأى لها . فكل واحد من هؤلاء يقول الله أعطاني المال أو العلم لاستحقاق وكل من أوفى شيئا باستحقاق فانه لا يسلبه فأنا لأسلب هذا المال ولا أسلب هذا العلم الخ وهذا قوله تعالى - وما أظن أن تبديد هذه أبدا - وأيضا يقولون في أنفسهم إن الله أنعم عليّ في الدنيا وكل من أنعم عليه في الدنيا لابد أن ينال النعيم في الآخرة فعليه أنا عزيز منم في الدنيا والآخرة وهذا قوله تعالى - ولئن رددت إلى ربي لأجلدنّ خيرا منها متقلبا - . ولعمري ما ضرّ الناس إلا هذان البرهتان الذان هما من السفطة وهما أشبه بألفة إبليس إذ جعل كون آدم من تراب سببا في احتقاره ولذلك جاءت قصة إبليس وذريته بعدها وانهم عدو فكيف نأى بألفة . يفتر الرجل فيقول هذا مالي وهذا ملكي ولن يثنى مع أنه يشاهد الأحوال المتغيرة أمله ويقول إن الله ينعمني في الآخرة وما درى أنه لا تلازم بين الحيّاتين بل التلازم للعمل لا للمال . وقد يظن الصالح أن صلاحه أوجب له ما أنعم به عليه من بعض الأحوال أو ما علم أنه لا دوام للأحوال وأنه ربما كان ذلك استراجا . ويظن العالم أن ما كسبه من العلم قرّبه من الله والعلم قد يكون وبالا على صاحبه يقرّبه من الدنيا ويفرح بها ويفتره من الله . أو ما درى من أوفى المال والحدائق أن هذه خلقت له ليعتبرها دروسا يدرسها ويضم مغازيها ويقرأ علومها فتكون جنة حقا توصّل لجنة مستقبلية . إن في لذات المعاني المفهومة من المروج اللواسع ما يربو على لذات المحسوسات والخيرات - وما يعقلها إلا العالون - (بكسر اللام)

يقول الله هذه الحدائق زينة الأرض فاحذروا أن تجعلوها خاصة بالذات الشهوية بل استعملوها في اللذات العقلية واضعوا بها البرية . انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس في قوله تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا - الخ ﴾

هنا كما قدّمتم الكلام في مسألة الزينة في الحياة الدنيا ووصلنا إلى يوم الحساب فيحسب كل امرئ على ما عمل . وقد قلنا إن هذه السورة متصلة بما قبلها من وجوه وأن المقصد من هذا كله مسألة البعث وكنت أريد أن أسمعك تمام بحث البعث والمخاورات التي دارت بيني وبين طالب روسي في كتاب ﴿ الأرواح ﴾ كما وعدت في سورة الاسراء وهذه المحاور قد امتزجت فيها الأدلة العقلية بالأدلة الشرعية مشاكلة لما في هذه السورة من اجتماع النوعين من الأدلة . ولكن اكتفيت في مثل هذا المقام بما قدّمتم في هذا التفسير في مواطن كثيرة فمن أراد ذلك فليقرأ الكتاب المذكور . وهنا ﴿ ثلاث جواهر • الأولى ﴾ في أمر الجنة والنار ﴿ الثانية ﴾ في ضرب الثلثين ﴿ الثالثة ﴾ في سجود الملائكة قد فتح الله بها بعد ما قدّمتم ﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - ويلبسون ثيابا خضرا من سننس وإستبرق متكتئين ﴾

فها على الأرائك ثم الثواب وحسنت مرصفا -

في صباح هذا اليوم (١٧) مايو سنة ١٩٢٨ م خرجت للرياضة في روضة النيل في ضاحية مصر فقابلني أحد الفضلاء وكان من حديثه معي أن قال - ما الذي يطبع من التفسير الآن . قلت سورة الكهف . فقال عندي سؤال لازال يهاودني طول حياتي . قلت وما هو . قال يقول الله تعالى - ويلبسون ثيابا خضرا من سننس وإستبرق - الخ ويقول في سورة الحج - يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير - ويقول في سورة أخرى - وأنهار من عسل مصفى - ففي الجنة حريرو لؤلؤ وعسل . ولا جرم أن الحرير لينة حاسة اللمس فان لمس الخشونة والملامسة والتقل والحفّة وهكذا الخ بما اطلمت عليه في كتابك ﴿ بهجة العلوم ﴾

في الفلسفة العر يقموزلونها بالعلوم المصرية وهذا الكتاب هو الذي جعلني أفكر فيها أقوله الآن وما يصلح الإلانة حاسة النوق التي لها تسع صفات من صفات المادّة مثل الحرارة والملاحة والحلاوة وهكذا وما اللؤلؤ إلا للنة الابصار والابصار من صفات المادّة عشرين الألوان والأشكال والحركات الخ . كل ذلك قرأته في ذلك الكتاب وأرى الله خلق ذلك لنا في الأرض وأنزل سورة النحل وقال تعالى - وتستخرجون منه حلبة تلبسونها - وهكذا وهذه الحواس ثلاث وحواسنا خمس فأرجو إيضاح ذلك المقام . فقلت إن هذه المذكورات مفاتيح العلوم وروقي المسلمين في الدنيا والآخرة . فقال

سارت مشرقة وسرت مغرباً • شتان بين مشرق ومغرب

فقلت لا أنا مشرق ولا أنت مغرب . إن المقام مقام علم وحكمة . اعلم أن هذا النوع الانساني خلق في الأرض ليسر بها لاغير . والدليل على ذلك أنه جعل الله طعامه من حشرة طائرة بجناحيها وهو النحل وألّف اللبوسات من دودة تسمى على بطنها فوق الأرض وهو الحرير . وأبهيح الحلي من حيوان بحري لاحق بالصخور في البحر وهو الدر . غسل وحرير ودر . قل وجودها وغلائنها وعسر تحصيلها وفرقت على عوالم الهواء والأرض والماء . ذلك درس جليل لهذا الانسان . أفلا ترى أن هذه مفاتيح العلوم الجوية والأرضية والبحرية وهل كرتنا الأرضية هي وما حوّلها غير ذلك . وقد قلت في كتابي (جوهرة الشعر والتعريب) ما يأتي من الآيات

ومن لحمه سوداء جلاؤا بجوهر • بهيج هو الألباس في صدريقية
وخير لباس الناس من نسج دودة • وخير طعام الناس من فم نحلة
وأعجب آيات الجبال جواهر • من الصدف الخلق في قاع لجة
فهذا على أرض وذلك في الهواء • وآخرو في لج البحار العميقة

أكثر هذا الانسان يشبهون الحيوان يعيشون ويتمتعون ويقفون عند الحواس الخمس . ولكن هذا الانسان كله ختم وحشم لأولى الألباب الذين يتفكرون في هذه الدنيا ويعرفون أن هذه انما هي مفاتيح للعلم ويفطنون لهذا الوجود . وما هذا كله إلا تفسير لقوله تعالى - وإدبنا مزيد - . يقول العلماء إن أهل الجنة يتمتعون فيها ولكن أعلامهم الناظرون لوجه ربهم ولا ينال ذلك إلا أولو الألباب الذين عشقوا العلوم في الدنيا . إذن الناس (قسان) قسم اكني بالظواهر في هذه الأرض وهؤلاء اذا كانوا صالحين دخلوا الجنة الحسية واكتفوا بها . وقسم عرف الحقائق في الدنيا وأدعته نظام هذا الوجود وكيف كان هذا الانسان قد قسمت عوالم الهواء والأرض والماء على حواسه فكان منها آلامه ومنها لذاته فهناك يبحث في البحث والتفكير وأتمه هذا شأن عقلائها تنال الزيادة في سعادة الحياة والزيادة في الجنة وهي النظر لربها والأمم الاسلامية اذا عقلت أمثال هذا نال أحيائها العز في الحياة وأمواتها في الآخرة النظر لوجه الله ولا نظر لوجه الله إلا بعبادته تكسب في هذه الحياة . تلك للبادي هي معرفة العالم الذي نعيش فيه . ولولا ذلك لم يكن هناك داعية الى الاقلال من الصل والحرير والدر . وفي الامكان أن يكون الدر في كل مكان والصل أنهارا والحرير كالقطن وفي ذكر أنهار الصل والدر والبذر في الجنة ما يشير الى هذا الامكان . انه لم يمنع ذلك إلا ارادة توجبه الاظهار للبحث فان ما غلا ثمنه وصعب الحصول عليه تنجبه اليه الجهلاء لتملكه والعلماء لتبجته . هذا بعض السر في نظام هذا الوجود . فقال وهل اللغة العربية تساعد على ذلك . فقلت وهل اللغة العربية غير ذلك . فقال وكيف ذلك . فقلت أسألك عن معنى ما قالته الخنساء في أخيها صخر

طويل التجاد رفيع العما د كثير الرماد اذا ما شتا

ما معنى كثير الرماد . قال ان كثرة الرماد تستلزم كثرة اسواق الحطب وكثرة اسواق الحطب تستلزم كثرة

الطبخ وكثرة الطبخ تستلزم كثرة الآكلين وكثرة الآكلين تستلزم كثرة الأضياف وكثرة الأضياف تستلزم الكرم . فاذن كثرة الرماد تستلزم الكرم بهذه الوسائط وهذا يسمى كناية فهمى لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي . فقلت إذن يكون أخوها صخر كان عنده رمد كثير وعنده كرم وثانيهما لازم لأولهما . قال نعم وهذه هي الكناية للسمة رمزاً والرمز إما أن يكون بكثرة الوسائط . وإما بخفاء القرينة مع قلة الوسائط . فقلت له هكذا هنا هي كناية قالعني المفهوم من اللفظ العموم والكناية السمة رمزاً للخصوص فالذين فهموا الرمز ودرسوا العلوم تفصوا أنهم في الدنيا ورأوا ربهم في الآخرة والذين اكتفوا بظواهر الحرير والصل واللؤلؤ من بعض علماء الدين والعامة والصلحاء فلاجئة لهم إلا ما فرحوا به كما تقم في كلام الامام الغزالي في أول (سورة البقرة) . فقال وما القرينة هنا . قلت القرينة هنا قوله تعالى في آية أخرى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قوته أعين - وقوله ﴿ في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴾ ولا جرم أن الحرير والصل واللؤلؤ رأيتها العيون وسمعتها الأذان وخطرت على القلوب فقال ولم خص لون الخضر . قلت هذا مفتاح رابع للعلوم فالخضر تسمى النبات وهو منتظم موزون جبل وهذا التشبيه مأخوذ به . فقال إن هذا البيان عجيب . فقلت الحمد لله الذي نعمته تتم الصالحات . فقال هنا سؤال آخر وكيف تكون هذه رياضة . فقال هذه رياضة تكون مصاحبة للرياضة الجسمية . فقلت ماهو السؤال . فقال يقول الله تعالى - كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وفوقوا عذاب الحرى - وقال هنا - وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل - وإنما قلت هذا لأن الشيء يضطر بالبال عند ذكره . فقلت له إن القول السابق يفسر اللاحق . فقال وكيف ذلك . فقلت أهل جهنم كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وكما استغيثوا أغاثوا بماء كالمهل كما هي الحال الآن تماماً . إن أهل الأرض الذين لا يعرفون إلا الحواس الخمس كالبهائم إذا اقتصر على تمتع الحواس من المال والولد والصب واقبال الناس عليهم فإن كل لغة يحدث بعدها رد فعل فيحتاجون للذة أعلى وهكذا فكما خرجوا من غم عادوا فيه وكما طلبوا مالا أوجاهوا ازدادوا لوعة وحسرة . ولنتظرفي أغشنا . أليست هذه الحال عاقبة في أهل الأرض وأقرب مثل لتلك من يدينون الخمر فكما أراد أحدهم التوبة عاود الكرة فإذا صمناهم وأراد الخروج من النهم فإعاد فيه فأمر الخمر في هذه الحياة بجله الله مثلاً للناس ليعلموا أن هذه حال الحياة الدنيا وكل ذلك للوقوف على المحسوسات والاكتفاء بظواهر الحياة في الأعمال وظواهر الألفاظ في الكتب السبوية - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - . فلما سمع ذلك صاحبي قال قد فهمت وشفيت صدري والحمد لله رب العالمين . انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين - الخ وفي قوله - واضرب لهم مثلاً الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء - الخ وقوله - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - الخ مع قوله في أول السورة - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم - الخ ﴾ يجب التقارئ لهذه السورة فإنه يجد أنه في أولها ذكر أن ماعلى الأرض زينة لها وأن هذه الزينة تنهب فلاوجود لها ثم يجد هنا ضرب مثلاً للرجلين إذ اغترأ أحدهما بزينة الدنيا فهلك ثمه وضرب مثلاً الحياة الدنيا كلها فيجعلها كالزرع يصير شيئاً تقتلوه الریح . إذن ههنا الثلاث وما قبلهما وما بعدهما كله إيضاح لما ذكر من لزينة القانية في أولها . لهذا ابتدأ السورة بالحمد على أنزال الكتاب لأنه هو الذى أبان هذه الحقائق . ولما كتبت هذا حضر صديقي العالم وأطلع عليه فقال . لقد جعلت في هذه السورة صوراً جميلة تمثل الزينة في هذه الأرض من حشرات طلوسية الى جبر مزوقة حبشية الى عيون ماء حارة بيضاء بهية الى أبرار بهجة في الأقطار النجالية من قباب نورية بلورية وأشعة عمودية عليها ابرية وما يشل الحيات الساعية

الموسوية من الأنوار القطبية . إن هذا جبال وأى جبال ثم يتبع هذا احتقار الحياة ونبد هذه الزينة والتبرى منها . إن هذا بحير العقول . فبينما نرى جبالا على جبال اذا هذا كله في وبال وذهاب وتباب فكيف يجمع في عقولنا بين الوجود والعدم والحياة والموت والجبال والوبال وكيف يجمع الفرح والحزن . هذا هو الذى بحير الأبواب . فقلت لقد أشرت لهذا فيما تقدم في هذه السورة وغيرها ولكن الآن أقول . ان الله لما أنزل هذا الدين ساقه لقوم عقلاؤه بلقمتهم ففهموا غير ما فهم نحن الآن وعقلاؤه بلافلسفة ولا تعليم ولا مدارس ولا دروس ولا أزيدك على ما جاء في التاريخ من فتح المسلمين البلاد المصرية فهذا الذى أذكره يتضح هذا المقام . ذلك أن المسلمين فتحوا بلاد العرب والعراق وفارس والشام وفلسطين وغيرها في مدة لا تتجاوز (١٨) سنة هنالك دهش (هرقل) الروماني ملك القسطنطينية من هذا السيل الجارف وأوجس خيفة على مصر فأقام معاهدة بينه وبين عمر رضى الله عنه أن يدفع الرومان جزية سنوية للمسلمين في مقابلة تركهم لفتح مصر ولكن هذه الجزية ما كان الروم ليدفعوها في حينها بل كانوا يتقصونها عما اتفقوا عليه وكان إذا ذلك عمرو ابن العاص لا يفتأ يذكر الخليفة بفتح مصر وكان يقول انها أكثر الأرض أموالا وأعجز عن القتال والحرب ولكن عمر بن الخطاب لم يقدم على ما قاله عمرو بن العاص إلا بعد أن قطعت المعاهدة بين الطرفين وتوجه عمرو بن العاص الى مصر بأربعة آلاف

(١) فأولاً دخل (رفع) وهي الآن قرية تسمى (رفع) تبعد عشرين ساعات عن العريش

(٢) ثم العريش

(٣) ثم نوغل في مصر وانضم اليهم قوم من البيوتى طريقهم

(٤) فقاتلوا في (الفرما) عسكر الروم نحو شهر ففتحوها

(٥) ثم قاتلوا في بليس نحو شهر ففتحوها

(٦) ثم ساروا الى (حصن بابليون) ويسمى عند قدامتنا مؤرخى العرب (باب اليون)

ويقولون انه حصن بناه الفرس لما ملكوا مصر وسموه باسم عاصمة بابل لأنها كانت في ملكهم إذ ذاك ومكانه الآن مكان (قصر الشمع) وهو يبعد عن ضفة النيل الآن لأن النيل قد تغير مجراه بعد ذلك وهذا الحصن كان عظما على ضفة النيل الشرقية مقابل الاهرام وفي شرقيه جبل المقطم وهناك أرض فضاء فيها بعض الكنائس وأمام الحصن النيل وفي وسط النيل جزيرة الروضة والماء يحيط بها طول السنة وكانت تسمى بجزيرة مصر وكان للممر من هذا الحصن الى الجزيرة جسر من خشب وهكذا من هذه الجزيرة الى الجزيرة في البر الغربي للنيل فنصبوا الخيام فيها بين الحصن وجبل المقطم وقد شحن هذا الحصن بالمقاتلة والجيش المصرية وكان في الحصن المقوقس مع هؤلاء الجيوش وهو حاكم البلاد من قبل (هرقل) والمقوقس كان رجلا يونانيا ولكنه أصبح وطنيا مصرية فغار بهم عمر مدة وأمه الخليفة بأربعة آلاف أيضا فشدتوا في الحصار ولكن المقوقس ومن معه عبروا الجسر الى الجزيرة ومنها توجهوا الى (منف) وهي العاصمة في جهات الجزيرة

وأما عمرو ومن معه فقد دخلوا الحصن وتوجهوا الى الجزيرة وهناك دارت مكاتبات بينهم وبين المقوقس فأرسل المقوقس لهم خطابا يطلب فيه أن يرسلوا رجلا من العرب ليكون الاتفاق على أيديهم فأرسل عمرو خطابا مع عشرة نفر رئيسهم عبادة بن الصامت وكان هائل المنظر أسود اللون طوله عشرة أشبار وهو المتكلم عنهم فركبوا السفن حتى أتوا المقوقس ففتحتم عبادة في صدر أصحابه فهابه المقوقس لسواده وعظم جشته وقال نحووا عني هذا الاسود وقتلوا غيره يكلمنى فأجابوا أن هذا الاسود أفضلنا رأيا وعلمنا وهو سيدنا وخبرنا وإنما نرجع جميعا الى قهله ورأيه وقد أمرنا الأمير أن لا نحالف له أمرا . فقال المقوقس وكيف رضىتم أن يكون هذا الاسود مقتلا عليكم وهو أسود وانما بيني أن يكون دونكم . فقالوا . كلا . وإن كان أسود فهو أفضلنا . فقال

المقوس لعبادة بن الصامت تقدم بالسود وكفى برفق فأتى أهاب سوادك فتقدم عبادة إليه وقال قد سمعت مقاتلك
وان فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سوادا مني وأقطع منظرا وجيهم أشد هبة مني وأنا
قد وليت وأدبر شبابي وأتى مع ذلك بمحمد الله ما أهاب مائة رجل وذلك إنما لرغبنا وهمتنا في الجهاد في الله
وإتباع رضوانه وليس غزونا عدونا من حرب الله لرغبة في الدنيا ولا طلب الاستكثار منها إلا أن الله عز وجل
قد أحل لنا ذلك وجعل ماغننا منه حلالا ومايبالي أحدنا أن كان له قطار ذهب أو كان لاجلك إلا درهما
لأن غاية أحدنا من الدنيا أسكة يأكلها يسد بها جوعه عليه ونهاره وشدة يلتحفها فان كان أحدنا لا يملك
إلا ذلك كفاه وإن كان له قطار من ذهب أنفق في سبيل الله واقتصر على هذا الذي في يده ويبلغه ما كان
في الدنيا لأن نعم الدنيا ليس نعبا ورضاها ليس رضا إنما النعم والرضا في الآخرة وبذلك أمرنا الله وأمرنا
به نبينا وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا مايمسك به جوعه ويستعوره وتكون همة وشغله
في رضوانه وجهاد عدوه . فلما سمع المقوس منه هذا الكلام قال لمن حوله بلغتهم هل سمعتم مثل كلام
هذا الرجل قط . لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب . إن هذا وأصحابه أخرجهم الله غراب الأرض . ماألظن
ملكهم إلا سيفلج من على الأرض كلها ثم أقبل المقوس على عبادة بن الصامت فقال له ﴿ أيها الرجل الصالح
قد سمعت مقاتلك وماذكرت عنك وعن أصحابك . ولعمري مابلغتم مابلغتم إلا بما ذكرت وماظهرتم على من
ظهرتم عليه إلا لحيم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه إلينا قتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون
باللحمة والشدّة مايبالي أحدكم من قتي ولا من قاتل وأنا لنعمل أنكم لن تقدرروا عليهم ولن تطبقوهم لنضفكم
وقلتكم وقد أقم بين أظهرنا أشهرا وأتم في ضيق وشدّة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لنضفكم
وقلة ما بين أيديكم ونحن نطلب أنفسنا أن نصلحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولا نبيكم
مائة دينار ونخلفكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يضاكم ما لا قول لكم به ﴾

فقال عبادة ﴿ يا هذا لا تفرّن نفسك ولا أصحابك أما مايقولنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا
لا تقوى عليهم فلمعري ما هذا الذي نخوفنا به بالذي يكسرنا هما نحن به وإن كان ماقلتم حقا فذلك والله
أرغب ما يكون في قتالهم وأشدّ لحرصنا عليهم لأن ذلك أعزنا عند ربنا إذا قعدنا عليه أن قتلنا من آخرنا
كان ذلك أمكن لنا في رضوانه وجنته وماشيئ أقرّ لأعيننا ولا أحبّ لنا من ذلك وإنا نملك حينئذ لكل واحد
الحسينين إما أن نعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفروا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفروا بنا وإنا أحبّ الخصلتين
إلينا بعد الاجتهاد منا وأن الله عز وجل قال لنا في كتابه - كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين - وما منا رجل إلا يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه
ولا إلى أهله وولده وليس لأحد منا همّ فيها خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا ماأملنا .
وأما قولك اتنا في ضيق وشدّة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع البعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها
لأنفسنا أكثر مما نحن عليه فانظر الذي نريده فينه فليس بيننا وبينك خصّة قبلها منك ولا يجيبك إليها إلا
خصّة من ﴿ ثلاث خصال ﴾ فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير
المؤمنين وهو عهد رسول الله من قبل إلينا . أما ان أجبت إلى الاسلام الذي هو الدين القيم الذي لا يقبل الله
غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملأته . أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان
فصل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان أمانا في دين الله فان قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا
والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم وإن أيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية
وأنت نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأتم في كل علم أبدا ما بقينا وبقيتهم وأن نقاتل عنكم من ناولكم
وعرض لكم في شيء من أرضكم وممالككم وأموالكم وقوم بذلك عنكم ان كنتم في قتلنا وكان لكم به عهد

علينا وان أيتهم قليس يبتنا وينكم إلا المحاكمه بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نضرب ماتريد منكم . هذا ديننا الذى يدين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما يبتنا وبينه غيره فانظروا لأنفسكم ﴿

فقال المقوقس . هذا مالا يكون أبدا . ماتريدون إلا أن تتخذونا عبيدا ما كانت الدنيا . فقال عبادة هوذاكم فاخترنا لنفسك ما شئت . فقال المقوقس فلانجيبيونا الى غير هذه الثلاث خصال فرفع عبادة يديه الى السماء فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شئ مالكم عندنا خصله غيرها فانظروا لأنفسكم فالتفت المقوقس إذ ذاك الى أصحابه فقال قد فرغ القوم فما تريدون فقالوا أيرضى أحد بهذا الزل أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا لا يكون أبدا أن ترك دين المسيح ابن مريم ودخل في دين غيره لانعرفه وأما ما أرادوا أن يسبونا ويحلبونا عبيدا فالتوا أسير من ذلك فلو رضوا أن نضاعف لهم ما أعطيناهم صرارا كان أهون علينا . فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فما ترى فراجع أصحابك على أن نعطيك في مرنكم هذه ماتعيتهم وتنصرفون . فقال عبادة وأصحابه لا . فقال المقوقس عند ذلك لأصحابه أطيعوني وأجيئوا القوم الى خصله من هذه الثلاث فوالله مالكم بهم طاعة ولئن لم نجبهم اليها طامعين ليجيبهم الى ما هو أعظم كرهين . فقالوا وأى خصله نجيبهم اليها . قال أما دخولكم في غير دينكم فلا يسلم أحدكم به وأما قتالهم فأنا أعلم انكم لن تقدرؤا عليهم ولن تصبرؤا صبرهم ولا بد من الثالث قالوا فنكون لهم عبيدا أبدا . قال لم تكونون عبيدا مسيطرين في بلادكم أنسين على أنفسكم وأحوالكم وذراريكم فأطيعوني من قبل أن تندمؤا فأذعن القوم للحزبه ورضؤا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه . فقال المقوقس لعبادة . أعلم أميرك انى لا أزال حريصا على اجابتكم الى خصله من تلك التحال التى أرسلت الى بها فاعطنى أن أجمع به أنا في نفر من أصحابى وهو في نفر من أصحابه فإن استقام الأمر يبتنا تم ذلك جيما وان لم يتم رجعا الى ما كنا عليه فاجتمع عمرو بن العاص بالمقوقس وكتبوا شروط الصلح بأن يعطوا الأمان للصريين وهم يدفعون الجزية . انتهى

فهذه المحاورات التى دارت بين عبادة بن الصامت والمقوقس تبين لنا ما كان يفهمه آباؤنا حين نزل القرآن في قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - وقوله - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا - وقوله - لئلا والبنون زينة الحياة الدنيا - . الأثرى الى قوله ﴿ وما يبالى أحدنا ان كان له قطار ذهب أو كان له ليلامك إلا درهما ﴾ وقوله ﴿ ان كان له قطار من الذهب ألقفه في سبيل الله الخ ﴾ وقوله ﴿ إن نعيم الدنيا ليس نعيما ورضاها ليس رضا ﴾ وهكذا قوله ﴿ وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ﴾ فهنا القول وأمثله هو مقصود القرآن والذى فهمه هم الذين نزل بلسانهم وانما فتحوا مصر وغير مصر لأنهم كانوا يريدون الله والبر الآخرة - خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات - فصاعت هيتهم وصار فتوح البلدان مقصودا به الدنيا فظهر مصادق قوله ﷺ ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا وزخرفها الخ ﴾ فيعد أن كان فتوح البلدان قربه من القربت صار غموا وقتة يفق بها المسلمون . هذا هو التطبيق من التاريخ على هذه الآيات فهذه زينة الحياة الدنيا وهذا ضرب مثلها وهذا نتيجة العمل بها والخالفه لها . فلما سمع صاحب ذلك قال لقد اتضح هذا المقام وانشرح صدرى لهذا البيان ولكن ماذا تقول في المسلمين اليوم . هاهم أولاد أبناء العرب وغير أبناء العرب من المسلمين . هل ترى لهم قوّة على فتح البلدان كالسابقين قلت أذكرك بأنى قلت فيما مضى في هذا التفسير ماملخصه

﴿ إن آخر سورة الفتح فيه ﴾ (تشبيهان) يمثلان الأمة الاسلاميه فهم في التوراة - أشدءاء على الكفار رجاء بينهم - وهم في الانجيل - كرمج أخرج شطاء - الخ ﴾

فخل التوراة هو الذى ظهر أولا من فتح البلدان وتلك ترى الاسلام الآن في الصين واليابان وأمريكا والمند وفى انكلترا وفرنسا وألمانيا وبلاد روسيا وبولونيا وبلاد أخرى . إذن نحن جشنا في زمان فيه وجدنا الاسلام

منتشرا في العالم لجهادنا الآن يختلف عن جهاد آبائنا . هم فتحوا البلدان . فهانحن أولاء فتتح العقول
الاسلامية وذلك بالتشويق للعلم . فاذا رأينا عبادة بن الصامت يقف أمام القوقس ويقول له نحن اذا ملكنا
أفقتنا في سبيل الله واذا لم نملك لم نرد شيئا من الدنيا ولم نبال بها . فهكذا هنا فنلقل لنقرأ العلوم حيا لها
وغراما بها وشوقا الى ربها وفرحا بقلائه أقبلت الدنيا أم أدبرت وبهذا مرضى ربنا وهذا الفتح العلمي هو
الذي يعطى الأمم الاسلامية اليوم قوة المال والجاه والثروة ويحفظهم في أى مكان كانوا على شرط أن يكون
طلب العلم لذات العلم ولوجه الله تعالى ولحبه فاذا انتشرت هذه الفكرة فبشر المسلمين بالعز فليس الجهاد قاصرا
على ضرب الأعداء فالجهاد يرجع الى كل عمل شريف فاضل في كل ضرب من ضروب الحياة وأفضله كله العلم
فالعلم أس العمل . وأنا أرجو أن يكون هذا التفسير لحمل لواء الرقى الاسلامي والفتح العلمي ونبوغ طواقم
من أم الاسلام فيرجعون مجدهم ويسبقون غيرهم ويكونون نورا للعالمين وهذا هو المثل الثاني وهو مثلهم في
الانجيل وانهم - كزكريا أخرج شطاء فآزره فاستفظ فاستوى على سوة يجب الزرع - فهذا الزمان هو
الذي يوافق مثل المسلمين في الانجيل لأن الانجيل يرجع الى الرقى الأخلاقي والاخلاص والحكمة والعلم
يقضون الأمم في دخول دين الاسلام فهناك لم يكن للعلم سلطان . أما الآن فالعلم هو الذي به فتتح العقول ودين
الاسلام الآن ينتشر بالتعلم والفهم . واذا كان الذين يحملون الاسلام جهلاء قتلهم خير مسموح . أما اذا
انصفوا بالعلم فان الناس قتلهم يسمعون ولديهم يذعنون . ولقد قال عالم من علماء الألمان (نحن عرفنا
دين الاسلام ولكن أين للمسلمون الذين تقتدى بهم) فليكن هذا زمان الرقى العلمي والجد لله رب العالمين
(الجوهرة الثالثة في قوله تعالى - واذا قلنا للأنكة اسجدوا لآدم - الى قوله

- وما كنت متخذ المضلين عضدا -)

ان هذه القصة ذكرت في مواضع في القرآن وفي البقرة وفي الأعراف وفي الحجر فانظر ما كتب عليها هناك
تجد انها فتحت بابا للعلوم المهجورة في بلاد الاسلام لاسيا اذا قرأت ما كتبه الله عليها في سورة الحجر وأن
عصيان آدم وحواء بالأكل من الشجرة تفرع عليه قاصص للدين الحاضرة في طعامنا وشرابنا ونجم من تلك
النقائص أمراض وتدهور في الأخلاق وذكرت في غيرها على هذه القصة أن الطمع والجشع قد نجما من
الشهوة البهيمية في الانسان لمصر عنها بالأكل من الشجرة وأن الصلوات والحروب والحقد والفيظ والحسد
وأشاطا تربت على القوة الغضبية فيه التي يشربها كبرياء ابليس وقوله - خلقتني من نار وخلقته من طين -
فهذه الكبرياء فتحت أبواب الشرور والعداوات على مصراعها فاحتدم وطيس الحروب والعداوات بين الناس
أعما وأفرادا . ثم ان الوسواس الشيطانية أكثر من الخرافات في الأرض فضلت الأمم فعبدوا الأصنام اتباعا
للهوى . فانظر عبادة الأصنام في أول سورة البقرة عند قوله تعالى - فلا تعبدوا الله أندادا - وفي سورة ابراهيم
عند قوله تعالى - واجنبني وبني أن نعبد الأصنام - وما جاء تحت عنوان (جوهرة في أدیان القسام)
من الكلام على ديانة البراهمة والتثليث عندهم وأن يرمهم جوهر نقي وله (ثلاث صفات) وهي واحدة فهي
ثلاثة من وجه واحدة من وجه وهكذا نظام هذه الدنيا مثلث وموحد وكذا نظام هذا الانسان مثلث وموحد
وهكذا أخذوا يعبدون الأصنام بعد التثليث ثم اخترعوا أقاصيص وأساطير الخ ما هناك فراجع
ولقد تقدم في سورة الاسراء عند مسألة الروح مانعه

وهنا سألتني بعض الأصدقاء هذا السؤال قائلا . أيها الحبيب أريد أن تذكر شيئا مما دخل من البدع
في الأمم الاسلامية حتى تنتور وغير الفت من السمين فقلت أنا الآن ليس أمامي كتب مهمة في هذا الموضوع
ولكن سأذكر لك (ثلاث مسائل) من أفعال المضلين (المسألة الأولى) مذهب الباطنية التي تفضل
في بلاد الاسلام واتصل من الصور الأولى الى الآن (المسألة الثانية) الكلام على نظام الملك الوزير وعمر

القيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطني توضيحا لمسألة الأولى (المسألة الثالثة) زهد أكثر الأمم الإسلامية اليوم في فهم القرآن والاهتمام به مكتفين بشيوعهم وأن هذا سبب عن المسألتين السابقتين

(المسألة الأولى من هم الباطنية)

اعلم أن دولة الفرس ودولة الروم هما اللتان كانتا سائدتين قبل ظهور الاسلام وكان لكل منهما القلبة على العرب فبابليها كما هو واضح في سورة التوبة فأقرأ هناك من كلام العلامة (سدي) الفرنسي فلما ظهر الاسلام أنزع الملك من الفرس ودخلوا في دين الاسلام . هناك غلت مراحل الحق في قلوب بعض الأمة الفارسية فأخذوا يكيدون للاسلام كيما ليكسروا شوكة العرب فأخذوا يجتمعون سرا ويطنون غير ما يظهرون وكان ما كان من مسألة أبي مسلم الخراساني الذي حارب تحت إمرة بني العباس وانزع الملك من بني أمية . ولما استقر القرار لبني العباس أراد أبو مسلم أن قلب لهم ظهر الجهن ويتخذ لثامته لنفسه فظن أبو جعفر النصور وقته غيلة وهكذا هارون الرشيد خفيه ذلك الذي علم ما نطوت عليه أفئدة الفرس والبرامكة يشنون أزهرهم لأن يحيى وجعفر ابنه كانا من نسل سدة معبد النار بفرس فكان هؤلاء يجذون سرا في نزع الملك من بني العباس وجعله في بني علي كرم الله وجهه ليكون الأمر لهم ويدبرونه كما يشاؤون ففتك الرشيد بجعفر والبرامكة في ليلة واحدة فلما رأوا أن لا فائدة من ذلك عمدوا الى الخديعة والسكنان وأسوا جمعية سرية سموها (الباطنية) . قال في شرح المواقف ان (الغبارية) وهم طائفة من الجوس راموا عند شوكة الاسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود على قواعد أسلافهم وذلك انهم اجتمعوا وتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك وقالوا لاسبل لنا الى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك لكننا نحتمل تأويل شرائعهم الى ما يعود الى قواعدنا ونستخرج به الفضاء منهم فان ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلماتهم وريئسهم في ذلك (جندان قرمط) وقيل (عبد الله بن ميمون القنجاح) أولهم في الدعوة . ثم ذكر أن استدراج الطغام (سبع مراتب)

(١) (الزرق) فترسى حال المدعو هل هو قابل للدعوة ويقولون بمنع إلقاء البشر في السبغة أى دعوة من ليس قابلا

(٢) (التأنيس) وهى أن يستلوا كل واحد الى ما بهواه فالناسق بالخلاعة والعتيف بتحسين الصلاح والعتة (٣) (التشكيك) فى أركان الشريعة كأن يقال (١) ما معنى الحروف فى أوائل السور (ب) ولم تقضى الحائض اذا أفطرت أيام رمضان دون صلاتها (ج) ولم يكون الفصل من المني دون البول (د) ولم يكن عدد الركعات أربعة أو اثنين وهكذا ولا يجيبونهم على ذلك ليربطوا قلوبهم

(٤) (الربط) وهو (أمران الأول) أخذ المتأقمنه أن لا يضى سرهم (الثاني) أن يحيله على الامام فى حل ما أشكل عليه لأنه هو العليم به وحده

(٥) (التدليس والتأميس) والأول دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا لهم حتى يزيد ميله الى ما دعاهم اليه . والثاني تهديد مقتحات قبلها ويسلمها المدعو فدعوه الى ما يسمعه من الباطل .

(٦) (الخلع) وهو العلمانية الى اسقاط الأعمال البدنية

(٧) (السلخ) وهو أن يسلمه من الاعتقادات الدينية ويحيئذ يأخذون فى الإباحة واستهجال الذات وتأويل الشرائع (١) كأن يقال الوضوء معناه مولاة الامام (ب) والتبسم الأخذ من المأذون عند غيبة الامام (ج) الصلاة عبارة عن الناطق وهو الرسول (د) والاحتلام هوافشاء سر من أسرارهم الى من ليس هو بأهل بلا قصد منه (هـ) الفصل تجديد العهد (و) الزكاة تزكية النفس بعرفة ما هم عليه من الدين (ز)

السكبة التي والباب على الخ

بهذا تفهم أيها النكبي ما تقدم في سورة إبراهيم من تلك الشكوى المرة التي شكاهها أنبياء (أغا ممنون) وقولهم انه يقول انه مسلم ولكن يقول القرآن ليس منزلا لكم وهذا المقام واضح هناك ولكن سره ظاهر هنا فهو مسلم ولكن الشريعة كلها حوت الى عبادة الامام والاخلاص له . وبهذا تفهم قولهم له ماذا فعلت للاسلام ونشره وأنت مسلم وتسكر اتباعنا للقرآن . فافهم ذلك وافرح بنعمة العلم والعرفان

وهذه الطائفة تسمى بأسماء مختلفة (١) الاسماعيلية لانبيائهم الامامة لاسماعيل بن جعفر الصادق وهو أكبر أبنائه (٢) الباطنية لقولهم يباطن الكتاب دون ظاهره والمتمسك بظاهره معذب بالتكاليف وللمتمسك بباطنه ترك للعمل بالظاهر سعيد (٣) القرامطة لأن أولهم الذي دعا الى منهم هو رجل يقال له (جذان قرمط) وهي إحدى قرى واسط . ومن هؤلاء القرامطة طائفة هجمت على مصر أيام للمعز لدين الله الفاطمي فأسدى وزيره الصلياني الى عرب مصر الذين اتحدوا مع القرامطة بأن أعطاهم دنائير في أكياس وكان ظاهرها ذهباً خالصاً والباقي نحتها ذهب مزيف فلما التقى الجبلان تهمتت العرب المصريون ففتنت القرامطة إلا قليلاً ثم إن الانجليز لما دخلوا مصر في أيامنا هذه منذ (٤٥) سنة فضلوا مع عرب مصر بمجة (رأس الوادي) وهم زاحفون على مصر لحاربة عرابي باشا وجيش المصريين فأفصله وزير المعز لدين الله سواء بسواء فأعطوا هؤلاء العرب ذهباً في أكياس ظاهرها ذهب خالص وباطنها مزيف بمادة على أن أوروبا متيقظة تمام التيقظ للتاريخ تنتفع به كما انتفعوا بمسألة جلد الثور في قصة حسن بن الصباح الآتي بيانها (٤) الحرمية لقولهم بأباحت الحرمان والحرام (٥) وبالسبعة لأنهم يقولون إن النطقاء سبعة سيأتي ذكرهم (٦) وبالحمرة لبسهم الحرمة وغلب عليهم اسم (القرامطة) و (الباطنية) و (الردكية) بالعراق و (التعليلية) و (الملحدة) بخراسان في أيام (بابك) أول تسميتهم المخالفين لهم من المسلمين جباً . أما النطقاء السبع المتقدمة ذكرهم فهم

(١) إمام يؤدى عن الله

(٢) حجة تؤدى عن الامام

(٣) وذومسة بمعنى العلم من الحجة

(٤) أكبر أى داع أكبر

(٥) داع مأثون يأخذ اليهود على الطالبين من أهل الظاهر فيدخلهم في ذمة الامام

(٦) وكلب رفيع السرجات في الدين لم يؤذن له في الدعوة بل في الاحتجاج على الناس فهو كلاب الصائد فهذا يكسر مذهب أهل الظاهر متى شك سامه أدله الكلب الى الداعى ليفهمه المعاني التي جهلها ويأخذ عليه اليهود

(٧) ومؤمن يتبع الداعى وهو الذى أخذ عليه اليهود وآمن وأيقن باليهود ودخل في ذمة الامام وحزبه

ومنهم جماعة يلقبون (بالبابكية) إذ اتبع طائفة منهم (بابك الحرزمي) في الخروج بأثر يبعان

(غرام الاسماعيلية بالأعداد)

لعلك أيها النكبي آنت في هذا المقام التسبيح في اقتابهم وفي أسماء دعائهم الناطقين بذهبهم ذلك انهم يقولون ان ذلك مطابق للسماوات السبع والأرضين السبع والبحار السبع وأيام الاسبوع السبع والكواكب السيارة السبعة وهي - للدورات أمراً - وقد برعوا في هذه المسائل الصعبة التي يمكن أن تقابل بمثلاً ودخلوا في آيات القرآن وعددها بالجل وهكذا الأسماء وذلك مسطور في كتب مطولة كشمس المعارف الكبرى وغيره ولقد صرف الناس عن القرآن السلم بهذه الامور فتهمت الأمم الاسلامية بشيوع أمثال هذه الآراء لاسيما أن حسن بن الصباح لما ظهر جدد الدعوة على أنه الحجة الذي يؤدى عن الامام الذي لا يجوز خلو الزمان عنه والناس جميعاً محتاجون الى العلم ومنع العوام عن الخوض في العلم والخواص من النظر في الكتب المتقدمة

لئلا يطعنوا على فضائلهم كما طلع أنباء (أنا ممنون) في زماننا ووجهوا شكواهم للعالم في الجرائد كما تقدم في سورة إبراهيم عليه السلام

وبما يزيدني ويزيدك أيها الذكر مسرة ما منحنا الله من العلم وحبانا من الفضل . ذلك انني أنا وأنت قد عرفنا سر ما منحته أوروبا في بلاد الشرق . ذلك انهم أجسوا أن يحصروا الأفكار ويمنعوا حقائق العلم ليقي الناس تحت أمرهم . فضل ذلك الانجليز والفرنسيون والأمة الهولندية والبلجيكية وغيرهم . أليس هذا بعينه هو ما فعله حسن بن الصباح ومشائخ الصوفية أي أكثرهم فانهم موقنون أنهم لا يتبعهم إلا الجهلاء . اللهم إنك أنت الرب والشهيد على هذا الانسان خصوصا الأم الإسلامية . ترعرع للدين وازدهى في القرون الأولى فقلت فرق الباطنية غرمت العلم وقفي على آثارهم أكثر شيوخ الصوفية وافترق أهل الجزائر وتونس ومراكش ومصر والعراق وغيرهم . اغترقوا لأنهم ورنوا التفرق عن آبائهم وشيوخهم . أولئك الشيوخ الذين منعوا العلم . ولما أخذت أوروبا العالم عن أيدينا أخذت قلل الباطنية كحسن بن الصباح وشيوخ الصوفية وتعاونت معهم على اتخاذ أخفاس المسلمين . فهنا مصيبتان حدثتا بالمسلمين . مصيبة قديمة وأخرى حديثة فالقديمة هم بعض شيوخ الصوفية الذين يحرمون العلوم إلا ما نطقوا به والحديثة هي الأم الأوروبية الذين اغتفوا أولئك الشيوخ أدوات فضيلة لا خضاع أهل الشرق فالتحقوا بالعلم الذي علم أوروبا بكيف تعمم الجهل وهو الذي أنبت الباطنية كحسن بن الصباح الذين منعوا العلم . فهنا اجتمع الأمران في أبناء العرب والفرس والترك وغيرهم ومتى اشتد الكرب هان وبعد هذا التفسير ان شاء الله وأمثله سيخرج المسلمون من هذين الحبسين ويم التعليم ونزول سلطة أولئك الشيوخ للمسلمين ويصبح الاسلام صافيا قويا كما بدأ ويخرج فيه رجال لاسلطة لأوروبا ولاشيوخ الباطنية أوالصوفية عليهم وهم كاملون

(للسئلة الثانية في الكلام على نظام الملك الوزير وعمر الخيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطني)

اعلم أن هؤلاء الثلاثة كانوا يحضرون دروس امام الحرمين في القرن الخامس الهجري . وقد قالوا وهم تلاميذه إن أستاذنا ذو فضل عظيم وما تلقى عنه أحد إلا ارتقى ذروة الجهد فلهلوا تصاهد أن يكون الفائز بالمر والسلطان والهولة آخذنا بيد أخويه في المستقبل فكان أول من نال المرز واقوة نظام الدولة إذ صار وزير الدولة فتمت اليه عمر الخيام وحسن بن الصباح وذكره بالهد فقال لهما اطلبنا ما تريدان فطلب عمر الخيام أن يتوفر على الفلسفة وزهد في الوظائف فأجروا عليه رزقا معلوما كل شهر فقصى حياته في حوز الحكمة وله نظم رائق باللغة الفارسية يسمى (رباعيات الخيام) ظهر منذ نحو (٨٠) سنة في بلاد الانجليز وترجم الى اللغة الانجليزية ومنها الى العربية وعندى نسخة منه وقد طلعت على الانجليزية وفيها تاريخ حياته وهذه الرباعيات ترجمها الى العربية وديع أفندي البستاني وهي في وصف أحوال هذا الوجود واحتقار الدنيا مع الوصف الهيب فهي أشبه بما في شعر أبي العلاء المرسى وبما ذكره سيدنا سليمان عليه السلام في التوراة إذ يفسد الحياة الدنيا ويقول كل ذلك باطل وقبض الريح . ورباعيات الخيام قد اشتهرت في أمريكا في هذا العصر ولما هناك مسرح لتمثيل عددها (١٧) . هذا هو الخيام

أما حسن بن الصباح فانه اختار أن يكون صاحب عمل في الحكومة لجمعه في الديوان ولكنه لم يحفظ الجليل فأراد الصلوع من أحسن اليه . وذلك انه قال للملك زيد أن يحمل للبلاد ميزانية تسير عليها الحكومة فطلب الملك من نظام الملك ذلك فقال لاسيبل الى ذلك فهدى بذلك الى حسن بن الصباح فشرط أن يحمل الديوان تحت أمره أربعين يوما وفي أثناء ذلك احتال كاتب نظام الملك فنقرب الى كاتب السر لابن الصباح وغمره بالهدايا والصفى والمودة حتى اذا كان يوم تسليم أوراق الميزانية قابله قبل الوقت المعين بزمان وجيز فقال له أرى هذا الورق فأخذ ينظر اليه وتعمد وقوعه على الأرض فاختل نظام وضع الصحاح فخدجبل ابن الصباح

لكل مدينة بحيفة مخصوصة بجرة خاصة فلما أن اختلف الوضع عند جمع الصعاقب الواقعة حضرا بن الصباح وتسلمه من كاتب سره ودخل فرأى الملك والوزير معا فطلب منه الملك ميزانية إحدى البلاد فلم يجدها في عملها فأخذ يبحث عنها فقال نظام الملك ابن هـى وكيف تدمى أنك تعرف ذلك وأين دعواك (مستعزا القرعة قبل عشوره على تلك الصحيفة) فخرج مضطربا وتوجه الى مصر اتى فيها الثورة الفاطمية . ولأذكريضة من ذلك التاريخ لايضاح المقام فأقول إن الفاطميين بمصر قد كان أول عهدهم ببلاد المغرب لأن المهديونية لا تلبت إلا في قوم غير متعلمين وكان ابتداء ذلك في نهاية القرن الثالث الهجرى ولما انتهى الأمر الى العزيز بن الله الفاطمى في القرن الرابع دخل البلاد المصرية بعد ذهاب دولة الأحمديين ومن قبلها دولة الطولونيين فدخلها بلا حروب وبني القاهرة والجامع الأزهر في منتصف القرن الرابع الهجرى بهمة وزيره جعفر بن فلاح والقاهرة تسمى (العزيزية) نسبة للعزيز بن الله المذكور . وكان مقرهم المسمى (بالباطنية) الذى يسمى بهذا الاسم الآن جنوبى الجامع الأزهر وبقيت دولتهم الى أواخر القرن السادس الهجرى ثم حصل بمصر مجاعة قلة ماء النيل فأكل الناس القطن والكلاب والضيوف والأطباء وأكل الأيوون ابنهميا وهكذا حتى بقى الملك أكلوها والملك نفسه لم يجد له كل يوم إلا رغيفا وطبقا ملوا لبنا . وفى ذلك الزمن كان نور الدين الشهيد بالشام وله دولة وقد أرسل الى مصر (شيركوه) ومعه (صلاح الدين الأيووبى) وكان هذا الأخير لبس له شوكة فاستوزره الخليفة الفاطمى فضبب البلاد وحافظ عليها حتى مات الخليفة فأولاً جعل الخليفة نور الدين الشهيد بدل الخليفة الفاطمى ثم جعلها لنفسه ثم أبقى أسرة الخليفة بأن جعلهم جميعا في بيوت خاصة وجعل النساء لا يختلطن بالرجال حتى لا يتوالدوا وكان ما كان من الحروب الصليبية في الشام وانتصاره عليهم . وقد كان الملوكة الفاطميون لهم مقابر في غرب المشهد الحسينى فما بينه وبين بيت القاضى في موضع خان الخليلي فهدمت وبنى الناس عليها وحفظ للشهد الحسينى اعظاما له ولآل البيت الكرام وكانت له دعوة منشورة في الأقطار . ولما زالت دولتهم من مصر انتقلت الى بلاد أخرى منها ما قدم في سورة ابراهيم من شكوى الاسماعيليه عن (أغا عنون) الذى يدمى الالهية ويأخذ منهم أموالهم . فاقرا ما هناك

إذا عرفت هذه المقدمة فانظر أمر حسن بن الصباح فانه لما غلب على أمره في جهات القرس سار الى مصر وبقى فيها نحو (١٨) سنة على ما أذكر ثم رجع الى بلاد القرس وقد كان من دعاة الفاطمية إذ تعلم أسرارهم وأتقنها . هناك استظهر بالرجال والسلاح وتحصن بالقلاع وكان بدء صعوده على قلعة الموت في شهر شعبان سنة ٤٨٣ هـ وكانت لهم حيل منها شرب الحشيش الذى يجعل المرء أشبه بالنوم (بالفتح) الذى يفعل كل مايلقى اليه ومنها انهم كانوا يختارون أقوى الرجال وأجهلهم ويخترونهم بمواد ثم يضعونهم في بستان عظيم فيه الجولرى الحسن الجبلات وهناك يوقظونهم فيدهش الرجل منهم إذ يراه في جنات الخلد ويرى هناك ما لا يحلم به ثم يختار ثانيا ويوضع في مكان الضيافة فيسقيظ ويوقن بأنه كان في جنات النعيم عيانا فيعتقد أن الامام هو صاحب التصريف فيصبح من (الشدائين) اذا قال له اقتل نفسك يحتل حالا لأنه سيدخل الجنة والخورى انتظاره الآن . وقد كان استيلاؤه على قلعة الموت بحيلة وهى انه فصل ما اقتبسه الانجليز بعد ذلك في الهند إذ اشترى من صاحب القلعة مقدر جلد الثور أو كان ذلك في مقابلة مدلولاته له من مرض لا أذكر أيهما كان فلما أراد أن يستولى على ما اتفقا عليه جعل ابن الصباح جلد الثور سيورا مدحا فأخذت أرضا واسعة جدا فأبى صاحب القلعة الا يحاربته فانصر عليه . هناك كانت تلاميذه الذين يماهم سرا قد تدخلوا في بيت الملك والوزير فذهبوا الملك ونظام الملك في ليلة واحدة بهداه ومكره الخفى وماهم إلا خد من تلاميذه السريين وابن الأمير يقول ما في زمانين متقاربن والله أعلم

فها أنت ذا أبها الذكى وقتت على خبر ابن الصباح الذى تقدم اسمه في سورة ابراهيم إذ يقول أتبلغ

(أما ممنون) بالهند له انكم من فرقة حسن بن الصباح فهذا هو قد ذكرته لك هنا لتفرح بنعمة الله والعالم وينشرح صدرك وتنفع أم الاسلام بحكمتك فان هذا التفسير من النعم التي أنعم الله بها على المسلمين وسينطلقون سراعا الى الحكمة ويردون مواردنا ويصلون الى نهايات الحكمة والعلوم . انتهى الكلام على المسألة الثانية

(المسألة الثالثة زهد أكثر الأمم الاسلامية اليوم في فهم القرآن)

اعلم أن هذه الأمم الاسلامية بأمثال هذه الطوائف وبعض علماء الفقه وبالملايك الظالمين قد تركوا العلوم بتاتا ونسوا مواهبهم التي خلقها الله لهم وأصبحنا نرى أبناء العرب وغير العرب في ذهول مستمر بسبب الجهالة الشائعة في بلاد الاسلام . وأذكر لك حادثة واحدة . ذلك أن السلطان عبد العزيز سلطان مراکش وهو من آل البيت لعبت به الأئمة الفرنسية لعبا مهلكا فأزالوا ملك هذه الأسرة من تلك البلاد . وأبين السبب لك فأقول

اعلم أن أم أوروبا قد استكملت عددها وقواتها والمسلحون ثائمون وقد بلغني عن أئني به أن السلطان عبد العزيز كان رجلا صالحا . ولكن ماذا حصل . كنت أنا في عنفوان شبابي بمدرسة (دار العلوم) وكنت أقرأ الجرائد السياسية وأنتعج مسألة مراکش وهي بلاد اسلامية مستقلة وبلادنا كانت محنة بالانجليز فرأيت الكلام كثير على بلاد مراکش ورأيت اقتراحا في الجرائد هذا ملخصه

(إن الأمم الاسلامية يخضعون لشيوعهم والشيوخ على (قسامين) شيوخ من آل البيت كالسلطان عبدالعزيز وشيوخ هم شيوخ الطرق مثل ماء العينين ومثل الكتاني ومثل التيجاني . وهؤلاء اذا خربناهم بالطايعا وألنا لهم مراكبهم وأمننا عليهم وأسعدناهم فاتهم لا يبالون بالشعب لأنهم يريدون المحافظة على مراكبهم وهم يعملون حتى العلم أن في الثورة ضياعا لمراكبهم . فعل قادة الأئمة الفرنسية أن يفعلوا ذلك)

فبضت بعد ذلك سنون فرأينا في الجرائد أنهم أخذوا نساء واقصات من مصر الى السلطان عبد العزيز فففر الناس من ذلك وشاع الخبر في أقطار المعمورة . ثم خلعوا عبد العزيز . ثم تولى عبد الحفيظ . ثم خلعه واستولوا على البلاد . وحقيقة الأمر أن المسلمين لما تركوا العلوم وجهلوا التاريخ وعلم السياسة ولم يجاروا الأمم لعبت بهم البهول فأخذوا يشيعون هذه الاشاعات في مصر وغيرها يأخذون هؤلاء النساء بأجرة وهؤلاء لا بها لأنه لا جرائد في بلاده ولا سفراء ذوي حزم يخبرونه بما يقال عنه بل هم ساهون لاهون يتولون هذا الجهل كابرا عن كابر . هذا ما كان من أمر ملوك آل البيت في مراکش . وأما الكتاني فقد بلغني أنه أودى كثيرا في أمر بلاده وابتلاه بنقص الأموال والأرض والنفقات . ويقال إن ماء العينين قد أودى أيضا هذه أحوال أم الاسلام اليوم . ويظهر أن المسلمين الآن أخذوا يقلعون عن هذه الجهالة العمياء واستيقظوا وترى من آثار الجهل طوائف من الصوفية يحرمون على تلاميذهم قراءة العلوم ليق في قبضتهم وتحت إرادتهم وحكمهم بأمره فيأثم . كل ذلك من الضلال الفاضل والجهل الخيم في بلاد الاسلام وانه يقول - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وهذا أوان زوال هذا الضلال من بلاد الاسلام . واعلم أن أكثر الصوفية الآن في بلاد الاسلام يدقون الطبول ويمحون اليلرق ويأخذون اليهود والمواريت على تلاميذهم وهم لا يعلمون أن هذا الميراث الذي توارثوه انما هو غالبا لاسواز الملك وقيل الدولة كما حصل أيام أبي مسلم الخراساني وقلب الدولة الأموية وكذلك الملك في الدولة الفاطمية والقرامطة . كل ذلك باليهود والنود ولكن شيوخ الصوفية اليوم اكتفوا بأنفسهم تلاميذهم في الجهالة حتى لا يعرفوا سواهم وحرقوا لهم علماء الدين وكل علم وحكمة لإخراجهم من أفواههم حتى صار الأنبياء يحرق بعضهم بعضا لأن كل شيخ أنهم تابعيه أنه وحده على الحق حتى ترى أبناء العرب متفرقة قلوبهم . فلا المراكشي يتعارف مع المصري ولا كلاهما مع العراقي وهؤلاء لا يتعارفون مع الحضري ولا اليمنى لأنهم متطاعون لجهالتهم بالتاريخ السياسي والعلمي والديني . كل ذلك سر قول تعالى

- وما كنت متخذ للمشايين عندا - فأقرأ دواء هذا الفناء في سورة (آل عمران) عند قوله تعالى - ألم تر أن الذين أوتوا نصيبا من الكتاب - ألح انتهى والحمد لله رب العالمين

(جوهره في إيضاح الكلام على حسن بن الصلاح وإجمال تلويح الامامية والزيدية والكيسانية)
اعلم أن الشيعة أتباع سيدنا على كرم الله وجهه وبني رضى الله عنهم أجمعين ومذهبهم أن الامامة ليست من المصالح العامة بل هي تكون بالتميين وهي من أركان الاسلام والامام المعين يكون منصوباً من الكبار والصغار ومن هؤلاء امامية وزيدية . فالأولون يتركون من الشيخين أبى بكر وعمر والآخرون يجيزون امامة المنفصول مع وجود الفاضل فلا يتركون منهما . فأما الامامية فانهم يقولون إن الامامة تنتقل في ولد فاطمة رضى الله تعالى عنها بالنسب واحداً بعد واحد . وأما الزيدية فانهم يقولون يكون الامام في ولد فاطمة رضى الله عنها ولكن ذلك باختيار الشيوخ والانتخاب بالتميين وصاحب المذهب زيد بن علي بن الحسين رضى الله عنهم أجمعين . ولابد من أن يخرج الامام فهذا شرط من شروط مذهب . ولما ناظر الامامية زيداً ورأوه يقول امامة الشيخين رضوه فسموا (رافضة) ولم يجعلوه من الأئمة . وطائفة ساقوا الخلافة في محمد بن الحنفية ثم إلى ولده وهم الكيسانية نسبة إلى كيسان مولاة . ومن هذه الاصول الثلاثة فترعت فروع بطول شرحها ولا عمل لذكرها . ومن هؤلاء طوائف يسمون (الفلاة) قالوا بألوهية هؤلاء الأئمة فهم إما بشر اتصفوا بصفات الألوهية ولما أن الله نفسه قد سجل في ذواتهم البشرية كما يقوله النصارى في عيسى عليه السلام وهذا هو القول بالحلول . ولقد حرق هذه الطائفة سيدنا على النار وسخط محمد بن الحنفية على المختارين أبى عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه ولعنه وهكذا جعفر الصادق رضى الله عنه لما بلغه مثل ذلك بالنسبة له . ومنهم من يقول ان الامام اذا مات انتقلت روحه إلى امام آخر ليكون كماله فيه على طريقة التناسخ كذا هب أهل الهند . ومن هؤلاء الفلاة من يقول بالامام واحد ويعلمون بان هذا الامام لم يمت بل هو حي ولكنه غائب عن الناس كسألة الخضر عليه السلام وهم الواقفية . فترى منهم طائفة يقولون ان الامام على وحده رضى الله عنه وأنه في السحاب والعرصوته والبرق سوطه والامامية قالوا مثل هذا في بنيه لاسيما الاثني عشرية منهم أى الذين يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري الملقب المهدي هدمه دخل سرداباً بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع أمته وغاب هناك وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً وهم إلى الآن ينتظرونه ويسمونه (المنتظر) لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قموا مركباً فينتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشبك النجوم ثم ينفضون ويرجعون إلى الليلة الآتية . إذن الاثنا عشرية يقولون في محمد بن الحسن العسكري ما يقوله الذين وقفوا على كرم الله وجهه من حيث البقاء في الحياة والتغيب عن الناس . ومن الواقفية من يقول ان الامام الذى مات يرجع إلى حياته كقصة أهل الكهف . وهؤلاء الفلاة رد عليهم الفطاحل من علماء الشيعة أنفسهم وأبطلوا حججهم

(الكلام على الكيسانية)

ان الكيسانية ساقوا الامامة من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبى هاشم ويسمون (الهاشمية) وتزعم طائفة أن أباه هاشم لما مات بأرض السرة منصوراً من الشام أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم المعروف بالامام وأوصى إبراهيم إلى أخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح وأوصى هو إلى أخيه عبد الله أبى جعفر للنصور وانتقلت في ولده بالنسب والهد واحد بعد واحد وهذا مذهب الهاشمية القائلين بدولة بنى العباس وكان منهم أبو مسلم الخراساني ويستدلون بأن العباس عم النبي ﷺ وهو أولى بالوراثة

(الزيدية)

وأما الزيدية فقالوا بإمامة على رضى الله عنه فالحسن فالحسين فابنه على زين العابدين فابنه زيد بن علي

وهو صاحب هذا المذهب وقد خرج بالكوفة داعياً إلى الإمامة وقتل وصلب (بالكناسة) وبعده يحيى فظهر
بخراسان وقتل بالجوزجان وبعده محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسين السبط ويقال له النفس الزكية وذلك
بوصية يحيى المذكور فخرج بالجواز وقتله عساكر للنصور . وهناك طوائف كثيرة من الزيدية ونخص بالذكر
منهم من تقلدوا الإمامة من محمد بن عبد الله المذكور إلى أخيه ادريس الذي فرّ إلى المغرب وقام بعده بالأمر
ابنه ادريس واخته مدينة (فاس) وأعقب ماوكا بالمغرب ثم انقرضوا . ومن الزيدية من كانت لهم دولة
(ببلستان) ونوسل (الديلم) من نسبهم إلى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد

(الإمامية)

إن الإمامية ساقوا الإمامة من عليّ كرم الله وجهه إلى ابنه حتى أوصاها إلى جعفر الصادق وهناك اختلفوا
(فرقتين) فرقة ساقوها في ولده اسماعيل ويعرفونه بينهم بالإمام وهم الاسماعيليه وفرقة ساقوها إلى ابنه
موسى الكاظم وهم الاثناعشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الأئمة وقولهم بنبوته إلى آخر الزمان كما علمت
فأما الاسماعيليه فيقولون بإمامة الناص من أبيه جعفر الصادق ومن اسماعيل انتقلت إلى ابنه محمد المكنوم
وهو أول الأئمة للمستورين والمستور عندهم من لاشوكه له فيستر وتكون دعائه ظاهر بن إقامة للحجة على
الخلق وإذا كانت له شوكه ظهر وأظهر دعوته وبعده محمد المكنوم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه محمد الحبيب وبعده
ابنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته أبو عبد الله التيمي في كتامة بالمغرب وتابع الناس على دعوته ثم أخرجه
من معتقه (بسجلماسة) وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر وهذا معروف مشهور في التاريخ
ويسمى هؤلاء (الاسماعيليه) نسبة إلى القول بإمامة اسماعيل ويسمون أيضاً (الباطنية) نسبة إلى قولهم بالإمام
الباطني أي المستور ويسمون (الملاحدة) لما في مقالاتهم من الإلحاد وهؤلاء لهم مقالات قديمة ومقالات حديثة
وهي التي دعا إليها الحسن بن محمد الصباح الذي تقدم كلامنا فيه وقد ملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته
فيها إلى أن توزعها الملاك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق فانقرضت . واعلم أن الباطنية القديمة
خطوا كلامهم بكلام الفلاسفة وتكلموا على النفس والعقل وما أشبه ذلك وتكلموا على أسرار الحروف
والأعداد ويقولون مثلاً التسمية مركبة من سبع واثني عشر والتهليل مركب من أربع كلمات في إحدى الشهاداتتين
وثلاث كلمات في الشهادة الثانية وسبع قطع في الأولى وست في الثانية واثنا عشر حرفاً في الأولى واثنا عشر حرفاً
في الثانية وهكذا في كل آية استخرجوا أعداداً فأضاعوا زمانهم فيها لافائدة فيه . وأذكر من ذلك أي قرأت
في بعض كتبهم في قوله تعالى - ربيع البرجات ذو العرش - أن جل - ربيع - ٣٦٠ وهي عدد درجات
الدوائر الفلكية وغيرها لأن الدائرة ٣٦٠ درجة فكأنه يقول البرجات ٣٦٠ ويعتبرون أمثال هذا أسراراً
للقرآن ولن يعرفها أحد إلا الإمام . وهكذا يقولون أن جل اسم (محمد) عليه الصلاة والسلام بحسب ما ينطق به
(١٣٢) وحروف الفاتحة بحسب النطق أيضاً (١٣٢) وهذه يجعلونها أسراراً عالية وتورث قلوب الذين يعرفونها
تصديقاً بالدين وبالسر المحمدي وبالإمام القائم بعدهم . ومعلوم أن كل عدد من هذه الأعداد يقابل بضده
وبعكس الأمر على قائله ويدخل في هذا علم الأوقات الذي فيه يظهر توافيق الأعداد كما هو مشهور وهذا قد
انفخوه عن قسمة المصريين والهنود فهؤلاء عندهم هذه الأوقات كما أوضحناه في غير هذا المكان أيضاً علماً
فهذا ضياع وقت يصد الناس عن النظام الجليل في السموات والأرض فهناك التطابق العجيب والنظام البديع
الذي ظهر لك في أمثال هذا التفسير وهو الذي قامت به المدينة للعصرية في العالم كله . فأما أصحاب النسوة
الجديدة فقد تركوا هذا وأظهر حسن بن الصباح دعوته كما تقدم وتحصن في قلعة الموت وبقي الأمر متوارثاً
إلى زماننا هذا وقد عرفت فيما تقدم في هذا التفسير في المجلد السابع أن (أغاثون) بالهند في زماننا قد
شكا منه أتباعه لأنه على رأي حسن بن الصباح منذ ثمانمائة سنة

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا • وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا • قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ
صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا • قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ
ذِكْرًا • فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ
شَيْئًا إِمْرًا • قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا • قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُزِغْنِي مِنْ أَمْرِي فَصِرًا • فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَ غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً
بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا • قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا •
قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا • فَأَنْطَلَقَا حَتَّى
إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَلْظَمُوا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا فَوَجَدُوا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ
كَافَّةً قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا • قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَبْأُتَكَ تَأْوِيلُ
مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا • أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْتَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ
أُهْلِكَهَا وَكَانَ رِءُوسُهُمْ عَلَيْهِ يَأْخُذُ كُلُّ سَفِينَةٍ قَصَبًا • وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ
تَخَشَّيَانِ أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا • فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ
رُحْمًا • وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا كُنْتُمْ عَنْ
أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا • وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوهُ
عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا • إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا • فَأَتْبَعَ سَبَبًا
• حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا
الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَخْذَ فِيهِمْ حُسْنًا • قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ
يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا • وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُشْرَاهُ • ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا • حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ
لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا • كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا • ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا •
حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا • قَالُوا يَا ذَا
الْقُرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ هَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ

يَنْتَقِمُ وَيَنْتَهِمُ سَدًّا • قَالَ مَا مَسَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ يَنْتَكُمُ وَيَنْتَهُمُ
رَدْمًا • آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا
قَالَ آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا • قَالَ هَذَا
رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا • وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَبِمَتَنَا مُمَّ جَمًّا • وَهَرَمْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ
عَرَضًا • الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا • أَفَسِبَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا • قُلْ
هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا • الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا • أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ
لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زَنًّا • ذَلِكَ جَزَاءُ مُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا
• إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا • خَالِدِينَ فِيهَا لَا
يَخْفُونَ عَنْهَا حَوْلًا • قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ
رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَكْدَرًا • قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَسْلُكْ سَبِيلَ صَالِحًا وَلَا يَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُتَكَبِّرِينَ •

جاء في البخاري ومسلم ما ملخصه أن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فمثل أمة الناس
أعلم فقال أنا فكتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه تعالى فأوحى الله سبحانه إليه ﴿لن لي عبداً بجميع البحرين
هو أهل منك وأمره أن يأخذنحوها في مكنل لحينا فقد الحوت فهوثة ففعل ذلك وسافر مع فتاه يوشع بن نون
حتى إذا أتيا الصخرة فناما فاضطرب الحوت وسقط في البحر - فالتخذ سبيله في البحر سرباً - وصار للواء
كالطابق عليه وهو يجرى فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليتهما فلما
كان الغد طلب موسى الفتاه ووجد النصب ولم يكن ذلك النصب إلا بعد أن جاوزا المكان الذي أمر الله به
فقال فتاه - إني نسيت الحوت - وذكر ما كان من أمره عند الصخرة - فارتدأ على آثارها قصصاً -
حتى انتهيا إلى الصخرة فوجدوا رجلاً مسجياً شوب أبيض ﴿ وكان من أمرهما ما لمستري من مسألة السفينة
والغلام والجبلر

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (وإذا قال موسى) أي اذكر إذ قال الخ (فتاه) يوشع بن نون من ذرية يوسف عليه السلام
وكان يخدمه (لا أبرج) لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) ملحق بحر فارس والروم من جهة الشرق
أو بحر العلم موسى في علم الشريعة والخضر في علم الحقائق (أو أمضى حقاً) أو أسير زماناً طويلاً (فلما
بلغنا جميع بينهما) وهو المكان الذي وعده الله ببقائه عنده أي مجمع وصلهما (نسبنا حوتهما فالتخذ سبيله في

البحر سربا) أى فأتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا وصار الماء كالطابق عليه فكان ذلك للحوت سربا ولموسى وقتاه عجبا (فلما جاوزا قال لفتهما) أى قال موسى (آتنا غداءنا) ما تتعذى به (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) ولم ينصب حتى جاوز الموعد (قال أرايت إذ أوتينا) أرايت ما دهاني إذ أوتينا (الى الصخرة) يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى (فانى نسيت الحوت) نسيت أن أخبرك بما رأيت منه (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) أى وما أنساني ذكره إلا الشيطان فأن أذكره بدل من الهاء (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب (قال ذلك) أى أمر الحوت (ما كنا نبغ) نطلب لأنه المطلوب (فارتدا على آثارهما) فرجعا فى الطريق الذى جاآ فيه يقصان (قصا) يتبعان آثارهما اتباعا حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) وهو الخضر مسجي بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم ووصف العبد بقوله (آتيناه رجة من عندنا) هو الوصى والنبوة (وعلمناه من لدنا علما) بما يخص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيوب (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن) أى على شرط أن تعلمن وهو حال من الكاف (عما علمت رشدا) أى علما ذا رشد وهو أصابة للخير والرشد والرشد كقفل وسبب قراءة تات (قال إنك لن تستطيع معى صبرا) عن الانكار (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) وكيف تصبر وأنت نبي على ما أتولى من أمور ظواهرها منا كبر وبواطنها عجولة (قال ستجدنى إن شاء الله صابرا) معك غير منكرو عليك (ولا أعصى لك أمرا) عطف على - ستجدنى - (قال فان ابتغيت فلأتأتى عن شئ) فلأتأتى فى شئ أنكروه على - (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أتبدئ بذكره فأبين لك شأنه قال تعالى (فانطلقا) يمشيان على الساحل يطلبان سفينة فوجداها فعرفوا الخضر فخلعواهم بغير نول أى عوض (حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها) وذلك حين توسطوا فى لجة البحر إذ أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من ألواح السفينة (قال) موسى (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إرا) عظيما منكرا فأخذ موسى ثوبه فحشا به فخرق (قال) الخضر (ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا) قال موسى (لا تؤاخذنى بما نسيت) بالثى نسيت (ولا ترهقنى من أمرى عذرا) ولا تقضى عسرا من أمرى بالمضائق والمؤاخذة * قال النبي ﷺ فى الصحيح (كانت الأولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حوف السفينة فخرق البحر فرة فقال له الخضر ما قص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما قص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة) (فانطلقا) يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الفيلان فأخذ الخضر رأسه فاقتله بيده فقتله وهذا قوله تعالى (حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقنلت نسا زكية بغير نفس) أى نسا طاهرة من الذنوب بغير نفس أى لم تقتل نفسا لم يجب عليها القتل (لقد جئت شيئا نكرا) أى منكرا عظيما (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا) وأتى هنا بلفظ - لك - ليواجهه بصرح العتاب (قال إن سألتك عن شئ بعد هذا) بعد هذه المرة (فلا تصاحبني) أى فارقتى (قد بلغت من لدنى عذرا) اتضح لك العزفى مفارقتى والمعنى أنه مدحه لاحتماله مرتين * قال ﷺ (رجة الله علينا وعلى موسى لولائه حمل رأى الحب ولكنه أخذه من صاحبه ذمامة) (١) قال - ان سألتك عن شئ - الخ فلو صبر لراى الحب * قال تعالى (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قرية انطاكية (استطعموا أهلها) استضافهم (فأبوا أن يضيئوهما) يقال ضافه اذا نزل به ضيفا وأضافه وضيئه أنزله (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) يدانى أن يسقط (فأقامه) بهلته أو بمود عمده به * وقيل قضه وبناء (قال لو شئت لأخننت عليه أجرا) أى جعلنا لتعشى به (قال هذا فراق بيني وبينك) أى هذا وقت فراق بيني وبينك (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) * قيل ان موسى أخذ ثوب الخضر وقال أخبرنى بمعى ما عملت قبل أن تفارقنى فقال

(١) التمامة الحياء والاشفاق من التمس

الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يملأون في البحر) وهم لهجزهم من دفع الملك أولزاماتهم أولحاجتهم
مساكين • وقيل كانوا عشرة خمسة زمني وخسة يملأون في البحر (فأردت أن أعيها) أجعلها ذات عيب
(وكان وراءهم ملك) قدامهم ملك (يأخذ كل سفينة غصبا) أي كل سفينة صالحة ولقد عبتا فلذا جاوزوا
أصلحوها وانتفضوا بها (وأما السلام فكان أبواه مؤمنين غثينا) أي خفا (أن يرهقهما) أن يشيها
أو يكلفهما (طغيانا وكفرا) أي غثينا أن يجعلهما حبه على أن يتبعاه على دينه (فأردنا أن يبدلها ربهما
خيرا منه زكاة) صلاحا وقوى ردا على قوله - أقتلت نسا زكية - فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا
منه زكاة (وأقرب رجا) أي رجة وعطفا على والديه • قيل ولدت أمه جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا
هدى الله به أمته من الأمم (وأما الجدار فكان لعلامين يقيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما) وكان هذا
الكنز جامعا للمال ولعلم إذ كان لوحا من ذهب مكتوبا عليه (عجا لمن أيقن بالموثوق كيف يفرح • عجا لمن
أيقن بالتدبير كيف يفسد • عجا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب • عجا لمن أيقن بالحساب كيف يفسد •
عجا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها) وقيل هو كنز من ذهب وفضة ولاتناني بينهما
ثم قال تعالى (وكان أبوهما صالحا) قيل هو جدتهما السابع (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي الحلم
(ويستخرجا كنزهما رجة) أي لأجل الرحمة (من ربك وما فعلته) أي وما فعلت ما رأيت (عن أمرى) أي
عن اجتهداى إنما فعلته بأمر الله (ذلك) أي الأجوبة الثلاثة (تأويل ما لم تسطع عليه صبرا)

اعلم أن هذه القصة كلها ترجع إلى طلب العلم وعدم الوقوف عند حد لأن المكتفى بما عنده مغتر - بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه - فرحوا بما عندهم من العلم - • ويرى في سبب هذه القصة أيضا أن موسى
سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأى عبادك أفضى قال الذي يقضى بالحق
ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذي يتتبع علم الناس إلى علمه عسى أن يسبب كلمة تله على هدى
أوردته عن ردى فقال ان كان في عبادك أعلم منى فدلنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على
الساحل عند الصخرة إلى آخر ما تقدم ثم جاء فيها ان علمى وعلمك الخ

(مغزى هذه القصة)

اعلم أن هذه القصة جاءت هنا لاتمام ما قبلها • ذلك أن الله في أول السورة أرانا أن آياته كلها عجب وقال
لنا ان قصة أهل الكهف وقصة يوسف بالنسبة لآيات الله شئ قليل فأيات الله لاتنتهى فلا تقتصروا على أنباء
القرن الحالية والأمم الماضية وسير الصالحين فان الصالحين والأمم ملهم إلا بعض ملهى والبعض للذكور قليل
بالنسبة لهذه الأرض والسما المحيط بها • فإياكم أن تضيعوا حياتكم في ذلك بل اقرؤها للإيمان ثم ادرسوا
هذا الكون المحيط بكم دراسة علمية ولا تقفوا عند الشهوات فان زينة الحياة الدنيا فانية إلى آخر ما تقدم

ولقد ظهر هذا المعنى في حديث الشيخين المتقدم إذ جاء فيه أن علم موسى وعلم الخضر في جانب علم الله
كما أخذ الطائر من البحر • هذا تصريح من جانب الحضرة النبوية بما ذكرناه سابقا فان الخضر وموسى لم
يخرجوا عن كونهما مخلوقين نبيين ولهما قصص وحكايات وأعاجيب فقال الخضر لموسى على الناس أن لا يقفوا
عند حد ما سمعوا لأننا لانسمعهم إلا على قدر الهداية العاتية فنحن أشبه بالهداى المخزيت الذى يهدى الناس
إلى السبيل وعلى الناس أن يسبروا غلبس الذى يهدى الطريق هو المقصود بل الأرض والسما أوسع منه والمسافر
يسافر لأغراض غير الدليل وإنما عليه أن يتبع الدليل فعلى وعلمك قليل وعلم الله كثير إشارة إلى ما ذكره
الله أول السورة - أم حسب أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجا - لجعل آيات الله في السموات
والأرض مجانبها أبعد من قصص أهل الكهف كذلك علم موسى وعلم الخضر أقل من علم السموات والأرض
وهو المستمد من علم الله • فلم موسى وعلم الخضر يدلان على علم الله ونحن ندرس مخلوقات الله لتتوصل

الى الحقائق . ان علم الأنبياء الذي يلقونه الينا اجمالى وقراءة هذا الكون تفصيل وليس على الأنبياء أن يعملونا غير ما هو أصل الدين وعلينا نحن التفصيل بقولنا والنظر في خلق ربنا . والأنبياء بما أُرشدوا اليها صاروا هم المعلمين لها وان لم يكن مباشرة . فاذا قال الله - خلق السموات والأرض بالحق - فعلمنا أن نبعث لنصل الى الحقائق ولسنا نصل الى ما أثبت به بساتر الأنبياء ولكن نصل الى ما تحتلته عقولنا - وفوق كل ذى علم عليم -

(إصلاح هذا المقام أى أسرار هذه القصة)

حدثني الحارث بن همام قال أخذتني سنة من النوم فرأيت فيأبى النائمون رجلين أحدهما فلاح بحقله والثاني شيخ عالم بالقرآن وتفسيره والبلاغة وآدابها فأخذنا يتحاوران وأنا مصغ لها . قال الفلاح للشيخ الأديب . أيها الشيخ . إن الله قد أنعم عليك بنعمة القرآن والعلم وأتاك حكمة - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - . إني حرت في أمر هذه الدنيا . قال الشيخ كيف ذلك . قال أنا واقف في الحقل أرى طيوراً فوق ظهير وحيوانات وبهايم على الأرض تسير وألفيت الطيور قد اكتست جلايب الهناء وسرايل السعادة . لم تكبل في الأرض بالمخاطر ولا بالغسل بالظلف بل أرجلها خفيفة وريشها حريري وأمرها هجيب . تبيض البيض وتحضن أولادها وترهب من مرقاة ناعمة سعيدة فرحة مفرجة مغنية لأسنان تعيقها عن الطيران بقلها ولا آذان لكل منها فان ذات البيض خلقت بلا آذان ظاهرة وذات الجمل والولادة آذانها ظاهرة . الأنعام حولى فأخفافها وأظلافها وغلط أجسامها وحرمانها من الأجنحة كل ذلك أقعدتها عن الطيران وأكسبها السير في الفيضان نغضت لنا وذللتها فنها ركونا وإنا لها لآكسون ثم أرى طيور السماء وحيوانات الأرض والماء جميعا لها شؤون وشؤون ونظام مسنون . كل له نظم يخصه لا عوج فيه . قد أعطى كل ما يؤهله لحياته فالطير راض عن جوفه وعن هواء وحيوان الأرض راض عن مثواه وكان هذا وذاك مشمولات بالمطاء منعمت بكل يابسة وخضراء . اما الذي أدخلني وآذاني وهيج بلالي ما أراه من التناقض والاختلاف . فبينما ترى صانع العالم رحباً لطيفاً اذا بك تراء قد اتقص على اللحوم فأذله ومنع عنه الرحمة وأرداه . فلما سمع ذلك الشيخ لتمعن وقال له لاقبل ذلك . فقال الفلاح أجبنى عن سؤالي وأزل شغبتي . أما فوالك لاقبل ذلك فانها صناعة العاجزين . قال الشيخ قل وأوضح ما أشبه عليك . فقال أيها الشيخ

- (١) ألم تعلم أن الله يميت الناس وهم في متعلهم يترددون . قال الشيخ بلى
- (٢) قال الفلاح . ألم تر أن الباز ينقض على الخفاف والخطاف على الصغور فيقتله . قال الشيخ بلى
- (٣) قال الفلاح . ألم تر إلى الطاعون كيف ينقض على جماعة من الناس وجماعة من الحيوان أخرى فيزيلها من الوجود . قال الشيخ بلى

- (٤) قال الفلاح . ألا ترى أن رجلاً فقيراً عنده بقرة حلب وعنده عشرة أطفال فنها لبنهم وعليها حرمهم وسقيم فتموت ويصير الرجل وأبنائه فقراء . قال الشيخ بلى

- (٥) قال الفلاح ويكون جبره غنيا لاصلاح عنده ولا كرم وله ٩٩ بقرة أو أكثر ومع ذلك لا يصبها الموت . قال الشيخ بلى . قال الفلاح هذه هي شبهة وهذه هي الحيرة فقل لي بالله أين العطف والعطف والرحمة التي رأيناها للأجنة في بطون الأمهات وفي القندق والرواح وأين هذا الجبال الساطع في هذا الوجود من هذا الفتك والقتل والإبلام ولا كسف لك أيها الاستاذ بهذا والا فالأمر في مثل هذا لاحمر له فما أوسع الوجود فقال الشيخ - لا يسأل عما يفضل وهم يسألون - . فقال الفلاح أنا أسمع هذه الآية ولكن هل هذا هو العلم وهل هذه هي الحكمة . أين الجواب . يقول الله - وفوق كل ذى علم عليم - فأنا ذوالعلم وأنت العليم فأفدني . قال الحارث بن همام فلما رأيت الشيخ قد ارتجى عليه تمنيت لو يفتح عليه بالجواب فأطرق

الشيخ رأسه قليلا وبينما هو كذلك إذ اقتض طائر أبيض من فوق الشجرة وأقبل اليهما وجلس بينهما ثم اقلب جأة رجلا سويا فقلت في نفسي ياسبحان الله . أتى يقظة أنا ثم في منام . اذا هو ذو هيئة جبيلة وشكل بهيج يسر الناظرين ويشرح الصدور فقال قد سمعت قولكما وفهمت مدارك ينكما ثم التفت الى الشيخ وقال هل قرأت قصة الخضر وموسى عليهما السلام في سورة الكهف . قال نعم . قال هل تدرى ما فيها من الحكم . قال نعم

يقول الله تعالى - حتى اذا ركبنا في السفينة - الى ان قال - فأردت أن أغيها - فنسب الخضر العيب الى نفسه . قال حسن . قال الشيخ وقال - فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة - ونسب هذا الخبر الى الله وأيضا قال - فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما - ففي هذا نسبة الخبر الى الله والشر للصمد وهذا من الأدب الجليل في العبارة . فتبسم ذلك الطائف وقال هل هذا هو محاسن القرآن . هذه يتعلمها الصغار في المدارس ليحسبوا النطق والتعبير وليس القرآن منزلا لثل هذه التكاثر السهلة التي تلقى الى المبتدئين ولكن أريد منك أن تجعل جواب صاحبك من هذه القصة . حينئذ فكر الشيخ طويلا وقال أنا لم أر مناسبة بين سؤال صاحبي وبين قصة الخضر . إن ملخص ما فيها كما ذكره للفسرون أن العلم (علمان) علم مكشوفة وحقيقة وعلم شريعة فمن أدرك الآخرة أنكر الأولى ومن أطلعه الله على الحقيقة كالخضر يكون فرحا بعمرتها ولا يكون لديه أي اعتراض على ما يخالفها . قال ذلك الطائف ولكن لم نجب صاحبك الى الآن قال هذا ما علمت فهل عندك علم . قال فاستمع يا صاح . خذ لك عظة مما سيأتي

(١) قال الله لموسى إن الخضر أعلم منك بعد أن عتب عليه
(٢) ولما سأله عن مقره قال جمع البحرين . فلم عبر بالبحرين . فكان المقام مقام تبعر في العالم ولذلك أشار لها الخضر عند قهر الطائر في البحر

(٣) ذكر في الخبر أن عند الصخرة ماء عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء وعين الحياة رمز للعالم والحي الحقيق بعد الموت وفي الدنيا والناس جميعا أموات (٤) جاء في الخبر أن الخضر قال لموسى أنا على علم علمني الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا ثم اتبعه موسى ليعلمه . كل ذلك ليقال لكم اذا كانت هذه أحوال أنبيائكم فبالأحرى أتم لابد أن تزدادوا من العلم ولا تقفوا عند حد

(٥) اذا علمت هذه المقدمات فاعلم أن هذه القصة تشير الى أمور كثيرة منها ما ذكره صاحبك الفلاح . ألا ترى أن قتل الغلام وهو صغير لاذنب له تزونه كل وقت في أرضكم هذه كما قال صاحبك الفلاح فان الطاعون واقتضاض الكواसर على الطير والوحوش والأساد على البهائم . كل ذلك من قبيل قتل الغلام فما ذنب البهائم يسطدها السباع والانسان وما ذنب الأم يسطدها الطاعون فيهلكها . إن الأمر لهجيب . هذا بعض المقصود من ذكر الغلام . وأما ذكر خرق السفينة التي هي لما كين فاشارة الى ما ذكر صاحبك الفلاح من موت بقرة فلاح بجانب رجل غني لم يصب . وأما ذكر الجدار واقامته فتشير الى كل من نرى أنه ليس أهلا للنعمة ظاهرا وقد أعندت عليه وأهل (انفاكية) ليسوا أهلا للأكرام فهكنا الفنى ذوا المال الكثير البخل كيف تفقد عليه الثمن وتبعد عن هذا التقدير

فلما سمع ذلك الفلاح والشيخ قاما وقبلا رجليه وقالوا لقد آتاك الله علما فخذتنا رعاك الله كيف يكون الجواب . فقال ليس كل ما يعلم يقال وأخاف أنكما اذا استيقظتما تخبران الجهلاء بالأراء فلا يفقهون . قالوا . كلا . فنحن للأسرار حافظون

(١) قال أما موت الناس بعد حياتهم فمن حكمه انهم لو بقوا على الأرض مائة عام جميعا ولم يموت أحد

لصاقت الأرض بما رحبت ولما توا جوعا ولا كل الابن أباه وأمه ولأصبحت لأرض منمنة قفرة وملك الناس أجمعون (٢) إن كواسر الطير تأكل مسغرها ليخلو الجو والأرض من الحيوانات المزدخجة ولولا ذلك لتعفت هذه الحيوانات وأضررت بالحيوانات والناس أجمعين فاقتناسها راحة فهي لاتعفن هناك بل تصبح دما ولجبا ونعمة على العالمين

(٣) وهكذا اقتناص الوحوش والسباع للغزلان والأرانب لنفس الحكمة وهكذا الحيات تقتنص الحشرات والافئاضت الأرض بما رحبت ومات الناس أجمعين

(٤) وأما إبقاء مال الفنى عنده وزيادة القبر فقرا فذلك لامور تخص أولئك الأشخاص لا يعلمها إلا الله منها أن القراء عند الموت يكونون خفايا وفرحون فرحا لانهاية له . وأما الأغنياء اذا لم يهذبوا فالت عقولهم وأرواحهم تكون مجنونة الى هذا العالم فأصبح النعيم عجبا والجحيم نعيما بعد الموت مباشرة وهناك ما لا يعلمه أحد إلا رب العالمين ويشير لذلك كله وغيره عيب السفينة في البحر وقتل الغلام في البر واقامة الجدار فيه كأنه يقول ها أنتم أولاء تشاهدون هذه الأحوال في البحر لأن السك الكبير يأكل الصغير في البحر . وأما أمر البر فهو معلوم مما تقدم . فقال الشيخ له سألتك بالله من أين جاءك هذا العلم . إنه قول جيل . قال له بالنظر الصحيح وقراءة كتب الحكمة . قال له نعم أنا أفهم ذلك ولكن كيف خطر ببالك هذه المعاني في هذه القصة . قال له من سابق الكلام ولا حقه فان سابق الكلام في مجائب الدنيا وانها أكثر جدًا من مجائب القصص . وأما لاحقة فانه قال تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا - فهذا القول دلنا على أن هذه القصة مسوقة للتبحر في هذه الكائنات والنظر فيها وأن العلم لاحد له فأخذنا نبعث في نفس الكائنات كما أشارتلك الأنبياء . قال الشيخ إن نفس هذه الاجابة أيضا سألت عنها كيف عبرت بها وانى قرأت التفسير فلم أجده هذه الطريقة فما أعلم فقال له يقول الله - يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين - ويقول على لسان ابراهيم - ولكن ليطمئن قلبي - فهذا يكون الاطمئنان وبمثل ما ذكرته لك كما يكون الشفاء لما في الصدور . ألا ترى أن الخضر لما فعل ما فعل رجع فأبان الحكم والغايات التي أريد الفعل لها ثم قال - وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا - . يقول الخضر هذه الأعمال ليست من جنس أعمال الناس بل هي من أعمال الله تعالى وانما أنا كنت واسطة وهكذا الملائكة الأرضيون كلهم يفعلون نفس هذا العمل بما ألهمهم الله فهم يحافظون ويساعدون النور في الجو والآساد في البر والحياتان الكبير في البحر واقتراسها والحيات في التراب وهذه المحافظة ليست مضرة على الناس خيفة تعفن الحق والبر والماء إذ تلك هي الآلات لهذه الحيوانات لتلا تكثرت موت فيكون الهلاك لكم . فأما هذه الامور الثلاثة فانما هي نموذج لفعل ربكم . هذا مقصود الآيات . فقال الشيخ ولكن خبرني حفظك الله كيف غابت هذه الآراء عن تعرفهم من العلماء وعنى . قال لهم أنك أنت وصاحبك الفلاح رجلان قاربنا في طريقة الحياة . قال له معانا معنى هذا . قال مضاه أن الأمة في تربيتها ملائكة وجوها العلوي يكون متناسبا . قال ما فهمنا . قال أوضح لكاذلك . أنت أيها الشيخ حفظت القرآن من صفرك بلا تدبر على طريقة المسلمين في الأرض وأنت أيها الفلاح خرجت فوجدت نفسك في وسط هذه الحقول وقد تركتها بالمرشدين فأما الشيخ فقرأ العلوم العربية ونهايتها البلاغة وهي نحو ١٢ علما وأفهمه شيوخه أنك بهذه العلوم تعرف سر القرآن والدليل على ذلك اني حين سألتك أيها الشيخ أجبتني باسناد الضعيف وذلك خاص بمل المعاني . قال له نعم . قال هذا هو الذي أوقف عقول أمة الاسلام عاشت في القرون الأخيرة في جو من الألفاظ فجعت عنها الأسرار وقال قوم من جاهدوا أنفسهم انهم وصلوا الى معاني بتصفية الباطن ولكنهم ما أبرزوها للناس لأن الناس لا يصدقونها

فرجع الأمر أن الأمة وقفت في مرضها وتقدم غيرها من الأمم فدرسوا هذه الكائنات والمسلحون في سبات قال الشيخ صدقت . قال وأنت أيها الشيخ ما أنت إلا واحد من آلاف حفظوا القرآن كما حفظت ولكنهم تعشروا في أذيان الخيبة والتكال فانهم اكتفوا منه بالتلاوة أو العبادة أو التبرك أو السماع أو التغنى به وكل ذلك نزر يسير ولم ينزل القرآن ليقصر على هذا . إنه نزل لاطلاق العقول . قال الشيخ صدقت . ثم قال أما أنت أيها الفلاح فانك درجت في قريتك ولم تسمع إلا أن الحمام يؤكل والطيور تذبح والبقر والجاموس للحرات وما أشبه ذلك فأنت وحافظ القرآن وأمثالكم كثيرون تعيشون ماتعيشون ثم يموتون مزمدين بزاد قليل من الدنيا . فلا أنت فهمت الموجودات التي تعيش فيها ولا الشيخ درسوا القرآن الذي حفظوه وكلما خلت أمة أنبتتها أخرى والعقول واقفة والنفوس نائمة والفرجة حولكم فوحون مستبشرون

(حديث عجيب)

ألا أحدنكم حديثا سياسيا اقتصاديا . فقالا نحب ذلك . قال إن الملك (غليوم) ملك ألمانيا كان أرسل منذ عشرات السنين شابا قد أكمل الدراسة في بلادهم وتخرج من مدارسهم وأخذ الشهادات العالية في الفلسفة والعلوم وهو ذكي الفؤاد . أرسل هذا الشاب إلى بلاد العراق فتعلم العلوم الإسلامية لا بقصد الإسلام بل بقصد أن يعرف إلى أي حد وصلت أمة الإسلام فتعلم كل شيء عند المسلمين وألف كتابا نشره بالألمانية فكان ملخصه ما يأتي (هذه الأمم تعلم لموت فعلى ألمانيا أن تحبذ في طلب الحصول على مراكز اقتصادية وسياسية في البلاد قبل احتلال غيرها لها) ومضت سنون ثم جاءت الحرب الكبرى . فقال الشيخ والفلاح وأسفاه . أهكذا وصلنا . قال نعم ولكن بأمثال هذه الآراء ستحيون ويغير نظام التعليم في الإسلام وترقى أمم الشرق وقد آن أوانه وظل ابانه . إن الشرق مهد العرفان ومقر الأنبياء . انكم أيها الاخوان قد تركتم عادة الحصول وبحسنا وفهمنا شيئا من الوجود . فأما أنت أيها الفلاح فانك فكرت في أمور لا يفكر فيها الفلاحون وأنت أيها الشيخ عرفت علم اللغة وكفاك فضلا إنك فهمت ما أقول . وأما غيرك فقد أقفل عقله بأفقال من الجهالات فقال له زدنا . فقال كفي فألحا عليه . فقال سأقول لك وإذا علودعنا لم نرياني . فقال قل هذه الشرطة فقال ألم تنظر أسورة الكهف قد تناسب طرفها . ابتدأها بأن الجباب لاتنتهى وأن قصة أهل الكهف نزر يسير وختم السورة كما ابتدأها قائلا أن البحر ومثل البحر لو كان مدادا لم تنفذ بحجاب الله . أقول هذا وأسفرك الله ثم انتفض انتفاض الصفيور واقلب طائرا وغاب عن الأبصار . قال الحارث بن همام فاستيقظ إذ ذاك ووددت لو أراه مرة أخرى . انتهى الكلام على قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام الذي هو ميت لاسي قال تعالى . وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد .

(بهجة العلم ونور الحكمة قد أشرق صباح يوم الخميس الثالث من شهر مايو سنة ١٩٢٨ في تفسير

قوله تعالى . فوجدنا عبدا من عبادنا آتينا رجلة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . الى قوله

قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تطع عليه صبرا -)

أصبحت هذا اليوم ونفسى متشعبة ببعض ما في هذه الآيات من المعاني ولقد كانت ترد على قلبي وقتا فوقتا منذ أربعة أشهر حتى إذا كان هذا اليوم ألمت هذه الآراء بنفسى ولم تخارقها وقامت البراهين على ما يحظر بالنفس فأقنعت أن هذه الخواطر واجب كتابتها حتى فاني لأجد محيصا من انبائها ولا طريقا لمقاومتها فأذعنت للأمر الإلهي وكتبت ما سمعته والله هو الولي الجيد

اعلم أن الله عز وجل علم قبل أن ينزل هذا القرآن وقبل أن يخلق هذا العالم أن الأمم الإسلامية ستنام قرونا وقرونا وستأخذ أقوال الأئمة تقليدا في الفقه وترك عقولها ورواها إلا قليلا . علم الله ذلك فأنزله هذه الآيات ليذكرنا بأصول هذا الدين . هذا الدين الإسلامي نزل إلى الأرض وقد كانت مرتبكة قد أضناها النصب

والتب وحل بقول أهلها الخبل . أفلا ترى إلى الأمم الأوروبية وقد خيم على عقولها الدين المسيحي فأحاط
بقولهم القسيسون وأضرّوا بهم ضرراً شديداً فلم يفكهم من عقالم إلا الإسلام (راجع ما كتبناه عن علمائهم
في سورة إبراهيم وسورة التوبة وغيرهما) وبهذه الوسيلة انتشرت الحرية العقلية في العالم الانساني في أمريكا
واليابان والصين حديثاً وكذلك الهند . كل ذلك بانتشار الآراء الاسلامية . إن النهضة الحالية وانتشار
الديموقراطية كل هذا سببه الاسلام ولكن المسلمون الذين كانوا سبب ذلك الارتقاء كبلوا في قيود من حديد
وغشّوا على عقول كثير منهم . ولقد أصبح كثير منهم أشبه بقنماء المصريين إذ جاء لهم ملك الفرس المسمى
(قيز) محاربا وقد أدرك انهم يعبدون المرأة فأوقف الحرير بين السفين فلم يجاسر المسافر المصريون على
ضرب الآلهة فتمكن الفرس من هزم المصريين وذلك في الأسرة (٢٦) ومن ذلك الوقت ضاع استقلال مصر
وذهب مجدها وطامح عزّها فأرّباب الدين اذا جبست عقولهم كان ذلك الحبس من أقوى أسباب انحطاطهم
وذلم وشقاقهم أجمعين

(الاسلام مبناء العقل فتأمل وتعب)

أست ترى أن الأنبياء انما يصدقون بالمجهزات ولا معنى للجهزة إلا أنها أمر خارق للعادة يجر به الله
على أيدي أناس ادّعوا النبوة . فهذا الأمر الخارق للعادة دليل على أن الله هو الذي اخترع لهم تلك الفلاحيان
بالأنبياء متوقف إذن على أن نسل أن العالم لها موجودا علما مريدا قادرا فلولا علمه وإرادته وقدرته ما
ظهرت تلك المجهزات على أيدي الأنبياء فهو علمهم وأراد تأييدهم وقدر على ذلك . إذن النبوة لا تعرف
إلا بالعقل . وهذه النبوة اذا جاءت بأمور تخالف العقل فنحن بين أمرين إما نقول العقل لاقية له ونسلم
للدين ما يقول بلا بحث وهذا معناه أن العقل قد يكذب واذا كذب العقل فهذا يرجع على الدين بالنقض لأن
التصديق به بناء على العقل والعقل قد سقط فاذن سقط الدين بسقوط أساسه . فاذن نتجى إلى الأمر الثاني
وهو أن نقول اننا نقول الشرع ليطابق العقل وحينئذ نكون وقتنا بين العقل والشرع . هذا كلام حكاه
الاسلام في مثل هذا المقام أى مقام العقل والدين فلنتنظر في علوم الفقه الاسلامي أى شئ هي . إن علوم الفقه
الاسلامي كلها ظنية لأن الفقه ماهو إلا الأحكام الشرعية الظنية المكتسبة من أدلتها التفصيلية قالوا والمسائل
التي ليست ظنية فهي ليست من الفقه . وهنا قول اذا حدث في الأمم الاسلامية حوادث أظهرت أن بعض
الأحكام الشرعية التي يقول بها مذهب من مذاهب أهل السنة أو الشيعة أو الزيدية قد أضرّ بالشعب الاسلامي
ضررا محققا وتحقق ذلك الضرر عند مجلس الشيوخ في الأمة ومجلس النواب . فإذا يكون الحكم اذا رأينا
أقوالا اجتهادية أو أحاديث صحيحة وكانت نتيجة العمل بها ضررا محققا أى ان المضار فيها كثيرة جدا ففوق
المنافع أصحافا مضاعفة . فإذا فعل . تقول اذا حصل هنا يقين بأن حكما من الأحكام ضرره بين فانه لا محالة
لا يكون هذا شرعيا . ويانه أن الضرر المحقق عند نواب الأمة يعارض الحكم المظنون فالحكم مقتون شرعا
ولكن الضرر محقق عقلا وقد حكمنا أولا أن العقل لا يلقى حكمه اذا كان محققا . إذن يراجع هذا الحكم
ويجب أن يعتقد أنه ليس مشروعاً لأنه ظنّ واليقين مقتضى على الظنّ قال الله تعالى - إن الظنّ لا يثبت على شئ -
الحقّ شئ - فهذا ظنّ وهذا حقّ والحقّ يغلب الظنّ ويلغيه لذلك أنزل الله هذه الآيات لتذكركم بالحقائق
الدينية وترجع المسلمين إلى العقل والتفكير . انظر إلى السفينة وقد خرقتها وخزق السفينة حولم ولكن لما
تحقق الخطر وجب عمل المصلحة وقتل النفس حرام ولكن قد تحقق أنه لا مصلحة في بقاء هذا الغلام بل فيه
مفسدة هنالك أقدم على القتل . وليس معنى هذا أن نأخذ هذا القول بلفظه بل نقول متى ثبت لرجل الآلة
وعقلها ضرر أمر وجب تلغيه بحسب المصلحة فالشرع لم يكن لاحراج المتدينين

(انظر الى مسألة الربا)

الربا حرام وانما حرم لسر ظهر في هذا الزمان وذلك السر عرفه علماء الاسلام قديما ولكن لم ينفذ فعلا الا على يد (البولشفيك) فاقرا ذلك في آية الربا في سورة البقرة فقد اتفقت أدلتهم مع أدلة علماء الاسلام . على أن المرابي لم ينفع الانسانية بمثل ما . هذا سره . لكن انظر الى المسلمين في مصر بلادي مثلا . نحن الآن نعيش مع الأوروبيين الذين يبيعون الربا ولكن المسلمون يحرثونه . فاذا جرى . حبس الأغنياء نحو (٨٠) ألف جنيه في مصارف الفرنجة والربا الذي يستخرج من هذه في السنة يبلغ فوق ثلاثة آلاف ألف جنيه وهذا المبلغ يأخذه الفرنسي فيجعله ذخيرة وسلاحا ومدافع ويحارب المسلمين به وهنا ننظر ونقول الربا حرام ولكن هذا الحرام جعل سببا في تخريب بلاد الاسلام ولوأن هذا الربا أخذ لبولتنا وسقط به ديون دولتنا لا للفرنجة الذين يحيطون بنا لكن ذلك واجبا لاجازا فقط ولوأن الربا أخذ منهم وأعطى للفقراء والمساكين وللذين لا يجدون صناعة يعيشون بها فيشعروا به آلات للزراعة مثلا لكن ذلك من باب الاضرار في المسائلين . فهذا اضطرار يبيح هذا المظنوم وقتا . أناست أبيع الربا . الربا خطر على الانسانية وسيف قاطع ولم يفهم ضرره حق ففهمه إلا البلشفية في روسيا . هؤلاء هم الذين حققوا معجزة كبرى للنبي ﷺ . ولست أقول إنا نأخذ الربا لفقراتنا ولكن أقول اذا اجتمع (علتان) علة أخذ الفرنجة لربا أموالنا وضرينا بالمدافع المشتراة به . وعلة أخذ فقراتنا له . أقول اذ لم يكن في الأمة من ينجون هذا المال بزراعة أو بحجارة أو صناعة ووضع في مصارف الفرنجة الذين يستمدون على بلاد الاسلام بالسلاح . فن الجبل الأكبر ومن مصائب الأمم الاسلامية أن يؤخذ الربح لهم بل يجب أن يكون لفقراتنا وكان على العلماء أن يفتوا بذلك من باب الاضرار والحكم الاضطراري ليس أمرا دائما

(نظرة عامة في أم الاسلام ونظام القضاء فيها وأحكامها الشرعية)

اعلم أن الأمم الاسلامية قد نامت قرونا كثيرة منذ قهرها (جنكيزخان) وخلفاؤه وتولى الحكم فيها أم تركية وغير تركية فجعلت القرامح وعظمت الخطوب وقد كنت أيام مجاورتي بالجامع الأزهر أسمع شكوى الناس من القضاء الاسلامي ومن ذلك أن المرأة اذا غاب زوجها ولم يعرف خبره يقضي عليها أن تبقى بلازواج حتى سن الستين وهذا عجب . وقد بحثت بعد ذلك فوجدت أن القضاء في مصر لا يصح إلا اذا أقرته الخليفة في بلاد الترك من آل عثمان والحكم في مصر على مذهب الامام أبي حنيفة النعمان الذي هو مذهب الخليفة فقابلت المرحوم الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر منذ أمد فقال لي إن مذهب المالكية سهل جدا في هذه المسألة ولكن الحكومة الانجليزية التي احتلت البلاد لما رأت أنه لا بد من الاستئذان من الخليفة في العمل بمذهب غير الحنفي للتسهيل أبت خيفة أن ترجع العالقي بيننا وبينهم . فقلت له إنه من المؤلم أن يكون دين الاسلام الذي هو أسهل الأديان بسببه تكون المرأة عرضة للفاحشة بل الفاحشة محقة في كثير من هؤلاء المسكينات . فقال وما العمل . وبعد ذلك تغيرت الأحوال وانتهى ملك بني عثمان فقام القضاء بمصر في هذه الأيام وعلى رأسهم صديقنا الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي قاضي القضاء بمصر ورئيس المحكمة الشرعية العليا فشرع من ساعد الجدة وبحث في المذاهب كلها واستخرج منها زبدة صالحة للعمل بقدر الإمكان وقسم للحكومة (مذكرات مشروع قانون الزواج) وسهل الأمر جدا في أحكام النفقة والزواج الغائب بحيث انتفى الحرج وسأقل منها ما يناسب موضوعنا . إن علماء الدين الاسلامي في القرون للتأخرة مع الملوك استبدوا بالأمّة الاسلامية استبدادا أدى الى ضعفها . ومن ذلك ما كان في القرن التاسع عشر المسيحي أي القرن الماضي فان أحد الباشوات بمصر قال للشيخ المهدي العباسي المصري (وهو المفتي بمذهب أبي حنيفة مع القاضي التركي

من قبل السلطان التركي استخرجوا من للذهاب الأرمية وغيرها قانونا به تحكم البلاد فان علماء الدين يناقض بعضهم بعضا بل بعضهم يقتل تبع الدرهم قلة وكثرة وهذا يوجب ارتباك الأحوال فرضى قاضى الترك . أما المهدي العباسي فقد قال للقاضي أنت مولى من قبل الخليفة على مذهب أبي حنيفة فمالك وللذهاب الأخرى فلما يئس حاكم مصر من علماء الدين استعجل القانون الفرنسي وحكمت به البلاد الى الآن . وهكذا في هذه الآونة لما قامت الحرب الكبرى وانتصر مصطفى كمال باشا على أوروبا جعل الدولة بلادين محتجا بأن علماء الدين جعلوا الشريعة تحت أقدام الخلفاء فهم الذين أفتوا بمعاربة الجيش التركي الذي كان يقاوم أوروبا وهي زاحقة على البلاد . كل ذلك لازدراء الخليفة لتتق له سلطته الظاهرية وإن احتل البلاد أجني عنها فعلماء الدين ومولوك لاسلام يرضون بأقل عيشة ومثلة تحت حكم الأجنبي ولا يبالون بالأمة . هذه حال المسلمين في وقتنا الحاضر ولكن الله يقول لنا . كلا . ثم كلا أتم غافلون أيها المسلمون إذا كنتم تائبين فاستيقظوا فقد تبهتكم الحوادث . ألم تروا الى قصة أهل الكهف ناموا ثم أيقظتهم . هكذا أنتم يوقظكم ﴿ أمران ﴾ حوادث الدهر ومصائب الأيام ﴿ أولا ﴾ قصة الغلام والخفية والجدار ﴿ ثانيا ﴾ ان حوادث الدهر قد أحلقت بالمسلمين اليوم فالعلم ينفعهم وعلى ذلك أنزلت محاورات موسى والخضر التي نحن بصدد الكلام عليها ومنها يعلم الناس كما تقدم انه اذا ثبت لأولى الأمر في الأمة وهم نوابها أن الأمة أصابها ضرر من أى حكم من الأحكام الشرعية فان هذا يثنى الاسلام لأن الدين شرع لشفعة الناس لا لمضرتهم فاذا تحقق الضرر فليزل هذا الحكم حتما لأن الحكم الشرعي مظلون والضرر محقق والمحقق مقدم على المظنون وهذا القول لا يتأري فيه اثنان في الاسلام . إن علم الفقه هو الأحكام الشرعية الظنية فاذا تحقق الضرر فكيف نعمل بالمظنون . هذه هي القاعدة التي تؤخذ من الآيات التي نحن بصدها والتي أراد الله اظهار سرها في العصر الحاضر بعد أن ذل كثير من المسلمين في ديارهم . هذه هي القاعدة التي ستكون نبراسا ونورا ميّنا للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وسيكون هناك رجال لاتلهيهم مظاهرهم ولا حطام الدنيا عن النظرة العاقبة لأم الاسلام أولئك هم الفلمعون . ولطاك تقول ماذا قال علماء الاسلام في أمثال هذا أقول لك سأخلص لك فصلا من فصول ﴿ مذكرات مشروع قانون الزواج والطلاق ﴾ الذي أرسله الى صديقي الفاضل الشيخ محمد مصطفى المراني رئيس القضاة بمصر كما وعدتك تحت عنوان

﴿ تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف ﴾

(١) قال ابن القيم هذا فصل عظيم النفع جئنا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب الحرج وللشفقة أو تكليف مالا يسيل اليه وما يعلم أن الشريعة الباهرة لا تأتي به فان الشريعة مبناه وأساسها على الحكم والمصالح وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها وكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل وقد ضرب لذلك أمثلة

(٢) منها أنه شرع لهذه الأمة وجوب إنكار المنكر وتغييره ولكن اذا كان انكار المنكر يستدعي منكرا أشد منه فانه لا يسوغ الانكار في هذه الحالة

(٣) ومنها أن النبي ﷺ نهى أن تقطع الأيدي في الفزوة وهذا حد نهى عنه خشية أن يترتب عليه ما هو أفض من تعطيله أو تأخير

(٤) ومنها أن عمر بن الخطاب أسقط الحد باقطلع عن السارق عام الجماعة . قال السعدي حدثنا هرون ابن اسماعيل لحوار حدثنا علي بن المبارك حدثنا يحيى بن أبي كثير عن حسان بن زاهر أن ابن حبيب حدثه عن عمر قال لا تقطع اليد في عتق ولا عام ستة قال السعدي سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال العتق

النخلة وعلم سنة الجماعة فقلت لأحد تقول به قال أي لعمري قلت ان سرق في عام الجماعة لا تقطعه فقلت لا اذا حلت الحاجة الى ذلك والناس في جماعة وشدة وهذا على نحو قضية عمر في غلمان حلب

(٥) ذلك انهم سرقوا ناقة لرجل من مزينة وآتى بهم الى عمر فاقرءوا على أنفسهم فأمر أن تقطع أيديهم ثم ردهم وقال لعبد الرحمن بن حاطب سيد الغلمان أما والله لولا أني أعلم انكم تستعملونهم وتجيئونهم حتى ان أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له لقطعتم أيديهم وأيم الله اذا لم أفعل لأغرتنك غرامة توجعك ثم قال يمزني بكم أريدت منك نافتك قال بأر بعمائة قال عمر انذهب فأعطه ثمانمائة

(٦) العرف اذا خالف اللبيل الشرعي في محرم كأن يتعارف الناس شرب الخمر وهم ذلك فلا يعتبر ذلك العرف وان خالف العرف العام النص الشرعي من بعض الوجوه فقط فان العرف يصير خصصا لذلك النص (٧) اذا خالف العرف العام بين الناس حكما قياسيا فان العرف يترك به القياس . إذن العرف خصص للنص تارك للقياس

(٨) العرف الخاص يقول بعض العلماء انه ثبت به الحكم العام والأكثر على خلافه مثال ذلك أن مشايخ (بلغ) كانوا يميزون لأهل بلدهم أن يدفع أحدهم الى حائك غزلا على أن يسجعه بالثك وانما أجازوها لتعامل أهل بلدهم به والتعامل كما قسمت حجة يترك به القياس ويخص به الأثر وقد ورد النص على خلاف ذلك في قفيز الطحان . فاذن يكون الحائك مثله . فاذن هذا تخصيص للنص لآثره له أصلا

(٩) ان علماء الحنفية أجازوا بيع الوفاء مع انه بيع فاسد فلما رآوا من الربا قالوا وما ضاق على الناس أمر إلا اتسع حكمه فهو جائز للضرورة

(١٠) ورد عن رسول الله ﷺ أن البر والشعير والتمر والملح مكية وأن الذهب والفضة موزونات . إذن اذا وزن الناس البر لم يميز واذا عذوا الفراهيم عذبا ولم يراعوا وزنها لم يجر ذلك لمخالفة للنص ولكن أبو يوسف اعتبر العرف في هذه الأشياء حتى جاز الشاري بالكيل في الذهب والوزن في الحنطة اذا تعارف الناس ذلك فهذا اتبع فيه العرف وترك النص . والحجة في ذلك أن النبي ﷺ إنما نص على وزن هذا وكيل هذا لأن العرف في زمانه كان كذلك ولو كان العرف خلاف ذلك لنص عليه فلو تعارف الناس بيع الفراهيم بالبراهم واستقرضاها بالعدد كان جائزا إما بناء على العرف كما تقدم وإما للضرورة

(١١) إن المتأخرين الذين خالفوا النصوص في كتب المذهب في بعض الأحكام لم يخالفوه إلا لتغير الزمن وعلمهم أن صاحب المذهب لو كان في زمنهم لقال بما قالوه مما يستخرج به الحق من ظالم أو يدفع دعوى متعنت ونحوه بعدم سماع دعواه أو بحجسه أو بخوض ذلك ولكن لا بد لكل من الحاكم والمفتي من نظر سديد فلمفتي الآن أن يفتي على عرف أهل زمانه وان خالف زمان المتقدمين وكذا للحاكم العمل بالقرائن في أمثال ما ذكر قال وفي رسم المفتي والتحقيق أن المفتي لا بد له من ضرب اجتهد ومعرفة بأحوال الناس ومن جهل زمانه فهو جاهل ثم قال فهذا وأمثاله دلائل واضحة على أن المفتي ليس له الجود على النقل في كتب ظاهر الرواية من غير مراعاة الزمان وأهله والاضيع حقوقا كثيرة ويكون ضرره أعظم من نفعه . ثم قال بعد كلام مانسه وينبغي أن يطال النظر الى هذه النصوص فهي تنطق بالروح العالي الذي كان يملأ صدور الفقهاء وتدل على مقدار احترامهم لعرف الناس وعاداتهم وعلى مقدار فهمهم للقواعد الفقهية وانها ما وضعت إلا لمصلحة العباد وضبط التعامل بينهم والله يجب أن تخضع لعرفهم وأن تخضع للضرورات والمخرج فلا يجوز أن تجحد الفقهيات الاجتهادية أمام حوادث الزمن وأمام ما يجد فيه من عادات ومصطلحات وهي قابلة للتجدد وقابلة للتغيير أمام العرف العام وأمام العرف الخاص عميرين الخطاب رضي الله عنه أسقط الحد عام الجماعة ولم يقطع أيدي غلمان حلب لأن الضرورة قامت عنرا عنده درأ به الحد . وأحد رضي الله عنه وافق عمر في النصلين والحنفية تركوا القياس وهو أحد الأدلة الشرعية

بالعرف العام وخصوا النص بالعرف العام وإذا رجعت إلى قواعدهم التي توجب في النقص أن يكون متصلا قلت انهم نسخوا عموم النص بالعرف العام إذ العرف قد لا يطرأ إلا بعد قرون من ورود النص فيظل النص معمولاً به قروناً طويلة ثم يجد العرف فينقبض النص ويقتصر على ما وراء المتعارف ويأخذ المتعارف حكماً آخر خلاف حكم النص فيصير الشيء مباهاً بالعرف بعد أن كان حراماً بالنص وقد أهدر الحنفية دلالة النص وهي إحدى الدلالات اللفظية حيث يجوزوا الاجرة على نسج الغزل بالثلث مع أن دلالة النص المستفادة من قفيز الطلعان تحرم هذه الاجرة . وقد علل أبو يوسف النص في الروايات بالعرف وبني على هذا أنه إذا تغير الكيل في البر والشعر وتغير الوزن في الذهب والفضة اعتبر العرف الطارئ لا عرف النص غير أن الفقهاء لم يقفوا عند هذا وأجازوا التعامل في الدراهم بالعدد بدلاً واستقراضاً وإن تفاوت وزنها مراعاة للعرف ومراعاة للضرورة وفي هذا خروج على النص جهة لأنه إلغاء للمعيارية بالكيل أو الوزن . وجعل الحنفية العرف الخاص قاضياً على النصوص المذهبية في مسألة غنم للبيع المتقدمة إذا كان من عادة السوق دفع شيء من الغنم كل جمعة لادفعه جهة واحدة والمذهب ليس كذلك . وأجازوا بيع الفخار واعتبار تركها مشروطاً وقد كان بيع الفخار باطلاً وكان شرط الترك فاسداً . ورأى بعضهم أن يعمل العرف الخاص بما يعمد العرف العام أي أنه يلغى قياساً ويخصص نصاباً ودلالة نص . وهاهم أولئك فتحوا الباب لفتن يفتنوا تبعاً لتغير العرف العام والخاص تبعاً للضرورة والحرج . وأجازوا للعالم العمل بالقرآن . وأجازوا له النهي عن سماع دعوى المتننت ومآثبه ذلك . ولا يغيب عن الأذهان أن الأحكام المستفادة من النصوص قليلة جداً بالنسبة للأحكام الاجتهادية فالأحكام الاجتهادية قابلة للتغير بالعرف العام والخاص والأحكام المستفادة من النصوص قابلة للتخصيص بالعرف العام باتفاق وبالعرف الخاص على رأي بعض الحنفية . فهل توجد مرونة في القوانين تسمع الناس أكثر مما في هذه الأحكام وهل يصح مع هذا أن يقول أحد أن قواعد الفقه جامدة لاتسع الناس في كل عصر ومكان والحق أن هذا ظلم لهذه القواعد ولكنه ظلم جزء تزلزلت الفقهاء والمحدثين الذين لم يفهموا روح الدين ولا روح الفقهاء المتقدمين . انتهى ملخصاً

هذه هي خلاصة الفصل الذي نحتاج إليه من هذه الرسالة ومنه يتبين أن علماء الدين في مذهب واحد من المذاهب الإسلامية خطوا خطوات واسعة في الاجتهاد للأمة وبناء على هذه الخطوات سهلت الأمور في مصر في زماننا فولزن رعاك الله بين الفتى في القرن الماضي وبين قاضي القضاة في العصر الحاضر تعرف مقدار ارتقاء عقول المسلمين إذ لا يلقى للناس إلا ما استعملوا له . وما عرفته من نفس قاضي القضاة المذكور ما قاله لي وأنا معه يحاولون أن هذا القانون لم نستخرجه من المذاهب الأربعة حسب . كلا . بل نظرنا في مذاهب أخرى كالزينة ومذهب دلود الظاهري الذي له كتاب في المكتبة الخديوية اطاعت عليه وعليه ختم أحد الملوك المسلمين . فلما سمعت ذلك داخلني السرور والفرح إذ رأيت هؤلاء أفضل من كثير من المتأخرين الذين يرون بأعينهم ضرر الناس ولا يفكرون في آيات القرآن

(فصل في مناسبة ما تقدم قصته الحضر وموسى عليهما السلام)

وأنا أقول إذا كان عقول علماء الاسلام في العصر الحاضر قد تخطت الحدود التي رسمها المتأخرون وصاروا يأخفون من المذاهب ما يوافق العصر الحاضر (١) فكيف تكون حالهم إذا علم السجون في أقطار الاسلام أن الأحكام الشرعية مع كثرتها وكثرة مذهبها ليس منها بالنص إلا قليل جداً كما تقدم في رسالة الزواج وهذا لا يعرف إلا قليل من أهل العلم . ألا ترى أن الانسان إذا اتبع مذهباً من المذاهب وقف حياته كلها عليه ورأى عشرات الكتب في فروعه ولا يرى آية ولا حديثاً إلا قليلاً . ومن الأحاديث ما يكون ضيقاً ولكن المقلد لا يتهم علماء مذهب مع إجماع علماء الاسلام كما في مقدمة (فتح الباري على البخاري) أن الأحاديث الصحيحة السمل

بها عند المسلمين وهي التي في البخاري ومسلم وهي التي تلى القرآن في حجة قبلها كلها غنية إلا قليلا جدا . فاذا كانت هذه غنية فما بالك بشيئها وما بالك بالأحكام المستنتجة منها فهي ظن مستخرج من ظن . ومعلوم أن علم الفقه منهائ الظن فليس قول هذا من باب الشك بل هو من باب شرح الحال (٢) ثم كيف تكون حال المسلمين بعدنا اذا رفضوا أبصارهم قليلا الى أمثال ماقول وفهموا قصة الخضر وموسى كما قنعناه ونظروا بمقتولهم في الأحكام التي في الكتب فاذا رأوا حكما قد أضرت بالناس ضررا محققا فليزايده لا لأنه ضرورة بل لأنه يقين نسخ الظن . ولذا رأوا حكما نصت عليه آية ورأوا بعض فروعه ضارّة في حال أوزمان خصصوه كما تقدم اقتداء بالنبي ﷺ في منه قطع يد السارق في حال خامة كما تقدم وكما تقدم عن عمر رضي الله عنه وأنا أكرر اقول أن علماء الاسلام لا يتسنى لهم معرفة أمثال ماقول سواء أكان في الأحكام الشرعية أم المعلوم العقلية والمشهد الطبيعية إلا بأن يقرؤا من كل فن طرقا صالحا حتى تستنير بصائرهم ويعرفوا هذه الحقائق في المقامين

ولقد ذكر العلامة الشاطبي هذا المقام ووافق على مايسمى المصلح المرسلة وذكر منها ما يأتي

- (١) الضرب في التهم
- (٢) وماذهب اليه مالك من السجن في التهم
- (٣) وماقرره وقتل مثله عن الفزالي وابن العربي من جوائز وضع الامام العادل ضرائب للدافعة من البلاد وأكثر الجند عند الضرورة
- (٤) أجاز بعض العلماء في بعض الجنائيات أخذ المال
- (٥) الزيادة على سد الرمي اذا تواترت ضرورة الأكل من المحرم كليلية في الجماعات أو عمّ الحرام بلدا فيؤخذ بالوجه الشرعي ولا ينظر لأصل المال وعزاه الى ابن العربي والفزالي
- (٦) وقتل الجماعة بالواحد ومستنده للمصلحة المرسلة لأنه لم يرد لها نص وقد قتل عن عمر وهو منذهب مالك والثاقي . وبإجله أن حديث (لا ضرر ولا ضرار) اليه ترجع جميع مسائل المعاملات التي يربح فيها الى الحكماء في القضاء والسياسة والحرب

{ تنبيه }

تقدم هنا ذكر مسألة عن المبيع اذا كان من عادة السوق دفع شيء من الثمن كل جمعة لادفئه جملة واحدة وإيضاحها { انه لو باع التاجر في السوق شيئا بجن ولم يصرحا بمحاول ولا تأجيل وكان المتعارف فيما بينهم أن البائع يأخذ كل جمعة قنرا معلوما انصرف اليه بلا بيان واعتبر فيه عرف ذلك السوق الخاص وإن لم يتعارف في أكثر البلاد مع ان المنصوص عليه في كتب المذهب حلول الثمن مالم يشترط تأجيله وعلى هذا فالحكم الخاص يثبت بالعرف الخاص } انتهى من الرسالة للذكورة

{ فائدة }

عما أجازته علماء الاسلام وعملوا به انهم يقولون إن الامام اذا أمر بمنسوب وجب واذا رفع له قول ضعيف قواه . كل ذلك ليفتحوا للأمة باب درء للفساد وجلب المصلح وأنا أقول الحق والحق أحق أن يتبع قد تقدم في سورة النساء أن أولى الأمر وهم أهل الحل والعقد في البلاد هم الذين لهم هذه المسائل ترفع اليهم وما يقررونه يكون معمولاً به . هذا هو الحق الصراح والمسلمون اليوم لهم مجالس علنة . أما الأمراء وغيرهم فلا والمعرفة رب العالمين . انتهى

{ فاكهة }

جاء في محادثة الشيخ الشمراني مع شيخه الخواص ماضه بالحرف من كلام الخواص { يمكن الانسان

الاسلمة يعلم جميع ما كشفه الله به من الأحكام في نحو شهر فإن غالب اشتغال الفقهاء طول عمرهم إنما هو في فهم كلام بعضهم بسنا وهذا لم يكف الله به أحدا بعلمه ولا العمل به لعدم عصمة قائله (لأن أجمع عليه) انتهى المقصود منه . وأقول . هذا القول لا يصح المطالبة على علاه لأن الأئمة لابد لها من قضاء وحكم وعليهم البحث والجد والاجتهاد . فهذا القول منه نظريه إلى حال الصوفية ولكن الدين الاسلامي وسع نظام الشخص ونظام الأئمة فلا بد من الاجتهاد حل عليه اجماع أم لم يحصل . وأما قوله انه يكفي في معرفة الأحكام نحو شهر فهذا يقرب عما أئذكره من كلام الامام الشافعي رحمه الله في الرسالة إذ يقول (إن الواجب تعلمه وجوبا عينا هو ما تلقاه العلة جيلا بعد جيل) انتهى بمعناه

أما إن علم الفقه واجب وجوبا عينا فاعلم ذلك خاص بمطابقة تخصصها الأئمة بالتعليم بنظام الدولة وحفظ أصولها وأعراضها . إن الأمم الاسلامية اليوم مستعنة بالرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة ثم الرجوع إلى العقل فيما يتقوا ضرره كما إن الخضر لم يبال بجرمة قتل النفس . ولا يحفظ سفينة اليتامى . ولا بأن أهل القرية بخلافه فهو مع الحق أينما كان . أحسن ليتامى بالخلافة وعلم علما يقينا في مسألتين ضررا فقلب الحرم بالنسب حللا باليقين . وأى إثم أكبر من التعدي على النفس والمال في الغلام والسفينة . ذكر الله هذين في القصة ليقول للمسلمين لرفضوا عيونكم . انظروا بيمائركم . أليس موسى نبيا فكيف حلال الحرام أمامه . وهل أنا قصصت ذلك عليكم أيها المسلمون لالهجة القصص ليفرح بسلامة العتقة يوم الجمعة في مساجدكم . كلا . إلى أنزلت هذا لتتقوا فعل نبيكم ﷺ فإذا قل اليكم أنه منع قطع اليد في حال خلعة لحكمة خاصة وإذا قل عمر مثله كذلك فهذا يذكركم بمعنى هذه الآية . الآية صريحة في القتل وهي من القرآن والقرآن ليس ظنيا كالحديث بل هو متواتر والمتواتر يقين . فهذه الآية التي جمعت كل هذه الشروط قد خصت كما خصص الخضر قتل النفس واتلاف المال بحال خاصة يقين عنده . وليس معنى قولى هذا أننا نقضى بالكشف والاطلاع على القريب . كلا ثم كلا . وإنما هذا خاص بقليل من عباد الله وإنما المقام في فهم اليقين والظن . ومن جب أن يصطلي الناس في مصر على سماع القرآن يوم الجمعة بالمسجد ولا يقرأ القارىء إلا الكهف فكان الله يقول للمسلمين هذه السورة قرأوا اجتماعكم يوم الجمعة أفليس منكم رجل رشيد شعاع يفكر في قصة الخضر وموسى ويخرج المسلمين من حصر الفكر إلى الاجتهاد للطلاق المقيد بأصل الدين . هذا ما فتح الله به يوم الثلاثاء (٢٢) مايو سنة ١٩٢٨ م

(قصة نبي القرنين)

اعلم أن كثيرا من العلماء يقول انه اسكنهم الرومي بن فيليش وقصته الآن معروفة تدرس في مدارسنا لصلية ومدارس العالم أجمع وهو تلميذ (أورسطاطليس) الفيلسوف ويسمى العلم الأول وهو الذي انتشرت فلسفته في الأئمة الاسلامية وقد كان هذا الملك قبل الميلاد بنحو ٣٣٠ سنة وقد تولى الملك بعد أبيه وهو من أهل (مقونيا) وحارب الفرس وتولى على ملك (دلرا) وتزوج ابنته وقتل الرجل الفارسي الذي قتل دارا وجاء ليأخذ الجائزة منه وأظهر كرمًا وشجاعة والناس اليوم يدرسون رسائل بينه وبين أستاذه في السياسة . ذلك انه لما دخل بلاد فارس رأى هناك رجالا ذوي وجهه وجمال وأبهة من أبناء الملوك والأمراء فأراد قتلهم فاستشار أستاذه فأرسل اليه الافضل في قتلهم وان قتل الرؤساء تتأجج ناره في قلوب الأئمة ولا تخمد وأمره أن يتم عليهم ويعطى كل منهم ملك أبيه ويوقد بينهم العداوة والبغضاء دائما ويكون هو الحاكم بينهم فيكون محبوبا غشى على تلك السياسة . ولما مات تلمت بعده ملوك الطوائف التي أسسها ثم انه سافر إلى الهند وحارب هناك في (البغال) وغيرها ثم انه بنى الاسكندرية لما حكم مصر لأن مصر كانت تحت حكم

الفرس فلما غلب الفرس حكم مصر وبني الاسكندرية للمسيحية باسمه لأن وعاش ثلاثا وثلاثين سنة ومات عند رجوعه من الهند قبل أن يصل بلاده . هذا رأي وهناك رأي آخر أنه أبو الريحان السريدي النجمي في كتابه المسمى « الآثار الباقية عن القرون الخالية » أنه من جبر واصله أبو كرب بن افرقيش (وافرقيش هذا قد رحل بجيوشه الى ساحل البحر الأبيض غنبا الى تونس وغيرها فسميت القارة سلكها باسمه (افريقيا الجبري) وهو الذي افتخربه أحد شعراء جبر حيث يقول

قد كان ذوا القرنين جدي مسلما • ملكا علا في الأرض غير مفند
بلغ للشارق والغارب يثنى • أسباب ملك من كريم مرشد
فراى مآب الشمس عند غروبها • في عين ذي خلب وثقله حرم

مآب الشمس ذهبها في عين ذي خلب أي حاة والثالثة أيضا الحاة والحمد للعين الأسود . هذا ملخص ما قاله العلماء مع ذكر الحقائق الأصلية في التاريخ بلا تضليل . وإنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس . وملكه تقول أي القولين أصح . أقول لك لا يهم القرآن أيهما فليست هذه من العقائد وانما هي ضالحة تنفي الوعظ الحقة فليكن اسكندر المقدوني أو فليكن رجلا جبريا في زمان مضت وكان مسلما كما قاله بعض العلماء فليس القرآن جاء ليضلنا تاريخ اليونان أو تاريخ الجبريين . القرآن أكبر من التاريخ العلم ومن جميع العلوم بل بكل التاريخ الى علوم الأدب وعلوم الطبيعة والفلك العقول البشرية ولكن لما سأله ^{عليه السلام} عن ذي القرنين أجابهم بالقول الذي يجمع بين إلهية المطلب وبين القادة الدينية فيه الوعظ وفيه ذكر جهة مجملة من التاريخ . فليترك ليس للتقصص من قائمة إلا الوعظ . وقد تقدم أن الفوائد في محجبات هذا الملك ومحجبات أصحاب الكهف وأصحاب المصير وكعبة مكة ذي القرنين أقل بما لا ينقص من محجبات هذه الكائنات فلتتوفر السواهي عليه وليؤخذ من هذا القصص وعظه ولا نغاري في حقائق هذه القصة إلا امراء ظاهرا ولا نستفي فيها أحدا من المؤرخين فالقرآن لم يكن لتاريخ بل لفظة والاعتبار

وإذا كانت الأم تعلم بمحكيات لأشخاص خياليين كما أوجب ذلك في كتاب « أميل القرن التاسع عشر » فكيف إذا علم القرآن بما يطابق الواقع مرأى فيه الوعظ مسندا لأشخاص حقيقيين . وملكه أي الذي تقول أنا أفضل أن يكون جبريا في القرون الأولى لأنه من العرب وأنت إما عربي مسلم وإما مسلم من غير العرب فتفضل أن يكون منهم وأيضا سيرة اسكندر المقدوني لا تنطبق على ما قصه الله في القرآن . أقول لك الحق في ذلك أن كون آباءنا كانوا عظماء لا ينقصنا فهذه الأم الاوروبية كان أجدادهم منذ ألق وأر بهانة سنة بحاربون دولة الرومان وكانوا يسمون برايرة ومع ذلك غلبونا ونحن أبناء الأكسرة والفراصة والأنبياء والفلاسفة وهؤلاء جهلاء مجبولون فهذا الوجه ظاهر وأما انطباق التاريخ بالحرف فقد قلتم أنه لا يثبتنا ولو أردنا أنه المقدوني قلنا ان حوى أمهاته تقتضي ذلك من الوجهة المقتضية ولكن فيه تكصعظيم فكوه اسكندر الجبري أولى وسأبذل له مقالا خاصا قريبا مع بأجوج وأجوج . وللتصريح في المقصود وهو التفسير قال تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا) أي من ذي القرنين خبرا (إنا مكنا له في الأرض) أي مكنا له أمره من التصرف فيها كيف يشاء (وآتيناه من كل شيء) أردناه وتوجه اليه (سببا) أي بلاغا ووصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فأراد بلوغ المغرب (فأتبع سببا) سلك طريقا يوصله اليه (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها غروب في عين حاتم) ذات حاة يقال حاتم البحر صارت ذات حاة • وفي قرارة أخرى - قرب في عين حامية - أي حارة وذلك لأنه لما بلغ مغرب الشمس أي البلاد التي لا بلاد بعدها غروب عليها الشمس حيث لم يكن عمران إلا ماعرفوه وذلك عند بحر الظلمات المسمى بالحيط الاطلائقي إذ وصل ذوا القرنين الجبري الى بلاد تونس ثم سار حتى وصل الى بلاد مراكش ويصل الى ذلك

البحر فوجد الشمس تقرب في البحر رأى العين وكل بحر فيه ماء وطن أوماؤه حار لالحاح الشمس عليه
(ووجد عندها قوما) أى عند تلك العين (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب) بالقتل والأسر (ولما أن نغذ
فيهم حسنا) بالإرشاد وتعليم الشرائع وتغفو وتصفح (قال أما من ظلم) أى كفر (فسوف نعتبه) قتله
(ثم يرد إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) منكرا يعنى التارفعى أنكروا من اقتل (ولما من آمن
وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أى جزاء أعماله الصالحة (وستقول له من أمرنا يسرا) أى نلين له في القول
وضامه باليسر (ثم) لما أراد بلاد المشرق (أتبع سببا) سلك طريقا يوصله إليه (حتى إذا بلغ مطلع الشمس)
أى الموضع الذى تطلع عليه الشمس أولا من المعمورة (وجدنا تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا)
فلا بلبس ولا بناء فهم عراة في العراء أو في سراديب في الأرض (كذلك) أى أمر ذى القرنين كما وصفناه
من رفة الشأن وبسطة الملك (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود وآلات الحرب (خبرا) علما تعلق بظواهره
وخفياته (ثم) لما أراد أن يتوسط بين المشرق والمغرب (أتبع سببا) سلك طريقا ثالثا بينهما (حتى إذا بلغ
بين السدين) الجبلين المبني بينهما سد وهما جبلا (أرمينية وأذربيجان) أوجبلان آتزان عالين في آخر
الشمال في منقطع أرض الترك وسترى تحقيق هذا المقام بأجل تحقيق قريبا فانتظره (وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا) لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم (قالوا ياذا القرنين) أى قال مترجموهم (إن بأجوج
وأبجوج) الآتى ذكرهما مع التحقيق (مفسدون في الأرض) في أرضا بالقتل والتعريب واثلاف الزرع
(فهل نجعل لك خراجا) جعلنا نخرجه من أموالنا (على أن نجعل بيننا وبينهم سدا) يعجزون خروجهم
علينا (قال ما مكنتي فيه ربي خير) أى ما جعلني مكنتا فيه من المال والملك خيرا تبذلونى من الخراج
فإن العمل القوية يجب عليها أن تحافظ على الضيقة وليس يجوز لها أن تأخذ أموالها مادامت قادرة على
إغاثتها وإذا احتاجت إلى شئ فليكن على قدر الحاجة بخلاف ما عليه أوروبا الآن وأم الاسلام في القرون الأخيرة
فانهم ما حكموا الأم إلا لأخذ أموالهم والتم بما جموا من الثروة وهذا هو الذى سيكون دأب الأمة الاسلامية
حين تقوم قائمتها ألا يأخذوا من مال الأم إذا حكموها شأ وإذا أخفوا فليكن ذلك على قدر الحاجة ويوكل
ذلك الى رأى المجلس الشورى في للمالك الاسلامية التى ستكون أرقق ويعلمون أن الله لا يولى على عباده
إلا أنفسهم ولا أضع لهم من هذا (فأعزوني بقوة) أى ما أهوى به من الآلات (أجعل بينكم وبينهم رسولا
حاجزا حسيبا وهو أكبر من السد يقال ثوب مرهم إذا كان فيه رقاع فوق رقاع) (أتونى ذوالحديد) الزبرة
القطعة الكبيرة أى قطع الحديد فأثو بها وبالخطب لجل الخطب على الحديد والحديد على الخطب (حتى إذا
ساوى بين السدفين) جانبي الجبلين وإنما ساء صدفين لأنها يتصادقان أى يتقابلان (قال انفضوا) أى
قال للملأ انفضوا في الأكوار والحديد (حتى إذا جعله) جعل المنفوخ فيه (نارا) كالنار بالاجاء (قال
أتونى أفرغ عليه قطرا) أى أسب عليه نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الخطب وجعل التحلوس يسيل مكانه
حتى زلزال الحديد النحاس (فا اسطاعوا أن يظهروه) أى لماوه وملأته (وما استقلوا له قبا) من أسفه
لشدته وصلابته (قال) ذوالقرنين (هذا) السد (رحمة من ربي) أى نعمة من نعمه (فإذا جاء وعد ربي)
أى وقت خروجهم (جعله دكاك) أرضا مساء (وكان وعد ربي حقا) كائننا لا علة (وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض) أى بوجملنا بعض بأجوج وأجوج حين يخرجون مما وراء السد بعض الناس يموج في بعض
ويشتط العالم كله بحيث يبتلى بأجوج وأجوج في الأم كلها ويختلطون أجيالا وأجيالا كما ستره . كل ذلك
قبل التفتخ في الصور بزمان مجهول لا يطم (وقنح في الصور) بعد ذلك لقيام الساعة (لجملناهم جمعا) الضمير
للملأين وهم جميع الناس ومنهم بأجوج وأجوج (وعرضا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأبرزنا لها وأظهرنا لها
لبشاعتها عيانا (الذين كانت أهنيهم غطاء) غشاء وستر (عن ذكرى) أى عن الإيمان والقرآن والحدى

والتيصر في الدلائل (وكانوا لا يستطيعون سماعاً) أى سمع قبول للإيمان (الحسب الذين كفروا) أغفل
الذين كفروا بحسبوا أى فطنوا والاستغناء للانسكار (أن يتخفوا عبادى من دونى أولياء) أرباباً كعبسى
والملائكة (إننا أعدنا) أعدنا (جهنم للكافرين نزلاً) ما يقام للنزول وهذا منهم والا فآين الضيافة فى النزل
(قل هل ننبشكم بالأخسرين أعمالاً) منصوب على التخييزهم (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا) كالرهبان
فانهم لا ذرية خلفوا ولادينا حفظوا لأن دينهم لم يأمرهم بذلك وانما هم المستمعون (وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا) لما عندهم من العجب واعتقادهم انهم على الحق (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم)
المنصوبة فى الآفاق وبآياته للنزلة على النبي ﷺ (وقهانه) بالبعث (لحبطت أعمالهم) بكفرهم فلا يثابون عليها
(فلا تقم لهم يوم القيامة وزناً) ميزاناً وكيف توزن أعمالهم وقد حبطت فلا قيمة لها الأمر (ذلك) ثم بينه
قال (جزاءهم جهنم) سبب (ما كفروا واتخذوا آياتى ورسل هزوا) • إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلاً (حال كونهم) خالدين فيها (والحال هنا مقترنة (لا يفتنون عنها حولا) تحوّلوا
والفردوس الجنة الملتقة بالأشجار التى تنبت ضروباً من النبات • يطلق النزل على ما يهب للنزول أى كانت لهم
ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلاً وأزمان الجنة مهما طالت يعقبها خلوص الأرواح العالية الى مراتب سامية
- عند ملك مقدر - وهو الذى يسمى رضوان الله ويسمى أيضاً زيادة كما فى قوله تعالى - الحسنى وزيادة -
كما تقدم فى هذا التفسير • ولما كانت الجنة فى الحقيقة ترجع الى العلوم والمعارف لأنها هى السعادة القصوى
فى الآخرة ومن لم يتصور ذلك ولم يرجع إلا ما هو محسوس فانه يعلم أن العلوم تكون سبباً لها أعقب ذكر
الجنة بأن علم الله لانهاية له • ولا جرم أن هذه السورة مسوقة الى العلم والله لانهاية له كما فى قصة الخضر وكما
فى قصة أهل الكهف التى قيل انها بالنسبة لجباب الله قليلة وهذا قوله تعالى (قل لو كان البحر مداداً)
للداد ما يكتب به وهم اسم لما يمد به النى كالخبر للنواة (لكلمات ربى) لكلمات علمه وحكمته (لنفد البحر)
جنس البحر فكل جسم فانه متناه (قبل أن تنفذ كلمات ربى) فانها غير متناهية (ولو يشأنا بمثل
البحر (مدداً) زيادة ومعونة • يروى أن اليهود قالوا يا محمد نزعنا قداوتينا للحكمة وفى كتابك - ومن
يؤت الحكمة فقد أوتى خبراً كثيراً - ثم تقول - وما أوتيت من العلم إلا قليلاً - فنزلت هذه الآية • وقيل
انه لما نزل - وما أوتيت من العلم إلا قليلاً - قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فنزل الله تعالى
- قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى - أى ما يستمدد الكتاب ويكتب به • قال مجاهد (لو كان البحر
مداداً للعلم والقلم يكتب والخلائق يكتبون لنفد البحر الخ) ثم قال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) لا ادعى
الاحاطة بعلم الله تعالى (يوشى الى أنما الحكم إلا واحد) فهنا هو الذى ميزنى عنكم (فمن كان يرجو لقاء ربه)
بأمل رؤية ربه (فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) أى لا يرائى فى عمله فلا بد من (أمرين) •
أحدهما (أن يكون لله وحده) (والثانى) أن يكون مبرأ من الشرك • روى البخارى ومسلم أنه ﷺ
قال (من سمع الله به ومن يرأى رأتى الله به) أى من عمل عملاً صالحاً آتاه الله تعالى (إن الله تبارك وتعالى
يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته وشركه)

(لطيفتان فى ذى القرنين والسد فى الكلام على بأجوج وأبجوج)

(الطيفة الأولى فى سد ذى القرنين)

اعلم أنه قد ورد فى بعض الكتب التى تنشر حديثاً فى مصر وبلاد الاسلام ما يأتى ملخصاً
لن كتابه علماء العرب للمسلمين عن شرق البحر الاسود دقيقة الصحرى وقالوا ان سكانها من السقالية
(السلاف) وأن هناك مدينة باب الابواب وسداً منيعاً وقدم الروس أن مدينة (دربت) بجبل قوقاف هى

نفسها مدينة (باب الأبواب) وكشفوا في القرن الماضي سورا منها ممتدا على مقربة منها كآله خط اتصال قال وقد خلط كثير من الكتبة مدينة (باب الأبواب) بالسد الشورى حتى إن أبا الفداء نفسه لم ينج من هذه الفترة لكن الادريسي أبان موقع كل منهما بجلاء ووضح من مقابلة المصنفات العربية وجوب وجود السد الشورى وراء (جيجون) في عمالة (بلخ) واسمه (سد باب الحديد) بمقربة من مدينة (ترمذ) وقد لبنته (جورلنك) بجيشه ودعا مؤرخه شرف الدين اسم الحبل (خلوجه) ومرتبه أيضا (شاه روح) وكان في خدمته ومن بطائنه الألماني (سيلبرجر) وذكر السد في كتابه وذلك في أوائل القرن الخامس عشر وكذلك ذكره الاسباني (كلافيجو) في رحلته سنة ١٤٠٣ م وكان رسولا من ملك كستيل (قشتالة) بالأندلس إلى (جورلنك) قال إن سد مدينة (باب الحديد) على الطريق الموصل بين سمرقند والهند . هذا ملخص من (المقتطف) سنة ١٨٨٨ م وبه تعلم أن السد موجود فعلا وأن هذا مجزأة للقرآن حقا وهذا أمر حبيب . انتهت اللطيفة الأولى

(اللطيفة الثانية في الكلام على يأجوج ومأجوج ونبي القرنين)

قد كتب كاتب هندي سنة ١٨٩٨ م في مجلة (الحلال) يسأل علماء مصر والشام . أين يأجوج ومأجوج وهل هم موجودون وإذا كانوا موجودين فأين هم والناس قد اطلعوا على أحوال أكثر الشعوب في الأرض وهل قول الله تعالى يتغير وإذا قلت قول الله حقا ومصدا فأين هؤلاء وقد كرر هذا الموضوع في مجلة (الحلال) ثلاث مرات فلم يجب أحد . وقد كنت إذ ذاك في أول خدمتي في المدارس المصرية بصفة مدرس وكان لي إلمام بهذا الموضوع ولم أكن اطلعت على ما كتبت في اللطيفة الأولى كما ذكرته لك فكتبت ما يأتي وأرسلته إلى (مجلة الحلال) وهذا أول موضوع كتبت ونشر في الجرائد فأحمد الله أنني وفقت أن أسير في تفسير القرآن اليوم سنة ١٩٢٤ وأنضم هذا الموضوع إليه بعد نشره في الجرائد بأمد طويل فيها كه (المقالة الثامنة التي كتبها في كتابي نظام العالم والأم)

(يأجوج ومأجوج)

يأجوج ومأجوج أثنان ذكرتا في القرآن الشريف في سورة (الكهف) وسورة (الأنبياء) قال تعالى - قالوا إذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض - وقال في سورة الأنبياء - حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون - واقرب الوعد الحق - الآية . فلنجعل هاتين الآيتين موضوع بحثنا ضاربين صفحا عن وجوه التفسير التي ليس لها مساس به ولنحصره في (خسة مباحث)

(المبحث الأول) في معنى لفظ يأجوج ومأجوج وأصلهم وجغرافية بلادهم

(المبحث الثاني) في إفسادهم في الأرض ويستلزم ذكر تاريخهم

(المبحث الثالث) في معنى - فتحت يأجوج ومأجوج - وذكر خروجهم وتعيين زمنه وما يشهد له

من الأحاديث وأقوال العلماء ومكاتب المالك

(المبحث الرابع) في ذكر معنى الحطب لغة ومقارنته بكلام المؤرخين

(المبحث الخامس) اقتراب الوعد الحق

(المبحث الأول)

أصل يأجوج ومأجوج من أولاد يافث بن نوح مأخوذان من أجيح النار وهو ضوءها وشررها تشيران لكثرتهم وشدهم . وذكر بعض اللغويين في البحث عن تأصيلهم أن أصل النول والنت من رجل واحد يقال له (ترك) وهو نفس الذي ساء أبو الفداء باسم مأجوج فيظهر من هذا أن للنول والنتهم المقصودون يأجوج ومأجوج وهم كانوا يشغلون الجزء الشمالي من آسيا تمتد بلادهم من (التيبت والصين) إلى المحيط

المنجند الشملى وتنتهى غربا إلى بلاد (التركستان) كما في (فاكة الخلفاء) وابن مسكويه في (تهذيب الأخلاق) وفي (رسائل اخوان الصفا) فقد ذكروا أن هؤلاء هم بأجوج وأجوج
(البحث الثاني الكلام على افسادهم في الأرض)

وقد ذكر المؤرخون ومنهم الافرنج أن هذه الأم كانت قديما في أزمنة مختلفة على الأم المجاورة لها فكيف افسدوا وقلبو الأم قبل زمن النبوة ودمروا العالم تسميا وجعلوا عليه أسفله فهم مفسدون في الأرض بنص القرآن وشهادة التاريخ فقد ذكروا أن منهم الأم المتوحشة والسيول الجارقة التي انحدرت من الهضبات المرتفعة من آسيا الوسطى ونهبت الى أوروبا في قديم العهد فهم أمة السبت والسر والى والمسجيت والهمون وهم أغلروا على بلاد الصين وعلى أم آسيا الغربية التي كانت مقر الأنبياء وكانوا يحنرون قومهم من هؤلاء الأم قديما قبل نزول القرآن وكذلك ورد ذكرهم في القرآن كما قدم وفي بعض الأحاديث أيضا ثم انهم لم يزالوا في حدود بلادهم لا يتجاوزونها بعد زمن النبوة الى أن ظهرت الداهية الصبياء والفتنة الشواء من تلك الأم المتوحشة الرحلة إذ ظهر منهم رجل يسمى (توجين) لقب نفسه (جنكيزخان) وقال مؤرخو الافرنج ان معناه بلغة المغول (ملك العالم) ولقد ملك من بعده مشارق الأرض ومغاربها إذ أخذ نفسه فاتحا لكل العالم وكان خروجه هو وقومه من الهضبات المرتفعة والجلال الشاهقة التي في (آسيا الوسطى) في أوائل القرن السابع من الهجرة فانه بعد أن جمع أمة التار تحت حكمه أخضع الصين الشمالية أولا ثم ذهب الى بلاد الاسلام فأخضع السلطان قطب الدين محمد بن تكش علاء الدين بن أرسلان بن محمد من الملوكة السلجوقية ملك خوارزم لأسباب سنذكرها . وكان يمتد ملكه على بلاد التركستان والفرس وقد دافع ابنه جلال الدين مدافعة الأبطال ردة هجماتهم فلم يرد شيئا وسقطت الدولة بعد حرب مكثت عشرين . ولقد ضلوا بهذه الدولة من المنكرات والفظائع ما لم يسمع مثله في تاريخ فلم يبقوا على رجل ولا امرأة ولا صبي ولا صبية قتلوا الرجال وسبوا النساء وارتكبوا الفواحش أنواعا . ولقد حسبوا القتل في مدينة خوارزم وحدها فلقى كل واحد من جوع (جنكيزخان) التي لا تحصى عدا أربعة وعشرون قتيلا وأحرقوا المدينة وهدموا أسوارها وأجروا بها الدماء أنهارا فضلا عما فعلوه بسرقة وبغاري وغيرها وقتلوا بأهل نيسابور وأفنوه عن آخرهم حتى الأطفال والحيوانات كالقطط والكلاب وأحرقوا البلد وقد عنت القتل في واقعة (مرو) فكانوا مليونا وثلاثمائة وثلاثين ألفا . هذا ما أمكن ضبطه وهذه نبذة يسيرة بل قطرة من بحر فضائهم (راجع دائرة المعارف وابن خلدون وفاكة الخلفاء) وقس على ما ذكرناه جميع البسائد التي سنذكرها فقد أخضعوا بلاد الهند ومات (جنكيزخان) بعد قتله من غزوها . ولما ملك بعده ابنه (اقطاي) أغار ابن أخيه المدعو (باتو) على الروس سنة ٧٢٢ ودمروا (بولونيا) و (بلاد الجبر) وأحرقوا وخربوا ومات (اقطاي) فقام مقامه (جالوك) مغارب ملك الروم وألجأه الى دفع الجزية ثم مات (جالوك) وقام مقامه ابن أخيه منجوقفكف أخويه (كيلاي) و (هولاكو) أن يسترا في طريق الفتح فينتبه الأول الى بلاد الصين والثاني الى الممالك الاسلامية وقد فعل كل منهما ما أمر به فأخضع (كيلاي) بلاد الصين وزحف (هولاكو) على الممالك الاسلامية ومقر الخلافة العباسية وكان الخليفة إذ ذاك (المستعصم بالله) فأراد أن يدخل الى هؤلاء الباغين من طريق المدالوات فلم يفلح وأخذت بغداد عنوة في أواسط القرن السابع من الهجرة وأسلمت للسلب والنهب سبعة أيام سالت فيها الدماء أنهارا وهو أمر معلوم مشهور وطرحوا كتب العلم في دجلة وجعلوها جسرا يمرّون عليه بنجولهم وهذا الخليفة بعد ما أحضر لتسليم ماليه من الكنوز التي لا تحصى وقد ورثها عن أجداده ذبح وعلمت جثته في ذنب حمان وسلروا بها بين أسوار مدينة بغداد وبه انتهت الخلافة العباسية ببغداد . ولما استولت ذرية (جنكيزخان) على آسيا كلها وأورو بالشرقية انقسموا بينهم الفتوحات وأنشأوا منها أربع ممالك

منفصلة فاختست أسرة (كبلای) بالصين والمغول بملك جلقانی أخواقطای تركستان وملكت خذرية بطورخان البلاد التي على شواطئ نهر (فلجا) وصارت الروسا تدفع الجزية اليها زمانا طويلا وانضمت بلاد القرس الى (هولاكو) التي دمر بئسك وقد استمرت فتوحات المغول الى بلاد الشام

(المبحث الثالث)

قال تعالى - حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج - أي فتحت جهنم على أحد تفسيرين ولقد فتحت تلك الجهة في أوائل القرن السابع من الهجرة كما ذكرنا في التاريخ وخرج (جنكيزخان) وجنوده وملكوا مشارق الأرض ومغاربها كما أوضحنا . وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشهد بذلك كقوله عليه السلام (تركوا الترك ما تركوكم فان أول من يسلب أمتي ملكهم بنوقطورا) أي الترك مع ملاحظة ما ذكرناه في التاريخ انه لم يسلب الأمة الاسلامية ملكها إلا هؤلاء . وقد ورد أيضا حديث يأجوج ومأجوج أن مقدمتهم تكون في الشام وساقطهم بخراسان فهذه إشارة الى سيرهم واتجاههم وطريق متهمى ملكهم إذ لم يعاودوا الشام الى مصر ولا أفريقيا . وقد ورد أيضا أن يأجوج ومأجوج لا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس . ومن العجيب أن (جنكيزخان) وقومه ونذيت طافوا الأرض شرقا وغربا ولم نعتز في الملتنا عليه انهم دخلوا أحد الأماكن الثلاثة فما أجلبها من معجزة ظاهرة . ثم ان (جنكيزخان) هو المراد بحديث (يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير الصب أصحابه عسورون محزون مقصون عن أبواب السلطان يأتونه من كل فج حقيق كأنهم فرع الطريق يورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها) وقد حله بعض العلماء قديما على (جنكيزخان) المذكور وسبب خروجه وحصد الأرواح ان سلطان خوارزم المتقدم ذكره في التاريخ قتل رسل (جنكيزخان) ولتجار المرسلين من بلاده وسلب أموالهم وأغار على أطراف بلاده فاغتاز (جنكيزخان) وكتب اليه كتابا يهول فيه ويشنع على السلطان قال فيه مائمه (كيف تجرائم على أصحابي ورجالي وأخذتم تجارتي ومالي وهل ورد في دينكم أجاز في اعتقادكم ويحكم أن تريقوا دم الأرياء وتستحلوا أموال الأتقياء أو تعادوا من لا عاداكم وتكفروا صفوح عيش من صادقكم وصافاكم . أتحركون الفتنة القائمة وتبهون الشرور الكاسية أو ما جاءكم عن نبيكم سريكم وعليكم أن تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن ظلم الضعيف غويكم أو ما خبركم بخبركم وبلفكم عنه مرشعكم ونباكم محدثكم اتركوا الترك ما تركوكم . وكيف تؤذون الجار وتسيئون الجوار ونبيكم قد أوصى به مع انكم ما ذقم طعم شهده أوصابه ولا بلوتم شداؤد أوصافه وأوصابه ألا ان الفتنة قائمة فلا توقظوها وهذه وصايا البكم ضررها واحفظوها وتلافوها هذا التلغ قبل أن ينهض داعي الانتقام وتقوم سوق الفتق ويظهر من الشر ما بطن ويروج بحر البلاء ويروج وينفتح عليكم سد يأجوج ومأجوج وينصر الله المظلوم والانتقام من الظالم أمر معلوم ولا بد أن الخالق القديم والحاكم الحكيم يظهر سر ربه وبيته وآثار عمله في برته فان به الحول والقوة ومنه النصر مرجوة فلترون من جزاء أعمالكم العجب وليسكن عليكم يأجوج ومأجوج من كل حذب) انتهى المقصود من عبارات كتاب (جنكيزخان)

وانظر كيف كان صريحا بجميع ما يرد من هذه المقالة بأوفي بيان وهذا مصداق ما رواه البخاري بسنده عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب ابنة جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فرعا يقول لاله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بأصبه الاجهم والتي تليها قالت زينب ابنة جحش قتلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قتال ثم اذا كثر الخبث . وقد اتسع ذلك الفتح من ذلك التاريخ الى القرن السابع من الهجرة حتى فتح عن آخره وخرج هؤلاء القوم كما أوضحنا ولقد عثر على آثاره كما قلنا . ولا ريب أن هؤلاء الأقوام كانوا غوغاء ولارؤساء لهم ولما صار لهم زعيم خرجوا بعد فتح السد في اللدة المذكورة المجهولة فيها البلاد التي لم تمل إلا بافتتاح المسلمين ماجلورها من

بلاد خوارزم وهذه من أجل المجزات . ثم انه كان بين بلاد (جنكيزخان) ومملكة خوارزم مملكة تسمى (انذار) كانتا حد فاصل بين السولتين أوسد بين الأتتين فغزاهم الملك السلجوقي واستعبد أجنادهم فارتفع الحاجز بين الأتتين فسرت السراير وابتهجت القلوب بهذا الفتح وكان إذ ذاك في (ينسابور) علان فاضلان فأقاما الغزاة على الاسلام وبكيا حتى أرويا الأرض بدموعهما فسللا عن موجب هذا البكاء والناس فرحون بنصر الله قتلا وأتم تمتون هذا التلم فتحا وتصوّرون هذا الفساد صلحا واتما هو مبدأ الخروج وتسلط العالوج وفتح سد يأجوج ومأجوج ونحن قديم الغزاة على الاسلام والمسلمين وما يحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين - ولتعلن نبأ بعد حين - فهذا تصريح من هذين العالين بما أردناه ونص في خفواه ولا ضرورة لخروج كلامهما عن ظاهره وانظر كيف ظهر صدق كلامهما في حينه كما قدمنا وظهر التتر وأقنوا للمسلمين وماج الناس بعضهم في بعض فلقد اضطرب أهل آسيا وأخذوا يرتحلون من منازلهم فرارا وكذلك أهل أوروبا

﴿ البحث الرابع ﴾

قال تعالى - من كل حذب ينسلون - الحذب ما ارتفع من الأرض وينسلون أى يسرعون في النزول من الآكام والتلال المرتفعة وهذه الحالة منطبقة تماما على قوم (جنكيزخان) المتقسين قائمهم باجتماع مؤرخي العرب والافرنج كان خروجهم من هضبات آسيا الوسطى وحدها كما ذكرنا

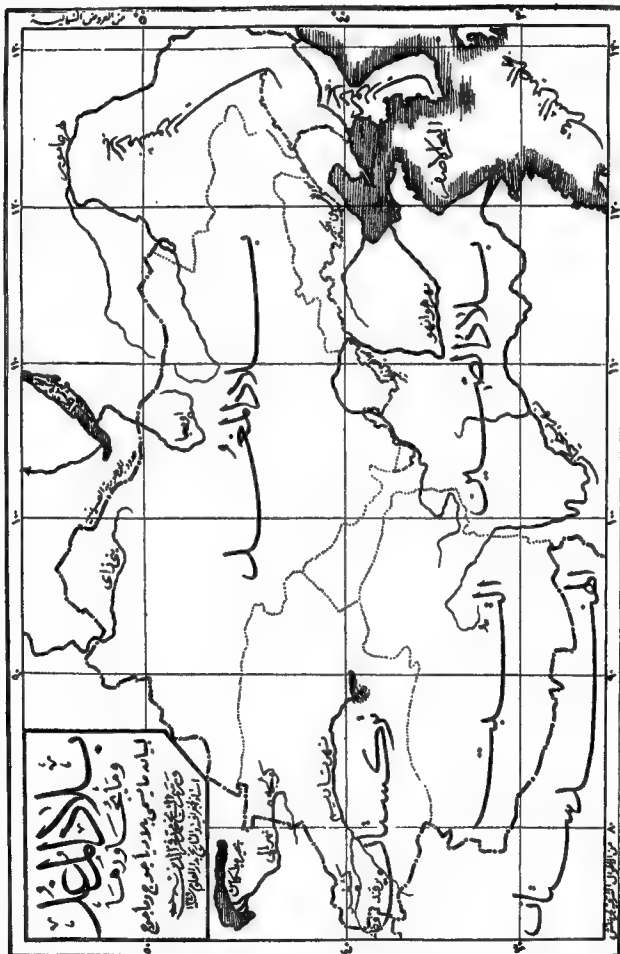
﴿ البحث الخامس ﴾

قال تعالى - واقربب الوعد الحق - أى القيامة ويؤخذ منه ومن سورة الكهف قوله تعالى - ونفخ في الصور نجفمنهم جمعا - في مساق قصة يأجوج ومأجوج أن خروجهم قرب الساعة ولكن هذا لا يدلنا على أنه لا فاصل بينه وبين الساعة . الأرى الى قوله تعالى - اقربب الساعة وانشق القمر - وقوله ﴿ بعث أنا والساعة كهاتين ﴾ وأشار بالسبابة والوسطى ومع ذلك فقدمضى نيف وثلاثمائة وألف سنة فهكذا قال في آية يأجوج ومأجوج - واقربب الوعد الحق - فكلاهما اقربب - ورب قائل يقول أين الاقربب في الموضعين قلنا معلوم أن ماضى من الزمان لا يتناوله الاحصاء ومابقى من عمر الأرض الطبقى قدره يسير جدا بالنسبة لتلك ونحن نقصر حياتنا نعد ذلك بعدا ويمتد الله الباقي الدائم قريبا قال تعالى - إنهم يرونه بعيدا ويزراه قريبا - فآلاف السنين لاتتافى القرب مهما امتدت وطالت بنسبتها الى الزمن كله إذ من البديهي أن الآلاف لاتذكر في جانب الملايين ولتلك ورد في حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال ﴿ ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج ﴾ وهذا دليل على أن الناس يستبدلون من بعد خوفهم أمنا ويعبدون الله عز وجل . ولما صفاتهم المشهورة في القصص وبعض الآثار نجيبها لا أصل لها هذا ماعن لى وهذا ما كنت أجبت به عن سؤال الأديب الهندي في حينه من أمد غير بعيد في ﴿ مجلة الهلال ﴾ في آخر القرن التاسع عشر . ثم وازنت بين حديث البخارى المار وهو قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقربب قد فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج الخ ﴾ فيما ذكرناه مع اضطرابه وخوفه الشديد وبين كلام علماء الجغرافيا في نحو القرن الثالث والرابع فزاد يقينى بما كتبت ورأيت هذه البلاد كانت معروفة عندهم باسم يأجوج ومأجوج وزاد استغرابى جدا لمجزة ظاهرة واضحة قد خفى رسمها عنا وكيف تحقق هذا القول في الخروج وجاء مصداقا للقرآن والحديث . فالحق - والحق أقول أن هذا النبي والكتاب المنزل عليه لما يهش العقول . وكيف رأينا تلك الجهة تسمى باسم يأجوج ومأجوج في كتاب ﴿ تهذيب الأخلاق ﴾ لابن مسكويه ولكنه اجمال لا يثنى غليلا ولا يؤخذ حجة لاجاله . ولقد فصل في رسائل قديمة ألفت في نحو القرن الثالث والرابع وذكر فيها أن أمّة يأجوج ومأجوج هم سكان تلك الجهة المتقدمة

شمال الصين وحددت بلادهم بأنها من نحو سبع وعشرين درجة من العرض الشمالى الى نحو خمسين درجة منه وهذه البلاد الآن جزء عظيم من الصين وفيها (بكين) عاصمتها الآن ولقد كانوا أغلروا على الأم جيما وكانوا كفاهين للعالم كله فكانوا أشبه بأهل أوروبا الآن فكانهم أخلفوهم في عملهم وفتوحاتهم وسيطرتهم على العالم ومن المقرر أن بينهم نسبة ورحا . فانظر كيف أصبحت دولتهم الآن في قبضة الصين بل هم الجزء العظيم وهما (منشوريا) تنجاذبها روسيا والصين وبلادهم تبلغ في العرض نحو ثلاث وعشرين درجة كما رأيت وتلك البلاد تسكن الاقليم الرابع والخامس والسادس والسابع من الأقاليم التي اعتبرها الأقدمون هي الحدود المعروفة لأقسام الأرض وهي مبنية على مقادير العرض التي لا يتغير بتغير الأيام والأم وتداول السنين مما اختطه الملوك الأقدمون والحكام الغابرون والأنبياء السابقون الذين طافوا الربع للسكون من الأرض وغابت عنهم أمريكا والافريقانوسية بعد المواصلة وشقة السفر وحيولة الجبال والبحار وذلك مثل الاسكندر الرومى اليونانى وتبع الجبرى وافريسيون النبطى وأزدشيرين بايكان الفارسى وسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام الاسرائيلى وغيرهم . ولما عثرت على هذا علمت علما يقينا أننا معاصر المسلمين الآن والقوة الاسلامية إما في حال المزم وهي وقت نسيان كل معقول ومنقول وأما أطفال ولهم شيخ كبير فهم يسمعون على آثاره . فياها كيف كانت هذه البلاد معروفة باسمها وصفتها ودرجاتها عرضا وطولا ونحن لانعلم منها شيئا وكيف يجر نبينا الصادق بهذا الأمر ويحصل في الوجود ونجهله نحن . ولعمري انها المهجرة ظاهرة واضحة . ولقد كان الأقدمون يحسبون علم الجغرافيا عما يجب النظر اليه في الكون مثل قوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ - بل لولم يكن للنبي مهجرة سوى هذه التي ظهرت بالتاريخ والجغرافيا لوفت بالمراد . واتى لأعجب من أن النبي ﷺ يقول (ويل للعرب من شرّ قد اقترب الخ) ثم ان هؤلاء أزالوا دولة العرب وانتهت الدولة العباسية بقتل (المستعصم) آخر ملوكها وبقي خليفة رسمى في مصر وعند قرب الألف من السنين زال حكمهم مرة واحدة وتفرق الاسلام شذرمي وما حفظه إلا الدولة العثمانية بعد العرب . وأما أولئك التار فهم كانوا أغلب المسلمين في الهند والصين وأغلب آسيا فكما ورثوا أرضهم ورتوادينهم . وهذه للسألة وان كانت بسيطة فعلاقتها بعلم العمران أمر عظيم جدا . وأخفى أن علم الحديث أوضح كيف تخرب الدول وعبر عنها بأشراط الساعة وسهاها العلماء الاشراف الصغرى إذ الكبرى بخراب الأرض كلها والصغرى ببلادة أمة أوأم فلذا جعلت الطائفة الكبرى زالت الأمم من الوجود . ولقد أوضح الرسول الصادق أمورا كثيرة لا يسع المقام ذكرها الآن ولنقتصر عنان القلم في ما ذكرناه عبرة وتذكرا

وجاء في كتاب (فاكهة الخلفاء) المتعتم أن المصريين هم الذين صدّوا غارة هؤلاء التار عن بيت المقدس وفلسطين ومصر . ذلك أن الملك المظفر للسمى (قنز) من دولة المماليك بمصر صدمهم بماتى ألف من المصريين عند حلب . وكان من ضبط الجيش (الأمير بيبرس) للشهور ولما شقوا شمل التار قتل (بيبرس) الملك (المظفر) غيلة وذلك أن الملك أتم عليه بحاربة تنارية من السبي فتقدم ليقبل يده لخانه وقتله وتولى الملك بعده وقد حزن المصريون حزنا شديدا على الملك (المظفر) لأنه هزم التار . ولكن (بيبرس) أكثر الاحسان وقرب العلماء اليه لينزل ذلك الأثر السي . ومن لطائف التاريخ أن الملك (المظفر) المذكور كان له صديق من المماليك في صفه وهما يتعلمان مع الأطفال في كتاب مصر وقد تعاهدا أن كل من وجد في ثوب أخيه ما يستغفر فيضربه بيده فأتى أن صاحب الملك (المظفر) يوما ضربه مرارا فقال له لماذا أكثرت الضرب اليوم فقال لكثرة التنفري ثوبك ولأنى أحب الامارة فضحك وقال له أعجب أن تتولى على مائة فقال نعم فقال أنا أوليك ذلك فقال له وكيف ذلك فقال رأيت في المنام النبي ﷺ فقال لى إنك ستقر

التار ونكون إذ ذاك ملك مصر قال فن ذلك اليوم هبت في نفسي وعظمت لأن ما جرت عليه كذا قدا له
(شكل ١١)



(شكل ١١) خريطة جغرافية بلاد ما جوج وما جوج رسمها صديقنا الشيخ محمد بن الدين المدرس بمدرسة دار العالم

(إيضاح الخريطة)

اعلم أن السد المرسوم هنا الفاصل بين بلاد الصين قديما وبين بلاد بأجوج ومأجوج ذكر صاحب اخوان الصفاء أنه عند ٢٧ درجة شمالا والمرسوم في الخريطة أبعد منه بنحو ١٥ درجات وهذا السد الجنوبي غير السد الآخر المذكور في القرآن المتقدم في هذا المقام . فاذن بأجوج ومأجوج كانوا محصورين بين سدين خيفة بطشهم بجيرانهم والآن أصبح هم وأهل الصين أمة واحدة فافهم

واعلم أن بلاد (الترستان) أو (بلاد الترك) تنقسم الآن الى (قسمين) قسم تابع للروسيا وقسم تابع للصين فالرسومة هنا هي التابعة للصين . وأما الروسية فهي الى الغرب من هذه وفيها بلاد فرغانة وجنوه وبخارى وطاشقند ونهرا سيحون وجيحون اللذان يصبان في بحيرة خوارزم . ففرغانة التي في الخريطة هنا اكتفى بها عن رسم بقية تركستان الروسية التي هذه منها وتنتهي غربا الى بحر (الخرز) أو بحر (قزوين) التي هو بحر في بحيرة (خوارزم) للتقسة

(فائدة)

ومن العجيب أن الأخبار التي ترد الآن من الشرق الأقصى تبين أن بلاد الصين منقسمة (قسمين) قسم الجنوب وقسم الشمال . قسم الجنوب اشتهروا بأنهم يحافظون على البلاد وقسم الشمال منهمون في وطنيتهم وصدقها . وجاء في الأخبار الآن أن عسكريا تاريخاريون مع أحد الفريقين المتحاررين وأن فرقة من فرق جيوشهم تسمى (الجنكيزخانية) فلما قرأت هذا الاسم في أخبار البرق العامة عجبت كل العجب وأيقنت أن التاريخيين مزقوا العالم تمزيقا لايزالون يحافظون على تاريخهم ومجدهم وذكر أسلافهم وعظمتائهم بدليل أنهم سموا فرقة باسم (جنكيزخان) الذي شئت شمل المسلمين قديما وشمل أكثر الأمم هو وذريته . وقد جاء في الأخبار اليوم أي (٧) يونه سنة ١٩٢٨ أن الوطنيين في الصين دخلوا (بيكين) العاصمة . أفلا ترى أن العالم الذي نعيش فيه سينقلب انقلابا تاما . الصين ثلث العالم وهي أمة واحدة وقد ارتقت أفلا يقال أنهم يعيشون الكرامة مرة أخرى ويقلبون وجه الأرض . أفلا يكون هناك خروج لم مرة أخرى ويحصل في الأرض اضطراب آخر وهلاك لانفريه مصداقا للآية . أليس ذلك هو الذي أخبر به (غليوم) ملك الألمان سابقا إذ قال (ويل لأوروبا من الصين وساء الخطر الأصفر) . أفلا يكون مبدء الخطر قد ابتدأ هذا اليوم إذ أصبحت الصين مملكة واحدة راقية . الله أعلم بالمستقبل . فإذا صح هذا كان هناك خروج آخر من موضع السد المتقدم ذكره . لذا صح هذا كان الخروج الأول خروجا جزئيا لتأديب المسلمين على كسلهم ونومهم العميق وجهلهم لأن قلب أرسلان كان يجهل هو والعلماء قوة القوم وعظمتهم ولأنك قتل رسولهم التي أرسلوها فلو كان يعلم قوتهم لأكرم رسولهم ويكون قوله ﷺ (ويل للعرب من شرّ قد اقترب الخ) راجع للخروج الأول . أما خروجهم الثاني فهو الذي يقبض الأرض قلبا كيف لا والحرب اليوم بالغازات الخائفة والمعمية والمهلكة . فإذا خرجوا أهلكوا الحرث والنسل كما خرجوا قديما قبل التاريخ وكوتونا أما في أوروبا ثم خرجوا ثانيا لآبادة ملك العرب والآن يخرجون قلب وجه الأرض ويكون قوله ﷺ (إن الناس يخرجون ويعتصرون بعد خروجهم) راجع للخروج السابق . أما الثالث فلانفري ما الله فاعسل بالناس والله يعلم وأتم لاتعلمون

جدير بالألم الإسلامية اليوم أن يشكروا في مستقبلهم فانهم اليوم بين أوروبا الظالمة والشرق الأقصى وقد بينت هذا المقام في كتاب (نهضة الأمم وحياتها)

(قدم عالم من علماء أمة بأجوج ومأجوج الى مصر وزيارته لمنزلى بشارع طولون منذ نحو عشرين سنة)
 أعلم أيها الذكر انى أول ما ألفت كتابا من كتبى كان انتشاره وترجمته أسرع فى بلاد (الروسيا) بناحية
 (قازان) وما والاها من غيرها قد نشرت تلك الكتب هناك وترجم بعضها ووصلت الى الترجمة باللغة القازانية
 أما مقالة بأجوج ومأجوج فاني بعد أن نشرت في أواخر القرن التاسع عشر بمجلة الهلال تحقق لى صدقها
 بالاطلاع على كتب القدماء فكتبتها فى (جريدة المؤيد) المنشرة إذ ذاك فى أقطار الاسلام وذلك فى نحو
 العشرين الأولى من القرن العشرين وهذا مقدمة لما ستمعه

بينما أنا بالمدرسة الخديوية أدرس للتلاميذ اللغة العربية إذ قابلنى تلميذ فقال قد قابلنى الاستاذ عبد الله
 بوى من مدينة (أوفا) ببلاد روسيا ويريد موعدا للقاءة بالمنزل فبيئت له موعدا ليلا فلما حضر خاطبني
 باللغة العربية الفصحى وأول ما بادرني به أن قال عرفتك من مؤلفاتك وقرأت فى (المؤيد) انك تقول اننا
 من بأجوج ومأجوج وهذه المقالة ترجمتها بلغتنا ولم أطلع عليه الشيوخ الكبار لظنهم أن هذا كفر وقد جهلوا
 أصلنا واننا نحن للمقول (بأجوج ومأجوج) والتتر فرقى من تلك الأمم . فانا والشبان جميعا فهمنا مقالك
 والمسلمون لاساعدة لهم إلا بقراءة التاريخ والجغرافيا وجميع العلوم وأخذ يتكلم فى السياسة العاتقة وفى قيصر
 الروس . ومعلوم أن ذلك قبل ذبح البلشفة لتلك القيصر فوصفه بأنه جاهل واستدل على ذلك بأنه لم يستعمل
 تخدير أعصاب الشبان المسلمين كما خترت الانجليز أعصاب الشبان بمصر واستدل على ذلك بمحوادث جرت فى
 مصر وانه رأى المتعلمين فى المدارس يحبون الانجليز ولغتهم ويكرهون اللغة العربية وماشا كلها . ومعلوم
 أن ذلك كان قبل النهضة الحالية التي غيرت أفكار المصريين جميعا . ثم قال انى لم أجد فنى متحمسا عندكم
 مثل (مصطفى كامل) وكل الشبان عندنا مثل مصطفى كامل عندكم فنحن نريد أن نأخذ بلاد (الروسيا) كلها
 ونحكمها كما كنا حكمها قديما كما تشبه اليه مقالاتكم فى بأجوج ومأجوج . أقول وشبان مصر عند كتابة
 هذا الموضوع متحمسون كمصطفى كامل ونحوه فان الحال تغيرت كما قدمت ذلك قريبا . ثم أخذ يتحدثني عن
 أخلاقهم فقال ان أمى وزوجتى تخرجان من منزلنا كل صباح لتعليم بنات الفقراء والأغنياء الكتابة والقراءة
 والأعمال المنزلية فهل عندكم مثل هذا . فقلت كلا . فقال حركة العلم عندنا عظيمة وقوية ووطنية وعرفت
 من قوله أن عنده ثروة عظيمة وهو يستعملها فى الكيد واستعمال الحيل فى اخراج مركز ذلك القيصر

(حادثان . الأولى)

إنه كان لا يترك مجتمعا إلا جلس فيه فجاءنى يوما وقال فى هذه الليلة رأيت علما مغربيا مع العلماء وهو
 يعلمهم حديث المصاحفة وبقى يذكر أسماء الرواة من عصر النبوة الى الآن . قال وعجبت أن يضع للمسلمون
 حياتهم فى النعنة المذكورة . ورأيت أن يغير التعليم فى الأزهر وأن يدخل فيه الإصلاح

(الحادثة الثانية)

جلست معه فى المتسع الذى أمام (دار التمثيل) فى مشرب القهوة الافرنجية فجاء لنا صاحب القهوة بالشاى
 فلما رآه قال هذا فيه مكسب للفرنجية عظيم وأتم فى مصر تفرمون وهم يكسبون وهذا باب الاستعباد أما نحن
 فالت الشبان المسلمين هم الذين يتولون أمثال هذه الأعمال وهم الذين يقومون بأمر الطعام والشراب فى
 كل مكان وفى القطرات بالطرق الحديدية وهم يأخذون أموال الروس بطريقى التجارة . فقلت له إذن أتم
 نصاراهم وهم نصارانا فضحك أى ان النصارى فى بلادنا لهم الفوز فى التجارة فهم فى بلادهم أخذوا هذه
 الوظيفة منهم . وحدثنى مرة يقول إنه ألف كتابا يبحث فيه المسلمين على الجدة والعمل وان هذا الكتاب لما
 انتشر فى المسلمين هناك هبوا للعمل ولرقتوا . ولأختم هذا الموضوع بمحادثة . ذلك اننى فى صباح يوم ورد
 لى خبر أن والدى سقط تحت القطار بجحة (بردين) فأسرعت للسفر ولكن أحبيت أن أقابل صديقى الأبو جوجى

لما جئى قبل السفر غرقت من المدرسة بسرب الجميز متوجها الى المحلة يريد ان امره عليه في مأواه الذي هو اقرب اليها في تلك اللحظة كان هو قد جاء الى يريد مقابلتي بالمدرسة وهناك حصل لي امر عجيب ذلك اني قبل ان اخرج من سراي درب الجميز اضطرت ان ادخل لأحد أصحابي لمصلحة جلست دقيقة واحدة معه فلما خرجت وجدت صاحب الياجوجى بالباب قبل خروجه من السراي قد هتفت وعلمت اني لولم تشغلني هذه المصلحة تلك الدقيقة خرجت ولم أقابله فأخبرته الخبر وعجبت من حسن المصادفة . فقال لي لا تذهب إن الله عز وجل مع كل مصلح ونحن لانعمل إلا ما هو مصلحة للمسلمين فكيف لا يكون الله معنا . ثم أخبرته خبر والدي وتوجهت اليه فوجدته قد أصيب بما يوجب الموت من جرح وكسر وهو لا يحسن النطق ولكن الله قبل (٢٤) ساعة حسن حاله وقال الطبيب ان هناك لطفا من الله به ولو كان هذا الحادث لشاب من الشبان مات وذلك لقوة ذلك ثم قال انه يحتاج لعلاج أربعين يوما . فلما اطمانت على والدي رجعت الى المدرسة وأخبرت صاحبي تفصيلا بتلك الألفاظ في والدي . فقال لي ألم أقل لك ان الله مع التالخين للمسلمين ثم بعد ذلك شئ والدي فلما وسافر صاحبي الى بلاده وعين في مجلس (شوما) بالروسيا وقد علمت أخيرا ان القيصركان نفاه لما علم بتناوئه لحكومت . ويقال انه توجه لبلاد الصين يعلم للمسلمين هناك ولم أعلم بعد ذلك بما تم في أمره . أما للمسلمون في تلك البلاد أيام البشيفية فقد بلغني انهم مرقون في هذه العلوم والله أعلم وبهذا تعلم ان السد موجود فعلا وأن هذا معجزة للقرآن حقا وهذا امر عجيب

﴿ اللطيفة الثانية تحقيق المقام في ذى القرنين ويا جوج ويا جوج ﴾

اعلم أن الله عز وجل ما أنزل القرآن ولا الكتب السماوية قبله إلا لهداية الناس وارشادهم والارشاد انما يكون على مقتضى الحال ويوجه القول للأهم توجيها يرشدها ويصلها . فمن الارشاد أن يجمع بين الدين والشدة بالجنة والنار والنعم والجحيم والقرب والبعد . ولا جرم أن طبع أهل هذه الأرض مبنى على هذا النظام . انظر . ماذا فعل الله في هذا الوجود . خلقنا وأراد ترقينا بهذا الخلق وليس هناك من سبيل لأخذ العلم أخذنا حقيقا عن الله فاحتجنا الى وسائط ومن تلك الوسائط انه أجاعنا وأمرانا وخلق العداوة والحسد وما أشبه ذلك مع اختلاف الأخلاق والأحوال والعادات ثم انه مهد الأرض للزرع والبحر للسفر وغيره وقال لنا هاهوذا ملكي وهاهوذا قصمكم وضعفكم فاما أن تعملوا مدة الحياة بنصب وتعب والافلا أغذية لكم عندي ولا راحة . وفي المثل ﴿ أسرحتوا في ارتضاء ﴾ فظاهر الأمر اننا نعيش بالعمل وباطنه ارادة رقيقنا علما وأخلاقا . أنا خلقكم في نصب وتعب . لقد خلقنا الانسان في كبد . فاستخرجوا من الأرض أغذيتكم وملابسكم الخ وهذا هو مبدأ العلوم . فجميع العلوم في هذه الأرض ترجع الى استخراج ما يحتاج اليه من أغذية وأدوية وأعمال أخرى ونتيجة هذا هو رقي عقولنا وأحوالنا وأخلاقتنا . لهذا خلقت الدنيا ولهذا خلق الله الناس فما أصابنا من خير أو شر فهو راجع لهذه القاعدة والا فاقلة قادر أن يخلق الانسان في راحة تامة بأن يجعله كغشود بأكل مما حوله بلا تعب وكائنات في البر والبحر لا يحتاج الى شئ وكل راجح يتغذى مما يحيط به من اللوات الجيرية في ماء البحر الملح ولكن الله يريد بهذا الخلق ارتقاء المخالقات الانسانية . اذا فهمت هذا فلتعلم أن القرآن نزل على هذا الطراز فهو يدعو للعمل والفكر والبحث ولو أن آيات القرآن كانت واضحة كل الوضوح بحيث لا يعوزنا حمل في فهمها لكان نفس القرآن من أهم أسباب سقوط الأمم التي تعنته إذ لاجلحة لهم الى بحث ولانقياب . فانظر الى قصة ذى القرنين والى قصة يا جوج ويا جوج . ذوا القرنين وصفه الله بأوصاف تنطبق على رجل عظيم مصلح

(١) فقد خبره الله لما بلغ مغرب الشمس بين الدين والشدة فاختر وضع كل منهما في مقامه

(٢) وعرض عليه القوم مالا لأجل أن يعمل لهم سدا فأبى وقال مامعناه . كلا . الله أعطاني نعمته وسأصرفها

في منفعة عباده ولكن أعينوني بقوة

(٣) ثم قال إن هذا رحمة من ربي وذكر أن كل أعمال الخلق لابد لها يوما من الزوال
فهذه الأقوال والأعمال لا يمتص بها إلا المصلحون بل هي نموذج للصالحين من الأمم الإسلامية وليس
يهم في الدين ولا القرآن شيء فوق هذا فان كل قصة في القرآن إنما يؤتى بها لتأججها أصالة . فالتأجج في قصة
الكهف انهم فروا من الظلم كما فرّ الصحابة حين كانوا بمكة فهاجروا بعضهم الى الحبشة وهاجروا بعضهم الى المدينة
ثم نصرهم الله في آخر الأمر . ففتية الكهف فروا من ظلم وهم مؤمنون بربهم . وهكذا الصحابة فروا
بدينهم وحافظوا عليه تأسيسا بقصص القرآن . وهكذا قصة موسى والخضر عليهما السلام وخرق السفينة وقتل
الغلام لا يقصد من هذا كله إلا تعريف الناس أن هناك قضايا عجيبة في الوجود وأن الإنسانية أشبه بجسم
وهذا الجسم اذا أمكن بقاؤه قطع سلعة منه أو أصبح معتلة اذا بقيت أضرت بالجسم كله فان الحكمة تقتضي
بقائه وإزالة ما به فساد . وهذه هي حال الناس أيام النبوة . فاذا قيل لماذا استعمل السيف أيام النبوة وحصل
الحرب حتى دخل الناس في دين الله أفواجا . قلنا اقرأ قصة موسى والخضر فان الشر القليل يحتمل للخير
الكثير وقد تمّ هذا فعلا فقتل صناديد قريش وغيرهم أتمر ظهور أمة عظيمة ملأت الكرة الأرضية فما ذلك
إلا كآثار الطب سواء بسواء . هذا من أحسن ما يؤخذ من هذه القصة . وهكذا اذا سمع الانسان قوله **﴿الحرب خدعة﴾**
فهو من هذا الباب . فهذا هو المقصود العملي الديني من هذه القصص في القرآن وأنا أجد
الله عز وجل إذ وفق وعلم وشرح الصلح لكتابة هذا . هذا ما ينبغي أن يهتم في هذا الزمان وفي كل زمان
﴿ فوائد هذه الأخبار في هذا الزمان ﴾

أما فوائد هذه الأخبار في هذا الزمان فاتها تزيد على ذلك بالعالم والحكمة ومعرفة تولد في الأمم وتخطيط
بلدانها . ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذي اعتاد أن يخطبني في المسائل العويصة . فقال
لقد أتيت بمقتمة تقول فيها ان نظام هذا العالم يرجع الى الحث على طلب العلم فكما يقول في القرآن - **وقل رب زدني علما** - يخلق في الجسم ألم الجوع والعري وحرارة العداوة فيكون ذلك كله من أسباب ارتقاء الناس
هذا مفهوم ولكن مسألة ذى القرنين ومسألة يأجوج ومأجوج توقع في القلوب شيئا وتقتضي عند بعضها
كفرا فان الناس اذا قرؤا التاريخ وعلم الجغرافية يرون أن ظهور رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وبني سدا
كما في القرآن لم يتم عليه دليل . فن أين ذوا القرنين هذا . ومن أي الممالك هو . أهو اسكنر المقدمي . أم
هو رجل آخر من اليمن . إن التاريخ الذي تقرأه لايهدينا الى معرفة هذا الرجل ولذلك نجد كثير من المتعلمين
في البيانات يكونون ملحدون وذلك لأجل شكهم في البيانات فيقولون إن هذه القصص جاءت على مقتضى
ذوق أهل عصورهم لاعلى مقتضى التاريخ وأنا أسألك الآن أكان الله يعلم أن الناس سيمسحون في شك وكفر
بسبب هذه القصص . أم هو لا يعلم ذلك . فان كان لا يعلم فقد انتهك كل دين في الأرض وطاحت أصول
الفلسفة . وان كان يعلم تلك النتيجة . فاذن هو أزل القرآن لأجل الاضلال لا للهداية . فاذن المسألة دائرة
بين جهل الصانع سبحانه وبين ارادته الضلال وكلاهما نتيجة سيئة . فقلت أنا اختار انه عالم أن مثل هذه
المسائل يكون بها الضلال وهو الذي أراد ذلك . قال يا هجيا كيف هذا . فقلت قال الله تعالى - **يضل به**
كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين - وما نتيجة هذه الأخبار في بعض النفوس إلا كتيبة جشرب
الصل لمن به حي فهو نافع للناس ضار لبعضهم . هكذا هذه القصة أعطت نموذجا للصالحين في الأمم ومن فعل
به هم الأقوال والضرر القليل مفتقر في جانب النفع الكثير . قال ولكن الأمم الإسلامية الآن قد أقبلت على
زمان يكثر فيه علم التاريخ وعلم الجغرافيا وهذه القصص خربة عن هذه العلوم . فاذا تعلم المسلمون جيما ورجالا
ونساء كما تعلم أهل أوروبا وأمريكا واليابان فانهم يملكون بالقرآن مافعله النصارى بقصص التوراة أي يجعلون

هذه قصصاً قرأ بلا تفكير ويضربون الذكر عنها صفحاً ويقولون العلم شيء والدين شيء ونبقى الطبقة المستنيرة غير مكتوفة بالكتب السبابة . فما تقول في هذا . فقلت ان نزول هذه الأخبار في القرآن كما تقدم سيكون في هذا الزمان سبباً لارتقاء الطبقة المتعلمة في علومها . قال وكيف ذلك . أقول هذا لأجل انك في تفسير القرآن . قلت . كلا . انما أنا أقول هذا عن علم . ألم تر أن قصة ذي القرنين قد جاء كلام المفسرين فيها غير متفق فهذه استدعوا أن نبحث في هذا المقام أي الأسماء أقرب الى ذي القرنين أسماء ملوك اليونان أم أسماء ملوك اليمن . إذن وجب علينا أن نعرض أسماء ملوك الأمتين بوجه واضح ونبين ما جاء في التاريخ الحديث من أسمائهم ثم نبين الى أيهما هو أقرب . ولماذا أبهم هذا الاسم . ومما قد هذا الاجتهاد لأم الاسلام المقبلة والحالية كما ذكرنا سابقاً الحقيقة الناصعة وهي أن أمة يأجوج ومأجوج أمة موجودة قديماً وحديثاً وبيننا تحطيط بلدانها وجغرافيتهم ونقلنا من الكتب المؤلفة منذ ألف سنة أيام النبوة العباسية أن اسم تلك البلاد كان معروفاً في الخرائط الجغرافية باسم (يأجوج ومأجوج) وحددتنا تلك البلاد وأهلها وكيف خرجوا وكيف أهلكتها أم الاسلام وشتتوا الدولة العربية وأذاقوها سوء النكال . وكيف كانت هذه القصة نزلت في القرآن وقد علم الله أن هؤلاء هم الذين سيكونون شراً على أمة العرب التي نعت الأُمم والآلانيين أن قائمتها في هذه القرون أن يرجع أبناء الاسلام لدراسة التاريخ والجغرافيا ويرسوا ماضي آبائهم من ضعف ومآسهم من ضرر ويعرفوا مواطن الأُمم وأن دراسة ذلك كله من أسباب بقاء أمتنا الحاضرة وجهلها يضعها فتنكون في خبركان لأن الأُمم لا حياة لها إلا بدراسة تاريخها ونحوه والاطاحت وهوت في أسفل سافلين . فهذا هو الذي سنذكره الآت (١) ملوك اليونان (٢) ملوك اليمن (٣) بلاد يأجوج ومأجوج (٤) صلهم بالأمة العربية في قوله ﷺ (ويل للعرب من شرّ قد اقترب لقد فتح فنتح الليلة من سدّ يأجوج ومأجوج الخ) وكيف كان ذلك سرا للنبوة ظهر أثره بعد ستمائة سنة . فهذه المسائل التي نبصّها هنا أما كون هذه العلوم من أسباب رقي الأمة وأن تركها مضيع للأُمم فافرقها فيما تقدم في سورة النحل عند قوله تعالى - فاسألوا أهل الذكر - فقد قلت لك هناك أن قراءة أصول العلوم لا بد منها لبقاء الأمة والاطاحت ونشئت ناقلاً ذلك عن الاستاذ (سنتلانه الطلياني) فلنبداً أولاً بذكر أسماء ملوك اليونان

(المقام الأول في ذكر أسماء من اشتهروا في أمة اليونان)

فهل نجد فيهم من جاء في اسمه لفظة (ذو) التي هي من الأسماء الخمسة في اللغة العربية ترفع بالواو وتنصب بالالف ونحوه بالياء أو ما يفيد معناها فلننظر نجد أن تاريخ (أثينيه) القديم يبتدئ باللغة الملوكية من نحو ١٣٠٠ سنة الى ١٠٥٠ (ق م) وآخر ملك من ملوكهم يسمى (١) (كودروس) وكل ما يروى عن اليونان في القرن الحادي عشر (ق م) غير موثوق به (٢) وفي سنة ٨٥٠ (ق م) نبذ القوم حكم الملوك المستبدّين وساعدتهم (ليكورغس) فسوّى لهم قانوناً ليكون شرعاً لهم وكان من أعضاء الأسرة الحاكمة وهذه القوانين منها (الاسبرطه) ببلاد اليونان تعلم الشجاعة والصبر والقوة الجندية ويكون للأمة ملكان ومجلس أعيان مؤلف من ٣٠ عضواً كل واحد سنة ٦٠ سنة والملكان منهم بالانتخاب والمجلس يسمى مجلس الشيوخ والأعيان والانتخاب لمدة الحياة وهناك مجلس الأمة يتّهم لهم الأعمال ليحبسوها والمولود ضعيفاً أو مشوّه الخلقه يقتل على جبل (طابينتوس) ويربى الولد بعد سبع سنين بتمرينات رياضية وبالصيد وتحمل الأخطار وبالضرب مع نباته وعدم ضجره ولومات وهكذا يتحمل الجوع والعطش والحرّ والبرد ليتعلم الصبر ويتعلم الموسيقى بأشعار كلها تحت على الشجاعة ثم يعلمون قلة الكلام لتقوى بصائرهم (٣) ومن اشتهروا فيهم (هوميروس) الشاعر وأصح التواريخ عنه انه كان نحو سنة ٨٥٠ (ق م) وشعره وحد أمة اليونان فهم كانوا يقرؤنه في خلواتهم ومجتمعاتهم الخاصة والعامة وعسى أن يوحد القرآن الأُمم الاسلامية بعد ظهور حقائق القرآن في زماننا الحاضر

(٤) ومن ملوكهم (فيدون) سنة ٨٧٠ ق م) والحكومة هناك جمهورية وبعدهم استمرت (اسبرطه) على تعاليم (ليكورغس) (٥) الملك (رافيطوس) سنة ٧٧٦ ق م على الأصح هو الذي أحيا الألعاب الاولمبية وصارت بعد ذلك تقام كل أربع سنين مرة والمسابقة بين كل دورين تسمى (المبياد) وحيث إلى سنة ٣٩٤ ق م إذ حول مجراها الأباطور (طيدوسوس) (٦) ومن ملوكهم (اريسطورايس) ملك (ارخومينوس) وهذا الملك خان بلاده في موقعة حربية فرجوه لافشائه السر للأعداء (٧) ومن عظمائهم (لريسطومينس) سنة ٦٥٨ ق م الذي أسره أعداء بلاده ووضعوه في جب ونجا بسذلك (٨) ومن عظمائهم (سولون) الذي لما رأى الطغيان عم البلاد في نحو سنة ٦٠٠ ق م سن قوانين لهم وهو معدود من الحكماء السبعة وهو من أهل (أثينة) وجعل الأمة في القانون أربع طبقات وجعل الانتخاب علما وغاب عن بلاده عشرين سنين من سنة ٥٧٠ إلى سنة ٥٦٠ ق م (٩) ومنهم (يزيسطرابوس) ابن عم (سولون) مات سنة ٥٢٧ ق م (١٠) ابنه (هياس) وابنه الآخر (هيبارخوس) (١١) (كليومنس) من ملوك (اسبرطه) (١٢) (ملتياد) نصر اليونان على الفرس بسياسة ولبجوش (١٣) (أريسطيدس) (١٤) (تمثقل) من (أثينة) بسياسة وجيشه هزم الفرس (١٥) ومنهم (سيبون) بأثينة قائد حزب الأشراف (١٦) وأخيرا كان (فيلب الثاني) ابن (أمنطس الثاني) وأخو (بردياس) ونولى الحكم وعمره ١٣ سنة وجعل تساليا تحت حكمه سنة ٣٥٢ ق م (١٧) وبعده ابنه (اسكندر الثالث) الملقب بالأكبر ولد سنة ٣٥٦ ق م وكان عمره إذ تولى الملك بعد أبيه ٢٠ سنة وقد تعود في صغره على العوائد الاسبرطية من تحمل الآلام والاقدام والتجمل ثم علمه (أرسطوطاليس) علم الحكمة . فهذه الأسماء هي من أهم الأسماء المشهورة في أمة اليونان . وقد بحثنا فيها فلم نجد لفظ (ذي القرنين) وجودا . فبالت شعري كيف ساغ لبعض المفسرين بل لكثير منهم أن يجعلوا هذا الاسم علما على (الاسكندر) وغاية ما لقبوه انهم قالوا (اسكندر الأكبر) أما (ذوالقرنين) فلم يرد لها ذكر في أسماء ملوكهم ولا شعرائهم ولا قوادهم . فبطل إذن أن يكون (ذوالقرنين) من اليونان . إذن فلنبحث عن هذا الاسم في أمم العرب الذين كان لهم ملك وسلطان وعظمة وهم عرب اليمن

﴿ الكلام على بلاد اليمن وملوكها ﴾

اعلم أن أعظم المدن القديمة التي كانت في اليمن قبل الاسلام خربت الآن وسفت عليها السواقي وغطتها الرمال . وقد ذكر اليعقوبي أن تلك البلاد تنقسم أولا إلى (مخاليف) جمع مخلاف وجعلها (٨٤) خلافا والمخلاف تحت مدن ومخالف وقرى ومن الأشراف فيها مخلاف (بأرب وضاير والهان وحراز وهوزن وحضور الخ) ووصفه لما كان في القرن الثالث الهجري . وقد حدد هذه المخاليف الحمداني في كتابه المسمى ﴿ صفة جزيرة العرب ﴾ بأوائل القرن الرابع الهجري واعتمد العلماء على كتابه ووثقوا به

﴿ كيفية نظام بلاد اليمن في الأزمان القديمة ﴾

لاجرم أن النوع الانساني في العصر البائدة كان يعيش مع الحيوانات في الغابات ويأكل الثمار ويعيش في الكهوف والمغارات ثم ارتقى شيئا فشيئا وكان العصر الحجري والعصر البرنزي ثم العصر الحديدي فالمدنية الحاضرة . وما الانسانية العاتقة ولا بعضها إلا كما يولد الطفل صغيرا ثم يقوى شيئا فشيئا . هكذا ما نحن بصدده وهي بلاد اليمن فبنوا البيت ثم ارتقى البيت على طول الزمان فصار قصرا والقصر عندهم جعلوه حصنا أو قلعة وهذه القلعة حولها سور . ومعنى هذا أن الأسرة الواحدة تجتمع في مكان واحد وتتخذ لها رئيسا لها وتجلسه في قصره وتبنى بيوتا حوله وتجعل ذلك القصر منيما خيفة مفاجأة الأعداء وكل عدة قصور تخضع إلى رئيس واحد يحكم شيوخ هذه القصور وهذا المجموع يسمى (المخلاف) والجمع مخاليف فالمخاليف كالدريات في القطر المصري والقصور أشبه بالراكن في الدريية . ومعنى هذا أن القطر المصري (١٤) قسما كل قسم مقسم إلى

مراكز والمركز يشتمل على جهة بلاد . هكذا بلاد اليمن عبارة عن (٨٤) محلافاكل خلاف يشتمل على محاهد
وهي الصور للثقة والخلاف يتولاه أمير يقال له (قيل) والجمع أقيال أو ملك صغير والخلاف يقابل (الكورة)
أو (الرساق) في اللغة العربية كلدبرية في الاصطلاح المصري حديثا ويقال لذلك (القضاء) أيضا وينسب
الخلاف كله الى أكبر محافده أو الى المحل الذي يقيم فيه (القيل) وهذه المحاهد قد تتوحد في مدينة وتسمى باسم
جديد كما اتفق أن قصر أو محفل (روبدان) تحوّل الى مدينة ظفار وقصر سلحين تحوّل الى مأرب . وهناك
قاعدة وهي أن صاحب المحفل (القصر) يلقب بلفظ (ذو) أي صاحب يضاف الى اسم المحفل فيقال ذو غمدان
أي صاحب غمدان وذو معين وتعرف هذه الطبقة باسم (الأذواء) أو (الذوين) وهذه الألقاب أشبه بالألقاب
في بلادنا المصرية الآن مثل قولهم فلان بك وفلان باشا وهذه بعض الأسماء (ذو غمدان . ذو تلحم . ذونا عطا
ذو صرواح . ذو سلحين . ذو ظفار . ذو شمام . ذو ينيون . ذو ريلم . ذو براتش . ذو روثان . ذو ريلب
ذو عمران) فالأقيال ملوك صغار والأذواء أمراء والأذواء يقابلون في بلادنا المصرية (القوات) وهذه كلمة معناها
الأغنياء للمتازون في بلادنا وهذا يجب أن يكون ذواتنا يقابلون أذواءهم وكلاهما راجع الى (ذو وذات)
والذي واحد . ونظير هذا عند الانجليز قولهم مثلا (اللورد أفبري) ومعنى اللورد (الرب) أو (السيد) ومعنى
(أف) صاحب وبعد هذا اسم البلد التي جعل هذا صاحبها إذ هذا كأمير اليمن سواء بسواء والذي واحد .
أفليس من الجب أن يكون (ذو) الوارد في القرآن كان موجودا في اليمن وله نظير في أوروبا ولكن هذا
لا نظير له في اليونان إذن لم يكن (ذو القرنين) في اليونان ويطلب أن يكون في اليمن فان الأذواء في تلك
البلاد هم الذين يحكمونها ومن بين هؤلاء الحكماء يكون الأقيال والتابعة كما تقدم وقد هجر المؤرخون جميعا
عن معرفة تاريخ الامارات الصغرى وعن تاريخ الممالك الكبرى هناك ولكن لهم في هذا المقام وهم الأذواء
قد حفظت أسماؤهم ليكونوا دليلا لهذه الثقة في القرآن والذي عرف الآن (طبقتان) طبقة تسمى الملوك
للمتانة وهم ثمانية أذواء وهم الذين ناهضوا جبرائيل دولتهم . والطبقة الثانية أذواء مستقلة وهؤلاء هم الثمانية

• قال الشاعر

أين الثمانية للملوك وملكهم • ذلوا لصرف البحر بعد جراح

ذو ثعلبان وذو خليل ثم ذو • شجر وذو جند وذو صرواح

أو ذو مغار بعد أو ذو جوفز • ولقد عاذا عشا كلان ماض

وسائر الأذواء أكبرهم مرثد وهو جدنا نظم قال فيه

أو ذو مرثد جدنا القيل ابن ذي • شجر أبو الأذواء رجب الساح

وبنوهم ذوفين ذو سفر وذو • همران أهل مكارم وساح

والقيل ذو ذيبان من أبنائه • راح الحمام اليه بالرداح

أم أين ذو الرعين أو ذو ررحم • سقا بركات لنون ذبلح

أم أين ذو بهر وذو زين وذو • نوح وذو نوح وذو الأنواع

أم أين ذو نيقان أو ذو أصبح • لم ينج بالاسماء والاصباح

أم أين ذو الشعين أصبح مدعه • لم يثتم لثقف الأقصاد

أو ذو حوال حيل دون مراره • أو ذو مناح لم يسبح بمراح

أم أين ذو غمدان أو ذو فائس • أو ذو رعين لم يفر بفلاح

والقصيدة ١٩ بيتا بعد الثمانية اكتفينا بما ذكرناه الآن والأذواء في هذه القصيدة ٥٥ والتي علم
قليل . إذن ثبت أن (ذا القرنين) يعني وان كان في زمن متوغل في الجهالة والابهام ليكون نموذجاً للكمال

والشرف في الأم الإسلامية في مستقبل الزمان . انتهى

إذا عرفت هذا فانظر الى دول اليمن فيها دولة (معين) وعاصمتهم (قرنا) ودولة (سبأ) وعاصمتهم مأرب واقتانيون وعاصمتهم (شبوة) والتي كشفت (معين) هو (هاليق) إذ رآها في شرق (صنعاء) ببلاد الجوف وقرأ اسمها عليها وبجانبها مدينة (براقش) فوجد هناك (٣٠٣) قنشا ٧٩ منها في (معين) و ١٥٤ قنشا في (براقش) و ٧٠ في السوداء وقد عثروا على بعض ملوك هذه الدولة وهم ٢٦ ملكا مثل أب يدع ومثل أسبجع ينبع أي المنقذ وهكذا . وقد عرف الناس أمة بهذا الاسم بالكشف الحديث سنة ٣٥٠٠ م قبل الميلاد مكتوبا على نصب عليه قنوش مسارية ذكرت في أقدم آثار بابل وأن ملك بابل حمل على (معان) في جزيرة (سينا) وقهر ملكها وأنه اقتلع حجرا منها ونصبه تذكرا في بلاد (بابل) ويقدر العلماء أن آثار دولة معين تبتدى من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن السابع أو الثامن قبله ويقولون ان أصلهم من بابل

(دولة سبأ)

هم من الصمطانيين كانوا أولا أنواء فأقبالا فكانت لهم المحافد فالتخالف والتي نبغ منهم (سبأ) صاحب (قصر صرواح) شرق (صنعاء) فاستولى على الجميع ومبدأ ملكهم من سنة ٨٥٠ ق م الى سنة ١١٥ ق م والمعروف من ملوكهم ٢٧ ملكا ١٥ يسمى مكربا و ١٢ منهم يسمى ملكا مثال الأول (يشمر) و (ذمرعل) فكل منهما اسمه (مكرب) ومثال الثاني (ذرج) و (يريم ابن) فهذان ملكان

(الدولة الحيرية من سنة ١١٥ ق م الى سنة ٥٢٥ م)

وحبرين سبأ وهم (طبقتان • الطبقة الأولى) ملوك سبأ وريدان من سنة ١١٥ ق م الى سنة ٢٧٥ م ومن ملوكهم (علهان نهان) و (واتر) وهكذا (والطبقة الثانية) ملوك سبأ وريدان وحضرموت وغيرها من سنة ٢٧٥ م الى سنة ٥٢٥ م أولهم (شمر رعش) ثانيهم (ذوالقرنين) أو (افريس الصب) ثالثهم (عمرو) زوج بلقيس وهكذا الى ١٤ ملكا آخرهم نوجدن وقيله ذنواس وهذه الطبقة هم التباية ومن قبلهم ملوك فقط . والتبع (بنشديد التاموالباء) هو من ملك حضرموت والشمرع مملكتهم . فأكثر ملوك الطبقة الثانية الحيرية تباية أضافوا الى ملك اليمن ملك حضرموت والشمر وهذا ماوصلت ذكره في هذا المقام في أمر ملوك اليمن

(تحقيق هذا المقام)

تقد اطلمت أيها الذي على أسماء ملوك اليونان وأسماء ملوك اليمن فظهر أن ذا القرنين لاصلة بينه وبين اليونان وأن الانصاف (بنو) لم يجده إلا في اليمن وأن الملوك والتباية إنما ينبغون من هؤلاء الأنواء . إذن لاشك أن هذا اللقب لانساسبة بينه وبين اليونان وإنما صلته التامة ببلاد اليمن بل تقم في أسماء الملوك قريبا اسم ذي القرنين فظهر الأمر واتضح ولكن هل هذا هو ذا القرنين المذكور في القرآن . نحن نقول كلا . لأن هذا المذكور في ملوك قريبي العهد مناجدا ولم ينقل ذلك عنهم اللهم إلا في روايات ذكرها القصاصون في التاريخ مثل ان (شمر رعش) وصل في حربه الى بلاد العراق وفارس وخراسان والصغد . وقال العجم (شمر كند) أي شمر خرب وبنى مدينة فسميت (سمرقند) أي شمر خرب وملك بلاد الروم ويقولون ان أسعد أبوكرب غزا (أنديجان) وبث حسانا ابنه الى (الصغد) وابنه يغر الى الروم وابن أخيه الى الفرس وأن من الحبريين من بقوا في الصين لهذا العهد بعد غزو ذلك الملك لها . وكذب ابن خلدون وغيره هذه الأخبار ووسموها بأنها مبالغ فيها وتقصوها بأدلة جغرافية وأخرى تاريخية لاعمل لذكرها هنا . إذن يكون ذا القرنين من أمة العرب ولكنه في تاريخ قديم قبل التاريخ المعروف . ألا ترى أن من الأئمة العربية من غزوا مصر قبل الميلاد وبقوا فيها ٥٠٠ سنة ثم طردوا من مصر في الأسرة الثامنة عشرة . ولقد أخبرنا المرحوم

أحد بك كمال أن المصريين كثروا جدًا فخرجت منهم (أثنان • احدهما) إلى بلاد العرب والأخرى إلى شمال أفريقيا وقال رحه الله لنا إن الذين خرجوا إلى بلاد العرب هم عاد وثمود

(حكمة نزول هذه الأخبار في القرآن)

علم الله قبل أن ينزل القرآن أن أمة العرب خصوصاً وأمة الاسلام عموماً سينسون التاريخ وتخطيط البلدان ويجهلون ماحلّ بالأمة العربية من أمة يأجوج ومأجوج ولا يعرفون أن فتح البلدان بالجهاد الاسلامي كان هو السبب الذي جعل أمة الاسلام مجاورة لأمة يأجوج ومأجوج وهذه المجاورة كانت سبباً في انقراض القوم على أمة الاسلام فزقت شملهم . علم الله أنهم يجهلون ذلك في الأزمان المتأخرة وأن الحروب الصليبية وحروب يأجوج ومأجوج ستقضي عليهم ويخرج أنباؤهم أي أهل مصر وشمال أفريقيا والعراق والجزائر وسوريا والفرس وغيرها وهم يجهلون ماحلّ بأنهم الأولين ولا يعلمون أن أمة يأجوج ومأجوج احتلت البلاد لما آتست من العرب ضعفاً وتخاذلاً ومن المسلمين فترفاً واحتلالاً فكانوا منقسمين إلى الشيعة والسنية وكل منهم يكيد للآخر وكان الوزير العظمى رجلاً شيعياً والملك المستعصم رجلاً سنياً وكان هذا الوزيران هما السبب في دخول التتار واحتلالها وذبح ألف ألف منها إلى آخر ما تقدم

علم الله ذلك فأُنزل في القرآن قصة ذي القرنين ويأجوج ومأجوج وهما قستان متلازمان . قصة (ذي القرنين) تفيد أن رجلاً عربياً أقامه الله مصلحاً عظيماً . فلذا قيل . فعل ما فعله الخضر عليه السلام أقام الخضر جداراً يريد أن ينقض وأقام ذو القرنين سدّاً بين أمة وأمة والخضر لم يطلب أجراً من أهل البلد وذو القرنين لم يطلب أجراً من تلك الأمة . الله أكبر . هذا هو الشرف أن يصرف الإنسان نعمة الله فيها خلقت لأجله سواء أكان ذلك لمنفعة فردية أم منفعة عامة . فإقامة الجدار لمنفعة النباه وإقامة السد لمنفعة الأمة الله أكبر . نزل القرآن لارتقاء الأمم . نزل القرآن للاقتصاد . ألم تر أن أول السورة يفيد أن قوماً هربوا من الظلم فاختفوا وقد قدمت أن هذا تمّ في زمن النبوة بالهجرة وأن آخر السورة يفيد أن الإنسان يعمل للصالح العامة إما لأفراد ولما لأهم . هذه السورة أشبه بتاريخ الاسلام فأوله ضعف والمسلمون في مكة وبعد الضعف القوة والقوة تنفع الأفراد وتنفع الأمم . هذا هو دين الاسلام والأمة الاسلامية التي ضلت هذه الطريقة بخذلها الله كأمم الاسلام أيام الدولة العباسية أي في آخرها إذ جعل الناس الملك مغنياً والزكاة مغزماً وأصبح الملك قليل العمل كثير الأمل والشهوات واللذات والخلاعة

عاشت أمة الاسلام وهي تتقلب على نار النضا ويكيد العلماء بعضهم لبعض فالحجج والشيعة وأهل السنة بعضهم لبعض عدو حتى إن الشافعية والحنفية من أهل السنة لما دخل التتار أي يأجوج ومأجوج وجدوهم أشبه بأهل دينين كل يكاد يكفر الآخر . علم الله أننا نحن في عصرنا الحاضر سنجهل كل ذلك . الله أكبر . إن الأمة الاسلامية لما فتحت البلاد لحفظها - فظهم الله ولكن لما فتحت البلاد لذاتها انحطت مداركهم فاستخلص الله منهم بلادهم كما تقدم وجعل القوم علوم الجغرافيا جهلوا جيرانهم من الأمم فاقضوا عليهم . أقول ومتى عرف المسلمون بعدنا السبب في تشتت الأمم الاسلامية يرجعون مجدهم بجمع شملهم وذلك يستحيل إلا إذا قرروا جميع العلوم وعلموا ما جهل آبائهم في تلك القرون ومن أهمها علم الجغرافيا والتاريخ ثم بقية العلوم حينئذ يعرف أبناء العرب والفرس والترك وغيرهم من أمة الاسلام أن الذي أضاع مجدهم هو الجهل وأن المسلمين ظنوا أن القصد من الملك التمتع مع أن ملك البلاد والتسلط عليها لا يقصد منه إلا رقيها وخصمتها واسعادها

أقول . علم الله ذلك وأنا في هذا الزمان سنقرأ هذا ويقرؤه أبناؤنا بعدنا ويعرفون خطأ الآباء ويقولون (في ذي القرنين) انه وإن لم يكن معروفاً بشخصه فهو المعروف قدره وأن الله أبهم علينا كما أبهم ليلة القدر

ويوم القيامة ولأن الله عزنا به فلا كانت الفائدة ضئيلة . أما الفائدة العظيمة فهي كثرة البعث والتقييب في الكتب فهنا نحن أولاء بحثنا عن ذى القرنين في أمّة اليونان . ولما بحثنا عنه وجدنا هناك في القرن الثامن قبل الميلاد قوانين مشترع عظيم تقلّمت الإشارة إليها عزّفتنا مجلس الشيوخ ومجلس الأمّة التي نسج على منوالها أهل أوروبا الآن وهكذا حوالى القرن السادس (ق م) ظهر (سولون) الحكيم وهؤلاء قوانين تذكروا بما يحاوله أهل الشرق الآن من الانتخاب وتشكيل المجالس النيابية . ولما جئنا أن هذه الطريقة بالحال التي هي عليها لم تكن معروفة عند أسلافنا فلم يكن لهم سبيل إلا للحرب والقتل . وإذا كانت أوروبا هي التي تعلمنا تلك القوانين كما علمت اليابان وأمريكا فليتنا نحن أن نقرأ كل ما حصل من شرائع الأمم الانتخابية في اليونان والرومان وفرنسا وما الذي فعله (روسو) الكاتب الشهير الذي أحدث ذلك في فرنسا وما الذي فعلته انكثرتا قبل فرنسا بنحو مائة سنة وماذا فعلوه مع ملوكهم . كل ذلك تذكروا في أثناء البحث عن اسم ذى القرنين فإذا لم يكن في ذكر ذى القرنين نعمة سوى هذه لكفت وهذه المباحث واجبة وجوبا كفاثا لأنها أوّلا لفهم القرآن وثانيا لأنها علوم والعلوم لابد فيها من قوم مختصين بها . وكما من فوائد غير ذلك في هذه المباحث .

إن الأمم الإسلامية التي بعدنا ستقرأ هذا وأمثاله وسيعلمون أن العلوم التي قلّوها عن أوروبا والأعمال السياسية لن يتم لهم الانتفاع بها إلا إذا درسوا أصولها فهؤلاء أهل مصر وأهل العراق والشام وغيرهم قد أخذوا يقلّدون الغرب في المجالس النيابية ولكن لا يتم مقصدهم إلا بدراسة تاريخ تلك المجالس أيام سولون وأيام ليكورغوس ليقتوا على تنوع تلك المجالس وينظموا بلادهم على أحسن طراز وسيعلمون حق العلم أن قوله ﷺ (إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زخوف الدنيا وزينتها) قد تمّ ذلك لأن فتوح البلدان قد انتهى بنشيت شمل الأمّة العربية لأنهم لم يحفظوا النعمة في آخر أمرهم ولم يقوموا على أنهم خلفاء الله خصب وأن قوله (لقد فتح البيلة من سدّ يأجوج ومأجوج الخ) فيه تلميح إلى فتح البلدان كما تقدم وسيعلمون أنهم لا حاجة لهم إلا بنظام أهمهم وبلادهم بأحسن الطرق وهكذا أن يدرسوا كل علم ويعتقوه . وسيعلم أبناء العيون خاصة وأبناء العرب عامة أن الله ما ذكر ذا القرنين في القرآن إلا ليبحث فيهم النشاط والهمة والقوة فهو يقول يا أبناء العرب ما ذا أفضل لكم خلقت رجلا مصلحا في زمان مجهول لكم بلغ مغرب الشمس ومطلعها ولم أتحأ أن أرين لكم البلاد التي دخلها لأن كل مكان في الأرض يصلح لطول الشمس وغروبها وإنما بينت السدّ لأجل أن تبحثوا عن التاريخ الذي حصل لأبائكم فيينا أنتم تبحثون عن السدّ إذا بكم اهتديتم إلى سبب اقتراض دول آبائكم فترجعون إلى أنفسكم وتقولون كيف يكون منا من بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأصلح الأمم ونكون نحن بعد نزول القرآن أضعف من آباءنا قبل نزوله وسيجعل أبناء اليوم حينما يدرون أن آباءهم كانوا أرقى منهم علما وصناعة وسبقولون كيف يكون ذو القرنين منا وكيف ينزل الله في آباءنا سورة (سبا) ويذكر سيل العرم ونصبح نحن أضعف من آباءنا . لئنا لمقصرون . فلنقرأ كل علم ولندرس كل فن وانا إن شاء الله لموفقون انتهى

(جوهره في قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر - الخ)

ان المطلاع على ما تقدم من التفسير يجد نعم الله لاحد لها في كل عالم من العوالم الأرضية والسماوية ولكن الآن أذكر لايضاح هذه الآية آخر الآراء التي وصل إليها العلماء في عصرنا الحاضر ولم أجد أجمل ولا أجمع ولا أحدث من الخطبة التي خطبها الاستاذ (جينس) الانجليزي العالم الفلكي الذي كان مدرسا اتم الرياضيات التطبيقية في جامعة (بسفانيا) التي هي أشهر جامعات أمريكا وقد عاد أخيرا إلى انكثرتا وصار سكرتيرا لجمعية العلوم والفنون الملكية والخطبة للشار إليها هي التي ألقاها يوم ٧ مارس سنة ١٩٢٨ . أي قبل كتابة هذه الأسطر بشهر واحد وهي كما قلنا أحدث الآراء في منشأ الكائنات والكلام على النهاية وعلى عدم النهاية في الزمان

والمكان وهل يمكن حصر الأجرام العلوية ومقادير أعمارها . وهذه الخطبة ألقاها في تلك الجمعية في التاريخ المتقدم ولمنحصر ما يأتي

(١) الاهتمام بعلم الكائنات ونشوتها قريب العهد جداً وهذا العلم لا يزال طفلاً
(٢) يقول علماء (الجيولوجيا) ان الانسان لم يمش على الأرض إلا منذ ثلثمائة ألف سنة فقط . إذن الأرض عاش عليها عشرة آلاف جيل كلهم يرون الأرض مركز العالم والعالم خلق لأجلها لإجيال واحداً عرف أن الأرض ليست شيئاً مذكوراً في العوالم

(٣) عمر الأرض نحو ألفي مليون سنة
(٤) الشمس ستظل بعد ألف ألف مليون سنة كما هي الآن تقريباً وتدور الأرض حولها كطوكت الحاضر
(٥) الانسان في المستقبل يكون أحكم من الانسان الحاضر ثلاثة ملايين مرة على الأقل فينظم المعيشة على مقتضى حال الكرة الأرضية في المستقبل

(٦) يؤخذ عما تقدم أن الانسان حديث العهد بالولادة على الأرض فهو طفل وهكذا هو طفل في علومه ومعارفه وكل هم هذا الطفل كان موجهاً الى غذائه ومسكنه وهو يجهل العوالم ولكنه الآن عرف أن هناك عوالم لاهلها وعرف انه يجهلها وكأنه في حلم ومعرفة تافهة جداً بالعوالم حوله ويعيش بعد الآن ألفي مليون سنة على الأرض أي انها مدة تعادل عمر الأرض الماضي

(٧) الأجرام التي حولنا لها نهاية . أما الفضاء الفسيح بعدها فلانهاية له أي ان الشمس والكواكب والمجرات ليست بلانهاية ولكن وراءها فضاء لانهاية له

(٨) الأجرام العلوية التي نراها والتي لا نراها شكلها كروي أي انها كلها كرة واحدة كقطرة الماء وككرة الأرض والشمس والحل والكرة تعرف كلها متى عرفنا نصف قطرها ونصف القطر يعرف متى عرفنا درجة تقوس محيط الشكل الكروي بين أية نقطتين مفروضتين على محيط الشكل

(٩) الاستاذ (هويل) يقول على سبيل التقريب أن الفضاء المشغول بالأجرام الفلكية لا يمتد على الأرجح الى أكثر من ألف ضعف المسافة التي تفصل بيننا وبين أبعد السدم التي يمكن رؤيتها بأعكبر (التلسكوبات) اننا ان وصلنا تلك السدم فرضاً وجاوزناها فانا نعود الى النقطة التي بدأنا منها لأن ذلك الفضاء كما قلنا كروي الشكل

(١٠) الاشارات اللاسلكية التي تنبثق من جهاز لاسلكي شديد الاحساس تدور حول الكرة الأرضية في أقل من سبع ثانية وتعود الى النقطة التي بدأت منها فهكذا نحن لو اخترقنا هذه العوالم رجعنا الى مبدأ سفرنا (١١) لو اننا صنعنا (تلسكوبا) قويا جداً ورأينا جميع الكرات السماوية لرأينا النجوم بهيئتها الأصلية حينما أرسلت النور اليها قبل الملايين من السنين وأن النجوم ليست أعدادها بغير نهاية ولو كانت في فضاء لا نهاية له لزم أن تكون هناك نجوم لا يصل لنا نورها الى أبد الدهر ويقول إن هذا بعيد ويرجع فيقول ان الانسان اليوم طفل لا يعمى في العلوم شيئاً قريباً جاءه المستقبل بما لا يتخيله الآن

(١٢) النور يسير في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل ومثله في ذلك الكهربية اللاسلكية لأنهما في جوهرهما شيء واحد ويرجع أن النور يسير حول الفضاء الكروي مائة ألف مليون سنة أي ان النور يدور في هذا العالم المملوء بالأجرام العلوية التي مجموعها كرة واحدة مدة مائة ألف مليون سنة مع العلم بأنه يدور حول الأرض في سبع ثانية واحدة فأين النسبة بين سبع ثانية وبين مائة ألف مليون سنة . ويقول ان الأرقام لا تقهر أن نحصى المسافة المصورة بين نقطتين أي أيا كانتا على محيط الفضاء الكروي

(١٣) الشمس أكبر من الأرض حجماً مليون وثلاثمائة ألف مرة وملياً إلا حبة رمل على شاطئ هذا

الفضاء الكروى وهى فرد من أسرة من أسرات الكائنات وفى الفضاء الكروى المذكور ألوف للملايين من تلك الأسر والجماعات . وقد قتر العلامة (سيرز) عندها (ثلاثين ألف مليون مجموعة) وتكون شمسا ونوابها حبة رمل فى مجموعة واحدة من هذه الثلاثين ألف مليون مجموعة

(١٤) هناك سديم (لوليه) خارج المجرة وهى مجموعة من النجوم تم نشؤها أولآزال فى دور التكوين وفى بعض تلك السدم من المادة ما يكفى لخلق ألف مليون شمس كشمسنا مع العلم بأن ملاذتها فى غاية اللطف حتى ان جزءا من اثني عشر مليون جزء من الرمل يعادل فى حجمه جبل (ماترهورن) الذى هو من أكبر جبال أوروبا فإذا كان السديم الواحد الذى هذه حال خفته فى حجمه يشتمل على ما يكون ألف مليون شمس فكيف يكون حجمه (وبعبارة أخرى) اذا وضعت ألف مليون شمس فى كفة ميزان (مع العلم بأن الشمس أكبر من مليون حجم الأرض وثلاثمائة ألف مرة) وفى الكفة الأخرى جزء من مليون جزء من الأوقية كانت النسبة بينهما كنسبة أحد تلك السدم الى جبل (ماترهورن) المشار اليه وذلك كله حجم سديم واحد فما بالك بمئات الملايين منها وهى سابعة فى الفضاء الكروى

(١٥) يقول (هويل) المتقدم ذكره ان مرقب (تلسكوب) مونت ويلسون بأمرىكا يربك نحو مليونين من تلك السدم وإذا تمكن الإنسان من صنع مرقب أكبر فانه يرى بلاشك ملايين كثيرة أخرى منها فى كل منها من المادة ما يكفى لخلق الملايين من الشمس والأجرام الفلكية . ويقول ان العلماء يقولون ان الفضاء الذى تشغله المادة يجب أن يكون ألف مليون ضعف الفضاء الذى يستطيع أن يرصده (تلسكوب) مونت ويلسون المشار اليه الذى هو أعظم تلسكوب فى العالم كله . ويقول اذا أردت أن تعرف عدد النجوم التى تسبح فى الفضاء تقريبا فانها عدد (٧) وعلى يمينه (٢٤) صفرا وهو عدد النجوم السابعة فى الفضاء وعددها من الرمل يغطى سطح الجزائر البريطانية الى عمق مئات من الأمتار . ومعلوم أن علنا الأرضى ليس إلا حبة من حبات ذلك الرمل

(١٦) أضخم النجوم المعروفة بنجمة (وولف) نورها جزء من عشرين من نور الشمس ونور النجم (دورادوس) يوازي ثلثائة ألف ضعف النور المنبثق من الشمس وأصغر النجوم هو نجم (فان مانن) وحجمه كحجم الأرض وأكبر النجوم هى الجوزاء وهى أكبر من الشمس خسا وعشرين مليون مرة ونسبة نورها الى نور الشمس كنسبة نور الصاييح الكهربية الى نور حشرة الجباب

(١٧) ان الشمس تخرج شعاعا يعادل قوة خسين حصانا من كل بوصة مربعة و بعض النجوم التى هى أعظم من الشمس تشع نورا من البوصة المربعة يعادل قوة ثلاثين ألف حصان لكل بوصة مربعة (١٨) الشمس تفقد كل يوم من المادة بسبب خروج الأشعة منها ٢٥٠ مليون طن فى الدقيقة وفى كل يوم تفقد ٣٦٠ ألف مليون طن

(١٩) إن أعمار الأجرام الفلكية تختلف من خمسة آلاف ألف مليون سنة الى عشرة آلاف ألف مليون سنة

٢٠ يظن أن عمر الشمس الآن عشرة آلاف ألف مليون سنة ويمكن أن تعيش ملايين الملايين من السنين فلا تنطفئ . انتهى

هذه هى الآراء التى يستنتجها العلماء اليوم بحسبهم تارة وبخيلهم تارة أخرى . ذلك كله يفهمنا قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا - الخ فهذه هى الكلمات الالهية التى حيرت العقول وشغلت الأفكار وأضاعت الأعمار ولم يصل الناس لأقل جزء من العلم والله يعلم وأتم لاتعلمون والحمد لله رب العالمين . كتبت هذه المقالة يوم الجمعة ٢٧ إبريل سنة ١٩٢٨

﴿ جوهره في قوله تعالى - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - ﴾

اعلم أن هذا الوحي الذي أنزله الله على أنبيائه بأنه واحد قد أظهره في كلماته المذكورة قبل هذا في قوله - قل لو كان البحر مداما لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - فالآية الثانية كالتمهة للأولى وإيضاح هذا المقام أن الآية الأولى أفادت كثرة الخلوقات ولكن الكثرة كيف تكون عن الوحدة فالكثرة ظهرت في الأولى والوحدة في الثانية . هناك حلت الأم قديما وحديثا . رأوا كثرة لا تنتهى وهذه الكثرة العظيمة لا تتم إلا بالوحدة والا فكيف يضبط هذا الكثير . فانظر ماذا حصل . جاء قدماء الفلاسفة ونظروا في هذا الوجود فرأوه جواهر وأعراضا أى المادّة والصفات القائمة بها فدرسوا أولا العلوم الجزئية من الرياضيات والطبيعات وبعد ذلك درسوا علما يعلمهم الوحدة فقالوا ان كل موجود يمكن أن يطلق عليه اسم الواحد سواء أكان كثيرا أم قليلا فالتا قول زيد واحد وعمره واحد والانسان جميعه واحد فالأولان بشخصهما والثالث بنوعه وقول الانسان والحيوان والنبات والجلاد واحد أى من حيث اشتراكها في الجسميّة إذن الكثرة تلازمها الوحدة فليست الوحدة خاصة بالشخص . كلا . بل هذا العالم كله نسميه واحدا . هذا ما كان يقوله القدماء فأقرأه في كتاب ﴿ الشفا ﴾ لابن سينا . وتارة يقولون ان الواحد أصل العدد فليس هو بعدد والعدد يشعر بالتعدد والواحد بتكراره مرة فأكثر أحدث الأعداد كلها ألّوفا وألّوفا ألّوفا والواحد اذا حذف من الوجود لم يكن عدد والعدد اذا ذهب من الوجود لم يذهب الواحد . إذن العالم كله واحد . وهذا كلام علماء (الارتماتطيق) أى علم خواص الأعداد . فعلماء الفلسفة القدماء يرون نفس العالم واحدا وعلماء الرياضة يوحّدون العدد فانظر الى علماء العصر الحاضر . ماذا فعلوا . نظروا بطريق العلوم الطبيعية فإذا قالوا . قالوا ان العالم كله واحد من حيث ان الكواكب كلها مركبات من عناصر كمناسر الأرض وقد تقمّ شرح هذا في هذا التفسير فلا تفاوت في هذه المادّة . العناصر التي تبلغ نحو ثمانين الآن ركبّت الأرض منها ومن غيرها والشمس مثلها وكذلك سائر الكواكب والتي عرفنا ذلك هو الضوء باختلاف الخطوط السود المقاطعة للألوان السبعة تختلف العناصر في الجميع وأيضا يقولون كما تقمّ أيضا ان السيارات تدور حول الشمس والعالم كله سيارات تدور حول شمس وهذه المسألة عينها هي الحاصلة في الحجر والشجر والمطر والجبل . فهذه كلها مركبات من عناصر والعناصر من جواهر فردة والجواهر الفردة تحلل الى كهارب وتلك الكهارب ماهى إلا قطع ضوئية يدور بعضها على بعض ففقط من نوع الكهارب السالبة وأخرى من نوع الموجبة والصور لن سريع جدا بحيث يكون ملايين في الثانية الواحدة والمسافات بين النرات التي يتركب منها الجسم كالمسافات بين الشمس والسيارات وباطن المادّة خلاه يتخلله ذرات كهذا العالم الذي نراه وهذا المقام قد مرّ قريبا في هذا المجلد وفي غيره . ويقولون أيضا ان قطرة الماء تحوى ذرات عددها (٥) يتبعها عشرون صفرا كما نقلناه سابقا عن علماء أمريكا في عصرنا وانظر الى عدد نجوم السماء فيما تقبّم آتفا وانها عدد ٢ على يمينه ٢٤ صفرا انتهى

﴿ خلاصة ما قبله ﴾

- (١) وحدة في آراء قدماء الفلاسفة من حيث ان العالم كله تلحقه الوحدة كثيرا أو قليلا كليا أو جزئيا
- (٢) وحدة عند علماء خواص الأعداد إذ يقولون ان الأعداد كلها ترجع للواحد بل هي واحد مكرر
- (٣) وحدة عند علماء العصر الحاضر مثل ان النجوم والشمس مركبات من عناصر كما نرى في أرضنا فهنا اتحاد في التركيب وفي العناصر اجالا
- (٤) اتحاد الكواكب المحيطة بنا في الحركات مع الجواهر الفردة . فالسيارات تدور حول الشمس

والجواهر الكهربائية تدور بعضها على بعض في الجوهر الفرد فالأعداد هنا في الحركات

(٥) الكواكب كلها مشرقات وجميع النرات مكثرات من كهرباء أى نقطة ضوئية . إذن العوالم اتحدت في الأنوار سواء أكانت مظلمة أم مضيئة أى ان نحو الحديد والنحاس والأجبار عند البحث في ذراتها نجد بها مركبات من أنوار لاغير كأنوار الكواكب وهذا تقدم شرحه كثيرا في هذا التفسير

(٦) الأضواء التي في هذه الجواهر الفردة التي يجرى بعضها على بعض يتخللها خطوط سود سواء أكان ذلك في أضواء النجوم أو أضواء العناصر الأرضية

(٧) بين كل ذرة وأخرى خلاء في سعة بالنسبة للذرتين كالسعة بين شمسنا مثلا وأرضنا بالنسبة لهما

(٨) القدر الصغير من المادة التي أماننا كالقطرة المائية أعداد ذراته تفوق أعداد نجوم السماء بحسب ما يظن في الكشف الحديث . وهناك وحدة لم تذكر هنا وهي

(٩) الوحدة في الأخلاق . ذلك أن هذا العالم كله فيه الحر والبرد والموت والحياة والعز والذل ونجد

الشرع السماوي يقول لنا جاهدوا وقتلوا وقاتلوا وسلموا أنفسكم لموت ولكل ما يستوركم في الحياة وأتموا رضون

إذن الشريعة تقول بوحدة الأخلاق مع حوادث هذا العالم فنكون مع هذا الوجود متعدين في أعمالنا

تقدم أنفسنا لموت في الفضيلة ورضى بكل حوادثه بل ان ذلك قد جرى عليه الحكماء قبل دين الاسلام فهناك

دين (أودين) كان في أوروبا قديما جدا وهذا الدين يأمر أتباعه بأن لا يموتوا إلا مقتولين ويحرم على المرء

أن يموت على فراشه . وقد ذكر هذا الدين (كارليل) الانجليزي في كتابه (البطولة والابطال) وأيضا

نذكر ما ذكرته أفا مذهب الفيلسوف (ليكورغس) في نحو القرن الثامن قبل الميلاد فانه علم اليونان بأسبرطه

وغيرها أن رقى الناس لايم إلا بأن يعتادوا صرامة العالم ويذوقوا كل ألم من حر وبرد وضرب موجع ولا

يتنصروا من ذلك كله ولايم رقيهم إلا بذلك ودرجوا على هذا النظام حينما من الدهر وهذا عجب أن نكون

الوحدة سارية في العالم وفي أفعال الناس

(١٠) ووحدة في العدل فانظرها في سورة النحل عند قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل والاحسان -

فهناك نجد نظام الجسم الانساني ونظام أخلاق الانسان ونظام الأمة كلها جاريات على قانون واحد يشمل العالم

كله . اللهم انا نحمدك أن علمتنا أن قولك لنبينا ﷺ - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الحكم إله

واحد - الخ هو القانون المتفق عليه في طبقة هذا الوجود . اللهم إنك أنت الذي علمتنا ما لم نعلم ونشكر

على الحكمة ونسألك المزيد وأن ترفع هذه الأمم الاسلامية الى مقام الحكمة والعلم إنك على ما تشاء قدير

أنا لست أقول لك ان ذرات قطرة الماء وبحجوم السماء هذا المذكور هو عددها وإنما أقول لك هذا هو

اتجاه عقول هذا النوع الانساني في الزمان الأول جعلوا هذا العالم واحدا من حيث أن كل موجود يطلق عليه

اسم الواحد كثيرا كان أوقيلا حتى ان المقولات العشر التي ترجع الى الجوهر والعرض قد شملت أقسام الوجود

لحادث كله في كتابي (الفلسفة العربية) فهي هناك واضحة كل الوضوح

وفي هذا الزمان وجدوا أن عدد ذرات قطرة الماء أشبه بعدد نجوم السماء من حيث الكثرة وأن العوالم

ترجع الى كهرباء فالوحدة هي التي خطرت بقول الفلاسفة قديما وحديثا فهذا العالم يدل على وحدة الصانع

التي أنزلها الله في القرآن وأوحى بها الى نبينا محمد ﷺ فقال - قل إنما أنا بشر مثلكم - ولست أدعوكم

الى الفلسفة القديمة ولا الحديثة فالدالين على وحدة هذا الوجود على حسب عقولكم للعالة على وحدة صانعه

بل أنا يوحى الى بوحدة الخالق التي بها كانت وحدة العالم وأتم اجتثوا عنها بقولكم بالطرق التي توافق

عقولكم فان الوحدة غيبوبة في هذا العالم ومخبوءة في عقولكم - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون -

وأهل الذكر في هذا المقام هم الفلاسفة والحكماء في العالم قديما وحديثا . انتهى والحمد لله رب العالمين

(الوحدة في نظام الأمم)

وبيانه أن الوحدة كما كانت أعظم وأتم كان المعدون بها أقوى وأكمل وهكذا . والبليل على ذلك أن الجبال تقوى على احتمال الملاقوى عليه البلاد من حوادث الجؤ والرياح والصواعق والزلازل . وهكذا نرى الفيلة والأساد والانسان قووة تركيبها واندماج عناصر كثيرة في أجسامها تقوى على ما يقوى عليه الجراد وأتولج الحشرات . فهكذا الأمم فائتا مجدها كما كانت أشد ارتباطا وأكثر عددا كانت أقوى من غيرها . ألا ترى أن الأمم الكبيرة القوية المتعلة اليوم تهجم على المجاهدة . أكثرى لماذا ذلك . لأن الأمم العظيمة قد سرت فيها أسرار الوحدة والوحدة سر الوجود . فالأم التي غلبت غيرها سر الوحدة فيها أتم إما لارتقاء صفاتها وإما لكثرة عددها وإما لها معا . أما الأمم التي تمزقت وحدتها لجهلها وقلة المفكرين فيها فإن الله يعاقبها على ذلك الجهل بأن يسلط عليها الأمم التي سرت فيها الوحدة لينلوه . لماذا هذا . لأنهم نسوا الله ففسهم ومن صفات الله الوحدة وهؤلاء جهلوا عملوا فلما لم تصفوا بها . واعلم أن الأمم الإسلامية بعد القرون الأولى كانت كل هم رؤسائهم منصرفة إلى أن يتولوا أحكام المسلمين ففترقوا شيئا وذاك بعضهم بأس بعض وتركوا أكثر الشورى والشورى في الأمم هي سر الوحدة ومتى انتخب الناس رؤساء منهم وهؤلاء تشاوروا في أمورهم كانت هناك الوحدة التي ظهرت آثارها في العالم الانساني في أمريكا واليابان وأوروبا تلك الشورى التي أمر بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما حضرته الوفاة فبالشورى تكون الوحدة وبالغلبة يكون التفرق . فالسكيم يكون لأهل الحل والعقد ويكون للملك أو رئيس الجمهور عليه التنفيذ ولا يتولى هو إلا مشورتهم ويقيم المالك وميراث العرش بأمر ذلك المجلس . هذا هو الذى جهله المتأخرون في الاسلام فأضاع مجدهم . ألا فليغير هذا النظم الآن . ومن عجى أن يكون اليابان والطيان والألمان والفرنسيون وهكذا أم أخرى جميع هؤلاء اتحدت طوائفهم التي هي من جنس واحد . أما أبناء العرب الذين هم اخواننا في النسب فقد فترقوا قديما وحديثا وميلهم للعلم غالبا منصب على الشعر والأدب . فهل يكون اتحادهم بعد نشر أمثال هذا التفسير . وهل يعرف أبناء مصر وشمال أفريقيا وأهل الشام والعراق والحجاز ومجند والعين منهم من حيث التجانس لافرق بين تجانسهم وتجانس الألمان والطيان الخ وأن دينهم واحد ثم هم متجاورون في البلاد متحدون في اللغة . أغليس من الغزى المحزن انهم يتفرقون وحدهم دون سائر الأمم . يظهر لى أن هذا التفرق للجهل المطبق . تعلمت تلك الأمم فالتحدت . وجهل أبناء العرب ففترقوا . نعم نشروا الدين وانتشروا في الأرض وليس يجمعهم بعد هذا التشتت إلا دراسة جميع العلوم (وبعبارة أخرى) السبر على ناموس هذا التفسير والعمل بما فيه فبذلك يظهر فيهم النافون وينشر التاريخ ملخصا والوقائع والأحوال الماضية فتزول الجهالة وينشر النور ويم . ومن الوحدة في نظام الأمة استخراج ما كمن في الأفراد من القوى ولللكات ومافى الأرض من لطيرات معادن وزراعة وغيرها . ومن ذلك حفظ أرباب الصناعات في البلاد بالمحافظة على ما صنعت بحيث يروج في بلادهم . وهذه قاعدة مطردة في الأمم جميعها ولكن البلاد لم تستقل استقلالاً تاما كصر وشمال أفريقيا وأمثالها . فكل هذه أبوابها مفتحات بلا حجاب قبضاعة الأجانب هي التي تروج عندهم فيضع صناعاتهم وتجارتهم فتقل الوحدة ويضع الشعب وتذهب ريعهم . ولقد أخذ قواد الشعوب للهزيمة يدعون إلى ذلك كما تقدم في آتو (آل عمران) من النداء الذى نشره (غاندى) بالهند لقومه فلبوه وقللوا من شراء بضاعة الأجانب . كل ذلك تكميل للوحدة ومن هذا القليل ما كتبت في هذه الايام في مجلة (النهضة النسائية) بمصر وذلك لتقوية الوحدة في الأمة وهذا نصه في عدد مايو سنة ١٩٢٨

(خطاب مفتوح)

(الى جماعة نهضة السيدات)

أيها السيدات الفضليات . اطلعت اليوم على الرسالة التي تصدر باسمكن بقرير مديرتها فأعجبت بهلوايم الله أيما إعجاب ورائقي أسلوبها . وأدهشني المصطفيات من حكمها وغوالي دررها وجواهرها في حلالها وحللها وتجهت كل العجب من رقي علمي ومبحث فني ومطلب جدي وحكمة بالغة وآية ساحرة فحركت تلك المناظر ما كن في النفس من حب الأوطان وما غامرها من غرام برقيها وغرام ثابت في الوجدان

وحرك وجددي بعد ما كن نائما • يراد الضحي مشفوقة بالترم

فلو قبل مبكها بكيت صباة • يسعدى شفت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبل فبهج لي البكا • بكها قتلت الفضل للتعتم

أيها السيدات الفضليات . إن الله خلق الانسان (صنفين) ذكر وأُنثى وليس يقوم شأن أحدهما إلا بمساعدة الآخر كما وضع أن الله خلق للانسان يدين تساعد احدهما الأخرى وهكذا العيان والأذنان هكذا أبرز هذين الصنفين في نوع الانسان ليشارك في نظام الأسرات وحفظ الأبناء والبنات فلم لا يشتركن في رقي البلاد وانهاضها

أيها السيدات الفضليات . لقد علمت نأ الحوادث العراية فالنهضة المصطفوية الوطنية فالجمعية الوفدية فما بالككن لم تقاسمن الرجال في حفظ البلاد . نحن لانطلب منككن واحدة تمثل (جان دارك) في فرنسا فتتقن صفوف الرجال للقتال وجهاد الأعداء فنحن لسنا في حرب الميدان ولا نطلب منككن أن تظعن ما فعلته السيدات الهنديات اللاتي قفون أثر الزعيم الهندي الكبير الاستاذ (غاندي) من مقاطعة المنسوجات الاجنبية إذ قال كما جاء في مجلة (الجامعة الهندية) ما يأتي

(إن مقاطعة المنسوجات الأجنبية من الانتقام ولكنه لا مفر منه لأنه لازم للوطنية لزوم النفس للحياة إذ بدونه لا يكون استقلال وإن جاء لا يؤمن عليه . إن أنواع المنسوجات الأجنبية يجلب العبودية الاجنبية والفقر المدقع وما هو أقبح من هذا وهو العار على كثير من الأسرات ولاشئ يستطيع صد الوطنى عن القيام بوظيفته ولو كان قوة الحكومة)

هذا بعض كلامه الذى اتبعه الرجال والنساء في الهند . وانما لم أطلب ذلك منككن لأن معرفتها جاليات كثيرة لمن بها صلاة حسنة بخلاف الهند ففيها واحدة . انما أطلب منككن ما فعله فضليات النساء في تركيا فقد جاء في الاهرام بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٢٨ م ما نصه

الاستاذة في ٢٠ مارس سنة ١٩٢٨ (تألفت جمعية من السيدات المسلمات من الأسر الوجيبة لمقاومة التبرج (التواليت) بين النساء المسلمات لأن ذلك لا مبرر له وهو من يراعى الفقر في الأمة)

هذه هي الجمعية التي ألفت من الأسر الوجيبة . أيها السيدات المصريات أنتم أحق بذلك من السيدات التركيات . إن تركيا مستقلة استقلالاً تاماً ولكن الرجال هناك لما علموا أن انكباب النساء على المنسوجات الأجنبية يورث الفقر والفقر يتبعه ضياع البلاد . استعانوا بالنساء لحفظ المال والأخلاق وخص النساء بالطبقة الراقية لأن غيرهن يسخر الشعب منهن إذا وعظن بالاعتقاد وعدم الاسراف فينصب ذلك لفقرهن وقلة ذات يدهن . لحيا كن الله أيها السيدات الفضليات المصريات . فإذا كانت تركيا التام استقلالها قد أعوزها مساعدة السيدات فما بالككن بمصر الأسفة الباكية التي لانصيرها ولا معين . فيا ليت شعري من من عريقات المجد ونبيلات الشرف منككن تلي هذا النداء . أقسم بالجوهرى قسماً حقاً لاحاتاً فيه ولا أنما أن التي تتقن

سيدات مصر في هذا لا يوازيها كثير من الرجال ولا يكون اشراق شمسه ومجد عملها وحسن صنيعها قاصرا على مصر بل يمتدّها الى كثير من بلدان الشرق ويقرن اسمها بأعظم الأسماء بعد الأنبياء وينالها من الثواب في الآخرة مجاه في حديث رسول الله ﷺ (من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة)

ناشدتكم الله أيها السيدات إلا ما حركتن وجدان النفوس وأثرن نائرة الشعور وقصدن سيدة رفيع رأس المصريين فالأم أيها السيدات التكوّص وحتم الجاوس . أفترضين أن تكون مصر معطلة أحد الشقيين أو فائدة إحدى العيين فيقلّ العدد وتضيع البلد ويذهب المال والولد . فبالت شعري من هذه السيدة التي ستطلع بعرا في سماء مصر فتحفظ أموالنا وتصون أعراضنا وتحلّ مشاكل الزواج عندنا ويكثر باتباعها نسلنا ويكون اسمها عطر المجالس وهي قدوة الأوانس ومن أضياعها تصطنع العرائس ومن خالفها منهق حرها الأهل والجيران وينها الشبان وأصبحت في خبر كان . إن هذه السيدة عين الله رجاها وهي شمس مصر والبلاد ضحاها . وقل أعمالوا فيرى الله مملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - انتهى

هذا ما كتبت ونشر في التاريخ المذكور . وما هذا وأمثاله إلا للشي في وحدة الأمة ونشرها في هذا التفسير أتم ليعلم المسلمون في أقطار الأرض أن وحدة الشعب في تجارته وجميع أعماله بما رقبه ويجعله أهلا للاستقلال والا فلماذا يقول الله عز وجل في آية أخرى - وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب - نحن كننا نعلم أن الله إله واحد . إذن ما هو التذكّر الذي يتذكره أولوا الألباب . ومعلوم أن أولى الألباب هم أرباب العقول الصافية الزاكية لأنهم أشبه باللب وغيره م كالقشر . فما هي الذكري . الذكري أشبه بما قلناه هنا . إن أبناء العرب نشروا الاسلام ولكن هم الآن لم يتذكروا به علم الوحدة في النظام الذي ذكرهم الله به وذلك قلة المفكرين في أبناء العرب وقلة المفكرين لعدم انتشار التعليم . ومنى انتشار التعليم أدركوا أن كل أمة من الأمم كالصين واليابان والفرنسيين قد اتخذوا لهم وحدة جعلتهم . أما أمة العرب وأمة الترك فلم يجمعوا اجتماعا تاما . فالترك في الأناضول لم يتحدوا مع الترك في الصين ولا مع الترك في الروسيا فهذا معنى قوله - وليذكر أولوا الألباب - المذكورة في سورة ابراهيم فانه قال تعالى - ولينبذوا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب - فهذا من ذكري أولى الألباب . ألا فليذكر المسلمون ولينثروا التعليم في الرجال والنساء والجدد لله رب العالمين . انتهى

(تذكرة)

إن الانسان ينفس في اليوم وأنبيلة أفعالا لا تقل عن ٢٤ ألف نفس وأن الله مع كل نفس من أنفاس العبد شأنها فيه ومن أهم الشؤون الالهية في العبد الخواطر الواردة عليه . ولقد كنت ألفت هذا التفسير في مدة لا تزيد على سنتين وبعد ذلك كانت ترد على قلبي خواطر في بعض الآيات كآية الاسراء وكآية - تسبح له السموات السبع والأرض - الخ وهذه الخواطر كنت أكتبها بهيئة مقالات وألحقها بتفسير الآية وربما كان بين المقالة والأخرى سنتان فلما أردت طبع الكتاب وجدت المقالات المختلفة في الموضوع الواحد تتفق في بعض المعنى وتختلف في البعض الآخر فلم أقدر أن أستقي عن واحدة منها فتوائدها وعسى أن أوفق لحذف المعاني للمكررة في الطبعة الثانية ان شاء الله تعالى

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء التاسع من كتاب (الجواهر في تفسير القرآن الكريم)

وبله الجزء العاشر وأوله تفسير سورة مريم)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاننا سقط وأشيء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية . وهذا جدول عما عثرنا عليه

من ذلك

| صواب | خطأ | صفحة | سطر | صواب | خطأ | صفحة | سطر |
|-------------|------------|------|-----|-------------------|------------------|------|-----|
| البهائم | اليهائم | ٦٦ | ١٣ | الثانية | الثالثة | ٦ | ٥ |
| الصوفية حق | الصوفية | ٦٨ | ٥ | وعلموا | وهي أعماله | ٧ | ٢٣ |
| فانهم | فان | ٦٩ | ٣٥ | فتبلغ | وعالم | ١٥ | ٣٥ |
| من أن يتحكم | من أن | ٨٠ | ٥ | فالأول والأول | فتبلغ | ١٦ | ٨ |
| لو | إذا | ٨١ | ٧ | والآخر | فالأول والأول | ١٩ | ٣١ |
| وأدرتموها | وأدرتموها | ٨١ | ١٠ | نحس | الآخر | ٢٠ | ٣١ |
| كرر | وكرر | ٨٢ | ٣٢ | وانشاء | لم نحس | ٢٣ | ١٠ |
| كواكب | كوكب | ٨٦ | ١٩ | نواها | وانشاء | ٢٦ | ٨ |
| الحيز | الحيز | ٨٧ | ٢ | جوستاف | جوستاف | ٢٦ | ١١ |
| الجوامد | الجومد | ٨٧ | ١٠ | أما كون التفاوت | أما التفاوت | ٢٧ | ٢٤ |
| وضغطها | وخطها | ٨٨ | ٢٥ | التبليغ | التبليغ | ٢٦ | ٢٣ |
| لشاعره | الشاعر | ١٠٣ | ١٥ | زها | متى | ٣٦ | ٢٤ |
| جمعا | حزة | ١١٣ | ١٥ | ثلاث درجات | درجات ثلاث | ٣٨ | ٢٢ |
| قطرة | فعلوا | ١١٤ | ١٥ | والسنة | والثناء | ٣٨ | ٢٣ |
| معاشهم | احضارها | ١١٦ | ٢٣ | واشخص | والشخص | ٥٠ | ١٢ |
| الخبرين | لا الخبرين | ١١٧ | ٢ | ان الأمة الضالة | ان الأمة | ٥١ | ١٧ |
| العاصي | العاصي | ١١٧ | ٦ | ر. ٣٣ . انتهى من | ر. ٣٣ | ٥٣ | ٢٢ |
| الوزير | والوزير | ١١٧ | ١٥ | رحلة الأندلس | | | |
| وثناهم | وثناؤهم | ١١٧ | ٣٢ | وانما علة | وانما علة | ٥٥ | ١٢ |
| تليخا | شمليخا | ١٢٣ | ٣٠ | والشيخ | والتبسيع | ٥٥ | ٢٦ |
| فسأله | فسأله | ١٢٤ | ١٤ | عرفنا به | عرفنا | ٥٦ | ٩ |
| معادة | مفارقة | ١٢٤ | ٣٥ | عما | عن ما | ٥٦ | ١٩ |
| صهره | جهره | ١٣٤ | ٢٩ | كالشوق | كالتمحيد | ٥٩ | ٢٠ |
| مليون | مليون | ١٤٣ | ٣٢ | والتبسيع والتحميد | والتبسيع المشتمل | ٥٩ | ٢٣ |
| مليون | مليون | | | للمشتمل عليهما | | | |
| مليون | مليون | | | أولا | أولاد | ٦٢ | ١٧ |
| هناك | هنا | ١٤٤ | ٤ | مفروسات | مفروسين | ٦٤ | ٣١ |
| هم | وهم | ١٥٠ | ٣١ | نشر | لنشر | ٦٥ | ٢٢ |

| صواب | خطأ | سطر | حقيقة | صواب | خطأ | سطر | حقيقة |
|----------------|----------|-----|-------|--------------------|--------------------|-----|-------|
| غيرها | مغلطها | ٢ | ١٨٦ | تهادى | تهادى | ١٨ | ١٥٤ |
| نعرفهم | تعرفهم | ٢٨ | ١٨٦ | هو | هو | ٢٠ | ١٦٤ |
| أحدا | به أحدا | ٢ | ١٩٤ | واللأمة | واللأمة | ٣٥ | ١٦٥ |
| | لا | ١٤ | ١٩٤ | لاحق | لاحق | ١٠ | ١٦٦ |
| | الخيرى | ٤ | ١٩٥ | فذاك اللس | هو اللالس | ١٥ | ١٦٦ |
| | وكقصة ذى | ١٧ | ١٩٥ | واتى عشر حوفا | واتا عشر حوفا | ٢٢ | ١٧٨ |
| | للقرين | | | الأولى واتا عشر | فى الأولى واتا عشر | | |
| حوالى سنة ١٨٩٩ | سنة ١٨٩٨ | ١٢ | ١٩٨ | قال أبو الفتح محمد | قال أبو محمد الى | ٢ | ١٧٩ |
| السبت | السبت | ٧ | ١٩٩ | ابن عبد الكريم | قوله أبى عامر | | |
| فى | تكن | ٦ | ٢٠٢ | الشهرستائى | | | |
| راجعا | راجع | ٢٩ | ٢٠٤ | | | | |

(تم)

فهرست الجزء التاسع من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

مقدمة

٢ تقسيم سورة بني اسرائيل الى (قسمين • القسم الأول) فيه الاسراء وتاريخ بني اسرائيل لرقاء وانحطاطا وحكم تتبع ذلك الخ (والقسم الثاني) من قوله - قل كونوا حجارة أو حديدًا - الى آخر السورة ذكر آيات القرآن في القسم الأول مشكلة الى قوله - خلقا جديدًا -

٤ التفسير اللفظي لهذا القسم

٦ ذكر ما في هذا القسم من العلم وهو ستة أنواع ومن العمل وهو ٢٥ وبيان فصول القسم العلمي الستة

٨ كشف حجارة غائرة في أمريكا مناسبة قوله تعالى - وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح - الخ

٩ الكلام على القسم العلمي وتفصيل التهمة والعشرين نوعا منه

١٢ ذكر اثنتي عشرة لطيفة اجمالا • ثم بعد ذلك تفصيل هذه اللطائف (الطيفة الأولى) في قوله تعالى - سبحان الذي أسمى بعده ليلا -

١٣ حديث الاسراء وعروجه ﷺ الى السماء ومقابلة الأنبياء في السموات المختلفة وإيضاح هذا المقام

١٤ وصف سيرة المنتهى وامتحان أهل مكة ﷺ في لفت المسجد الأقصى ووصفه لهم كأنه حاضر أمامه

ووصفه عبرهم الخ وهل الاسراء في المنام أم في اليقظة • إيضاح هذا المقام وبيان أن للانسان جسما

أثيريا وسطا بين الروح والجسم حتى ان الميت يظن انه حي لأن جسمه كأجسام الأحياء وبهذا يجمع

بين من قال الاسراء بالروح ومن قال بالجسم

١٥ ما قصد من ذكر الاسراء لنا وانها ذكرت لتبجذ في الصفة لثرفي • وبيان ما اطلع عليه ﷺ من

رجل تنلغ رأسه فيهبى ورجل يشترش شدة الى قضاء وقوم امرأة في تنور ورجل ساج في بحر آخر كلهم

يلقم حجرا وهكذا وأن هذه الصور البرزخية للصلاة لم يقرر على الاتيان بمثلا الفيلسوف (قابس اليوناني)

مع سعة علمه فهذا الحديث من دلائل النبوة

١٧ (الطيفة الثانية) في قوله تعالى - وآتينا موسى الكتاب - الخ وفيه بيان أن الاسراء بشير الى الارتقاء

في عالم الانسانية والى أن الامة الاسلامية الحقيقية تسبق الأمم في علومها وانها تؤمها كلها بعد أن تستوعب

فضائلها • وإذا كان النبي ﷺ إماما للأنبياء فعنه أن من بعدنا سيكونون - خيرامة أخرجت للناس -

النبي مرت على الأنبياء في السماء نبيا بعد نبي • ومعنى هذا اننا نحن نستحوذ على علوم الأمم أي من بعدنا

لأننا نحن لم نفعل شيئا من ذلك • فإذا مرت على عيسى وموسى وإدريس الخ فعنى هذا أن ندرس نحن

علوم النصارى واليهود وقدماء المصريين • بهجة الاسراء في حديث فرض الله على أمي حسين صلاة الخ

لم فرضت ٥٠ صلاة • ثم لماذا جعلت خسا • وبيان أن مدة اليقظة نحو ١٧ ساعة و٥٠ صلاة تستغرقها

وأجوا الخمس لا يستغرق الخمسين إلا اذا كان المصل على صلاة الخ • ملخص الصلاة رابع (لأسمين)

عظمة الله والاتجاه اليه • فالأول كأول الفاتحة والتكبير والثاني كطلب الهداية والسلام على النبي ﷺ الخ

والتكبير يشرحه قول المصل - وجهت وجهي - الخ وهذا التوجه كتوجه الخليل • ومعنى هذا العلم

بالعوالم حولنا وبهذا تكون الصلوات الخمس كالتكبير • فقول المصل - وجهت وجهي - الخ معناه

معرفة العوالم وبهذا يكون دائما على صلواته فتوجه المسلم بعمق ما في السموات والأرض • إذن التكبير

والتسليم يشملان علوم أهل الأرض حولنا وهي العلوم الرياضية والطبيعية والالهية والسياسية بأقسامها فهل

يعلم المسلمون ذلك الآن وهل يعلمون ان أول الفاتحة علوم علمية كالتكبير وآخرها علوم عملية كالتسليم

والسلام على النبي ﷺ والصالحين الخ . إذن الصلاة رمز لتعميم التعليم ولتعميم السلام في الأرض . إذن الاسلام الى الآن لم يأخذ حظه في الأرض

٢٠ المعراج والعلوم . غسل صدره ﷺ بماء زمزم فلتعالج نحن قلوبنا بالعمل لنطهرها . وليقرأ المسلمون علوم قديما للمصريين وبقية الأمم وإيضاح ماقدّم . الاسراء والمعراج والحسن والجمال في الخلق وهو إيضاح لما قبله وتأكيده لحناء بصارة أوضح

٢٢ ذكر ما يناسب هذا المقام من كلام القرطبي منقولاً عن كتابين منها . هل يعلم المسلمون أن الصلاة لم تفرض إلا عند ظهور منتهى الجمال في السماء . إذن الصلاة لتوجيه النفوس لتلك الجبال الاسراء والمعراج والسيارات والقوى العاقلة

٢٤ إذا كان نبينا ﷺ أمّ الأنبياء فعنا أن أم أولئك الأنبياء بحرهم الاسلام من الأوهام وهذا قد حصل فعلا في الأرض . السيارات على (قديمين) جسمية وعقلية فسياحت ﷺ في الأرض والسماء الجسمية معها سياحة عقلية كما في حديث الاسراء . هكذا فلتكن سياحاتنا وحياتنا في هذه الأرض . المعراج بعد الصلاة بيت المقدس كابتداء سورة النجم بعد آخر الطور . ويبان أن أكثر الأمم الاسلامية لم تفقه . لم ذكر الاسراء لنا ففعلوا عن محائب الأرض والسماء وفهم دروسها مع ان الاسراء والمعراج يقصد منهما أن فخرس هذا العالم كله

٢٦ كيف يسرى المؤمنون ويعرجون ليصلوا الى اليقين ورأى (جوستاف لوبون) من أن العوالم الصلبة كالجمجمة أسرع حركة من العوالم السائلة مثلا . ويبان الخطوط السوداء في طيف الشمس وغيرها وأن ذلك عرّفنا أن تركيب الكواكب كتركيب العوالم الأرضية وأن الثورات في جويها حول بعضها كالبصارات في جويها حول شمسها . ذلك نوع عرجونا نحن بعد اسرائنا

٢٧ (الطبعة الثالثة) - وقضينا الى بني اسرائيل - وذكر أن بني اسرائيل بعد موسى استمروا ٤٠٠ سنة في حكم شيوخهم . ثم كان ملك داود وسليمان وما بعدهما ٦٠٠ سنة . ثم قتلهم فاختصر الى أصبهان ثم ردهم ملوك الفرس الى بيت المقدس بعد سبعين سنة ثم قتلهم اليونان على الفرس واليهود

٢٨ (الطبعة الرابعة) - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - وذكر أن اليهود استمرت مدتهم الى زمن عيسى ١٤٠٠ سنة ومواظمتهم بالمسلمين عزاء ولا ومدة وانهم أسسوا دولة البشقية فخلعهم في زماننا وقد مضى لديهم نحو ٣٤٠٠ سنة من أيام موسى فهل يقوم من أمة الاسلام علماء يجعلون الناس في أمان وسعادة . اليهود دلوا بعد ١٤٠٠ سنة من زول دينهم والمسلمون كذلك ولكن للمسلمين دول كثيرة بعد ذلك بخلاف اليهود . كل ذلك يفهم من قصة الاسراء

٢٩ (الطبعة الخامسة) - ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير - الخ هو ينادي في الشهوات على زعم انها خيرات والتي يهتد به هي العلوم والقرآن يهدي للتي هي أقوم وذلك بقراءة كتاب السموات والأرض وهو الكتاب المفتوح وذلك علوم الطبيعة كلها والفلك كله

٣٠ (الطبعة السادسة) - وجعلنا الليل والنهار آيتين - الى قوله - وكل شئ فصلناه تفصيلا -

أدوار السنين القمرية وحسابها اجبالا ونظم جسم الانسان مجالا

٣١ (الطبعة السابعة) - وكل انسان أزمانه طائر في عشقه - ويبان أن ذكر علم النفس بعد العوالم العلوية لأن في كل منهما نظاما يشبه نظام الآخر كسأفة خطوط الانجم في الحكومات الأرضية الآن . فالأعضاء مفصلة تفصيلا كتفصيل حساب السنين والشهور

٣٢ ذكر أن الانسان يحسّ بألم على الجهل . جوهره في قوله تعالى - اقرأ كتابك - الخ وبيان اختلاف الحركات بطؤا وسرعة من السلحفاة الى الريح الى البرق والنور . وهكذا بيان الكثافة واللطافة فالهواء ألطف من الهواء خمس مرات والبخار ألطف من الماء ١٧٢٨ وذكر ما جاء في كلام اللورد (أوليفر لودج) في كتاب الأثير والحقيقة من أن النور لا بد من حامله وهو يوافق (اخوان الصفاة) وبينهما ١١٠٠ سنة وهكذا موافقته لابن سينا في ذلك . وبيان ما ذكره ابن سينا وأنه يقول بارتقاء العوالم من الكثيف الى اللطيف وأن صور العلوم في العقول أدم من صور الكتابة في الأحجار وعقولنا إنما هي أثمن آثار العقل الفضل . فقولنا بالنسبة له كالعين بالنسبة لضوء الشمس كلاهما لا يترك إلا بأمداد ماهون من جنسه .

٣٥ الزبرجدة الثانية في ذكر ما قاله الصلابة (أوليفر لودج) الموافق لآراء ابن سينا يقول هكذا (١) مادة (٢) (٣) عاقل (٤) أثير (٥) العلاقة بين الأثير وغيره (٦) تأثير العقل في المادة وبيان السبب في اختلاف طريق التفكير للقدماء والمحدثين باختلاف النظر وسير العلوم مع اتحاد الغاية

٣٦ تأثير ما لا من العقل والحياة فيآراء من المادة . الأثير يحمل أخبارنا بالبريد البرق وجسمنا الأثيري الباقي بعد الموت يحمل علومنا وجميع أخلاقنا

٣٧ الزبرجدة الثالثة في مساق هذه الآية ومناسبتها للعلم الحديث وأن هذه من محابب القرآن . ذكر النور في أمر الشمس وهو توجع في الأثير وأنبه بما هو ألطف وهو كتاب أعمالنا التي هو أقرب الى عالم الأثير في اللطف . تلخيص آراء ابن سينا المتقدمة وآراء (أوليفر لودج) ليفهمها العموم بسهولة تامة والموازنة بين الروح والأثير وأن للروح رحمة وحسدا وحياة وعقلا وجوارحها وبضئ ولا تأثير سحرية ومضاطبها وكهر باء ونورا ولكل آثار

٣٨ ذكر أن علماء الاسلام لما رأوا المسلمين كرهوا الفلسفة أدخلوها باسم التصوف مثل ابن عربي والغزالي اللذين قلا عبارة ابن سينا في أمر أن عذاب النفوس في الآخرة أشد بالأعراض في الدنيا . وبيان أن الأتلة التي كتبها هنا إقناعية لا يقينية كما صرح به سقراط في مثل هذا المقام . بيان براهين سقراط على بقاء النفس . وكيف كان مبدأ تفكير المؤلف وكيف استدلل ابن مسكويه عليها وهيئة المفكرين في هذا العصر

٤٠ ضد يتولد من ضد فالحياة بعد الموت والموت بعد الحياة وهكذا وأيضا العلم يذكر ما ينسبناه . إذن حياتنا هذه مسبوقة بحياة عند سقراط لا نرى ماهي . النفس غير مركبة ولا يلتحق بالعالم الأعلى عند (سقراط) إلا من ترك الدنيا وهو على غاية التقاوة والصفاء

٤١ كيف كان مبدأ تفكير المؤلف في أمر الروح . كنت واقفا في الحقل فاعتراني دوار نصف معنى فلما أقفت قلت اذا كان الدورل أزال إدراكك فكيف بالموت . إذن لاحتيا بعد الموت وكيف أرائني في المنام انسان هيئة الروح في الحق وكيف اتى في يوم تلك الليلة عثرت على براهين ابن مسكويه ولم أكن أعلم شيأ قبل ذلك في مثل هذا . مشاهدات لعلماء الأرواح مثل (عسمانويل) وقوله ان الحواس بعد الموت أقوى من حواسنا الآن بما لا حد له وأنه رأى أرواما أنكرت الرشوة في القضاء فأحضرت من نفس ذاكرتهم لا غير فهمي كتاب حسابهم كالأية تماما وهكذا الختام والذي حرم أفكاره من الارث . وكيف حضرت الكتب والأوراق وكل شيء فصل تفصيلا وهذا مجزأة للقرآن في زماننا فهو عين قوله - اقرأ كتابك كني بنفسك اليوم عليك حسيبا - فالقرآن الآن صار كل شاهد

٤٤ بيان تسلط الشيطان على القلب بالسواس ومعنى الوسوسة من كلام الغزالي . وأن وسوسة الشيطان

المذكورة في الاحياء هي التي جاءت بينها في علم الأرواح في كتاب (السماء وجهنم) وهذا من أجب
مجهزات القرآن . موازنة بين كتب (السماء وجهنم) وآراء الشيخ السباغ في أن كلا منهما يقول
إن أهل جهنم يندفعون الى العذاب اندفاعا مثل اندفاعهم للشهوات في الدنيا . إذن أهل النار يعيشون
كما يعيش الناب على القاذورات وإن أهل النار في كهوف ومغارات الخ . فهذان الرأيان اتفقا في أمر
العذاب وأمر الكهوف والمغارات وأحدهما لا يعرف الآخر وكلاهما يقول إنه شاهد ذلك وهذا مسجى
وهذا مسلم ويظهر من هذا أن الناس في البرزخ بعد الموت في طبقات في الجوار التي بين الشمس والأرض
والسيارات الآن فأما القيامة ففي عوالم أخرى . وبيان أن المادة لا تنشل من الفراغ إلا جزأ ضئيلا
جدا وعلنا أنه أشبه بالخلاء

٤٧ ذكر ملجاء في غلظة الأرواح للأحياء في أمريكا وأن الروح تقول نحن في عمل دائما وهناك قليل من
الموسيقى وتنكر الروح غفران المسلمين وأن الانسان هو هو الذي يلزم بأن يظهر نفسه لا المسبح .
وبيان أن هذا هو نفس التعذيب وأن الكسالى من المسلمين سيكونون كذلك

٤٨ وصف الروح لله . تأكيد روح (خريستى) للحاضرين أن تعلم المسلمين بالقرآن بسبب الإيمان
أكذوبة . اتفق عمانوئيل في مشاهدته لعالم الأرواح والشيخ السباغ في مشاهدته أيضا أن عالم أهل
النار هي علوم السحر . وبيان أن اخواتهم مجهولة لسائر الناس فلا يفتن أحد بصل (أودين) فانا
لاندرى ماذا يكون لنا عند الموت . وذكر ما يوازن ما تقدم من كلام علماء الاسلام

٥٠ (الطبقة الثامنة) - ولا تزر وازرة وزر أخرى - الى قوله - بصبرا - وبيان أن الذنوب خاصة وعامة
فالخاصة أشار لها بقوله - ولا تزر وازرة - الخ والعامة هي التي تنتقل بالصوى فهلك الأم كما حصل في
دول الاسلام بالأندلس والشرق فقد استعان العباسيون بالفرس والأمويون في الأندلس استعانوا
بماليك من الصقالبة فزال التخوة منهم فنلوا لهم

٥٢ محاربة ملوك الطوائف بالأندلس بعضهم بعضا . دفعهم الجزية الى (الاذيفونش) . استغاثة ابن عباد
يوسفين تاشفين لحرب (الاذيفونش) في واقعة الزلاقة . رجوع ابن تاشفين للأندلس لتأديب الأمراء
على ظلمهم للرعايا . استغاثة الأمراء بالافرنج من أن ابن تاشفين حبسهم وأسروهم

٥٣ تخاذل أمراء الأندلس واستغاثة كل واحد منهم بملوك الأسبان ثم نهاب دولهم سنة ١٤٩٢ من بلاد
الأندلس . كل ذلك سر قوله تعالى - وإذا أردنا أن نهلك قرية - الخ

الكلام على قوله تعالى - من كان يريد العاجلة - الخ
٥٤ (الطبقة العاشرة) - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه - وأحاديث في الحضر على بر الوالدين

(الطبقة الثانية عشرة) - وإن من شيء إلا يسبح بحمده -

كتاب (الاسفار) للشيرازي أبان أن العالم كله حي

٥٥ كيف يعطى لك تسبيح السموات والأرض ومن فيهن . ذلك أن تخلو وتنتظريلا وتجب من هذا الوجود
جوهره لتذكره - إلى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - وبيان أن ألوان
الحيوان للتقدمة في سورة هود ناطقات معنويا بالتسبيح فهي تسبيح وتحمد فدفع الضرر للأول
والمنفعة للثاني . موازنة بين تسبيح اللسان وحده وبين تسبيح المخلوقات

٥٧ معنى قوله تعالى - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - . تسبيح المملوك للصلاة وغيرها وحده وشرح ذلك

٥٨ التسبيح والتحميد وظواهر الصلوات وقصص الأولين في الكتب السماوية أشبه بأعجاز نمارها الحكمة

الجسم الانساني يحتاج لطعام وشراب ونفس داخل وخارج لاصلاح الجسم وله وظيفة أخرى هي الكلام وكلام الناس معبر عن صور الوجود التي في الفهن فصور الوجود للصورة في القول لانسداد محصر عتدا تبع المتصورين المتكلمين وكل ذلك تعبير عن صورة واحدة وهي هذا الوجود

٥٩ للتسبيح آثار في النفوس تحصل بسبب الصوت الذي يصحب التنفس . إن الشيق جلب النافع والرفير لاجراخ النار - الأول كالتحميد والثاني كالتسبيح واليه الاشارة بالحديث (يلهمون التسبيح الخ) فاذا كان لون الحية لونها وحياتها فهو تسبيح وتحميد معا كالتنفس زفيرا وشهقا وآثار التسبيح للجهلاء كآثار الضوء لهم به يهتدون ولكن لا يعرف سر التسبيح وسير الضوء إلا العلماء ومثل التسبيح قصص القرآن فالعامة يفرحون بظواهرها والمخلص يعلمها

٦٠ يقول الله للشئ كن فيكون في الخارج فلا وتطيق نحن باسم الشئ فيكون ذهننا لاخارجا جوهرية في قوله تعالى - تسبح له السموات السبع والأرض - الخ وضرب مثل للديانات بكتاب (كلبلة ودمنة) ظاهره للعامة وباطنه للخاصة وكلام الله كفضله فهو كشعره له ظل قوم وتغر لآخرين . هكذا لايتم التسبيح والتحميد إلا بقراءة جميع العلوم فيعرف الناس لم اختلفت الألوان فيها سيأتي في سورة - قد أفلح المؤمنون - ويرسون ماقتم في سورة الرعد من أمر نفث الأبحار . التسبيح والتحميد في القرآن لنز الوجود وفيها مسألة الخير والشر وأن المجوس تخلصوا باعتقاد الإلهين وعلماء اليونان وأوا أن الشر لا رتقاء النفس الانسانية كما في لنز قابس المعاصر لسقراط

٦٣ السبعون الحامدون في الاسلام وهم جهال أشبه بحال ذلك الذباب الذي دخل في الزهرة ليستنقذ فأنقحها فهو مسخر كتسخير ذلك الجاهل للمسيح ليسمعه قوم أعلم من هؤلاء فيقولون إن الله يخاطبنا بلغة العواطف من جوع وعطش واحساس بحرو ويرد أوجب الأغذية والملابس . فهذه اللغة للرحمة وإن كانت في ظواهرها ألما فهذا الألم تنزه الله فيه عن قصد الإيذاء فهو مسيح وهو محمود اذا فهمنا هذه العواطف . إذن الانسان كله اليوم جهول لأنهم جميعا جهول لغة العواطف فتعربوا وهم جاهلون فاذن يجب على الناس دراسة هذه الآلام والعواطف عاتمة وخاصة حتى يرتقي الانسان وهذا كله معنى التسبيح والتحميد فلاجل التسبيح ندرس العواطف ولأجل التحميد ندرس هذا الوجود والناس على الأرض جميعا أشقياء اجمالا لجهلهم بهذا المقام وهذا هو سر حديث (من رد الله به خيرا يفقهه في الدين) هذا هو الفقه للقصود في الحديث

٦٥ بهجة العلوم في قوله تعالى - تسبح له السموات السبع - من كلام الصوفية وبيان أن الأمم الاسلامية اليوم أكثرهم أتباع شيوخ الصوفية وأكثرهم ينهون عن العلم فأزل العلم لهم على لسان الشيخ الخواص وهو يقول للشيخ الشمراني ان الجاد حي كالحيوان ولم يزد الحيوان على الجاد إلا الشهوة . أما العقل فهو للعموم وقال كلاما لا تقبله عقولنا مثل ان البهائم عارة يربها أشد المعرفة وكلاما تقبله عقولنا وظهر في الكشف الحديث وهو تعاشق الأشجار والاتقاح ومثله في ذلك الشيخ الدباغ الذي يقول ان الجاد عاقل وانه سمع الأحجار تسبح . وهنا نذكر ما جاء في العلم الحديث أن كل جاد ثبت أنه متحرك وأن بعض العلماء من أوروبا يقولون هذه الحركة تدل على الحياة . فكأن العلم كشف ثلثي كلام هؤلاء الشيوخ وإضاح هذا المقام أيضا بنظرية العالم (هتسو) الذي جعل قطرة الماء ونحوها ترجع لقرارات من الضوء متحركة وهنا مقام التعجب أن يظهر بعض العلم الحديث على ألسنة شيوخ غير دارسين

٦٨ فائدة ظهور أمثال هذا على ألسنة الصالحين في زمن جهل المسلمين تثبت العقائد أولا وإقامة الحجة ثانيا

على الصوفيتي زماننا اذاهم قصروا في معرفة هذه العلوم . وأيضا هي فروض كفايات . وأيضا أن الفتوح التي يناله بعض الصوفية تندر ولا حكم للتأديرو بيان أنهم يخطئون في كشفهم كأخبار الشيخ الخواص بقيام الساعة سابقا ولم يتم

٦٩ بيان ما جاء في الحديث أن النيل والفرات من الجنة وأن جيع الأنهار من المطر والمطر يكون بسبب حرارة الشمس المثيرة للبخار فهذا سبب علوي ساجي . ثم بيان أن كثرة الملائكة الذين رأهم النبي ﷺ لها نظير عندنا من المخلوقات التي لانهاية لها في الأرض والهواء

٧٠ (القسم الثاني) من قوله تعالى - قل كونوا حجارة أو حديدا - الى آخر السورة مشكلا التفسير اللفظي لهذا القسم . تفسير قوله تعالى - وما منعنا أن نرسل بالآيات - الخ والشجرة الملعونة في القرآن

٧٥ تفسير - وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم - الى قوله - وإذ نأمنونك خيلا -

٧٧ تفسير - ولولا أن ابتناك لقد كنت - الى قوله - قل كل يعمل على شاكلته -

٧٩ تفسير - ويسألونك عن الروح - الى قوله - فأبى الظالمون إلا كفورا -

٨١ تفسير - قل لو أنتم تعلمون - الى قوله - خشوعا -

٨٣ تفسير - قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن - الى آخر السورة

٨٤ الخطاب المفتوح من الله للمسلمين وأن الله يقول للمسلمين أنالأنتم فإذا أنتم وكلمتم فلا تفركم أنكم تابعون أشرف الأديان . لانسب بيني وبينكم . الكلام على معنى البحار الملعنة ومساحتها وأن عمق البحر قد يصل ٤٩٠٠ قامة . نظرتي في السماء ليلة الجمعة ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٧ وتأملت جلالها وحسنها فحجبت اننا لم نعرف هذه الكواكب التي هي شمس عظيمة إلا على قدر ما نعرف في أرضنا ففسمها جلا ونورا وسنبلة . كل ذلك على مقدار عقولنا وهكذا رسمت في عيوننا صورا صغيرة لأن الله متكبر ومتعال ولا يعطينا من العلم إلا على مقدار عقولنا وطاقتنا إذ نسبة ادراكنا لهذه الكواكب الى حقائقها كنسبة علمنا الى أصل الحقائق في كل شئ . هذا معنى - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - فهذه هي القلة قد ظهرت ظهورا واضحا

٨٦ - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - أيضا . اعلم أننا كلما زدنا علما زدنا وثوقا بقله علمنا فهذه المادة إما جوامد وإما سوائل وإما غازات وهذه أمرها سهل يمكن فهمها للأطفال ولكن عند البحث نرى للمادة ثمان صفات عامة كالامتداد وعدم التدخل والتجزئ . وهكذا هناك صفات خاصة مثل الصلابة والمرونة والقساوة وقوة الجذب وقوة التماسك وهكذا مثل الضوء ونواميسه والحرارة والظواهر الجوية وأشكال الماء والكهربائية والمغناطيسية . فهذه مداخل العلوم التي تدرس في الشرق والغرب وأصل ذلك كله كلمة واحدة وهي المادة ثم تفرعت والفروع تفرعت ولانهاية للفروع فعلم الضوء نفسه أو علم الكهرباء وغيرها بمجور لاسواحل لها وكما زدنا بها علما زدنا قلة بجهلنا والذي ذكرته لا يأخذ بلبك فانظر لمسام الجسم ان اللسع في داخل الحديد والنحاس أشبه بالاتساع بين السماء والأرض فلم يكن كأعين القربال ولا كالبعد بين بلدين بل المادة فيها فضاء عظيم وإن كنا نراها مصمتة ولو أن حيوانا خلق بين ذرة من ذرات الحديد وأخرى لاحتاج الى منظار معظم حتى يتمكن أن يرى الذرة الأخرى ومن هذا المقام أن آلاف آلاف من الحيوان تعيش في قطرة ماء

٩٠ لغة طيارت الانجليز التي صرمت فوق رأسي وأنا أفسر هذه السورة وكيف فهمت منها ما يقصدون من انذار

بلادنا وإلى واتي رقي المسلمين بعد انتشار الأفكار النافسة قريبا . معنى - إن قرآن الفجر كان
شهودا - وآية - قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين - وآية - إقرأ كتابك - الخ
(فصل) في طرق استحضار الأرواح (الطريقة الأولى) طريقة المائدة ذات الأرجل الثلاثة ويكون
الخطاب بالإصطلاح على عدد الضربات الخ (الطريقة الثانية) طريقة الفنجال توضع الأيدي عليه
ويحرك إلى الحروف على محيط المائدة (الطريقة الثالثة) قطعة من الخشب مثثة الزوايا لها ثلاث قوائم
صغيرة يربطها قلم رصاص وهي تكتب رسائل مطوَّلة في العالم (الطريقة الرابعة) الكتابة باليد
بعد تحذيرها بحيث لا يعرف الكاتب ما تخط به (الطريقة الخامسة) أن يوضع القلم في علبة مخنومة
(الطريقة السادسة) أن تظهر الروح للحاضرين

حادثة (ديكنس) الذي مات سنة ١٨٧٠ وقام بإتمام روايته الغلام الجاهل (جيمس) وهو لاعل له
والانشاء وانظم يتنصير . حادثة أخرى للدكتور (سرياكس) الألباني فقد كتبت يده بعد ١٩
جلسة . والحادثة الثالثة (ويليام كروكسي) يقول ان الوسيلة (فوكس) تكتب يدها مقالة روحية
ويدها الأخرى مقالة أخرى وهي تكلم الحضور بأسانها

٩٤ الأرواح تكتب بلا أقلام . وضع البارون (جيلد نستويه) ورقا أبيض وقلم رصاص في علبة أظفها
فبعد مدة رأى حروفا سرية بل بعد ذلك رأى الحروف تكتب أمامه بلا كاتب . وأيضاً كان غلام
صغير يجادل الفلاسفة في كل علم وهو في حالة المعتادة لا يعرف شيئاً (المثال السادس) ابنة الحاكم
(لاورا) تكلم بلغات أجنبية لاتعرف هي منها شيئاً وهكذا

٩٥ روح تسمى (كاثي) تجلب بحلة بيضاء وتكلمت عن رحيلها القريب وقست قطعاً شتى من رداثها
وخارها ثم بوضع يدها على الحروق التأت ببقوة روحية . المؤلف يقول إنه رأى الذين يزعمون
انهم يخرجون الطغاريث في مصر كذايين . إن النقائص الأدبية هي أقوى جاذب للأرواح الشريرة
فليسع الإنسان الصلاح . مطابقات للشريعة الإسلامية

٩٧ فصل في آداب من يحضرون الأرواح مثل الصبر والهدوء والأيّزid العمل عن ٩٥ دقيقة وهكذا
٩٨ درجات الأرواح (ثلاث) سفلية . علوية . قية . فالسفلية نجسة أو طائشة أو متكبرة أو عقيمة .
والعلوية نجبة الخبر وتبعد عن الرذائل وهي سالحة أو حكيمة أو رفيعة جعلت بين الحكمة والفضيلة
والنقية هي فوق الجميع وفوائد عامة في ذلك

٩٩ تذكرة في مقارنة ما في هذا بالقرآن وكلام الامام الغزالي و(اخوان الصفا)

١٠٠ لم يكره الحيوان الموت . وذكر أن النفوس الكاملة اذا ماتت تشغل بتعليم النفوس النافسة

١٠١ ما كان المؤلف ليظن أن الحقائق تظهر جلية في هذا العصر . وبيان اشارة النبوة الى ماظهر في هذا
العصر من أسرار التليفون . جوهره في النفس وقواها . هل النفس والمادة ابتنان لأمر واحدة أم
إحداهما أصل والثانية فرع . لم كان لنا ألم وسرور مرتبطان بالمادة واعتراض على المؤلف أن نمو
العقل تبع نمو البدن والعكس بالعكس يجعل المادة أصلاً والعقل فرعاً وجواب المؤلف أن هذا العالم
لفرعي يجعل العلوم . وهنا يذكر الحواس الخمس الظاهرة والحواس الباطنة وتفرق الحواس الظاهرة
على خواص المادة ٣٤ من علم المتولات في الفلسفة وهذه الصور كلها تحفظ في النفس وتبقى ولكنها
في المادة تتغير . إذن النفس أصل والمادة فطاقها ضيق . وليس حبس الانسان في المادة إلا حبس
المسجون في السجن فليس بقاء المسجون في سجنه دليلاً على توقف حياته عليه

١٠٤ هنا (ثلاثة براهين) على أن الفكر أصل وهما (١) رجوع الغذاء فينا الى فكر (٢) ولاعمل لنا إلا بعد الفكر (٣) الانسان يسقط عن الحائط بالوهم . اللطائف تحكم الكائنات كالسكر بآء والبهار فلروح الطيف وأقوى . في جسم العنكبوت مصنع وكل نفس تعطي من العلم على مقدار حاجتها . فاذن كل شيء فيه غريزة صادقة تطلب ما يحتاجه . فهناك غريزة عامة لحب البقاء فهي إذن تدل على البقاء طبعاً بهذا البرهان . ذكر عالم سويسرى سقط من أعلى جبل فأخذ يفرس ما حصل للناس مثلها وألقاها محاضرة . يقول انه لما سقط ظهرت له أعماله الماضية كلها أسرع من البرق (جون لامونت) غرق في البحر فظهرت له جميع الحوادث الماضية

١٠٦ طيبة جرحت فرأت جميع حوادثها ثم استيقظت . ياقوته في الحياة بعد الموت وفيها ستة وجوه وهي (١) الفطرة الانسانية شاهدة بالبقاء كما قسم (٢) حب الناس الأخذ بيد الضعيف دال على أن العدل لا بد أن يأخذ مجراه (٣) لايقنع الانسان بكمال في الدنيا . إذن الكمال في عالم آخر (٤) أين غاية اللذات وغاية الآلام (٥) أظهر الكشف الحديث أن جميع سكان الأرض يؤمنون باليوم الآخر (٦) النوم ثم اليقظة يشبهان الموت والحياة . الرواقيون يحرسون على الأخلاق انبعا (سقراط) ويسمون الروح (الجزء الالهى) وعلماء الهند يحكمون النفس فتقوى أرواحهم

١١١ هنا (ثلاث حوادث) الحادثة الأولى (حادثة الفقير الألماني (ديبلر) لما قطع وريده بيده لحيوت ثم أحب الحياة فصمم بهمة على إيقاف الألم ثم غلب عن الحس ثم رأى انه على حافة قبرصنع له ورأى أن فيه قوة خارقة للعادة وسمع أن الفتاة (ترينيومان) البافارية تعثر بها أوقات تظهر على جسمها آثار الدم التي تتوهم انه ظهر على جسم المسيح بالتأثير الدينى فأعلن انه بفضل ذلك بارادته فنجح وبهذا ظهر أن الأمر كله يرجع لقوة النفس سواء أكلن بآثار الدين أم بهمة النفس وقوتها . وبهذا تمت الحادثتان

١١٢ (الحادثة الثالثة) حوادث روحية بمصر على يد (طهرا بك) إذ ظهر على المسرح ووضعوه في صندوق مدة ثم أخرجوه حياً ووضعوا سائير قوية تحته وقد كسروا حجراً عظيماً فوق جسمه وهول ما يأتى وكل ذلك بحضور العلماء والأطباء . ويقول ان هذه قوة الروح وكل امرئ يقدر أن يفعل ذلك

١١٥ الكلام على عجب الذنب وبقاؤه في الاسلام وقول علماء الهند انه محل العلم والتعجب من اتفاق الاسلام وعلم الهند في هذه النقطة . ويبان أن هذا المقام حل لمشكلة أثارها في نفسى شاب مرا كشى رأى جماعة لاصلاح عندهم يصنعون العجائب فهذا ظهر السر وان هذا لايدل على الكمال . فهذه القوى كانت في النفس والأنبياء وجوهها للكمال والكميان أخذوا يعثرونها هنا وهناك . وذكر رأى ابن سينا في ذلك وكلفك ذكر البعابين في ابن خلدون ويلحق بذلك التويم الغناطيسى وأن المتوهم (بالفتح) يؤمر بالقتل فيقتل

١١٧ عجائب (خسة أنواع) عجاب جسمى وعجاب خلقى وعجاب عقلى وعجاب علمى وعجاب دينى
١١٩ سورة الكهف وهي (عقبات الأول) في قصة أهل الكهف (الثاني) في قصة الخضر وموسى عليهما السلام (القسم الأول) من أول السورة الى قوله - وجعلنا لملكهم موعداً - مشكلاً تفسير بعض الألفاظ وذكر قصة أهل الكهف ملخصة وأن الملك (دقيانوس) كان يفتك بالانسارى ففرّ القتيبة الى الكهف وتلبوا الخ وكتب رجلان قصة القتيبة سرّاً في لوحين وجعلاهما في تابوت من نحاس ولما استيقظوا ذهب تلميذا ليشترى الطعام فعرف الناس الأمر وصدقوا أمر البعث الخ

١٢٥ بقية تفسير الآيات من قوله تعالى - فصر بنا على آذانهم - الى قوله - وكان امره فرطاً -

١٢٩ تفسير الآيات من قوله - وقل الحق من ربكم - الى قوله - فلم تغادر منهم أحداً -

١٣١ تفسير الآيات من قوله - وعرضوا على ربك صفاً - الى قوله - وجعلنا لملكهم موعداً - هذا القسم

خمس فصول ثم ذكر وجه اتصال السورة بما قبلها

١٣٣ ﴿الفريضة الأولى﴾ لقد كنت حاتراً في أمرى أيلم تعلنى بالجامع الأزهر إذ رأيت نظام التعليم في الأمم

الاسلامية غير منتظم وكنت أنظر جميع أنواع الزرع الخ وكنت أنظر في أمر المسلمين فلا أجدهم كما

كانوا في العصور الأولى الثلاثة وقد ابتدعوا طرقاً كما ابتدع النصارى الرهبنة - فراعوها حتى راعاها -

كذلك هؤلاء لم يراعوها وأصبح كثير من رجال الطرق أتباع للالوك والمختلين للبلاد - كثير منهم

تنصروا - وقد ذكر الفرنسيون في جرائمهم قبل احتلال مرا كش أن المدار في الاحتلال على ارضاء

آل البيت المالكيين للبلاد ورجال الطرق وبذلك تم هذا كله فاصدروا من نواهم وأحبوا من واقعهم

ولقد علم الله انحراف كثير من أولئك الشيوخ فألهم طائفة منهم أن يكلموا الناس بأن هناك خطأ

كثيراً في طرقهم كما ظهر الدين الاسلامى على يد أمى ليظهر خطأ الديانات والذي ظهر لنا أن الشيخ الصباغ

الذى لم يعلم قال ان أهل العصور الثلاثة الأولى كانوا لا يصرفون وقتاً في تطهير نفوس التلاميذ ومن

يصددهم صرفوا وقتاً في ذلك . وفي هذا الزمان صار تلقين الأسماء بنية فاسدة . وقد يضاف الى ذلك

عزائم فلا بد من الرجوع للكتاب والسنة . قال وهذا احتياط والا فالبركة باقية . ثم أبان أن طريق

الشكر أفضل من طريق المجاهدة التي يراد بها الكشف الذي هو حظ النفس وأقنى الشيخ الخواص

الذى لم يعلم أيضاً أن العبارة للمثولة عن رقيباً أحمد بن حنبل لله محرفة وكيف يتقرب الناس لله بجعل

كلامه . وأبان أن السوق أفضل من المجدوب وأنه ليس للعبد أن يتخذ واسطة بينه وبين ربه والأبناء

واسطة في التشريع والعبد يخاطب ربه مباشرة . ويقول الشيخ الصباغ ان الناس اظهروا عن ربههم

وذكروا الصالحين بدله لظلام قلوبهم وتصدقوا لهم لاله . وبيان أن هذه الآراء نعمة أنعم بها الله

وأظهرها في هذا التفسير ليظهر الحق من الباطل الذى كثرت في زماننا

١٣٩ فهذه فوائد ست لم يكن ليخطر ببال أكثر المتعلمين في الاسلام أنها دين الاسلام . وذكر أن علماء

الألمان يعرفون طرق الصوفية وتاريخهم ويجهلون كيف لا يدرس هذا العلم في الأزهر

١٤٠ ﴿الفريضة الثانية﴾ - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - وهنا ﴿ست فصول﴾ بحجاب الماء، وغرابه

وأن هناك ﴿أمرين عجيبين﴾ من بحجاب الماء ﴿أحدهما﴾ الينابيع الحارة في أرض الحجاز الصفراء

في أمريكا الشمالية

١٤١ وهذه صورتها بالتصوير الشمسى (شكل ١)

١٤٢ ﴿وثانيتها﴾ أجواف الجليد المتحركات من أعلى الجبال الى الأودية وستأتى صورتها في سورة النور .

ثم ان الينابيع الحارة منها ما ينبع وسط التلوج رسم (شكل ٢) بالتصوير الشمسى . فهذان عجبان بلرد

ينزل وسط الحرارة من أعلى وحار فينزل وسط الثلج من الأرض

١٤٣ الصنف الثاني في بحجاب الجبال في الحيوان . وبيان أن الناس لا يزالون أطفالاً في معرفة أسرار الجبال

كما قاله (وليم اكرويد) الذى ابتدأ مقاله بذكر الأضواء السبعة للشمس . وأن الألوان ما هي إلا ضوء

الشمس لا غير كما ان علماء الطبيعة يقولون إن المادّة ما هي إلا نور متجمّد . فالمادّة نور واللون نور

فرجع الأمر كله لقوة لا غير . ويقول ليست دراسة الألوان في الحيوان سهلة فلندرس البسائط فالمركات

فاللون أسود فأحمر فأخضر فبقرتالي فأصفر وهكذا إلى الأبيض فالأسود أكثر حرارة وقتل بالتسريع إلى الأبيض وظهر السجلب أبيض وصدره وبطنه أحمران على القاعدة المذكورة من شدة التعرض للشمس وعنده . وما يدل على أن هذا العلم لا يزال في المهد طفلا أن (غر البنغال) بالهند متناسب مع الأجزاء من الجانبين تناسباً هندسياً ومثله جدار الجنة

(شكل ٣) فهذه الجبال لا يعرف سببه من حيث شدة التعرض للشمس وقلته إذ الألوان المختلفة معا في مكان واحد

٩٤ من الخليل السر تكون ذبوا لها سوداء

١٤٦ المضاجح الهندسية الجبلية في حشرة أبي دقيق الطاووسية (شكل ٤) ثم ذكر أن ظهر الطيور وبطنها كالنقى تقدم في ذوات الأربع و يظهر في الطيور المائية أتم . فكل هذا على قاعدة واحدة تبع الشمس قربا وبعدا . فأما الزينة المذكورة فهي على غير هذا القانون مجعولة وهذا معنى التأكد في قوله - إنا جعلنا - بأن وبالجهة الاسمية ومن بدع الجبال الذي يدعش اللب في تفسير الآية وتأكد الجبلية (شكل ٥) وفيه الفراشة السفلى في قروشها هواء يعكس النور والفراشة العليا مادة ماونة فالتأكد هنا في الجبلية نظير ما في قول الشاعر * إن بني عمك فيهم رماح *

١٤٨ (الفصل الثاني) في قوله تعالى - وجعلناها رجوما للشياطين - إن الجبال لنوى العقول ليتذكروا به . فأما غيرهم فهو لهم فتنه يستقيم عن العلوم فالجبال عند الجهال داع للشهوات وعند العلماء داع للرقى العلمي والجهال كلما أرادوا الصعود أقصدهم الجبال الذي رفع الحكماء - (إن الدنيا خضرة حولة) الحديث . بيان - قل من حرم زينة الله - وإن من تلك الزينة ما عثر عليه في مقابر قدماء المصريين مثل (توت عنخ آمون) ومثل ما عثر عليه في آثار الآشوريين والكلدانيين والهيلانيين قبل (توت عنخ آمون) بنحو ١٧ قرنا من القلائد الذهبية قبل خسة آلاف سنة مسنة على هيئة أوراق الذهب ومن تماثيل كانت مباحة لهم كتمثال قرد ذهبي نحو ثلث قيراط دقيق الصنع جدًا

١٥٠ بيان أن هذه الحلى مباحة للباسين واجب صنعها على الصانعين متى كانت مباحة لنفهم معنى قوله - لبسواهم أيهم أحسن عملا - وقول الله - وزيناها للنظرين - يدل على أن هذه الزينة في العالم لم تخلق إلا لهم لا للباسين الذين لا يعقلون إلا زينة أنفسهم الخاصة

١٥١ (الفصل السادس) - أم حسب أن أصحاب الكهف - الخ يدل على أن هذه الزينة ليست مقصودة لذاتها فهي أشبه بما يكتبه الكتاتيون في الألواح ليقرأ ثم يزال . شمس عقد الزينة في بهجة الجبال ليس الجبال ما يفهمه ذكران الحيوان من الاناث بالعكس . كلا . أصار للجملاء كأبصار الخفافيش ترى في الظلام و بصائر الحكماء كأبصار سائر الحيوان نهارا . عقول الناس بالنسبة للجمال كالأرض والعلم كالماء فالعلم يحكي العقول فتعرف الجبال

١٥٢ حصر أهم الطرق التي بها تثار العقول لادراك الجبال وفهم الزينة (١) خولق العادات (٢) ظهور الغرائب على ألسنة الصالحين (٣) الخيال (٤) الجذب والنصب بالدراسة وبالسيرة في الأرض كتاب (الابريز) وضايع الشيخ السباغ . وكتاب (در الفواص) وضايع الشيخ الخواص . فيه . في الأول أن حلف الناس بالصالحين والتوسل بهم بسبب الاقطاع عن الله بمخالفات كالترقب للظالمين والظوف منهم وعدم النصيحة الخ . كل هذا أوجب بعد القلوب عن ربها . وفي الثاني أن عباد الأوثان أحسن حالا ممن يقرؤن الأوراد لأجل النصر والحياة والرزق وهكذا وأن الشيخ يلقن ألف تلميذ كرا

فلا ينتج له مرید واحد وهذه الكتب ظهرت ولم تؤثر في الأمم الاسلامية
 (الطريق الثالث) غرائب العلم من الخيال مثل الاستعارات النبيلية وجميع الكتابات وما أنشئه علم
 البيان وفوق ذلك أمثال كتاب (كلمة ودعة) و (ألف ليلة وليلة) والغرائب التي فيها . فن
 الثاني قصة مدينة النحاس وهي خرافة تزهد في الدنيا وذلك أن موسى بن نصير ومعه الشيخ عبدالصمد
 قد ظهر لهما جنى أخبرهما أنه محبوب من أليم نبي الله سليمان إلى أليم عبد الملك بن مروان وانهما
 دخلا مدينة النحاس ورأيا حليا وهجائب وعمايل وقتاة كأنها حية وعليها حلل لانظير لها فقرب منها
 رجل منهم فقتله سيفان مصنوعان بالحكمة يقتلان من يقترب منها وقد رأيا قصة على لوح (أن ترمز
 من ذرية الصالحة قد حبس للطير عن ملكته سبع سنين فأت القوم جميعا . كل ذلك خرافة يراد بها
 الزهد في الدنيا

١٥٥ (القصة الثانية) قصة أبي قير وأبي صير وهما صباغ وحلاق والأول مخاضع والثاني صادق وقد أحسن
 الثاني إلى الأول ولكن الأول ضربه وأذاه ثم وثى به عند الملك وظهر الحق بعد ذلك فقتل الصباغ
 وأحسن للحلاق . وملخص هذه الخرافة أن الأمين مقبول والخاص عاقبة الخسران

١٥٦ (الطريق الخامس) السير في الأرض وبذلك السير يرى الانسان الضوء الشمال

١٥٧ (شكل ٦) وهو في حقيقته ملون بالحمرة والخضرة والصفرة الخ

١٥٨ وهناك عجائب ترى عند عرض ٨٢ درجة شمالا وهناك ترى قبل بلعة مشرقة عملة بلون الحمرة والصفرة
 المشرقين وهناك شفق جنوبي أيضا . وترى في الشمال مناظر سحرية في جبال الثلج العائمة على الماء في
 الظلام وهي مهلكة وساحرة كأنها قصور مزخرفة عملة بأنواع الخ

(شكل ٧) و (شكل ٨) وهما صورة الشفق التي شوهدت عند (أورلين) سنة ١٨٧٤

١٥٩ صورتان (٩) و (١٠) للشفق الشمالى التي شوهدت عند (الاسكا) وعند (بريطونوت)

١٦٠ الكلام على الفصل الأول في قصة أصحاب الكهف وأن هذه جئت في القرآن لغرابتها وإن كان النوم
 معروفا . ولقد كان قدماء المصريين عند ظهور عجل لهم جديد يتخفونه إليها يضربون ألف آلة
 موسيقية . ذلك لأن الغرابية عند الانسان مناط اتياده وقصة أهل الكهف نظيرها الحشرات والحيات
 تنام شتاء وتنبسط في الربيع ولكن الغرابية هنا لها الأثر الكافي الاقناع

١٦١ أصحاب الكهف ومقرحات أهل مكة

الكلام في خوارق العادات وفي الكرامات والأولياء . وقد يظهر من التاكرين أنباع الشيوخ علوم
 صادقة عالية كما يظهر في التنويم للغناطيسى

١٦٢ آثار ذلك في الاسلام وما يجب أن يكون فإذا ظهرت كلمة على يد رجل مستغرق في الله فانه يجب
 عليه أن يزيد تواضعا لأن هذا ليس مقصود الاسلام بل مقصوده ارتقاء العقول ولا فرق بين هذا الذي
 ظن نفسه وليا وهو مقتر وبين صاحب الجنتين للذ كورتين في سورة الكهف

الصوفية ودول أوروبا الذين اتخذوهم آله يحاربون بها المسلمين

١٦٣ واجب المسلمين في المستقبل أن يدرسوا العجائب الخيالية للفسار والعلوم الحققة للكبار

حساب السنين الكيكية والبسيطة وأن كل مائة سنة شمسية تكون ٣٠٩ قرية وأن ذلك من أعجب
 أسرار الآلة بل هو معجزة وفرق بين قصة أهل الكهف التي هي خوارق وبين الحساب المنظم التي
 قال الله فيه - عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا - فلا أول لتعلم الناشئين والثاني لتعليم

الكبار وهذا حجب عجاب أن تكون الخوارج مبدأ والحساب والعلوم الأخرى نهاية وهذا هو النظام في جميع العالم الآن

(الفصل الثالث) في قوله تعالى - ولاتطلع من أعفنا قلبه عن ذكرنا -

(الفصل الرابع) في مسألة الجنين وأن أحد الآخرين اغتر بها . وأن الناس ماضرهم إلا دليلان يرجعان للسفطة (١) انى أعطيت هذا المال أو العلم للاستحقاق (٢) وانى إذا أنعم الله على في الدنيا فهكذا ينعم على في الآخرة

١٦٥ (الفصل الخامس) - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا -

الكلام على قوله تعالى - ويلبسون ثيابا خضرا - الخ وبيان أن أكل المطعوم وهو الصل من حشرة وأنهم لللبوس من دودة وأعلى الخلى ما كان جوهر من الصدف وأن ذلك كله ورد أنه في الجنة وبيان أن ظاهره للعامة . فأما الخاصة فانهم يقولون في الجنة (ملاعين رأت الخ) وهذه أها الناس إذن يلعبون للكناية والرمز ويستشهدون بالحديث والآيات الأخرى ويقولون ان الخواص ينعمون حسا ومعنى بالعلوم وإدراك الحقائق وبهذا وحده سيرون ربهم وأينما أهل جهنم كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها الخ فغير ما زاره في الدنيا فان الناس كلما حصلوا لذة ازداد طلبهم لغيرها وهذا كقوله تعالى في سورة الكهف - وان يستغيثوا يغاثوا بماء - الخ

١٦٧ جوهرة في قوله تعالى - واضرب لهم مثلا رجلين - الخ وذكر مثل يوضع ذلك من التاريخ إذ فتح المسلمون فارس والروم وأتوا إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص واستولوا على (بليس) ثم على حسن (بابليون) وهناك حصلت مكائبات بينهم وبين (المقوقس) عصف . وهما يجبر الانعاط بكلام عبادة ابن الصامت أمام المقوقس وقوله نحن يكفينا أقل الطعام والشراب وما زاد نصرفه في سبيل الله والموت خير لنا لأننا نكون في الجنة وهذا هو مقصود الآية إذا ملكنا لا تتعلق بالملك ونكون عبادا لله مخلصين ويقول اتنا استودع كل منا ربه أهله وولده وأن المسلمين للتأخيرين جعلوا الفتح مقصودا لذاته فهلكوا مصداق الحديث (ان أخوف ما أخاف عليكم) وفي آخر الفتح (تشبيان) تشبيه المسلمين في التوراة وتشبيههم في الانجيل . فليكن الفتح الآن فتحا علميا

١٧١ (الجوهرة الثالثة) في قوله تعالى - وإذ قلنا للآنسة اسجدوا لآدم - الى قوله - وما كنت متخذ الخليلين عضدا - وذكر مذهب الباطنية ونظام الملك الوزير وعمر الخيام

١٧٣ من هم الباطنية والكلام عليهم قلا عن المواقف . وأن (الفارية) وهم طاقة من الفرس أرادوا كسر شوكة العرب فلم ينجحوا إلا لإدخال الشك في الدين ورؤسهم في ذلك حمدان قرط وقيل عبد الله بن ميمون القذاح . ولهم في الاستراج (سبع مراتب) الرزق والتأنيس والتشكيك والربط والتدليس والتأسيس والخلع والسلب ويسمون الاسماعيليه والباطنية والقرامطة والحرية والحمرية والمزدكية والتعليمية والملاحدة . والخطاء عندهم سبع وهم امام وحجة وذو معة وأكبر وداع مأذون وكاتب رفيع الدرجات ومؤمن ينبع الداعي . غرام الاسماعيليه بالأعداد

١٧٤ بيان أن أوروبا الآن تضل مع المسلمين مافيه ابن الصباح قديما كلاهما يحرم العلم على المسلمين فأكثر الصوفية شاركوا أوروبا في قليل العلم ومنعه عن المسلمين الذين هم السبب في رقى الانسانية

(للسألة الثانية) في الكلام على نظام الملك الوزير وعمر الخيام وحسن بن الصباح وانهم تعاهدوا أن من ارتقى ينفع أخوه بقرى نظام الملك للوزارة وقنع الخيام فأعطاه ما لا يستعين به على العلم وأكرم ابن الصباح

الذى خان رفيقه بعد ذلك فاحتال نظام الملك فردّ كيدَه في محره فذهب ابن الصباح الى مصر وصار
 من الساعين للباطنية . و بيان أمر الباطنية وانه كان أولا ببلاد المغرب ثم أتوا الى مصر ثم اتروا
 منها أيام صلاح الدين الأيوبي . وهذا يوضح طريقة (أنا نحن) بالهند

١٧٦ (المسألة الثالثة) زهد أكثر الأئمة الاسلامية اليوم في فهم القرآن . و بيان أن السلطان عبدالعزيز
 عمراكش كان رجلا صالحا ولكن الفرنسيين أرسلوا فأخذوا راقصات من مصر ليوموا المسلمين أنها
 للسلطان وهو لاعلم له به لأن المسلمين زهدوا في العلوم وفي السياسة وفي الصناعات للجهل الذى به
 شيوعهم الجاهلون

١٧٧ جوهره في إضاح الكلام على حسن بن الصباح واجال تاريخ الامامية والزيدية والكيسانية وفهم
 معنى الشيعة وأن الامامة ركن من أركان الدين عندهم والامام المعين معصوم وهؤلاء امامية وزيدية
 والأوتون يترؤن من الشيخين والآخرين لا يترؤن والامامية تنتقل الامامة عندهم في ولطامته بالنص
 والزيدية يقولون انها في ولد فاطمة باختيار الشيوخ ولا بد أن يخرج الامام والامامية ترؤوا من زيد لأنه
 لم يترأ من الشيخين فرضوه فسموا راضية . وطائفة ساقطت الخلافة في محمد بن الحنفية ثم الى ولده
 فهذه هي الأحوال الثلاثة ولها فروع تطول ومنهم الغلاة الذين يقولون بألوهية الأئمة فهم بشر المليون
 أو الاله نفسه حل فيهم كما تقول النصارى في عيسى ومنهم أيضا الواقفية يقفون على واحد منهم مثل محمد
 ابن الحسن العسكري الذى دخل السرداب وهم ينتظرونه الآن

الكلام على الكيسانية . قد ساقوها من محمد بن الحنفية الى ابنه هاشم وهو أوصى لمحمد بن على بن
 عبد الله بن عباس وبعده الى ابنه ابراهيم الامام ثم الى أخيه عبد الله السفاح ثم الى أخيه أبى جعفر
 المنصور . وهذه دولة بنى العباس . الزيدية أتباع زيد بن على رضى الله عنهما وقد خرج بالكوفة
 وقتل وصلب . وظهر بعده (بحي) بخراسان . وبعده (النفس الزكية) الذى خرج باعجاز قتل ومنهم
 من ساقوا الامامة من محمد بن عبد الله الى أخيه ادريس الذى فرّ الى المغرب وقام بعده ابنه ادريس
 واخط مدينة فاس

١٧٨ الامامية . هم الذين ساقوا الامامة الى جعفر الصادق وبعده إما الى ابنه اسماعيل وإما الى ابنه موسى
 الكاظم وهم الاثنا عشرية والاسماعيلية قالوا الى ابنه محمد المكتوم ثم ابنه جعفر ثم ابنه محمد ثم ابنه
 عبد الله المهدي الذى ظهرت دعوته في كتامة بالمغرب وملك القيروان والمغرب ثم مصر وقد خلط هؤلاء
 كلامهم بكلام الفلاسفة وحسبوا بالجل وشغلوا الناس بالوفاق ولكن حسن بن الصباح فتح طريقا
 آخر كما في كتاب الشهرستاني أبى الفتح محمد إذ ذكر حجج ابن الصباح الأربع للاستدلال على أنه هو
 وإمامه على الحق والفرق الباقية في الاسلام على الباطل

١٧٩ - واذ قال موسى لفته - ذكر هذه الآية مشكلة الى آخر السورة

١٨٢ تفسير الكلمات

١٨٣ مغزى هذه القصة

١٨٤ إضاح هذا المقام أى أسرار هذه القصة . وأن المؤلف تغيل فلاما يسأل شيخا يقول له أنا حائر في
 أمر طير وبهائم ولكل خواص ليست للأخو وكل راض بنعمته والله بهار حيم ثم يهلم ما بنائه ويميت
 هذه المخلوقات . ثم انى أرى الخفاف يصطاد الصفور والطاعون يهلك الناس اهلا كما . فأرنج على
 الشيخ فلم يعرف كيف يجب

١٩٣ ذكر ما وافق عليه الشاطبي من فتوى علماء الاسلام بالضرب في التهم والحبس وفي تعزيم المال في بعض الجنائيات وهكذا . وبيان أن علماء الاسلام قد جعلوا لامام المسلمين أن يوجب المنعوب وأن يقرى القول الضعيف . وأن رأى المؤلف أن المجالس المنتخبة في الأمة انتخاباً صحيحاً هي الأولى بمثل هذه المسائل لأنهم أولوا الأمر

بيان ما يجب على الأمة من تخصيص جماعة لهم الثقة فيكون ذلك واجبا عليهم عينيا اذا كانوا أهلا لذلك . قصة (ذي القرنين) وبيان اسكندر المقدوني وتاريخه اجالا وكذلك أبو كرب بن (أفرقش) وأن أبا الريحان اختار انه هو ذو القرنين

١٩٥ التفسير اللفظي قوله تعالى - ويسألونك عن ذي القرنين - الى آخر السورة

١٩٧ (الطليعة الأولى) في سد ذي القرنين وأن هناك سدين سد مدينة (باب الأبواب) التي هي نفس مدينة (صربت) بجبل قوفا . وسد آخر وراء جهنم في حمالة بلخ واسمه (سد باب الحديد) بالقرب من مدينة (رمذ) وقد اجتازه (جورلنك) و (شاه روح) و (سيلد برجر) الألماني وذكره في كتابه وهكذا (كافيجو) سنة ١٤٠٣ وهو بين سمرقند والهند وهذا هو المذكور في القرآن فعلا

١٩٨ الكلام على (بأجوج وبأجوج) و (ذي القرنين) . وبيان أن المؤلف كتب في (سجدة الحلال) هذه المقالة في أواخر القرن التاسع عشر . وتبين بعد ذلك أن ما استنتجه حق بما رآه في كتاب (اخوان الصفاء) فنشره في (المؤيد) وملخص المقالة (حسن مباحث)

(١) معنى بأجوج وبأجوج وجغرافية بلادهم (٢) وافسادهم في الأرض وذكر تاريخهم (٣) معنى - فتحت بأجوج وبأجوج - وذكر خروجهم (٤) معنى الحذب (٥) معنى اقتراب الوعد الحق

١٩٩ بيان افساد بأجوج وبأجوج في أوروبا قبل التاريخ وأن منهم أمة (السرياق) وغيرها وانهم خرجوا من الحضبات المرتفعة وانهم دمروا بلاد الاسلام و (بولونيا) و بلاد (الجزر) وقسموا بلاد الله بينهم أربعة اقسام . وقد خص كل واحد من أتباع (جنگيزخان) ٢٤ قبلا من المسلمين وذبح الخليفة وذكر الأحاديث التي هي من معجزات النبوة إذ تم كل ماوردت به مثل انهم لا يدخلون مكة الخ ومثل أن البيت يحج بهم

٢٠٠ نص خطاب (جنگيزخان) لقطب أرسلان وقوله ولينسلن عليكم بأجوج وبأجوج من كل حذب . وذكر حديث زيب بنت جحش . وبيان معنى - اقتراب الوعد الحق - وأنه كقوله تعالى - اقتربت الساعة - الخ . وبيان أن عليين اسلاميين بكياء على الاسلام قبيل هجوم التتار وأخبرا بما سيحصل وبيان أن تلك البلاد مسماة بأسم بأجوج وبأجوج في (اخوان الصفاء) وغيره عمدة الدرجات . وأن هؤلاء القوم أسلموا وأن انك المظفر ردهم عن مصر والشام

٢٠٣ خريطة بلاد بأجوج وبأجوج . رسم الشيخ محمد غفر الدين . وإيضاح الخريطة . وذكر أن بأجوج وبأجوج الآن من جهة بلاد الصين

٢٠٥ قدوم عالم من علماء بأجوج وبأجوج على المؤلف . نظرة في أمة الانجليز ومصر وفي القيصر ومسلمي الروس وأن أمته وأخته يلمان بنات القرية انتقاده للمسلمين في مصر أن ما لهم في جيوب الأجانب بخلاف مسلمي الروس ومقابلتي له بالمصادقة للهبة قبل سفرى لوالدى إذ أصيب وأخبارى له بالاطاف الله في والدى وقوله إن الله مع الصالحين

الكلام على (ذي القرنين) والتدقيق في أمره وأن قبة الكهف في أول السورة فرتوا وأصحاب النبي

فَرَوَا من الظلم مثلهم الى الحبشة والى المدينة وأن الجدار اقامه الخضر والسد بناء (ذوالقرنين) والسفينة خرقت والغلام قتل في آخر السورة اشارة الى أن أمة الاسلام عند قوتها تمنع الضرر قبل أن يستفحلها وتنفع الأفراد والأمم . وذكر جواب سؤال (أيعلم الله شك الناس في هذه القصة أولا يعلم) والجواب عليه

٢٠٨ ذكر أسماء من اشتهروا من أمة اليونان بأثني واسبارطه مثل (كودروس) و (ليكورغس) وهكذا الى اسكندر . فهل فيهم من في اسمه (ذو) أو ماقى معناه . كلا

٢٠٩ يان ملوك اليونان والتابسين فيهم مثل (فيلون) و (ليكورغس) و (رافيطوس) و (سولون) و (فيليب الثاني) و (الاسكندر الثالث) الملقب الأكبر . فهو له وغيرهم ليس في أسمائهم معنى (ذو القرنين) الكلام على بلاد اليمن وملكها . وانها تنقسم الى غاليات واولماليات وهي (٨٠) تحتها عهده والخلاف يتولاه قبل والمهد أو اقصر قد يتحول الى مدينة وصاحب المهد يقب بلفظ (ذو) مثل (ذو غمدان) والجمع أنواء والأنواء يرتقون الى أقبال والأقبال يرتقون الى ملوك ثم الى تبابعة جمع تبع . وقد جاء في قصيدة لشاعر حجري نحو (٦٠) من الأنواء منها الثامنة أولا والباقي بعد ذلك مثل ذى ثعلبان وذى خليل وذى نيفان الخ . إذن ثبت أن (ذو القرنين) أقرب الى أهل اليمن لأنه لم يخرج عن كونه من الأنواء وارتقى بل ذكر فيهم (ذو القرنين) أو (افريقش) الصعب ولكنه ليس هو المذكور في القرآن وإن بالغ في أمره القصاصون . وبيان أن دولة (سبأ) وقبلها دولة (معين) و (القنانيون) و بعد سبأ الدولة الحيرية ومنها التبابعة وبيان ملوكهم

٢١٢ حكمة نزول هذه الأخبار في القرآن وذلك ليدرك المسلمين الحاليين ماحل آياتهم من أمة يأجوج ومأجوج وليكون المصلحون فيهم ناصعين للأفراد والأمم كسأفة اقامة الجدار وبناء السد بلا أجر وأن الأمم الاسلامية قد هجروا أوطانهم لضعفهم أولا كأهل الكهف وفي آخر الأمر يدفعون الأفراد والأمم كما قسم

٢١٣ وأيضا ان المسلمين بعدنا يبحثون في هاتين الأمتين فيتين لهم أولئك المصلحون الذين سنوا للأمم مجالس النواب والشيوخ التي أخذت تسرى الآن في بلاد الاسلام وعلى علمائهم دراسة تاريخ هذه المجالس ليكونوا على بينة

جوهرة في قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي - . وبيان خطبة (جبنس) العالم الانجليزي في جامعة أمريكا إذ شرح عمر الأرض والشمس والانسان الحالي والمستقبل وبيان الأجول الفلكية وأن لها نهاية . أما الفضاء فلا نهاية له . والأجرام الفلكية تمتد الى أكثر من ألف ضعف المسافة التي يتناوب بين السدم وأن الكهرباء تطلق على الأرض وترجع الى عملها فالنور يجري على محيط دائرة والنور يجري حول الفضاء الكروي مائة ألف مليون سنة . وبيان حجم الأرض والشمس ٢١٥ وعدد المجموعات ثلاثين ألف مليون مجموعة وشمسنا حبة رمل من مجموعة منها وعدد النجوم (٢) على يمينها (٢٤) صفرا . وذكر أن نصف النجوم نورا وأشدّها التي هو أقوى من ثلثائة ألف ضعف نور الشمس والجوزاء أكبر من الشمس (٢٥) مليون مرة وقوة شعاع الشمس ونور الشمس بالنسبة الى نورها كنور الجبابب بالنسبة الى نور الشمس . وقوة الشعاع في البوصة المربعة من الشمس تعادل خسين حصانا وهي في بعض النجوم تساوي ثلاثين ألف حصان . وبيان أعمار الأجرام الفلكية التي تبلغ الى عشرة آلاف ألف مليون سنة . وعمر الشمس الآن عشرة آلاف ألف مليون سنة وربما

تعيش ملايين الملايين أيضا . هذا معنى - قل لو كان البحر مدادا - الخ
 ٢١٦ جوهرة في قوله تعالى - قل إنما أنا بشر مثلكم - الخ وهي لبيان أن الكثرة المتضمنة تشملها وحدة
 وبيان الوحدة عند قدماء الفلاسفة وأنها ملازمة للوجود فكل موجود كثر أو قل يطلق عليه اسم
 الواحد . ويقول علماء (الارتماليين) العالم كله واحد مكرر وعلماء العصر الحاضر وجدوا الوحدة في
 التركيب . فكل شمس وكل كوكب وكل قمر مركبات من عناصر تماثل العناصر المعروفة وهي كلها
 ذرات فكل ذرة لها دورات كدورات الكواكب حول الشمس . وقد وجدوا في قطرة الماء من
 الذرات أعدادا عظيمة تقرب في كثرتها من عدد نجوم السماء
 خلاصة ما تقدمت الوحدة في آراء الفلاسفة ووحدة الأعداد ووحدة علماء العصر الحاضر واتحاد الكواكب
 ووحدة في الاشراق لأن العوالم كلها سواء أكانت مظلمة أم مضيئة كالشمس والحديد والنحاس ترجع
 إلى ذرات ضوئية ركبت منها تلك العناصر . ووحدة في جرى أجزاء الذرات بعضها على بعض .
 ووحدة في أن بين الذرات متسع كالتي بين الأرض والشمس . ووحدة في أن الصغير بما يراه يحوى
 عددا من الذرات يقرب من احتواء العالم على كواكب . ووحدة في الأحوال من حر وبرد وموت
 وحياة . وفي الأخلاق كل جهد الذي أمرت به جميع الديانات . ووحدة في العدل كما في قوله تعالى
 - إن الله يأمر بالعدل - المشروح في سورة النحل . ووحدة في نظام الأمم . فكلما كانت الأمة
 أقوى ترتيبا كانت أقدر على أن تغلب غيرها وتعقد التي ليست فيها وحدة لأنها مخالفة لنظام ربها فلذلك
 تعاقب بالخزى في الدنيا بعض الأمم الشرقية في القرون المتأخرة . وبالشورى التي أمر بها سيدنا عمر
 رضي الله عنه تكونت الوحدة . والحب أن يتحد الطالبان والألمان والممالك المتحدة وكثير من
 المسلمين لم يتحدوا قبيل زمننا الحاضر . ومن الوحدة في الأمة الاحتفاظ بالصناعة وتقوية القائمين بها
 ومساعدة الأبدى العاملة فيها . والأمة إذا فرطت في الصناعات تمزقت وحدتها وأصبحت ذليلة مستعبدة
 لغيرها . كل هذا سرّ قوله تعالى في سورة إبراهيم - وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب -
 فهذا من نوع التذكير الذي ينتهي أولوا الألباب
 ٢١٩ خطاب مفتوح كتب في محبة (النهضة النسائية) يقصد به الوحدة في الصناعة وأن المصريات لم يظعن
 مافعله (جان دارك) من احراق جسمها لأجل بلادها ولم يظعن للنسوجات الأجنبية كأهل الهند .
 فهلا قامت منهن طائفة تمنع التبرج كما فعلت النساء التركيات . وملخص هذه المقالة أن ارتقاء الأمة
 في الصناعة والاقتصاد يجب أن يشارك للنساء فيه الرجال

(بشرى)

صحيح الامام البخاري في تسعة أجزاء

بخط جلى واضح لم يسبق طبعه بهذا الشكل

مضبوط الكلمات • حائرا أعلى الصفات

الى الاصوليين والفقهاء والمحدثين أرف كتابا أصح الكتب بعد
كتاب الله سبحانه وتعالى ألا وهو كتاب (صحيح الامام البخاري)
بعد التعطش لرياء • وقلة مرآة • حتى أصبح لا يرى لنسخه أثر •
ولا يوقف لها على خبر • والنفوس له مشتاقه • ولاجتلاء عجاء
تواقه • ومع الاستعانة بالله سبحانه شرعنا في طبعه وعمّا قريب
يظهر للوجود • بعد ان كان غيب موجود • وانتقينا له من الورق
أعلاه وأغلاه • ومن الحروف أونها وأضبطها • ومن الاصول
أصحها وأتقنها • وحسبك محبة واتقانا النسخة التي انتقاها من بين
أصوله الصحاح أمير المؤمنين المغفور له (السلطان عبدالجيد) التي أجمع
على محبتها أكابر علماء الأزهر الشريف • رحم الله جميعهم • وبرر
في الدارين صنيعهم آمين

دلائل الخيرات

نظرا لشدة الرغبة في تلاوة ﴿دلائل الخيرات﴾ ولمدم وجود أصناف جيدة منها . قد طبعنا أربعة أشكال علي ورق جيد بتجليد ظريف

(الأولى) بقطع الربع ، وبهامشها أحزاب وأوراد وأدعية وقصائد منسقة برسم جميل وخط بديع

(الثانية) بقطع الربع أيضا بخط ثلث واسع

(الثالثة) بقطع الثمن بخط متوسط واسع

(الرابعة) بقطع صغير بوضع في الجيب ويقرأ بناية

السهولة

وقد لاحظنا الدقة والاعتناء في التصحيح خدمة

للمتعبدين والمؤمنين بالصلاة والسلام على نبينا سيد

المرسلين صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه وسلم

